شؤون فلسطينية

١

آذار (مارس) ١٩٧١

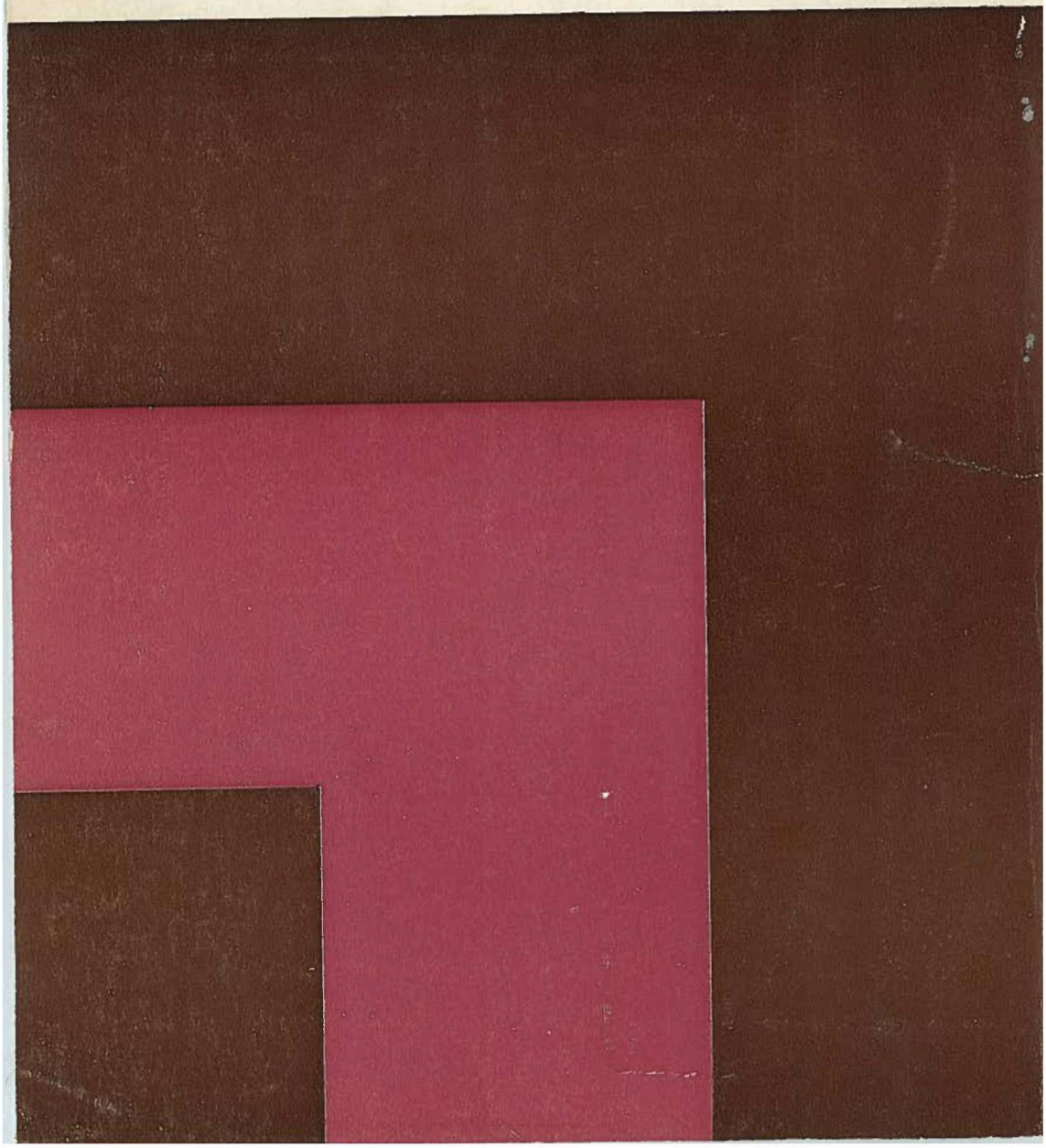

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير: الدكتور انيس صايغ

رقم ١ — آذار (مارس) ١٩٧١

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة . تصدر ست مرات في السنة. ينشرها مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية . العنوان : بناية مكارم وأبو عزالدين (الطابق الخامس) شارع كولومباني (متفرع من السادات ، راس بيروت) بيروت ، لبنان . ص.ب ١٦٩١ تلفون ٢٩٣٧٧٨ مؤقتا ، برقيا مرابحات، بيروت . ثمن العدد : ٣ ل.ل. في لبنان وما يعادله في الوطن العربي ، ٢١/٢ دولار في الخارج . الاشتراك السنوي ١٨ ل.ل. في لبنان وما يعادله في الوطن العربي ، ١٥ دولارا في الخارج (بريد جوي) . هيئة التحرير : بلال الحسن ، احمد خليفة ، الحكم دروزه ، يوسف شبل ، ابراهيم العابد ، د. صادق جلال العظم ، ناجي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد المجذوب . المستشارون : د. ابراهيم ابراهيم ، د. صلاح الدباغ ، د. نبيل شعث ، د. هشام شرابي ، د. يوسف صايغ . وجميع الآراء الواردة في «شؤون فلسطينية» تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

المحتويات

صفحة ٤ د. انيس صايغ [مدير عام مركز الابحاث والمشرف على « شؤون فلسطينية »] **شؤون فلسطينيـــة** . ص ٥ عبد الحفيظ محارب [خبير الشؤون العبرية واستاذ اللغة العبرية في م. ا] **الحمائم والصقور في اسرائيـــل** . ص ٢٧ د. اسعد رزوق [استاذ الفلسفة في الجامعة الاميركية في بيروت وكلية بيروت للبنات سابقا والباحث شبه المتفرغ للشؤون الصهيونية في م. ا] **اسرائيل والامبريالية العالمية** . ص ٣٩ بلال الحسن [عضو اللجنة التنفيذية في منظمة التحرير الفلسطينية ومدير تحرير مجلة الحرية سابقا] **احداث ايلول ومسؤوليـــة النظام الاردني** . ص ٥٦ خيرية قاسمية [الدارسة للدكتوراه في جامعة القاهرة ومستشارة الوثائق الفلسطينية الحديثـــة في م. ا.] **تطور القضية الفلسطينية في عهد الحكومة العربية في دمشق** . ص ٧٧ احمد خليفة [رئيس القسم العبري في م. ا وعضو هيئة تحرير مجلة الحرية سابقا] **سياسة اسرائيل في المناطق المحتلة** . ص ٩٥ باسم سرحان [الباحث الاجتماعي في مركز التخطيط في م. ت. ف. واحد باحثي م. ا] **الاطفال الفلسطينيون : جيل التحرير** . ص ١٠٧ د. سلمـــى الخضرا الجيوسي [استاذة الادب العربي الحديث في جامعة الخرطوم] **شعر** . ص ١١٢ حبيب قهوجي [من مؤسسي حركة الارض في فلسطين المحتلة، ومستشار القسم العبري في م. ا] **القصـــة الكاملـــة لحركة الارض** . ص ١٢٦ د. اميل نخله [استاذ العلوم السياسية في كلية ماونت سانت ماري في امتسبرغ، ماريلاند، في الولايات المتحدة] **العلاقات السياسية العربية ــ الاميركية في محتواها الاسرائيلي** . ص ١٣٧ د. نبيل شعث [استاذ ادارة الاعمال في الجامعة الاميركية في بيروت والجامعة اللبنانية والمشرف على شـــؤون الاعلام الاسرائيلـــي في م. ا.] **الفكر العنصـــري الاستعماري وراء « اسرائيليون يردون »** .
صفحة ١٤٣ **شهريات** : ا. خ ، **السياسة الاسرائيلية** . يوسف شبل [خبـــير الشؤون الاقتصادية الاسرائيليـــة في م. ا.] **الاقتصاد الاسرائيلي** . ب. ح. ، **المقاومة الفلسطينية** . ب. ح. ، **القضية الفلسطينية عربيـــا** . د. صادق جلال العظـــم [استاذ الفلسفة في الجامعة الاميركية في بيروت وجامعة عمان سابقا ومستشار م. ا.] **القضية الفلسطينية دوليا** .
صفحة ١٧٧ **مراجعـــات** : د. يوسف صايغ [رئيس مركـــز التخطيط في م. ت. ف. واستاذ الاقتصاد في الجامعة الاميركية في بيروت] كتاب **البحث عـــن السلام** . هاني مندس [كاتب وناقد لبناني] وناجي علوش [رئيس تحرير مجلـــة دراسات

عربية] كتاب **دراسات يسارية** . ليلى خالد [الفدائيـــة التي اشتركت في عمليتي خطف طائرات] كتاب **حرب ليلى الخاطفة.** انا كنفاني [الاعلامية السويدية في القضية الفلسطينية] كتاب **حرب فلسطين.** منير شفيق [من اعلاميي الثورة الفلسطينية] كتاب **نحو فلسطين ديمقراطيـــة** . دنس جونســـون دافـــز [المستشرق البريطاني الخبير بالاداب العربية ومترجم عدة أعمال ادبيـــة عربية الى الانجليـــزية] كتاب **عـــدو الشمس** ن. ع. ، كتاب **دراسات في المسالة اليهودية** . دافد متشـــل [المستشرق البريطاني والخبير بالشؤون العربية] كتاب **الى أين تسير اسرائيل** . جمانة سعد [اعلامية فلسطينية] كتاب **قضية الخطف .**

صفحة ١٩٩ **فلسطينيات** : د. محمد المجذوب [استاذ القانون الدولي في الجامعة اللبنانية وجامعة بيروت العربية] **الجمعية العامة للامم المتحدة : تطبيق احكام اسرى الحرب في افـــراد المقاومة** . د. حسن صعب [استاذ العلـــوم السياسية في الجامعة اللبنانية ورئيس ندوة الدراسات الانمائيـــة] **المؤتمر الدولي للدين والسلام في اليابان** . منح الصلح [الكاتب والمفكر والمؤلف اللبناني] **انطباعات عامة حول جولـــة في الولايـــات المتحدة .** مارلين ابو شديد [المشرفة على القسم الفرنسي في م. ا.] **حديث مع كريستيان بيلون.** ح. ق. ، **محمود درويش وجائزة اللوتس** . د. منذر عنبتاوي [استاذ القانون الدولي في الجامعة الاردنية] **ندوة جامعـــة لوفان حول نهضـــة العالم العربي** . د. موسى الخوري [استاذ الادب الانجليزي في الجامعة السورية في دمشق ورئيس تحرير مجلة « المقاومة » بالانجليـــزية] **المجلس التاسع لمنظمـــة الشعوب الافريقيـــة الاسيوية** . ا. ن. ، **جمعية دراسات الشرق الاوسط** . **فؤاد بوارشي** [الباحث في م. أ ورئيس اتحـــاد طلاب الجامعـــة الاميركية في بيروت] **ندوة الدراسات المسيحية حول القضية الفلسطينية** . ص. ج. ع.، **انطباعات حول اليسار الاميركي.** م. ش. ، **المؤتمر التاسع لكونفدرالية الطلاب الفلسطينيين في المانية والنمســـة** . مراسلنا في الامم المتحـــدة ، **حول الدورة الخامسة والعشرين للجمعية العامة للامم المتحـــدة** أ. ص. ، **عيسى ابو الطبول** . د. حاتم الحسيني [خبير الاعلام في مكتب جامعة الدول العربية في واشنطن] **توفيق صايغ** .

صفحة ٢٢٦ **ثلاث وثائق عن معاملة العرب في الارض المحتلة :** مذكرتان ونشرة للرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية في تل ابيب .

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

بهذه النشرة الدورية تتحقق أماني أسرة مركز الابحـــاث في منظمة التحرير الفلسطينية وأصدقائهم وزملائهم .

أمان بنشرة ، مهما كان اسمها وشكلها وانتظام صدورها ، تختص بالشؤون الفلسطينية بأدق معاني الاختصاص وأوسع معاني الشؤون : شؤون الشعب الفلسطيني ، وشؤون القضية الفلسطينية ، وشؤون النضال الفلسطيني ، وشؤون أرض فلسطين ومجتمع فلسطين وثقافة فلسطين ــ ماضيا وحاضرا ومستقبلا . يعالجهـــا خبراء الموضوع ، بأسلوب علمي وتحر دقيق واخلاص صادق ، مستهدفين البحث عن الحقيقة واعلانها .

أمان بمنبر حر للحوار الهادىء الرزين . تلتقي فيه الآراء المتباينة . ويستضيف جميع الاتجاهات والافكار . ويناقش فيه الفكر بالفكر . ويرد على الحقائق بالحقائق .

أمان بلقاء متواصل بين مفكري الشؤون الفلسطينية وكتابها وبين جماهير المثقفين ، يولد نتاجا يخصب معرفة الجماهير بنفسها وبعدوها ويغني تحسس الكتاب بأبعاد المسألة وبواقع النضال .

أمان كثيرة ، يعاني منهـــا ، ويتمتع بها في آن واحد ، آلاف المثقفين غير افـــراد اسرة مركز الابحاث ، أمان قديمـــة ومستمرة ، بمنبر ، بلقاء ، بنشرة ، مـــن هذا النوع .

و« شؤون فلسطينية » هي ، في الواقع ، محاولة لتلبية الحاجة ولتحقيق هذه الاماني .

ليست « شؤون فلسطينية » مجلة أخرى عـــن فلسطين . وليست أداة جديدة للاعلام الفلسطيني . ولا هي سبيـــل للوعظ والارشـاد . فهنـــاك ، لهذه الاغراض ، مجلات ومجالات ، ولسنا لزيادتها ولا لمجاراتها .

« شؤون فلسطينية » محاولة لاداء رسالة . رسالة الفكر الواعي والحر ، متعدد الآراء والمواقف والاصوات ، المجمع على الايمان بحق كامل في فلسطين كاملة .

وستطل « شؤون فلسطينية » مرة كل شهرين . وقد تنجح وتطل مرة كل شهر . وقد تلقى التشجيع والدعم فتتقوى . وقد تعترضها العراقيل فتضمـــر . ولكنها ، وفي كل الحالات ، ستحتفظ بعزمها الحـــالي ، وستسعى نحو الهدف الذي تسعى نحوه الآن ، بالايمان الذي يعمر قلبها وسيظل يعمر قلبها . ولن تصدر الا لحمل الرسالة التي تجندت لحملها . هذا هو غرضها الوحيد . وهذا هو مبرر وجودها، ومبرر استمرارها الوحيد. وهو مقياس نجاحها الوحيد .

"الحمائم والصقور" في اسرائيل

عبد الحفيظ محارب

عندما اخذت ازمة الشرق الاوسط تشتد وتتصاعد يوما بعد يوم ، في شهر ايار ١٩٦٧ ، واخذت الحلقة تضيق حول عنق اسرائيل ، بدت في الافق علامة سؤال كبيرة حول مستقبل مصير اسرائيل ، لاول مرة منذ تأسيسها .

وفي هذا الجو القاتم تشكلت حكومة الائتلاف ، وعين « موتسيه دايان » وزيرا للدفاع في الحكومة الاسرائيلية .

كما قام وزير الخارجية « ابا ايبن » بجولة « دراماتيكية » في بعض بلدان أوروبا والولايات المتحدة ، حيث اجتمع مع قادتها وزعمائها خاصة مع الرئيس الاميركي السابق لندون جونسون ، الذي تم الاتفاق بينه وبين وزير الخارجية ، سرا على فترة انتظار تستغرق اسبوعين ، وتنتهي في الثامن من حزيران ، تقوم بعدها اسرائيل بهجوم واسع النطاق(١) .

وعندما عاد وزير الخارجية من جولته تلك وقدم تقريرا مفصلا عن محادثاته التي اجراها في اوروبا واميركا ، وعن الاتفاق السري الذي تم بينه وبين الرئيس الاميركي « لندون جونسون » حول ضرورة التريث لمدة اسبوعين كاملين ، قبل البدء في شن هجوم واسع النطاق ، انقسمت وزارة الائتلاف الوطني الى فئتين رئيسيتين :

الفئة الاولى : تفضل شن هجوم فوري رادع دون اللجوء الى الانتظار والتريث .

الفئة الثانية : تفضل اتباع الطرق الدبلوماسية لفض الازمة الطارئة والاخذ برأي الرئيس الاميركي « لندون جونسون » بشأن التريث والانتظار لمدة اسبوعين اضافيين .

وقد قررت الحكومة الاسرائيلية التريث والانتظار لمدة من الزمن . غير انها قررت فيما بعد استباق نهاية الاسبوعين الاضافيين ، اللذين تم الاتفاق عليهما وخرجت اسرائيل الى الحرب في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ .

بعد الانتصار الذي احرزه الجيش الاسرائيلي في حرب الايام الستة ، هذا الانتصار الذي ازال علامة السؤال الكبيرة التي كانت تحوم عشية الحرب حول مستقبل الكيان الاسرائيلي ، والذي تأتى عنه اضافة رقعة واسعة من الاراضي العربية ، تابعة لثلاث دول عربية ، تحت هيمنة الجيش الاسرائيلي ، اخذت تبرز في الصحف ووسائل الاعلام الاسرائيلية كنيتان مستعارتان من عالم الطيور . وهما « الحمائم والصقور » ، حيث اخذت وسائل الاعلام تلك تصف كل زعيم في اسرائيل ، فضل اتباع الطرق الدبلوماسية لفض الازمة الطارئة « بالحمامة » وكل زعيم سياسي او قائد عسكري ، ممن عارضوا سياسة الاعتدال والمرونة ، ودعوا الى المبادرة بالقيام بعملية ردع عسكرية في الحال وبدون تردد « بالصقر »(٢) .

لم تأت وسائل الاعلام الاسرائيلية بجديد ضد استخدامها هذا الوصف ، المشتق من

عالم الطيور ، خاصة وان اصطلاح « الحمائم والصقور » قد سبق واطلقه الاميركيون في الولايات المتحدة في وصف المؤيدين لحصار كوبا والمعارضين لهذا الحصار ، والمؤيدين لاستمرار الحرب في فيتنام والمعارضين لاستمرارها، حيث نعت المتشددون «بالصقور». بينما نعت المعتدلون « بالحمائم » .

لم يقتصر مفهوم « الحمائم والصقور » بعد حرب الايام الستة على اولئك الذين ايدوا الخروج الفوري للمعركة ، واولئك الذين ايدوا فترة الانتظار ، فحسب ، بل اخذ يتسع ويتشعب بعد احتلال اسرائيل لاراض عربية ، تفوق مساحتها ثلاثة اضعاف ونصف الضعف ما كانت اسرائيل قد حصلت عليه عام ١٩٤٨ . فبعد حرب الايام الستة اخذ النقاش يحتدم ويشتد حول مصير المناطق المحتلة في حال الاتفاق مع الدول العربية على سلام دائم .

وقد انقسمت حكومة الائتلاف الوطني الى فئتين : فئة تطالب بابقاء المناطق المحتلة تحت الحكم الاسرائيلي بشكل رسمي ، وتدعو الى عدم اعادة « شبر واحد » من الاراضي المحتلة الى الدول العربية ، وفئة ثانية تدعو الى اعادة بعض المناطق العربية المحتلة مقابل سلام دائم مع العرب . ويمكن القول ان حكومة الائتلاف الوطني اصبحت أسيرة اتجاهين : الاتجاه الاول يمثله دعاة الضم الكلي الذين يدعون الى ابقاء المناطق المحتلة، تحت الحكم الاسرائيلي، والاتجاه الثاني يمثله دعاة الضم الجزئي الذين يعتقدون ان على اسرائيل ان تدفع ثمنا مقابل السلام الحقيقي مع الدول العربية ، وهذا الثمن يتمثل في التنازل عن بعض المناطق المحتلة . ويقف هؤلاء ضد سياسة « ولا شبر» ويقولون — كما ورد على لسان وزير الداخلية السابق « موشيه شبيرا » (الحزب الوطني المتدين)(٣) : « لن تحل بنا مصيبة ان اعدنا بعض الاشبار » !

ومما تجدر الاشارة اليه ان هنالك فئة متطرفة بين صفوف دعاة الضم الكلي ، تمثلها كتلة حيروت الاحرار المعروفة بأسم « جاحال » . فهذه الفئة لا تكتفي بسياسة « ولا شبر » ، بل تدعو الى عدم « **تصور** » اعادة شبر واحد ! او كما جاء في صيغة المقررات التي اتخذها مؤتمر حزب حيروت : « لا يمكن التصور قط ان يعاد شبر واحد من أرض اسرائيل الى حكم الاجانب » !(٤).

ومع اشتداد الصراع بين هاتين الفئتين ، في الثلث الاخير من عام ١٩٦٨ ، حول مصير المناطق المحتلة ، استطاعت فئة الصقور احراز نصر جزئي في الصراع الداخلي . حيث ظهر ان معظم « الحمائم » اصبحت تؤمن انه لا مناص من ابقاء المناطق التالية الى الابد ، ضمن حدود دولة اسرائيل :

١ — قطاع غزة ، العريش وضواحيها
٢ — هضبة الجولان
٣ — القدس الشرقية وضواحيها
٤ — الخليل والقرى العربية المحيطة بها
٥ — قلقيلية(٥).

ثم اخذ الصراع بين فئتي الحمائم والصقور يتسع ويأخذ اشكالا وقوالب اخرى ، حول مواضيع شتى ، مثل : التكاثر الطبيعي لدى السكان العرب في المناطق المحتلة، ومسألة دمج اقتصاد المناطق المحتلة بالاقتصاد الاسرائيلي ، ومسألة « العمل العبري » والدعوة الى اسرائيل الكبرى او الى اسرائيل الصغرى وسياسة العقاب الجماعي ، وحول مواضيع اخرى .

والامر الذي يستدعي الانتباه عند التحقق في مواقف صقور اسرائيل وحمائمها ، انها لا تستقر دائما على فكرة معينة (باستثناء صقور كتلة « جاحال ») . ففي بعض الاحيان تتغير المواقف ، وتأخذ الحمامة الوديعة « بالتصقر » ، ويأخذ ريش الصقر بالتحول

الى ريش حمامة ، او كما جاء على لسان يوسف الموغي (« حزب العمل » مقرب من فئة الصقور) : « لدى كل صقر جناح حمامة ، ولدى كل حمامة جناح صقر »(٦).
وظاهرة التنقل من هذه الفئة الى تلك ، ظاهرة نابعة من عدم وجود بون شاسع بين الفكرتين او نابعة من الصراع الداخلي في اسرائيل على الخلافة . ولنأخذ على سبيل المثال التغير الفجائي الذي حدث على موقف يجال الون ، عند طرح «مشروع روجرز» لحل ازمة الشرق الاوسط ، والضغط الاميركي الذي وجه على اسرائيل لقبول هذا المشروع . ففي اعقاب ذلك اخذ يجال الون يلائم نفسه مع الاحداث المتغيرة والمستجدة، وتحول من صقر الى حمامة ، ثم اخذ يقف على راس فئة الحمائم .
ومن المعروف ان يجآل الون كان صقرا طيلة الفترة التي سبقت طرح مبادرة روجرز ، والمشروع الذي يحمل اسمه خير دليل على ذلك ، فمشروع الون « يدعو الى ضم هضبة الجولان ، ومنطقة القدس ، وغور الاردن وشاطىء البحر وشرم الشيخ »(٧) وهذا المشروع يختلف اختلافا كبيرا عن مشروع روجرز . اذن ما الذي دفع الون الى تغيير موقفه ؟
ان الامر يكمن في الصراع الداخلي الدائر في اسرائيل ، حول وراثة رئيسة الوزراء غولدا مئير .
تقول مجلة هعولام هزيه : « لدى يجال الون الجديد ، كرئيس لفئة الحمائم ، احتمالات كبيرة ، فقد اصبح مرة اخرى ، المرشح الطبيعي لوراثة غولدا من قبل المجموعة الحاكمة في حزب العمل ــ بنحاس سبير وجهاز مباي »(٨).
ومما تجدر الاشارة اليه ان صفة التشدد ليست مقتصرة بالضرورة على فئة «الصقور»، كما ان صفة التساهل ليست مقتصرة على فئة « الحمائم » ، وان كان هذا التشدد او ذاك التسامح لا يخرج من الدائرة الصهيونية .
وعلى سبيل المثال نجد ان «موشيه ديان» (صقر) لا يتخوف من التكاثر الطبيعي لدى السكان العرب في المناطق المحتلة ، ويدعو الى دمجهم في اقتصاد الدولة ، وتشغيلهم في اسرائيل . بينما نجد في المقابل « بنحاس سبير » (حمامة) يتصدى له ، ويعارض دمج سكان المناطق المحتلة باقتصاد اسرائيل ، خوفا من التكاثر لدى السكان العرب، وبالتالي خوفا على الصبغة اليهودية لدولة اسرائيل . كما وانه يعارض تشغيل السكان العرب داخل اسرائيل . وذلك لحماية « العمل العبري » من التلوث .
ولكي ترتسم الصورة واضحة امامنا ، نورد هنا الصراع الذي دار في الثلث الاخير من عام ١٩٦٨ ، بين وزير الدفاع « موشيه ديان » وبين السكرتير العام لحزب العمل « بنحاس سبير » .
في اليوم السادس من شهر تشرين الثاني لعام ١٩٦٨ ، دعا وزير الدفاع موشيه ديان ، في اجتماع عام عقده فرع حزب العمل في مدينة بئر السبع ، الى « تحويل مناطق القدس والخليل وبئر السبع الى وحدة اقتصادية تنظيمية واحدة ، مع دمج كامل للسكان العرب » ، وذلك من أجل محو « الفوارق » وازالة « العداء ». وقال في دعوته: « انه لا توجد هنالك صعوبات تحول دون تحويل هذه المناطق الىوحدة واحدة في ميادين المواصلات وشبكات المياه والكهرباء . وفي الحقل الزراعي » وقال : « انه ليس من المعيب ان يعمل عربي من الخليل في بئر السبع . وان يعمل عربي من رام الله في القدس »(٩).
ورد عليه بنحاس سبير بقوله انه ينبغي عدم دمج المليون عربي في المناطق المحتلة باقتصاد اسرائيل « لان ذلك يحمل في ثناياه خطرا لكيان دولة كدولة يهودية » .
وقال « سبير » معللا رايه : « ان التكاثر الطبيعي لدى السكان العرب يزيد على التكاثر الطبيعي لدى السكان اليهود بثلاثة اضعاف » واضاف « اذا ما انضم مليون

عربي اخر للاقلية العربية في اسرائيل ، فان المرء لا يحتاج الى عملية حساب كبيرة ليدرك بأن العرب سيصبحون خلال فترة قصيرة اكثرية في البلاد ، وحتى لـو استمرت الهجرة اليهودية الى اسرائيل بمعدل ٢٠ ــ ٣٠ الف نسمة في العام ، عند ذلك ستصبح الدولة ثنائية القومية ، وبعد ذلك دولة عربية »(١٠).

ويرد « ديان » على تخوفـات « سبير » من مسألة التكاثر الطبيعي لدى سكان المناطق المحتلة ، بقوله انه يوجد في منطقة الخليل حوالي ١٢٠ الف عربي اما في منطقة بئر السبع فيوجد ١٦٠ الف يهودي ، ويوجد في منطقة القدس اليهودية ٢٠٠ الف نسمة ، بينما لا يوجد مثل هذا العدد في القدس العربية وضواحيها ولذا فانه لا مكان للتخوف من سيطرة عربية من الداخل(١١).

وقد تطور هذا الجدل الذي دار بين « موشيه ديان » كممثل لفئة « الصقور » ، وبـين « بنحاس سبير » كممثل لفئة الحمائم واصبح يشمل كافة القوى السياسية في اسرائيل حيث انقسم الحزب الواحد على نفسه بين مؤيد لفئة الحمائم وبين مؤيد لفئة الصقور. كما واصبح الشغل الشاغل للصحافة الاسرائيلية الذي رأت فيـه حربا بين اليهـود انفسهم ونعتته « بحرب اليهود »(١٢).

لم يقتصر هذا الجدل على الامـور المبدأية ، بل أخذ ايضـا يتسم بالمنافسة والعـداء الشخصي ، خاصة وانه جاء في الفترة التي كانت تبذل فيها محاولات لضم حزب العمال الموحد « مبام » (يساري النزعة ، ويعتبر قادته من الحمائم) الى كتلة التجمع العمالي. وكان على رأس الساعين الى وحدة الحزبين « بنحاس سبير » الذي كان يستهدف من وراء ذلك تعزيز فئة الحمائم داخل كتلة التجمع العمالي ، وبالتالي ، تعزيز مركزه ، في منافسة موشيه ديان ، على وراثة كرسي الحكم .

وقد وقف « موشيه ديان » في وجه انضمام حزب العمال الموحد «مبام» الى كتلة التجمع لكي يضمن تفوق فئة الصقور في كتلة التجمع العمالي ، وبالتالي ، المحافظة على مركزه القوي كمرشح لخلافة رئيس الحكومة ليفي اشكول .

ولذلك اخذ الجدل بين « الحمامة » و« الصقر » يأخذ شكـل قـالب المنافسة علـى الوراثة . وبدأ كل منهما يتهكم على الاخر مثل قول ديان مشيرا الى « سبير » دون لفظ اسمه : « اني اعرف انه يوجد سكرتيرو حزب « يتراكضون » الان بين الفروع في البلاد، ويعارضون دمج عرب المناطق المحتلة باقتصاد اسرائيل ... ربمـا يكون بـاستطاعة هؤلاء السكرتيريين تنظيم انتخابات غير انهم لا يستطيعون فصم عـرى ارتبـاط هـذا الشعب بالخليل ، وتحويلها الى مدينة لليهود »(١٣).

ورد عليه سبير بقوله دون ان يلفظ اسم « ديان » : « لولا انني لم اركض فـي الحملـة الانتخابية ، لكان من المشكوك فيه ان يجلس « هو » في مركزه هذا »(١٤).

وعندما احتدم الجدل واصبح يتسم بالطابع الشخصي اخذت الصحافة الاسرائيلية تدعو الى ايقافه . وقد قرر حزب التجمع العمالي الطلب من الاثنين ، الكف عن الاستمرار في الجدل .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الحوار الشديد الذي دار بين ديان وسبير ، قد اعطى فئة الحمائم ، بعض التشجيع لرفع صوتها واسماعه ، ذلك لان هذه الفئة كانت قبل ذلـك التاريخ ، تتفوه همسا عندما تريد الافصاح عن رأيها خوفا من انقضاض فئة الصقور عليها ، واتهامها « بتوجيه ضربة من الخلف » .

وقد اوضح سبير بعد انتهاء الحوار بينه وبين ديان ، « انه كان يرمي من الحملة التي قام بها اضفاء صفة العلنية على الراي الثاني (راي الحمائم) بين صفوف المواطنين ، وجهاز الحكم . هذا الراي الذي كان غير مسموع ، ولم يصل بشكل كـاف الى اسماع الجماهير »(١٥).

وبالنسبة « للعمل العبري » فقد دافع « سبير » عن ابقاء العمل بأيدي اليهود تمشيا مع سياسة بن غوريون القديمة ، وقد استعان سبير في دفاعه بوجهة نظر بن غوريون المعروفة حول العمل العبري ، واعتبر وجهة نظر بن غوريون هذه ، بمثابة « شجرة سنديان قوية يمكن الاتكاء عليها» . ويعتقد سبير ان العمل العربي يشكل خطرا على كيان الدولة ، هذا الكيان الذي يدافع عنه بمقدار لا يقل عن فئة الصقور ، فقد قال ردا على سؤال وجه اليه : « انا حمامة ، غير انني اعتقد ان « الحمائم » هي « الصقور » الهامة من ناحية مصير اسرائيل وكيانها »(١٦) .

أما موقف سبير من مصير المناطق العربية المحتلة فيكتنفه الغموض ، ذلك لانه لا يبدي موقفا محددا واضحا تجاه مصير هذه المناطق مثل ديان ، او فئة الصقور بشكل عام التي تدعو الى عدم اعادة شبر واحد من الارض ، فهو يكتفي بالقول : « انه طالما لا يوجد هناك سلام فليس من الممكن اجراء حوار حول اعادة مناطق »(١٧) .

من هنا يبدو ان سبير يؤيد ابقاء المناطق المحتلة بوضعها الحالي ، الى أن يحين السلام الحقيقي ، ثم يمكن بعد ذلك اجراء حوار حول المناطق التي يمكن اعادتها ، والتي لا يمكن اعادتها . اي جعل قسم من هذه المناطق قابلا للمساومة مع العرب في حالة الجلوس معهم على مائدة المفاوضات . ويؤيده في وجهة النظر هذه غالبية فئة الحمائم وعلى راسها ابا ايبن .

أما موقف فئة الصقور بالنسبة للمناطق المحتلة فهو اوضح . فهذه الفئة لا تقبل ان يخضع اي قسم من المناطق المحتلة للمساومة مع العرب في حالة الجلوس على مائدة المفاوضات ذلك لان هذه المناطق ، بمفهوم هذه الفئة ، هي جزء من ارض اسرائيل الكبرى ، ولا يمكن المساومة عليها في اي حال من الاحوال كما وأنه لا يمكن اعادة شبر من الاراضي المحتلة الى « الاجانب » ، كما ينسب في بعض الاحيان الى زعيم فئة صقور كتلة « جاحال » .

اما « صقور » التجمع العمالي وعلى راسها موشيه ديان ، ويجآل الون ، التي تنطلق من ايمانها بأن احتمالات السلام بعيدة ، فانها تتبنى سياسة الامر الواقع ، وخلق وقائع جديدة في المناطق المحتلة ، لطمس معالمها العربية .

والجدير بالملاحظة ان فئتي الحمائم والصقور تؤيدان فكرة الاستيطان اليهودي في المناطق المحتلة ، ولا يوجد فارق بينهما الا في الاسلوب تجاه هذه المسالة ، وهذا الامر يتنافى ومطالب فئة الحمائم التي تسعى الى جعل المناطق العربية قابلة للمساومة حين اجراء مفاوضات مباشرة مع العرب .

من هنا يتضح لنا بعد استعراض الصراع الذي دار بين ديان ، كممثل لفئة الصقور ، وبين سبير كممثل لفئة الحمائم ، ان الفئتين تؤيدان التوسع ، وان اختلفتا في المقدار كما ويتضح ايضا ان فئة الحمائم تجنح الى التشدد ، اكثر من الفئة الاخرى ، حول بعض المواضيع مثل الصبغة اليهودية للدولة والحفاظ على العمل العبري . فصفة التشدد ليست مقتصرة على فئة الصقور بل تشمل ايضا فئة الحمائم .

هنالك موضوع آخر يعتبر مثار جدل بين فئتي الحمائم والصقور ، وهو موضوع سياسة « العقاب الجماعي » التي كان قد اعلن عنها وزير الدفاع موشيه ديان في مؤتمر صحفي عقد في تل ابيب في النصف الاول من شهر تشرين الثاني لعام ١٩٦٩ .

تعتمد سياسة العقاب الجماعي هذه ، على فرض العقوبة ليس على الفدائيين او الذين يساعدونهم فحسب ، بل تشمل ايضا اولئك الاشخاص الذين تحدث الاعمال الفدائية بالقرب من بيوتهم او داخل قريتهم حتى ولو لم يكن لهم ضلع بهذه الاعمال(١٨) .

وقد تم تنفيذ هذه السياسة في قرية حلحول حيث اقدمت السلطات الاسرائيلية على هدم عشرات البيوت بحجة ان اصحابها يعرفون بشكل او بآخر الاماكن التي يتستر بها

الفدائيون ، دون ابلاغ السلطات المختصة بذلك. كما طبقت هذه السياسة ايضا في قطاع غزة بعد مقتل التاجر اليهودي «شلومو ليفي»(١٩)، حيث هدمت السلطات هناك ثمانية منازل بالقرب من مكان حادث الاغتيال . وقد اوردنا هاتين الحادثتين على سبيل المثال لا الحصر .

ومما تجدر الاشارة اليه ان وزير الدفاع موشيه‌ديان كان قد اطلق على سياسته الجديدة في المناطق المحتلة ، اسم سياسة « عقاب الجوار » بدلا من الاسم الحقيقي والملائم لهذه السياسة ، في محاولة منه لتخفيف وقعها على الرأي العام العالمي ، غير ان وكالات الانباء الاجنبية اخذت تتناقلها تحت اسم « العقاب الجماعي » ، مما ساعد على تشويه سمعة اسرائيل على الصعيد العالمي ، الامر الذي دفع وزير الخارجية « ابا ايبن » (حمامة) للتصدي لهذه السياسة .

وقد ساءت العلاقات بين وزير الدفاع موشيه ديان ، الذي يعتقد بأن سياسته تجلب فوائد جمة لامن اسرائيل ، بغض النظر عن الرأي العام العالمي وسمعة الدولة في الخارج وبين وزير الخارجية « ابا ايبن » الذي يعتقد بأن هذه السياسة تجلب الضرر لاسرائيل وتشوه سمعتها في الاوساط الدولية(٢٠).

وقد نعت « ابا ايبن » هذه السياسة الجديدة « بالافلاس الاخلاقي » وبعث ببرقية الى رئيسة الوزراء غولدا مئير ، اعلن فيها تحفظه التام من سياسة «العقاب الجماعي» غير انه تبين فيما بعد أن رئيسة الوزراء (وهي تعتبر من فئة الصقور) قد صادقت على هذه السياسة !

وهناك مواضيع اخرى تسيء،حسب وجهة نظر فئة الحمائم، الى صورة اسرائيل في المحافل الدولية ، وتظهرها بالشكل « المتعنت » أمام انظار العالم . وهذا الامر ناجم — كما تدعي هذه الفئة — عن تهرب حكومة الائتلاف الوطني من اظهار المرونة ، تجاه المقترحات السياسية المختلفة ، وامتناعها عن اتخاذ مواقف حاسمة في مجال السياسة الخارجية ، او تحديد سياسة واضحة بالنسبة لمستقبل ومصير المناطق المحتلة،وذلك تحاشيا لحدوث أزمة حكومية ، لتعدد وجهات النظر داخل حكومة الائتلاف الوطني . ويعتقد هؤلاء أن هذه الحكومة «قد نجحت في شيء واحد فقط. وهو عدم اتخاذ القرارات الواضحة»(٢١). الامر الذي من شأنه ان يرسم انطباعا في أذهان الرأي العام العالمي بأن اسرائيل دولة « متعنتة » .

لم تدع هذه الفئة ، وخاصة فئة حمائم حزب العمل صراحة ، الى حل حكومة الائتلاف الوطني ، التي تعتبر حجر عثرة ، امام اتخاذ القرارات الحاسمة والواضحة ، حول كافة المواضيع الرئيسية التي تواجه اسرائيل ، بل اكتفت بابراز المواقف المختلف عليها بين كتلة « جاحال » التي تتبنى سياسة عدم «تصور» اعادة شبر واحد ، وتدعو الى الحفاظ على ارض اسرائيل الكاملة وبين حزب العمل ، الذي تبدي حمائمه مرونة أكثر بالنسبة لمستقبل المناطق المحتلة .

اخذت هذه الفئة توجه نقدا الى الحكومة ، دون التجرؤ على المطالبة بحل حكومة الائتلاف الوطني ، فقد عبر عضو الكنيست « اهارون يدلين » (حمامة — حزب العمل) في النقاش السياسي الذي دار في سكرتارية الحزب ، عن راي يؤيد بقاء حكومة الائتلاف الوطني ، غير أنه قال : « ينبغي ان لا تطمس هذه الحكومة التناقضات القائمة بين كتلة « جاحال » وحزب العمل »(٢٢).

أما عضو الكنيست ، مردخاي بن فورات (حمامة — حزب العمل) فقد قال في نفس الجلسة « ان اشتراك كتلة « جاحال » لم يمنعنا من اتخاذ المبادرات ، ولم يحل دون غولدا مئير وقبول محادثات على غرار رودس »(٢٣).

غير أن سكرتير الهستدروت عضو الكنيست ، « يتسحاق بن اهارون » قد تجرأ اكثر

من زميله ، ومس صلب الموضوع حيث قال في نفس الجلسة : « انني ابارك اليوم الذي نستطيع فيه ان نودع هذا الائتلاف الحكومي ، الذي يساعد في المجال السياسي على تلويث صورة حزب العمل»(٢٤).

ولكن رئيسة الحكومة غولدا مئير ، لم تقف مكتوفة اليدين ، ازاء الانتقادات التي وجهت من قبل فئة الحمائم ، فقد القت خطابا شديد اللهجة ، هاجمت فيه تلك الفئة من حمائم حزب العمل التي تجرأت على التلميح او الجهر بعدم رضاها عن استمرار قيام حكومة الائتلاف الوطني ، وحاولت فيه وضع حد للانتقادات الموجهة الى استمرار قيام هذه الحكومة .

وردا على الانتقادات الموجهة من قبل بعض الحمائم حول عدم اشتمال بيانات الحكومة على كلمة « انسحاب » قالت رئيسة الوزراء بالحرف : « لقد سافر « بن غوريون » خصيصا الى اوروبا لمقابلة عربي معتدل (المقصود موسى العلمي) بعد أن سبق له أن أعلن بأنه يعتقد ان على اسرائيل ان تعيد كافة المناطق باستثناء القدس والجولان ، اذا ما تم التوصل الى تسوية سلمية . ولكن ايضا في هذه الشروط لم يتوصل الى تفاهم مع العربي » .

واضافت « اننا نفتش عن ظل صغير لاي خيط سلام ــ ولكننا لا نجد » !

وقالت « انه اذا ما استخدمنا هذه الكلمة (تعني الانسحاب) فانهم سيطلبون منا أن نحدد الى أين سننسحب »(٢٥).

ومن المعروف ان صقور حزب العمل وحمائمه لم تتطرق خلال الاعوام التي تلت « حرب الايام الستة » الى كلمة « انسحاب » الا فيما ندر وفي الاونة الاخيرة بعد الموافقة على « مبادرة روجرز » ذلك لان كلمة « انسحاب » تعتبر بمثابة منطقة حرام ولا يجوز لاي شخص ولوجها .

يقول « يتسحاق طوبنكين » (صقر ــ حزب العمل) في محاولة غريبة لتبرير موقف الصقور من عدم اشتمال بيانات الحكومة على كلمة « انسحاب » ولتوجيه سيف الارهاب ضد اولئك الذين يوجهون هذا الانتقاد من فئة الحمائم في حزب العمل ، الى الحكومة ، يقول بالحرف : « لا يوجد سلام لليهود الذين لا يملكون سلطة على اراضيهم . واذا ما ابقينا البلاد على ما هي اليوم، فان ذلك يكون بمثابة الخطوة الاولى للسلام . **فالانسحاب هو وسيلة ضد السلام** . كما وان تقسيم البلد هو الذي ادى الى حرب الايام الستة » !!(٢٦).

ومما تجدر الاشارة اليه ان فئتي الحمائم والصقور في حزب العمل كانت خلال الاعوام التي تلت حرب الايام الستة ، تستخدم كلمة « تنازلات » عند حديثها عن الثمن الذي ينبغي على اسرائيل ان تدفعه ، مقابل السلام الحقيقي الذي تتوخاه اسرائيل ، بدل استعمال كلمة « انسحاب » .

لا يقتصر اصطلاح الحمائم والصقور في اسرائيل على اولئك الذين يعملون في الحقل السياسي فحسب ، بل يشمل ايضا الجمهور الاسرائيلي . ففي استفتاء اجراه «رفائيل جيل » مدير مؤسسة « بوري » لاستقصاء الرأي العام في اسرائيل ، تبين أن ٥٤،٥ ٪ من الخاضعين للاستجواب قالوا عندما طلب منهم ان يصنفوا انفسهم بين الحمائم والصقور ، انهم صقور . بينما قال ٢٥،٧ ٪ انهم حمائم . ولم يفصح ١٩،٦ ٪ عن ارائهم(٢٧).

ولكي ترتسم الصورة بشكل اوضح واشمل نورد هنا موقف الجمهور الاسرائيلي حيال مسائل جوهرية ، مثل فرض عقوبة الاعدام بحق الفدائيين ، واستعمال السياسة الصارمة ضد الدول العربية ، والاستيطان في المناطق المحتلة ، وحكومة الائتلاف الوطني .

بالنسبة لموضوع فرض عقوبة الاعدام بحق الفدائيين العرب ، نجد ان معظم السكان (اليهود) في اسرائيل يؤيدون فرض هذه العقوبة بحق الفدائيين . فقد اظهر معهد استطلاع الرأي العام الاسرائيلي المحدود الضمان ، ان ٧٠٪ من سكان اسرائيل اليهود يعتقدون بوجوب فرض عقوبة الاعدام بحق فدائيي « فتح »ويعتقد ٦٤٪ بضرورة اعدام الفدائيين من اجل كل حادث يقترفونه داخل اسرائيل ، بينما يقول ٦ ٪ بحق فرض عقوبة الاعدام بحق الفدائيين الذين يقترفون «اعمالا معينة» فقط .

وفي المقابل نجد ان ٢٣ ٪ يعارضون فرض عقوبة الاعدام ولم يكن هناك راي محدد لـ ٧٪ حول الموضوع(٢٨) .

أما فيما يتعلق باتخاذ سياسة صارمة تجاه الدول العربية فاننا نجد ايضا ان الاكثرية في اسرائيل تؤيد هذه السياسة .

فقد اتضح من الاستفتاء الذي اجراه «معهد البحث الاجتماعي» وشمل ٣٥٠٧ اشخاص، والذي قدمت نتيجته الى رئيسة الوزراء ، واعضاء الحكومة، اتضح ان ٧٣٪ من بين الذين شملهم الاستفتاء يؤيدون اتخاذ سياسة صارمة تجاه الدول العربية . واظهر الاستفتاء ان نسبة المؤيدين عالية عند مواليد اسيا وافريقيا (٨٠ ٪) بالنسبة الى مواليد البلاد (٧٠ ٪) بينما تقل عند مواليد اوروبا (٦٥ ٪) .

وقد جاء في نتائج الاستفتاء « انه مع ارتفاع مستوى الثقافة تقل نسبة المؤيدين لهذا الراي »(٢٩) .

ربما تكون النتيجة التي توصل اليها معهد الاستفتاء صحيحة بالنسبة للانسان الاسرائيلي العادي ، غير أنها ليست صحيحة بالنسبة للكتل السياسية القائمة في اسرائيل فالمستوى الثقافي لدى زعامة كتلة « جاحال » ، التي تؤيد اتخاذ السياسة الصارمة ضد الدول العربية ، لا يقل عن المستوى الثقافي لدى زعامة حزب «المبام» التي تفضل اتباع سياسة اللين .

وفيما يتعلق بقضية الاستيطان في المناطق العربية المحتلة ، فقد اظهر نفس الاستفتاء الذي قدمت نتائجه الى رئيسة الوزراء ، والى اعضاء الحكومة الاسرائيلية ان ٧٣ ٪ يؤيدون الاسراع في عملية استيطان المناطق المحتلة ، ومن بين هؤلاء ٤١ ٪ يؤيدون فكرة اكثر تطرفا ، تطالب بسريان القانون الاسرائيلي في المناطق المحتلة ، و٣٢٪ يفضلون ابقاء الوضع على ما هو عليه مع مضاعفة حركة الاستيطان .

وفي المقابل ، أيد ١٩ ٪ الامتناع من احداث تغييرات ، بينما أيد ٨ ٪ فقط ، قيام اسرائيل بمبادرة تنازل(٣٠) .

وبالنسبة لحكومة الائتلاف نجد ان الاكثرية تؤمن بضرورة قيام حكومة تكتل وطني ، فقد اظهر استفتاء اجراه معهد (بوري) لاستقصاء الراي العام في اسرائيل ان ٦١،١ ٪ يؤيدون ذلك ، بينما يبارك ١٤ ٪ بقاء كتلة « جاحال » في المعارضة ، ويعتقد ٥٧،٨ ٪ انه من المحتمل ان تقدم كتلة « جاحال » امورا ايجابية لحكومة التكتل الوطني ، بينما يقول ٨،٣ ٪ انها لا تملك شيئا تقدمه لحكومة تكتل وطني(٣١) .

ربما يكون من المفيد هنا ، استعراض التقسيم الذي اورده عضو الكنيست حاييم لنداو (صقر ــ جاحال) ليهود اسرائيل . فقد قسم « لنداو » يهود البلاد الى ثلاثة اقسام :

١ ــ « اولئك الذين آمنوا ان جميع ارجاء ارض اسرائيل لهم ، وقد ربحوا » . ويقول : « بعد عشرات السنين من العزلة ، والشجب ، آمنوا وربحوا » .

٢ ــ « اولئك الذين لم يكن يهمهم اذا ما كانت جميع ارض اسرائيل الغربية لنا ، بيد انهم رأوا ان الامر حسن ، لشعب اسرائيل ، ويدعون اليوم : هذه بلادنا » .

٣ ــ « اولئك الذين يعتبر النصر بالنسبة لهم كبيرا للغاية ، والبلاد واسعة جدا، والعبء يبدو لهم ثقيلا لا يمكن تحمله »(٣٢) .

يتضح لنا بعد التمعن في نتائج الاستفتاءات الانفة الذكر ، والتي حاولنا ، عند اختيارنا لها ، ان تكون حول مواضيع رئيسية مختلفة ، وفي فترات متباينة ، ان الجمهور الاسرائيلي يميل بأغلبيته الى فئة « الصقور » بينما تقف اقلية ضئيلة مع فئة «الحمائم». وسوف يتضح لنا بعد القاء نظرة على قائمتي الحكومة والكنيست المذيلتين في اخر هذه الدراسة، ان الجمهور الاسرائيلي يجنح الى التطرف، بشكل اكثر ، من مجموعة اعضاء الحكومة ومجموعة اعضاء الكنيست . في المجموعتين الانفتي الذكر ، نرى ان عدد الحمائم والصقور ، يكاد يكون متساويا ، ولا توجد هناك هوة سحيقة بينهما . ويعود هذا الامر الى سببين رئيسيين :

١ ــ ان الانسان الاسرائيلي العادي ، عندما يسأل في استفتاء ، حول موضوع معين ، يفضي برايه حسب ما تمليه عليه عاطفته اولا ، وحسب ما تمليه المسؤولية ثانيا .بعكس المسؤول الاسرائيلي الرسمي ، سواء في الحكومة او الكنيست او الحزب ، فانه يضع نصب عينيه المسؤولية قبل كل شيء اخر .

٢ ــ ان الموجهين لمجريات الامور في اسرائيل هم من فئة الصقور ، ذلك لان المراكز الحساسة في اسرائيل هي بايدي فئة الصقور ، مثل المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ورئاسة الوزارة ووزارة الدفاع ، التي تمتلك مجتمعة ، يدا طولى في بلورة وتجسيد الراي العام الاسرائيلي .

ويتضح لنا ايضا ان المسؤولين الاسرائيليين يقومون بين الفينة والاخرى باستجلاء الراي العام الاسرائيلي حول مواضيع مركزية وخطيرة مثل قضايا استيطان المناطق المحتلة والسياسة الواجب اتخاذها تجاه الدول العربية بواسطة معاهد استطلاع الراي العام الاسرائيلي ، حيث تضع هذه المعاهد ، نتيجة الاستفتاءات بين يدي هؤلاء المسؤولين لكي يهتدوا بها في مواقفهم .

قبل ان نتطرق الى الحكومة والكنيست والتكتلات السياسية في اسرائيل ، وتصنيفها لحمائم وصقور ، تجدر بنا الاشارة الى المؤسسة العسكرية الاسرائيلية : فهذه المؤسسة تعتبر العمود الفقري لتوجيه وبلورة السياسة الاسرائيلية ، خاصة فيما يتعلق بالمواقف الواجب اتخاذها مع الدول العربية ، والتعامل الواجب اتباعه مع سكان المناطق المحتلة . وهذا الامر ليس مستغربا بالنسبة لدولة مثل اسرائيل ، التي لم تنعم منذ قيامها بالاستقرار الامني ، كمعظم دول العالم ، بحكم نزاعها المستمر والمتواصل مع الدول العربية المحيطة بها .

وقد ادى عدم الاستقرار الامني الى بروز ظاهرتين في اسرائيل : الاولى تتمثل بوجود قادة عسكريين ، اكفاء وقادرين ، على راس المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، جاؤوا كنتيجة منطقية لعدم الاستقرار الامني . اما الظاهرة الثانية فتتمثل بالنظرة الضيقة والمتطرفة ، من قبل هؤلاء القادة لمفهوم الامن . وهذه النظرة تأتي ايضا كنتيجة منطقية لعدم الاستقرار الامني . وخير دليل على ذلك سياسة العقاب الجماعي ، التي انتهجها وزير الدفاع « موشيه ديان » في المناطق العربية المحتلة ، ونفذتها المؤسسة العسكرية الاسرائيلية .

والجدير بالذكر ان الصحافة الاسرائيلية ، لا تتطرق مطلقا الى تقسيم قادة المؤسسة العسكرية الى حمائم وصقور ، بحكم المراكز الامنية ، التي يشغلها هؤلاء القادة . غير ان المرء لا يجد صعوبة تذكر في تصنيف قادة المؤسسة العسكرية ، اذا ما اخذ بعين الاعتبار الظاهرتين الناجمتين عن عدم الاستقرار الامني (كفاءة وقدرة القيادة، ونظرتها الضيقة لمفهوم الامن) واللتين تشكلان بطبيعة الحال، موقفا متصلبا يعتمد كل الاعتماد على مفهوم القوة . وعليه فانه ليس من المستغرب ان يكون المكان الملائم لقادة المؤسسة العسكرية بين فئة « الصقور » . غير انها تختلف عن كافة الصقور المدنية في قوة تأثيرها

على مجرى الاحداث في اسرائيل ، فتقارير المؤسسة العسكرية التي تقدم الى السلطة المدنية ، تعتبر ذات مفعول قوي ، ولا يمكن اهمالها او التغاضي عنها .
ومن المع شخصيات المؤسسة العسكرية الاسرائيلية في الوقت الحاضر ، باستثناء وزير الدفاع «موشيه ديان»،رئيس هيئةالاركان العامة اللواء «حاييم بارليف»، ورئيس شعبة العمليات في قيادة الاركان الزعيم « دافيد اليعازار » ، ورئيس الاستخبارات العسكرية الزعيم « اهارون يريف »، ورئيس المخابرات الاسرائيلية الزعيم « تسفي زمير » ، وقائد المنطقة الجنوبية ، الزعيم « اريل شارون » ، وقائد المنطقة الوسطى الزعيم « رحبعام زئيف » ، وقائد المنطقة الشمالية الزعيم « مردخاي جور » .
هنالك ثمة مجموعتان صغيرتان في اسرائيل محدودتا التأثير، ظهرتا بعد « حرب الايام الستة » ولم تنجحا في الوصول الى الكنيست السابعة : الاولى «جماعة ارض اسرائيل الكاملة » التي تنظر الى القضايا السياسية من زاوية التطرف المطلق ، وتقف على رأس قائمة الصقور،ويتزعمها «يسرائيل الداد» احد القادة السابقين لمنظمة شتيرن الارهابية. اما الثانية فهي «الحركة من اجل السلام والامن»التي تنظر الىالامور من زاويةالاعتدال، وتعتبر في اسرائيل ضمن مجموعة الحمائم الوديعة ؛ وتضم اساتذة جامعات ومثقفين . ومن بين قادتها البارزين «نتان يلين مور» ، احد القادة السابقين لمنظمة شتيرن الارهابية وممثلها في الكنيست الاولى !
وهناك شخص لا يشغل مركزا حكوميا او حزبيا او برلمانيا في اسرائيل ، ولكنه مع ذلك يتصادم ويتصارع مع القوى المسيرة لمجرى الاحداث في اسرائيل، خاصة معفئةالصقور، وهو الدكتور ناحوم غولدمان « رئيس الكونغرس اليهودي العالمي » الذي يعتبر في اسرائيل بمثابة « حمامة وديعة » تمقتها « الصقور » ، وتتحفظ منها « الحمائم » . ويعود هذا « المقت » وذاك « التحفظ » الى وجهة نظره الخاصة حيال النزاع العربي — الاسرائيلي ، التي اوردها في كتابه « سيرة ناحوم غولدمان » .
يعتقد الدكتور غولدمان « ان اسرائيل لا يمكنها ان تبقى الى الابد ، كجزيرة معادية في محيط عربي . . . »(٣٣)، وكحل بديل للجزيرة المعادية الواقعة في محيط عربي، يدعوناحوم غولدمان الى تحييد اسرائيل مع منحها ضمانات من قبل الامم المتحدة كطريق لحل النزاع العربي الاسرائيلي .
يقول الدكتور ناحوم غولدمان في كتابه ان البديل الوحيد للحل السابق وهو تحييداسرائيل هو « دمج اسرائيل في اتحاد فدرالي شرق اوسطي لدول متساوية»(٣٤)، غير انه يشك في امكانية اقامة اتحاد كهذا ، ويعزو ذلك الى التجزئة العظيمة القائمة في العالم العربي، والتي تحول بدورها دون قيام اتحاد كهذا .
نعود الان الى الحديث عن الحكومة الاسرائيلية والكنيست الاسرائيلية لنلقي مزيدا من الضوء على أعضائهما ، خاصة من زاوية تصنيف هؤلاء الاعضاء الى حمائم وصقور.
بالنسبة للحكومة الاسرائيلية ، عمدنا عند تصنيف اعضائها الى حمائم وصقور ، الى اختيار حكومة ائتلاف وطني ، وخاصة حكومة الائتلاف الوطني التي تشكلت عشية حرب الايام الستة ، ويعود ذلك الى عدة اسباب ، منها ، ان هذه الحكومة او اية حكومة ائتلاف وطني ، تحوي بداخلها عدة تيارات مختلفة الاتجاهات ، وبالتالي فان الصراع داخلها ، سواء كان منه الصراع المتستر او الصراع العلني ، يكون اوضح منه، في حكومة اخرى ، غير حكومة ائتلاف وطني ، ومن ثم يمكنتصنيف أعضائها بشكل اسهل واوضح، لتعدد مشارب واهواء اعضائها .
وهناك سبب اخر دفعنا الى اختيار حكومة الائتلاف الوطني التي تشكلت عشية حرب الايام الستة ، وهو ان اصطلاح « حمائم وصقور » قد نما وترعرع في اسرائيل بفضل نتائج حرب الايام الستة ، اولا ، وبفضل المناخ الخصب الذي وفرته له حكومة الائتلاف

الوطني ثانيا .
وقد اعتمدنا في قائمة الحكومة المذيلة في اخر هذه الدراسة على مقالة للصحفي الاسرائيلي « شلومو نكديمون » مؤلف كتاب « نحو ساعة الصفر » والمطلع على خبايا الامور التي تجري داخل التكتلات الحزبية ، والهيئات السياسية في اسرائيل . وقد نشرت مقالته تلك في صحيفة « يديعوت احرونوت » بتاريخ ١٩٦٨/١١/٢٩ .
اما القائمة الثانية ، فتشمل اعضاء الكنيست السابعة (الحالية) . وقد اعتمدنا في تصنيف الاعضاء الى « حمائم وصقور » على القائمة التي اعدها مراسلو مجلة هعولام هزيه بالاستعانة بالمراسلين البرلمانيين ، لعدد من الصحف الاخرى (هعولام هزيه تاريخ ١٩٧٠/٤/١٥) كما اعتمدنا بالنبذة الموجزة عن حياة كل عضو على ما نشرته صحيفة يديعوت احرونوت في عددها الصادر بتاريخ ١٩٦٩/١١/١٧ .
لم يعتمد مراسلو مجلة هعولام هزيه عند تصنيفهم اعضاء الكنيست على التصريحات العلنية لهؤلاء الاعضاء فحسب ، بل اعتمدوا ايضا على تصرفاتهم داخل كتلهم ، ووجهات نظرهم تجاه القضايا المختلفة . وقد صنفوا اعضاء الكنيست السابعة (الحالية) الى ثلاثة انواع .
آ ــ حمائم (المستعدون لاعادة جميع او معظم المناطق المحتلة ، مقابل سلام)
ب ــ صقور (الذين ليسوا على استعداد لاعادة كل او معظم المناطق المحتلة ، مقابل سلام)
ج ــ حمائم / صقور (الذين لم يقرروا بوضوح الى اي من الفئتين ينتمون ، او ان رأيهم غير معروف)(٣٥)
هناك ثلاث ملاحظات تجدر الاشارة اليها ، قبل التمعن بقائمة اعضاء الكنيست المصنفة الى حمائم وصقور .
١ ــ ان القائمة الشيوعية الجديدة (جماعة فلنر ــ طوبي) او التي اصطلح على تسميتها باللغة العبرية بقائمة « راكاح » ، ليست كالحمائم الاسرائيلية المعروفة ، ولا يوجد بينها وبين تلك الحمائم اي عامل موحد ، اللهم الا اذا كان هذا العامل الموحد ، هو الجلوس معا في قاعة الكنيست . فالقائمة الشيوعية الجديدة لا تسر من حشر اسمها بين فئة الحمائم لانها ترى في هذه الحمائم « صقورا » تسعى الى افتراس مزيد من الاراضي العربية ، كما ان فئة الحمائم لا تسر ايضا من تصنيف القائمة الشيوعية الجديدة بين صفوفها لانها تعتبر موقف هذه القائمة بمثابة صدى للموقف الروسي أو العربي .
٢ ــ ان أعضاء الكنيست العرب المرتبطين بالتجمع العمالي (ثلاث حمائم وصقر واحد!) يختلفون اختلافا كليا عن فئتي الحمائم والصقور في الكنيست الاسرائيلية، فهؤلاء الاعضاء لا يملكون من الراي سوى ما يردده على اسماعهم اسيادهم الذين اوصلوهم الى قاعة الكنيست .
غير ان ثمة عضوا من هؤلاء الاربعة، وهو الشيخ «جبر معدي» يسترعي الانتباه، حيث يبدو أنه قد خرج من « دائرة الترديد » وربط مصيره شخصيا بالحركة الصهيونية . ففي مقابلة اجرته معه جريدة « بلدر » الناطقة بلسان اتحاد طلبة جامعة تل ابيب قال الشيخ جبر معدي « ليس فقط انه يجب الا نعيد الاراضي ، بل ويجب **توسيع حدودنا** في حال استمرار العدوان العربي . علينا ان نصل الى وضع تكون فيه قواعد المخربين والقتلة بعيدة الى أقصى حد ممكن » .
وطالب ايضا « بفرض عقوبة الاعدام على الفدائيين » وقال « ان الغاء الحكم العسكري أمر سيىء بالنسبة للعرب »(٣٦) .
٣ ــ ان فئة الحمائم لم تصل بعد (وربما لن تصل ابدا) الى تكوين حركة واحدة تجمعها، سواء داخل الكنيست أو داخل كل حزب بمفرده ، ذلك لان قوة الالتزام الحزبي هي التي

توجه هؤلاء في القضايا الاساسية والمركزية ، وهذا الامر واضح بشكل ملموس في حزب العمل الذي تهيمن عليه فئة الصقور . فاذا ما القينا نظرة على اعضاء حزب العمل في الكنيست (٥٦ عضوا) نجد ان ٣٠ منهم يعتبرون من فئة الحمائم و١٧ من فئة الصقور و٩ من فئة حمامة / صقر . ويبدو لنا لاول وهلة ان يد فئة الحمائم هي العليا ، بيد أن الواقع غير ذلك ، لان الشخصيات المركزية والموجهة لسير الاحداث في حزب العمل هي من فئة الصقور .

لقد سبق لنا ان ذكرنا ان اصطلاح « حمائم وصقور » قد اخذ مكانه في اسرائيل ، بعد حرب الايام الستة ، ووجد مناخا ملائما له ، في ظل حكومة الائتلاف الوطني التي تشكلت عشية حرب حزيران وان مصدر هذا الاصطلاح هو اميركا .

والامر الذي ينبغي القاء الضوء عليه، هو أن استخدام اسرائيل لهذا الاصطلاح، كايماءة منها بأن وجهتي النظر المختلفتين في كل من اسرائيل والولايات المتحدة شبيهتان ، هو امر على جانب كبير من التضليل . ويعود ذلك الى اختلاف طبيعة الصراع الاميركي الفيتنامي ، عن طبيعة الصراع العربي الاسرائيلي . فأميركا وصقورها تسعى من وراء هذا الصراع الى تثبيت النفوذ الاميركي الاستعماري في فيتنام . بينما تسعى اسرائيل وصقورها الى ضم المناطق العربية الى اسرائيل ، وهنالك فرق بين فرض النفوذ على بلد ما وبين احتلال مناطق من ذاك البلد وضمها الى الابد ، الى البلد المحتل . وفي حين نرى ان « الحمائم » الاميركية تدعو الى ايقاف القتال في فيتنام وحل المشكلة الفيتنامية بالطرق الدبلوماسية ، نرى فئة الحمائم الاسرائيلية تضع شرطا مسبقا للسلام الدائم مع العرب ، يتمثل في ابقاء القدس العربية وهضبة الجولان الى الابد ، كجزء لا يتجزأ من الارض الاسرائيلية .

ومع ذلك ، يوجد هنالك في اسرائيل من لا يروقه هذا التشبيه المضلل بين صقور اميركا وحمائمها من جهة وبين صقور اسرائيل وحمائمها من جهة اخرى ، ففي النقاش الذي دار في الكنيست بتاريخ ١٩٦٨/١١/١٢، قال عضو الكنيست شمعون بيرس عند تطرقه لفئتي الحمائم والصقور في اسرائيل :

« ان الوضع يختلف عما هو عليه في امريكا » وادعى متسائلا : «هل يوجد بيننا من يقترح بجد استئناف القتال ، او من يدعو الى تصعيد التوتر ؟ » واضاف متسائلا : « أي منقار مفترس لدى « الصقور » في اسرائيل ، واي غصن زيتون لدى الحمائم التي تسعى ان تكون بين صفوفنا ؟ »(٣٧).

لقد كان شمعون بيرس مغالطا الى ابعد الحدود في تساؤلاته الاولى التي حاول فيها نفي الصفة العدوانية عن فئة الصقور الاسرائيلية ، هذه الصفة التي اصبحت مرادفة لصقور امريكا . فبالنسبة لهذه التساؤلات لا يجد المرء أية صعوبات تذكر في كشف مغالطات « بيرس » ، فافتراس المناطق العربية وتصريحات فئة الصقور الاسرائيلية على اختلاف انتمائها السياسي والتي تقول لن نعيد «المناطق المحررة» أي المناطق المحتلة مرة اخرى، الى حكم « الاجانب » أي العرب كما تدعي صقور كتلة « جاحال » او التي تقول لن نعيد القدس وهضبة الجولان ومناطق عربية اخرى الى ايدي العرب ، حتى ولو مقابل سلام حقيقي مثل صقور الاحزاب الاخرى ، بالاضافة الى خلق وقائع جديدة في المناطق العربية المحتلة ، كل هذه اصبحت ليست خافية على أحد ، ويمكنها فضح مغالطة « بيرس » بشأن عدم وجود منقار مفترس لدى فئة الصقور الاسرائيلية ، التي ينتمي اليها .

اما بالنسبة لتساؤله الاخير : «أي غصن زيتون لدى الحمائم التي تسعى أن تكون بيننا؟» فقد كان للانصاف محقا ومصيبا على حد سواء ؛ وان كان يريد بتساؤله التهكم على فئة الحمائم والانتقاص منها . فهذه الفئة لا تضع بديلا واضحا للسياسة التي تنادي بها الصقور كما يتصور المرء ، بل تتفق مع فئة الصقور على الامور الرئيسية وتختلف معها

حول الامور الثانوية ، تتفق في ضم اراض عربية ، وتختلف معها في مقدار هذا «الضم»، تتفق معها في خلق وقائع جديدة في المناطق المحتلة ، وتختلف في حجم هـذه « الوقائع الجديدة » ، تتفق معها في اقامة مستوطنات يهودية في المناطـق المحتلة ، وتختلف معها في كمية المناطق التي ينبغي اقامتها ، تتفق معها في أتباع سياسة صارمـة ضد الدول العربية ، وان اختلفت معها في الاسلوب .

ومن الملاحظ ان فئة الحمائم تحاول اضفاء مسحة من « التساهل المحدود » على المواقف المتشددة لفئة الصقور تجاه هذه المواضيع الرئيسية ، فاختلاف وجهات النظر بين الفئتين يدور حول الاسلوب وليس حول الهدف .

ويمكن القول ان فئتي الحمائم والصقور في اسرائيل هما وجهان لعملة واحدة . هـذه العملة هي الصهيونية ، وكل ما تمثله الصهيونية من معان ، وان اختلف الوجـه الاول من العملة عن الوجه الاخر .

وخير دليل على ذلك ما أورده الكاتب الاسرائيلي الساخر « عاموس كينـان » علـى شكل قصة تمثل الصراع الدائر بين افراد هاتين الفئتين ، وماهية هذا الصراع ، والنوايا الكامنة فيه .

يقول « عاموس كينان » :

« منذ مدة ليست بالبعيدة ، تجولت في حديقة الحيوانات واستمعت الـى حديث بـين « حمامة » اسرائيلية و« صقر » اسرائيلي كانا يجلسان بوئام تام في قفص واحد

قالت الحمامة : اترى ذلك الارنب ، أريد أن آكله .

قال الصقر : لا يا حمامتي ، لا تأكليه دفعة واحدة ! قبل كل شيء ينبغي تليينه !

الحمامة : ولكنني جائعة ! اريد ان آكل ! قم وافترسه بسرعة .

الصقر : لماذا « أنا » بالذات ؟

الحمامة : لانني حمامة ، أنا لست مفترسـة ، ولكن اذا مـا افترست انت ، فانني سآكـل .

الصقر : اتعرفين يا حمامتي ؟ كنت أود ان انفذ لك مطلبك ، غير انني خائف .

الحمامة : مما تخاف يا « صقري » ؟

الصقر : منك يا حمامتي ! بعد أن تأكلي الارنب فان ذلك سيجد استحسانا بعينيك ، ثم تقومين وتفترسينني ، أنا الاخر ! »(٣٨).

حكومة الائتلاف الوطني الاول

ايبن ، ابا (حزب «مباي» ــ «العمل») وزير الخارجية «حمامة» ــ في فترة الانتظـار والتريث التي سبقت حرب الايام الستة وذلك خلال شهر مايو ١٩٦٧، عارض ابا ايبن بشدة القيام بهجوم معاكس. قام بجولة دراماتيكية، زار خلالها اوروبا والولايات المتحدة واجتمع مع قادتها . وعند عودته ، ونتيجة لتوصية منه ، قررت الحكومة التريث لفترة اسبوعين اضافيين . حظي ابا ايبن بمقدار كبير من التقدير مـن جانب رئيس الحكومة السابق ليفي اشكول قبل وفاته ، خاصة بعد أن اتهمته بعض الصحف المحلية ، بنقـل تقارير غير دقيقة للحكومة عن الزيارات والمقابلات التي أجراها عشيـة « حرب الايام الستة » في أوروبا والولايات المتحدة . من ميزاته المرونة والليونة ، يؤمن بالامم المتحدة، ويؤيد التفاوض مهما كان نوعه حتى لو لم يكن مباشرا . يحسب الحسابات للاعتبارات الدولية والضغوط الخارجية، مستعد لدفع ثمن عال مقابل الحصول على «السلام»، يؤمن انه يحق لوزير الخارجية التصرف بحرية مطلقة دون اللجوء الى تقييده «بمبادىء صلبة» خاصة عند قيامه باتصالات دولية . ومع ذلك فانه يتمتع بتأييد غالبية الوزراء .

الون ، يجال (« احدوت هعفودا » ــ «العمل») نائب رئيسة الوزراء ووزير شؤون الهجرة « صقر » ــ طالب في عشية « حرب الايام الستة » ، الخروج توا الى الحرب ، لكن فيما بعد وافق على التريث والانتظار بعض الوقت . واضع « مشروع الون » الذي تشتم منه رائحة « صقر معتدل » ؛ لا ترفضه « الحمائم » . يتلخص « مشروع الون » بالامتناع عن ضم المناطق التي تتسم بتحشدات من جانب السكان العرب،باستثناء وادي الاردن الذي تقل فيه كثافة السكان العرب حيث يطالب الون باستيطانه وجعله قطاعا دفاعيا . يعتقد « الون » انه في حالة ضم المناطق المحتلة سيصبح عدد السكان العرب خلال ٣٠ سنة مساويا لعدد السكان اليهود . ويقول يجآل الون في مشروعه ان نهر الاردن والخط الذي يقطع البحر الميت في الوسط ، يجب ان يكون الحد الفاصل بين اسرائيل والاردن ، لكن يلاحظ ان « الون » يحاول بين الحين والاخر ادخال التعديلات على برنامجه .

الموغي ، يوسف (« رافي » ــ « العمل ») وزير العمل شبيه « بالصقر » ــ قال مؤخرا « ان قدر للسلام ان يتحقق في المستقبل بحيث يدور النقاش حول السؤال : اعادة المناطق مقابل ماذا ... فانني سأطالب باجراء استفتاء شعبي حول هذا الموضوع بدل أن يتخذ القرار في المؤسسات الحكومية » . تقوم وزارة العمل التي يشرف عليها بتأمين العمل لعمال وموظفي المناطق المحتلة . يجد نفسه بين موقفي ديان والون .

آران ، زلمان (« مباي » ــ « العمل ») وزير التعليم « حمامة » ــ أيد التريث والانتظار طيلة فترة الانتظار التي سبقت « حرب الايام الستة » . يرفض الافصاح عن رأيه بالنسبة للمناطق المحتلة لا في الحاضر ولا في المستقبل (انا لست عيي اللسان ، فلو اردت ان ادلي برأيي لافصحت عنه بكل وضوح وجلاء لكنني لا اريد ذلك عن قصد) . يذيع على نفس الموجة التي يستعملها الوزيران « ابا ايبن » و« بنحاس سبير » ، ويعتقد انه سيؤيد موقف بنحاس سبير بكل ما يتعلق بالمناطق المحتلة ومستقبلها .

أشكول ، ليفي (« مباي » ــ « العمل ») رئيس الحكومة يؤيد في الغالب رأي «الصقور» لكنه يجد لغة مشتركة مع « الحمائم » ــ . في فترة الانتظار أيد فكرة الخروج الفوري للحرب ، لكنه بعد التقارير التي تلقاها من وزير الخارجية عند عودته من زيارته الى خارج البلاد ، ابدى موافقته على التريث لفترة من الزمن . يرى في نهر الاردن حدودا دفاعية، حيث لا يسمح للجيش الاردني باجتيازه . قال في احدى خطبه في الكنيست انه لن يسمح للقوات الاردنية المسلحة بالعودة الى الضفة الغربية . يؤيد « مشروع آلون » . متردد بالنسبة لقضية التعاون بين اسرائيل والمناطق المحتلة . قال في جلسة مغلقة لزعامة حزب العمل انه يرى في حقل التعاون القائم حاليا بين سكان المناطق واليهود أرضا « بعلا » لا يمكنها حل جميع المشاكل . كان أول مسؤول كشف النقاب عن ان خمسة آلاف عربي من المناطق المحتلة يعملون داخل اسرائيل .

بيجن، مناحيم (« حيروت » ــ « جاحال ») وزير بلا وزارة«صقر»ــ يؤيد الوحدة التامة بين اسرائيل والضفة الغربية ، ويطالب بالحاح بخلق أمر واقع بالنسبة لهذه الوحدة . يرفض الادعاء القائل بضرورة اعادة المناطق المحتلة بسبب قضية تكاثر السكان . قال مؤخرا ان المناطق المحتلة التي يطالب غالبية الوزراء باعادتها (غالبية الضفة الغربية) انما تضم فقط ٥٥٨ الف مواطن عربي ، بينما تضم المناطق الاخرى ٤٤٨ الف مواطن عربي . ويعتقد بيجن انه في حالة ضم جزء من هذه المناطق الى اسرائيل فان عدد السكان العرب سيصبح مساويا لعدد السكان اليهود خلال ست وعشرين سنة . اما في حالة الضم الكلي فان المدة ستتقلص الى عشرين سنة . لا يخشى الوزير « بيجن » من خطر تكاثر السكان العرب في الدولة ، ذلك انه يمكن في اعتقاده تلافي هذا الخطر عن طريق زيادة الولادة وعن طريق الهجرة الجماهيرية الى اسرائيل . اما بالنسبة لصحراء سيناء

فانه يعتقد ان متطلبات اسرائيل الامنية تستلزم الابقاء على المناطق التي استخدمت في السابق كقواعد للهجوم على اسرائيل . يعتبر « بيجن » من اشد خصوم وزير الخارجية « ابا ايبن » ، وله لغة مشتركة مع الوزراء « موشيه ديان » و« كرمل » و« جليلي » . اما علاقته مع رئيسة الحكومة فهي حسنة للغاية .

بورغ ، يوسف («مفدال» الحزب الوطني المتدين) وزير الشؤون الاجتماعية «حمامة» — أيد التريث والانتظار طيلة الفترة التي سبقت نشوب الحرب . حدد موقفه كما يلي : « كيهودي متدين علي ان اضع نصب عيني أمرين اثنين : اولهما : ما هو مدى مقدرتنا على التنازلات ؟ والثاني : ماذا يمكن ان يحدث في المستقبل بعد هذه التنازلات ؟ علينا ان ندرك ان حساب الضمير والسلام هما من المبادىء السماوية التي تلزمنا العمل من اجلهما ... » .

بنطوف ، مردخاي (« مبام » حزب العمال الموحد) وزير الاسكان « حمامة » — اثناء النقاش الذي اجرته الحكومة قبيل حرب الايام الستة كان في طليعة الداعين الى التريث والانتظار . وعندما تقرر الخامس من حزيران موعدا للقيام بعملية عسكرية اقترح تأجيل ذلك لفترة ثلاثة ايام ، حتى تكتمل مدة الاسبوعين المقررين للانتظار ، والتي اعطيت للرئيس جونسون . قدم للحكومة برنامج حزبه « مبام » للسلام والذي يدعو الى اعادة جميع المناطق المحتلة ، مع الطلب بتجريد سيناء والضفة الغربية من السلاح واجراء تعديلات امنية على الحدود . من المع المؤيدين لسياسة ابا ايبن .

برزيلاي ، يسرائيل (« مبام » حزب العمال الموحد) وزير الصحة « حمامة » — موقفه كموقف رفيقه الوزير « بنطوف مردخاي » .

جباتي ، حاييم (« احدوت همفوداه » — « العمل ») وزير الزراعة «حمامة» — عارض الانتظار بشدة في الفترة التي سبقت نشوب الحرب لكنه انضم فيما بعد الى كتله المؤيدة لفكرة التريث ، خاصة بعد الطلب الذي تقدم به الرئيس الاميركي « لندون جونسون » بشأن الانتظار لمدة اسبوعين . يؤيد على ما يظهر « مشروع يجآل الون » ، لكنه اقرب ما يكون الى موقف كل من الوزيرين « مناحيم بيجن » و« موشيه ديان » ومؤيديهم . تقوم وزارته بنشاطات واسعة النطاق في الضفة الغربية .

جليلي ، يسرائيل (« احدوت همفوداه » — « العمل ») وزير الاعلام « صقر » — في شهر ايار (مايو) ١٩٦٧ عارض الانتظار والتريث لكنه رضخ لهذا الامر بعد عودة وزير الخارجية من زيارته الى اوروبا والولايات المتحدة . يؤيد « مشروع يجآل الون » مع بعض التحفظات حول عدد من بنوده . يتحدث في كثير من الاوقات على موجة واحدة سوية مع « موشيه ديان » و« مناحيم بيجن » . يؤيد السياسة المتبعة حاليا في المناطق المحتلة ويطالب باتخاذ خطوات فعالة لخلق حقائق ثابتة في هذه المناطق .

ديان ، موشيه (« رافي » — « العمل ») وزير الدفاع « صقر » — يعمل من خلال ايمانه بأن احتمالات السلام بعيدة ، وعليه ، فانه يؤيد سياسة الامر الواقع . ينادي بضرورة تحقيق الدمج الاقتصادي في المناطق المحتلة واسرائيل ، ويؤيد فكرة اقامة ادارة مدنية مستقلة في مدن الضفة الغربية وقراها ، وعلى هذا الاساس فقد اقترح مؤخرا ضرورة تحقيق الاندماج التنظيمي والاقتصادي في منطقة القدس والخليل وبئر السبع . يقترح اقامة مدن يهودية في المناطق المحتلة كي تحمي ظهيرة القواعد العسكرية الاسرائيلية . في رده على اسئلة الطلاب ، صرح قبل مدة وجيزة انه في حالة عدم تحقيق السلام فانه سيكون من الضروري الاعلان عن ضم المناطق وذلك من خلال تأكيده بأن الحكومة لا ترغب في ضم المناطق بكاملها . يقوم تعاون بينه وبين الوزير « بيجن » في مواضيع سياسية ودفاعية مختلفة . وكان مثل هذا التعاون قائما بينه وبين الوزير « يجآل الون » لكنه يعتقد بأن « الون » قد قلب له ظهر المجن بعد ان تقرب الى معسكر « الحمائم »

مخالفا بذلك راي زميليه الوزيرين « جليلي » و« كرمل » .

غيرهفتج ، زيرح (« مفدال » الحزب الوطني المتدين) وزير الاديان « حمامة » ــ أيد فكرة الانتظار طيلة الفترة التي سبقت نشوب حرب الايام الستة . يقول بأن اقامة « اسرائيل الكبرى » أمر على غاية الاهمية لكن هناك في الطرف الاخر «حساب الضمير» من الناحية السياسية وهذا معناه : انه في حالة الاضطرار للتنازل فان الامر متوقف على رجال السياسة . لكنه مع هذا قد ادلى في بعض المناسبات بتصريحات دعت الى دمج الضفة الغربية باسرائيل والى ضرورة اقامة المستوطنات . نجده مع معسكر «الصقور» في قضايا حساسة تتعلق بالدين .

يشعياهو ، يسرائيل (« مباي » ــ « العمل ») وزير البريد «صقر» ــ عارض الانتظار في بداية النقاش حول الازمة التي نشأت في مايو ١٩٦٧ ، لكنه بعد عودة ابا ايبن، اصبح من اشد الداعين الى التريث والانتظار لمدة اسبوعين كاملين . قال في محادثات شخصية جرت معه: « لقد كونت لنفسي فكرة خاصة سأكشف عنها في اللحظة الاخيرة التي تسبق ساعة الصفر » . ينشط حاليا في تطوير خدمات البريد في المناطق المحتلة . قال في حينه انه يجب اعتبار صحراء سيناء وكأنها « غنيمة حرب » وعليه فمن الضروري الابقاء عليها الى الابد بيد اسرائيل وذلك لمنع استخدامها من جانب المصريين كقاعدة عسكرية كبيرة.

كرمل ، موشيه (« احدوت هعفوداه » ــ « العمل ») وزير المواصلات « صقر » ــ كان من أشد المعارضين لفكرة الانتظار التي سبقت حرب الايام الستة ، بقي وحيدا في موقفه هذا ، وذلك على الرغم من اجماع الحكومة على قبول الاقتراح بشأن الانتظار الذي قدمه « ابا ايبن » بعد عودته من الخارج . فيما يتعلق بمستقبل الضفة الغربية ، نجد مكانه بين الوزراء « يجآل الون » و« مناحيم بيجن » و« موشيه ديان » لكنه اقرب الى الاثنين الاخيرين .

سبير ، يوسف (« ليبراليون » ــ « جاحال ») وزير بلا وزارة « صقر » ــ اشترك في مؤتمر « حيروت » الذي عقد مؤخرا لوضع صيغة المقررات التي اتخذها المؤتمر والتي جاء فيها : « لا يمكن التصور قط ، ان يعاد شبر واحد من ارض اسرائيل الى حكم الاجانب » . يؤيد السياسة الراهنة في المناطق المحتلة ، كما يدعم بصورة مطلقة موقف زميله الوزير « مناحيم بيجن » .

سبير ، بنحاس (« مباي » ــ « العمل ») وزير بلا وزارة ــ السكرتير العام لحزب « العمل » وصفته صحيفة نيويورك تايمز « بالحمامة الكاسرة » ــ قبيل نشوب الحرب أيد الانتظار ، لكنه اعلن انه لن يصوت ضد الحرب اذا ما جرى تصويت بشأنها . يعارض بشدة ضم مناطق من الضفة الغربية لاسرائيل . تشغل باله كثيرا فكرة التكاثر الطبيعي ، ومشكلة مئات الالوف من السكان العرب الذين يعيشون في المناطق المحتلة . يعارض الضم لانه يرى في مثل هذا العدد الضخم من السكان العرب خطرا على الغالبية اليهودية . يعارض بشدة اية محاولة تهدف الى دمج الاقتصاد في المناطق المحتلة بالاقتصاد الاسرائيلي ، كما يعارض كل ما يمت الى هذا الموضوع بصلة .

كول ، موشيه (« الليبراليون ــ المستقلون ») وزير السياحة والتطوير « حمامة » ــ من مؤيدي الانتظار والتريث في الفترة التي سبقت الحرب . يؤيد السياسة الراهنة في المناطق المحتلة . يوصي بقيام تعاون اقتصادي وثيق بين المناطق المحتلة واسرائيل . ويعتقد انه لا علاقة بتوثيق العلاقات الاقتصادية وبين ما سيقرره السياسيون فيما بعد بالنسبة لمستقبل المناطق خاصة وان التطوير الاقتصادي لا يخلق حقائق سياسية واقعة. يؤيد « مشروع الون » مع بعض التحفظات ، كما انه يقف الى جانب اقامة المستوطنات اليهودية في المناطق غير المأهولة في غور الاردن . يؤيد اقامة مستوطنات زراعية ثابتة في شرم الشيخ حيث يعتمد سكانها على الاصطياف وصيد السمك والمشاريع الرياضية .

شبيرا ، يعقوب (« مباي » ــ « العمل ») وزير العدل « صقر » ــ عارض الانتظار قبيل نشوب الحرب ، لكنه انضم الى راي الاكثرية في وقت لاحق .

شبيرا ، موشيه (« مفدال » ــ «الحزب الوطني المتدين») وزير الداخلية «حمامة»ــ أيد الانتظار في الفترة التي سبقت نشوب الحرب ، لكنه كان من الداعين ، وبشدة ، الى ضرورة ضم كل من « موشيه ديان » و« مناحيم بيجن » الى حكومة التكتل الوطني . يؤيد بحماس سياسة وزير الخارجية « ابا ايبن » . قال في اكثر من مناسبة « لن تحل بنا مصيبة ان اعدنا بعض الاشبار » . يؤمن بأن الطبيب فقط قادر على تعيين نوع العلاج ، بمعنى اخر انه من حق العاملين في حقل السياسة ان يقرروا بالنسبة لمصير المناطق المحتلة ومستقبلها . جابه نقدا شديدا من جانب رفاقه في الحزب ، مما اضطره الى الصمود في وجههم . يقوم حزبه في الظروف الراهنة ، بوضع تخطيط جديد ، لخريطة اسرائيل طبقا لمبادىء الحزب الوطني المتدين .

شيريف ، زئيف («مباي» ــ «العمل») وزير المالية والصناعة والتجارة، تقريبا«صقر»ــ في مايو ٦٧ عارض الانتظار ، لكنه قبله بعد التوصية التي قدمها وزير الخارجية « ابا ايبن ». يلاحظ انجراره وراء موقف رئيس الوزراء ، بالنسبة لقضايا الدفاع والشؤون الخارجية . يؤيد «مشروع يجال الون » . كما يدعو الى تجريد صحراء سيناء من السلاح واجراء تعديلات في الحدود بين اسرائيل والعربية المتحدة . تظهر وزارته نشاطا ملحوظا في المناطق المحتلة .

ساسون ، الياهو (« مباي » ــ « العمل ») وزير الشرطة، تقريبا «صقر» ــ عارض الانتظار في شهر مايو ١٩٦٧ . لكنه بعد عودة وزير الخارجية الى البلاد ، وافق على مطلب الرئيس « جونسون » بضرورة تأجيل بدء الحرب . يرفض العودة الى حدود الخامس من حزيران ويطالب بالحد الاعلى من الامن ، وبالحد الادنى من السكان العرب. وهذا يعني انه يؤيد فكرة التوصل الى اتفاق مع الملك حسين ، تعاد بعده جميع المناطق المكتظة بالسكان العرب الى الاردن . وفي حالة تعذر ذلك ، فانه يدعم فكرة الكيان الفلسطيني المستقل . يرفض الادلاء برأيه حول دمج الاقتصاد ما بين اسرائيل والضفة الغربية .

قائمة اعضاء الكنيست السابعة

التجمع العمالي (مباي ، احدوت هعفودا ، مبام)

٥٦ عضوا

الاسم	المهنة الاصلية	العمر	الوطن الاصلي	عام الهجرة	عضوية الكنيست	
ولدا مئير	معلمة	٧١	روسيا	١٩٢١	١،٢،٣،٤،٥،٦	
حال الون		٥١	فلسطين	—	٤،٥،٦	
ا ايبن		٥٤	جنوب افريقيا	—	٤،٥،٦	ح
شيه ديان		٥٤	فلسطين	—	٤،٥،٦	
ير يعري		٧٢	اسبانيا	١٩٢٠	١،٢،٣،٤،٥،٦	ح
حاس سبير		٦٢	بولندا	١٩٣٠	٤،٥،٦	ح
قوب شمشون شبيرا	قانوني	٦٧	فلسطين	١٩٢٤	٦	حمامة/
يف شيرف		٦٣	رومانيا	—	٦	ح
ر ائيل جليلي		٥٨	روسيا	١٩١٤	١،٣،٤،٥،٦	

الاسم	المهنة الاصلية	العمر	الوطن الاصلي	عام الهجرة	عضوية الكنيست
يعقوب حزان		٧٠	بولندا	١٩٢٣	١،٢،٣،٤،٥،٦
حاييم جباتي		٦٨	روسيا	١٩٢٤	٦
شمعون بيرس		٤٦	بولندا	١٩٣٤	٤،٥،٦
اسرائيل يشعياهو		٦١	اليمن	١٩٢٩	١،٢،٣،٤،٥،٦
يوسف الموغي		٥٩	بولندا	١٩٣٠	٣،٤،٥،٦ حمامة/
الياهو ساسون		٦٧	سوريا	١٩٢٧	٦
يؤوبن بركات		٦٤	ليطا	١٩٢٦	٦
جاد يعقوبي		٣٤	فلسطين	—	عضو جديد
يوشيه كرمل		٥٨	بولندا	١٩٢٤	٤،٥،٦
يؤوبن ارزي	قانوني	٦٢	بولندا	١٩٤٩	٦
هارون بيكر		٦٤	روسيا	١٩٢٥	٣،٤،٥،٦
يوشيه بارعام		٥٨	روسيا	١٩٣١	٤،٥،٦
اسرائيل كرجمان		٦٣	روسيا	١٩٢٩	٤،٥،٦
حاييم تسدوق	قانوني	٥٦	بولندا	١٩٣٥	٤،٥،٦
مردخاي بن فورات	قانوني	٤٩	العراق	١٩٤٥	٦
اسحاق بن اهارون		٦٣	النمسا	١٩٢٨	١،٢،٣،٤،٥
يوف زكين		٤٤	بولندا	١٩٣٧	عضو جديد
هارون يدلين		٤٣	فلسطين	—	٥،٦
اريه ايلي آف		٤٨	روسيا	—	٦
دكتور تسفي دينشتاين		٤٣	فلسطين	—	٦ حمامة/
يناحيم كوهين	موظف	٤٧	فلسطين	—	٤،٥،٦ حمامة/
اسحاق نفون		٤٨	فلسطين	—	٦
ايدا فاينبرغ — سيراني	معلمة		فلسطين	—	عضو جديد
سلومو روزن		٦٤	تشيكوسلوفاكيا	١٩٢٦	٦
يوشيه فرتمان		٤٥	بولندا	١٩٤٧	٦
ابراهام زيلبربرغ		٦٩	روسيا	١٩٢٢	عضو جديد
رينا هرمان		٥٤	—	١٩٤٠	عضو جديد حمامة/
تسفي جرشوني		٥٤	رومانيا	١٩٣٦	عضو جديد
مردخاي بيبي	قانوني	٤٩	العراق	١٩٤٥	٤،٥،٦
افيد كورن	عضو كيبوتس	٥٢	فلسطين	—	عضو جديد
مايكا غروسمان	عضو كيبوتس	—	بولندا	١٩٤٨	عضو جديد
مردخاي زار		٥٥	ايران	١٩٣٥	٤،٥،٦
يوزي فاينرمان	سكرتير حركة المشفيم	٤٥	فلسطين	—	عضو جديد
مردخاي عوفير	عضو في شركة «ايجد»	٤٦	فلسطين	—	٦
سلوم ليفن		٥٣	روسيا	١٩٣٧	عضو جديد
تيلدا جاز	موظفة شؤون اجتماعية	—	تونس	١٩٥٦	٦
عبد العزيز الزعبي		٤٦	فلسطين	—	٦
يوشانا اربيلاي الموزلينو		—	العراق	—	٦
اريه انكوريون	قانوني	٦١	لتوانيا	١٩٣٣	٤،٦
ليف هرينج		٥٩	جليتسيا	١٩٤٠	عضو جديد حمامة/

الاسم	المهنة الاصلية	العمر	الوطن الاصلي	عام الهجرة	عضوية الكنيست
يتسحاق كورن		٥٨	رومانيا	١٩٤٠	٥،٤
يهونتان يفراح		٤٠	مراكش	١٩٥١	عضو جديد حما
بن تسيون حلفون		٣٩	ليبيا	١٩٤٦	عضو جديد حما
عديئيل اموراي		٣٥	فلسطين	—	عضو جديد
مردخاي سركيس		٦١	بولندا	١٩٣٢	٦
ابراهام عوفيد		٤٧	بولندا	١٩٣٣	عضو جديد
يزهار هراري	قانوني	—	—	—	٦،٥،٤،٣،٢،١ حم

القوائم العربية المرتبطة بالتجمع العمالي

٤ اعضاء

سيف الدين الزعبي		٥٦	فلسطين		٦،٣،٢،١
جبر معدي		٥٠	فلسطين		٦،٥،٢
ذياب عبيد		٥٨	فلسطين		٦،٥
الياس نخله		٥٦	فلسطين		٦،٥،٤

كتلة حيروت الاحرار « جاحال »

٢٦ عضوا

مناحيم بيجن		٥٦	بولندا	١٩٤٢	٦،٥،٤،٣،٢،١
يوسف سبير		٦٧	فلسطين	—	٦،٥،٤،٣،٢،١ حم
دكتور يوحنان بدر	قانوني	٦٤	بولندا	١٩٤٣	٦،٥،٤،٣،٢،١
دكتور اليميلخ ريملت		٦٢	بولندا	١٩٣٩	٦،٥،٤،٣،٢ حم
دكتور بنيامين هليفي	قانوني	٥٩	المانيا	—	عضوجديد
يوسف سرلين		٦٣	بولندا	١٩٣٣	٦،٥،٤،٣،٢،١
اريكاين اليعيزر (١)		٥١	بولندا	١٩٢١	٦،٥،٤،٣،٢،١
بروفسور يتسحاق كلينجهوفر		٦٤	بولندا	١٩٥٣	٦،٥ حم
حاييم لنداو	مهندس	٥٣	بولندا	١٩٣٥	٦،٥،٤،٣،٢،١
تسيفي تسيمرمان		٥٤	بولندا	١٩٤٤	٦،٥،٤
استر رزئيل ناؤور		٥٧	روسيا	١٩٢٣	٦،٥،٤،٣،٢،١
سمحا ارليخ		٥٤	بولندا	١٩٣٤	عضو جديد
يوسف كرمرمان		٤٤	فلسطين	—	٦،٥
اهارون غولدشتاين		٦٧	روسيا	١٩٢١	٦،٥
مناحيم يديد		٥١	سوريا	١٩٣٥	٦
يوسف تمير		٤٦	فلسطين	—	٦
ابراهام شخترمان	مهندس	٥٩	روسيا	١٩٢٤	عضو جديد
سينؤور زلمان ابرموف		٦١	روسيا	١٩٢٠	٦،٥،٤
يورام اريدور		٣٨	فلسطين	—	عضو جديد

(١) توفي وحل محله « جدعون فات » وهو من فئة « حمامة/صقر »

الاسم	المهنة الاصلية	العمر	الوطن الاصلي	عام الهجرة	عضوية الكنيست	الفئة
م كاتس		٣٨	فلسطين	—	عضو جديد	حمامة/صقر
كورفو		٤٧	فلسطين	—	عضو جديد	صقر
ه بنيامين نسيم	قانوني	٣٤	فلسطين	—	٤	صقر
يون كاتزنلنبوجن		٥٥	لاتفيا	١٩٣٣	عضو جديد	صقر
ليفي	عامل	٣١	مراكش	١٩٥٧	عضو جديد	صقر
يلمان	قانوني	٥٠	لاتفيا	١٩٣٧	عضو جديد	صقر
غوشتان	قانوني	٤٤	بلغاريا	—	عضو جديد	صقر

الحزب الوطني المتدين — « مفدال »

١٢ عضوا

ه حاييم شبيرا		٦٧	بولندا	١٩٢٥	١،٢،٣،٤،٥،٦	حمامة
يوسف بورغ		٦٦	المانيا	١٩٣٩	١،٢،٣،٤،٥،٦	حمامة
زيرح فرهفتج		٦٣	بولندا	١٩٤٧	١،٢،٣،٤،٥،٦	حمامة
يتسحاق رفائيل		٥٦	بولندا	١٩٤٧	٢،٣،٤،٥،٦	حمامة
يسرائيل شلومو بن مئير		٥٩	بولندا	١٩٥٠	٥،٦	صقر
ام تسيف موشيه نريه		٥٥	بولندا	١٩٣٠	عضو جديد	صقر
ل يعقوب حزاني		٥٦	بولندا	١٩٥٢	٢،٣،٤،٥،٦	حمامة/صقر
يتسحاق ليفي		٥١	مراكش	١٩٥٧	٦	صقر
ن هر		٣٣	فلسطين	—	عضو جديد	صقر
فريدمان		٥٨	المانيا	١٩٣٨	عضو جديد	صقر
سنهدراي		—	بولندا	١٩٣١	٤،٥،٦	صقر
ن شحور		٥٣	فلسطين	—	٤،٥،٦	صقر

حزب « اجودات يسرائيل »

٤ اعضاء

ام يتسحاق مئير ليفن		٧٦	بولندا	—	١،٢،٣،٤،٥،٦	صقر
ام شلولو لورانس		٥١	هنغاريا	١٩٣٩	٢،٣،٤،٥،٦	حمامة/صقر
م بروش		٥٣	فلسطين	—	٤،٥،٦	صقر
و يعقوب جروس		٦١	هنغاريا	١٩٤٠	٥،٦	حمامة

حزب « عمال اجودات يسرائيـــل »

عضوان

ام كلمان كهانه		٥٩	بولندا	١٩٣٨	١،٢،٣،٤،٥،٦	صقر
ام فرديجر		٤٨	بولندا	١٩٤٨	٦	صقر

الاسم	المهنة الاصلية	العمر	الوطن الاصلي	عام الهجرة	عضوية الكنيست	الفئة
الحزب الليبرالي المستقل						
٤ اعضاء						
ه كول		٥٨	بولندا		٦،٥،٤،٣،٢	حمامة
ن هاوزنر	قانوني	٥٤	بولندا		٦	حمامة/صقر
شعاري		٤٩	رومانيا		٦،٥	حمامة
اق جولان		٥٧	روسيا		٦،٥،٤	حمامة
القـــائمة الرسمية						
٤ اعضاء						
بن غوريون		٨٣	بولندا	١٩٠٦	٦،٥،٤،٣،٢،١	حمامة
م. ابيزوهر	مؤرخ	٤٦	فلسطين	—	عضو جديد	حمامة/صقر
هورفيتس		٥١	فلسطين	—	عضو جديد	صقر
هرئيل	الرئيس السابق للمخابرات	٥٧	بولندا	—	عضو جديد	صقر
القائمة الشيوعية الجديدة						
٣ اعضاء						
لنر		٥١	بولندا	—	٦،٤،٣،٢،١	حمامة
طوبي		٤٧	فلسطين	—	٦،٥،٤،٣،٢،١	حمامة
حبيبي		٤٨	فلسطين	—	٦،٥،٤،٣،٢	حمامة
المركز الحـــر						
عضوان						
يل تمر		٤٦	فلسطين	—	٦	صقر
ر شوستك		٤٨	بولندا		٦،٥،٤،٣	صقر
قائمة هعولام هزيه ــ قوة جديدة						
عضوان						
افنيري	صحفي	٤٧	المانيا	—	٦	حمامة
كوهين	—	٤٣	العراق	١٩٤٦	عضو جديد	حمامة
الحزب الشيوعي الاسرائيلي						
عضو واحد						
به سنيه	طبيب	٦٠	بولندا		٥،٤،٣،٢،١	حمامة

المراجـــع :

١ ـ يديعوت احرونوت ١٩٦٨/١١/٢١ .
٢ ـ يديعوت احرونوت ١٩٦٨/١١/٢٩ .
٣ ـ المصدر نفسه .
٤ ـ المصدر نفسه .
٥ ـ يديعوت احرونوت ١٩٧٠/١١/٢٩ .
٦ ـ المصدر نفسه .
٧ ـ هعولام هزيه ١٩٧٠/٨/٤ .
٨ ـ المصدر نفسه .
٩ ـ معاريف ١٩٦٨/١١/٧ .
١٠ ـ معاريف ١٩٦٨/١١/١٠ .
١١ ـ معاريف ١٩٦٨/١١/٧ .
١٢ ـ دابار ١٩٦٨/١١/١٠ .
١٣ ـ معاريف ١٩٦٨/١١/٧ .
١٤ ـ معاريف ١٩٦٨/١١/١٠ .
١٥ ـ معاريف ١٩٦٨/١١/١١ .
١٦ ـ معاريف ١٩٦٨/١١/٦ .
١٧ ـ معاريف ١٩٦٨/١١/١٠ .
١٨ ـ يديعوت احرونوت ١٩٦٩/١١/١٧ .
١٩ ـ يديعوت احرونوت ١٩٦٩/١١/١٧ .
٢٠ ـ يديعوت احرونوت ١٩٦٩/١١/١٧ .
٢١ ـ يديعوت أحرونوت ١٩٦٨/١٠/٣١ .
٢٢ ـ معاريف ١٩٧٠/٥/٨ .
٢٣ ـ المصدر نفسه .
٢٤ ـ المصدر نفسه .
٢٥ ـ المصدر نفسه .
٢٦ ـ المصدر نفسه .
٢٧ ـ جويش كرونيكل ١٩٦٩/٨/٢٢ .
٢٨ ـ معاريف ١٩٦٨/٨/٩ .
٢٩ ـ معاريف ١٩٧٠/٦/١٨ .
٣٠ ـ المصدر نفسه .
٣١ ـ يديعوت أحرونوت ١٩٦٩/١١/١٧ .
٣٢ ـ يديعوت أحرونوت ١٩٦٨/١١/١٣ .
٣٣ ـ يديعوت احرونوت ١٩٦٩/١٠/٣٠ .
٣٤ ـ يديعوت احرونوت ١٩٦٩/١٠/٣٠ .
٣٥ ـ هعولام هزيه ١٩٧٠/٦/١٥
٣٦ ـ يديعوت احرونوت ١٩٦٩/١٢/٩ .
٣٧ ـ يديعوت احرونوت ١٩٦٨/١١/١٣ .
٣٨ ـ يديعوت أحرونوت ١٩٦٨/١١/١٥ .

اليوميـات الفلسطينيـة

سجل نصف سنوي للاحداث الفلسطينية

صدر مؤخرا العـدد الحادي عشر

١٩٧٠/١/١ ـ ١٩٧٠/٦/٣٠

اكثر من خمسة الاف خبر مهم عن تطورات القضية الفلسطينية في ستة اشهر بعد التصحيح والتدقيق والضبط والفهرسة الكاملة للمواضيع وللاسماء

الثمن عشر ليرات لبنانية فقط

بالامكان شراء المجموعة كاملة (احد عشر مجلدا)

تغطي فترة خمس سنوات ونصف السنة (١٩٦٥/١/١ ـ ١٩٧٠/٦/٣٠)

السعر للمجموعة ١١٠ ل.ل،

اطلبها من مركز الابحاث ـ منظمة التحرير الفلسطينية

شارع كولمباني المتفرع من شارع السادات ـ راس بيروت

بناية الدكتور راجي نصر ـ ص.ب ١٦٩١ ـ بيروت .

اسرائيل والامبريالية العالمية

الدكتور اسعد رزوق

توطئـــة

ان الروابط التي تشد اسرائيل الى الامبريالية العالميـــة ليست مجرد نسيج من صنـــع المخيلة العربية ، ولا هي اكتشفت مؤخرا فقط على يد منظري الثورة العالمية لكي تفي ببعض المتطلبات العقائدية ويتسنى لها تصوير الدولـــة الاسرائيليـــة بمثابـــة « اداة للامبريالية » ، بينما يجري اعتبار البلدان العربية كـــ « طليعة الكفاح التحرري فـــي سبيل التقدم » .

فالمغامرة الصهيونية ، منذ ان جرى التخطيط لها خلال العقد الاخير من القرن الماضي ، لم تحاول ابدا اخفاء طابعها الاستعماري والعنصري والتوسعي. ولطالما تبنت الصهيونية بشكل صريح ومتواصل دور الحركة السائرة في ركب الامبريالية . فهـــي باعتبارهـــا ايديولوجية سياسية ـــ قومية تهدف الى الاستيلاء على اراضي فلسطين واقامة دولـــة يهودية هناك على اساس استعمار اقليمي النزعة ، قد ارتمت في احضان المعسكـــر الامبريالي بدافع من منطقها الداخلي الخاص .

وبعد انشاء دولتها الاستيطانية استمرت الصهيونية في عملية تدعيم مركزها الاقليمي على الشواطىء الشرقية للبحر الابيض المتوسط ، بينما استأنفت تأدية دور « الحـــارس » للمصالح والمشاريع الامبريالية في المنطقة العربية .

ان دولة اسرائيل لا يمكن تنصيلها من الدور الذي اتخذته ونسبته لنفسها ، وهو الدور الذي يقوم به مركز امامي من مراكز الامبريالية في قلب العالم العربي . وسواء طـــاب لنا الامر ام لا ، فان اسرائيل اصبحت تؤلف جزءا جوهريـــا لا يتجـــزأ مـــن المعسكـــر الامبريالي . ان سلوكها وحضورها الامبريالي ، بالاضافة الى ارثها مـــن الاستعمـــار الاقليمي المتأصل قد جعل من اسرائيل « قلعة اسبارطية من قلاع الدفـــاع الغربي » ، مثلما حولها الى « راس جسر » للحركة المضادة للثورة ، هذه الحركة التي تتزعمها قوى السيطرة والامبريالية الجديدة في العالم المعاصر .

تهدف هذه المقالة الموجزة الى محاولة القيام بعرض توثيقي لتحالف اسرائيل مع المعسكر الامبريالي،وذلك بارجاع التحركات والمواقف الاسرائيلية الراهنة الى جذورها الصهيونية في كل من هذين المجالين : مجال المخطط الاستعماري الاقليمي والرامي الى غرس اكثرية يهودية في صميم فلسطين بطابعها العربي السائد ، والى ارساء دعائم النزعة التوسعية والاستيلائية في المستقبل . ومجال التحالف الصهيوني ، بناء على تخطيط مدروس بدقة ، مع الامبريالية التقليدية ، وتحت رعاية تلك الدولة الاجنبية التي لهـــا أوفر الحظ ببسط نفوذها وسيطرتها على فلسطين .

ان اقامة دولة المستوطنين الاسرائيلية ينبغي النظر اليها بمثابة الذروة لعملية استعمارية

من نوع قائم بذاته . هذه العملية الاستعمارية ، متى جرى درسها على حقيقتها وتحليلها الى عناصرها ومقوماتها الاساسية ، تكشف لنا الكثير عن طبيعة العلاقات بين اسرائيل والامبريالية العالمية . حتى ان هذا الكشف يناشد المراقب المتجرد عن الهوى دون الالتزام بموقف محدد من النزاع القائم لكي يرى وضع اسرائيل الحاضر وموقعها بالنسبة للمعسكر الامبريالي من زاوية الخدمات التي تسديها دولة المستوطنين الصهيونيين الى الامبريالية العالمية .

وبناء عليه، نجد من الضروري ان يتم التمييز بين بعدين اساسيين ومتلازمين من ابعاد العملية الاستعمارية التي تقع على عاتقها مسؤولية انشاء اسرائيل :

أ ــ الحقيقة التاريخية لتلك العملية ،

ب ــ والارث الذي خلفته العملية ، بحيث يتحدد الدور الذي تلعبه ولعبته اسرائيل في تنفيذ المخطط الاستراتيجي للامبريالية .

ان جوهر القضية يمكن التعبير عنه بصورة ملائمة فيما لو استعرنا ما قاله الدكتور فايز صايغ بهذا الصدد :

« ان العملية الاستعمارية التي انشئت اسرائيل بواسطتها لم تصل الى نهايتها لحظة اعلان قيام الدولة . بل على العكس من ذلك ، اذ تركت هذه العملية طابعها على كل من طابع الدولة التي افرزتها ، الى جانب طبيعتها الجوهرية ومسلكها . فالعملية هي اكثر من حقيقة تاريخية : انها ارث تؤلف الناحية الاستعمارية منه في ظل المناخ السائد في عالم اليوم عائقا اكثر مما تؤلف حسنة »(١) .

١ ــ التكوين : ١٨٩٧ ــ ١٩١٧

« ان امانينا تشير الى فلسطين مثلما تشير البوصلة الى الشمال . ولذا ينبغي علينا الاتجاه صوب تلك الدول التي تقع فلسطين تحت نفوذها » .

ماكس نوردو

هناك وصف صحيح للحركة الصهيونية ، خلال العقدين الفاصلين بين اطلاق برنامج بازل رسميا (١٨٩٧) وصدور وعد بلفور البريطاني (١٩١٧) ، يرى فيها حركة « تبحث عن اعتراف دولي » . لقد اتخذ هذا البحث مختلف الاشكال ، ومر عبر العديد من التحولات : من حيث التشديد والاتجاه . لكنه بقي هو هو في جوهره ، اي السعي لاقامة تحالف مع تلك الدولة التي تقع فلسطين تحت سيطرتها او من المتوقع لفلسطين ان تخضع لنفوذها متى اصبح تقسيم الامبراطورية العثمانية الى مناطق نفوذ بمثابة الامر الواقع .

يتوجه هرتزل في كراس « **الدولة اليهودية** » (١٨٩٦) الى القارىء الاوروبي العادي ويخاطب الذهنية الامبريالية لدى الجماهير عند نهاية القرن الفائت، معتبرا ان الاستيلاء على فلسطين وغزوها يمثل امتدادا لسياسة اوروبا في الخارج . فهو يعلن ابان ذروة العصر الامبريالي باننا « سوف نؤلف هناك جزءا من المتراس الاوروبي ضد اسيا ، ومركزا اماميا للمدنية بوجه البربرية » .(٢)

ثم يكرس السنوات الاخيرة من حياته الصهيونية لكي يطرق جميع الاتجاهات والاحتمالات الممكنة ويجرب نيل الحظوة لدى اربابها : من السلطان العثماني وحلفائه الالمان الى الحكومة البريطانية وحكام روسيا القيصرية . ان قصة هذه الاتجاهات وما رافقها من تحولات وتبديلات لا يمكن سردها الان بكافة تفاصيلها . وربما يفي بغرض هذه المقالة ان نختار بعض العينات التي تمثل على ذلك اصدق تمثيل :

أ ــ **المحمية الالمانية** : حاول هرتزل توجيه الحركة الصهيونية صوب المانيا الامبراطورية.

أملا الحصول على حماية المانيا للمستوطن الاستعماري المنشود في فلسطين . ففي رسالة مؤرخة في منتصف اذار (مارس) ١٨٩٩ ، وموجهة من رئيس المنظمة الصهيونية العالمية الى وزير الدولة الالماني وناظر الخارجية ، فون بولو ، نجد هرتزل يصور له ابعاد المغامرة الاستعمارية التي ينوي الصهيونيون الاقدام عليها بالشكل الاتي :

« لكن فلسطين اصبحت ايضا مشكلة تتعلق بالسير والمواصلات ، لانها تؤلف اقصر طريق الى الهند — لا بل اقصر طريق جنوبي الى آسيا كلها، بما أن الطريق الشمالي الجديد هو في حوزة روسيا دون سواها . وينبغي مد خط حديدي بين شواطيء البحر المتوسط والخليج الفارسي ، علما بأن اليهود وحدهم يملكون القدرة على تنفيذ ذلك . فقد صار الناس الان يعرفون ما كان مجهولا قبل ٣٠ عاما خلت لدى دوائر الدولة في اوروبا : اهمية الطريق القصير من طراز قناة السويس . ان حل « المسألة الفلسطينية » — ولا اقول « المسألة اليهودية » بعد اليوم — يأتي بمثابة تكملة للاحداث الجارية مؤخرا في آسيا » . (٣)

ب — **البراءة العثمانية** : وحين التفت هرتزل الى السلطان العثماني ، راح يقطع له الوعود بتقديم خدمات ثمينة لقاء امتلاك اليهود لفلسطين . فالحركة الصهيونية سوف تأخذ على عاتقها مسألة تدبير شؤون الامبراطورية وتسديد الديون المترتبة عليها بالاضافة الى التأثير في الرأي العام العالمي لصالح السلطان . وفي بادرة ذكية حاول هرتزل المزايدة على شتى العروض الاوروبية بأن رسم أمام ناظري السلطان صورة مثلى للمستوطن الأستعماري الصهيوني في فلسطين . فهو يخاطبه على النحو التالي :

« أن ما تحتاجه هذه البلاد (اي : فلسطين) هو الجهد والمبادرة الصناعية لدى شعبنا (اليهودي) . فالاوروبيون الاخرون يأتون الى بلادكم بقصد الاثراء على جناح السرعة والهرب بالثروات التي جمعوها او غنموها . ومما لا ريب فيه ان الربح الشريف والنظيف الذي يجنيه المرء من مشروعاته لا يضير ابدا ، غير انه يترتب على المنتفعين البقاء داخل البلد الذي جمعوا ثرواتهم فوق اراضيه » . (٤)

ج — **امبراطورية انجلترا الاستعمارية** : اما عندما يقوم هرتزل بتحويل الاتجاه الصهيوني صوب بريطانيا ، فأنه يدرك على جناح السرعة بأن « الانجليز كانوا اول من ادرك ضرورة التوسع الاستعماري في العالم الحديث . لذا نجد راية بريطانيا العظمى خفاقة عبر البحار . وبناء عليه ، اعتقد بأن الفكرة الصهيونية ، وهي فكرة استعمارية ، يجب ان تحظى بتفهم سهل وسريع من جانب انجلترا »(٥).

لقد تفوه هرتزل بتلك الكلمات اثناء خطاب القاه في لندن عام ١٨٩٩ . وبعد مضي سنة واحدة ، خلال انعقاد المؤتمر الصهيوني الرابع في لندن (١٩٠٠) ، راح هرتزل يشدد على اهمية الاستيطان اليهودي بفلسطين **كمحطة للمدنية** ، وعلى مساهمة الصهيونية المنشودة في حل ما يدعوه بـ « المشكلة الاسيوية » . فهو يقول :

« نحن هم الذين على استعداد بدمائنا وعنصرنا المادي لتأمين هذا المركز للمدنية . وينبغي لكل طالب سياسة ان يدرك بسرعة البرق الخاطف بأن الصهيونية تقدم فرصة ثمينة امام ايجاد مأخذ سهل لآسيا »(٦).

ثم يتابع مؤسس الصهيونية السياسية الحديثة — وخالق ذلك « التجريد » الذي تحول الى واقع عيني عند اقامة الدولة اليهودية ، في مدى خمسين عاما — مجرى تفكيره على الوتيرة نفسها فيغدق عبارات الثناء على آماله وتوقعاته البريطانية . ويعزف على نغم مدهش بما ينطوي عليه من رؤيا تنبؤية ، فيقول :

« انجلترا ، انجلترا العظمى ، وانجلترا الحرة، انجلترا سيدة البحار سوف تتفهم اهدافنا . ويجوز لنا التأكد بأن الفكرة الصهيونية سوف تنطلق من هنا في طيرانها محلقة الى اجواء اعلى وأبعد » .(٧)

فلو اعتبرنا الاستشهادات الواردة اعلاه بمثابة دليل واضح على الطبيعة الحقيقية للمغامرة الصهيونية كمشروع استعماري يسعى للحصول على اعتراف دولي تحت ستار التوازي بين المصالح اليهودية والبريطانية ، لوجب ان يمثل وعد بلفور الصادر عام ١٩١٧ نقطة التحول في الاتجاه الصهيوني والطابع المتأصل للعملية الاستعمارية الصهيونية . اي ان الوعد المذكور يرمز الى تركيز الاهتمام على العطف البريطاني بالنسبة لاقامة « الوطن القومي اليهودي » في فلسطين .

ان البحث عن اعتراف دولي يصبح بحثا ، تحت رعاية بريطانيا وفي ظل انتدابها ، عن تأمين الاكثرية اليهودية داخل فلسطين واستحصال اكبر نسبة ممكنة من اراضيها ، لكي يتم ايواء المستعمرين والمستوطنين العتيدين .

٢ ــ التنفيذ : ١٩١٨ ــ ١٩٤٨

« هنا تقدم الصهيونية الحل لمعضلة مؤلمة . فلو كنا نحن اليهود على استعداد لتوطيد دعائم المركز البريطاني في الشرق الاوسط ، وعلى استعداد للوقوف الى جانب انجلترا في حراسة قناة السويس ، وعلى الطريق الى الهند ، وللحؤول دون طغيان النفوذ الاجنبي والمعادي ، ودون تصادمه مع المصالح الحيوية للامبراطورية ، نكون بذلك قد اسدينا الى انجلترا خدمة تستحق ان تؤخذ بعين الاعتبار المادي » .

(ماكس نوردو : ١٩٢٠)

عندما أدلى ماكس نوردو بهذا البيان الصريح عن الاهداف والاماني الصهيونية ، منذ خمسين عاما ، كانت العملية الاستعمارية التي بلغت ذروتها في قيام اسرائيل قيد التنفيذ ، بينما أضحى التحالف بين الصهيونية وبريطانيا الامبريالية حقيقة ثابتة وراهنة. بيد ان النضال الاكبر في رسم معالم هذا التحالف المصلحي بين الطرفين يرجع الى صهيوني آخر كان صاحب اليد الطولى في ذلك . فالمعلق العسكري في صحيفة « المانشستر غارديان » ــ هربرت سايد بوثام ــ والذي درج على توقيع مقالاته بعبارة « طالب الحرب » ، هو السباق الى ابراز حسنات التحالف المنشود والتنويه بمنافعه .

لقد كتب سايد بوثام مقالاته قبل أن يتبنى بلفور مبدأ الصهيونية (عام ١٩١٦) ، فحاول تعيين الخطوط العريضة للاولويات البريطانية والتوقعات الصهيونية الملازمة لها ، وفعل ذلك من زاوية خلق « دولة عازلة بصورة مثلى » أمام مصر ــ اي اقامة « دولة يهودية في المستقبل تحت رعاية التاج البريطاني وسيطرته » . وعلى اساس الافتراض الرئيسي القائل بأن « فلسطين تؤلف الان ، وفي كل آن، مفتاح مصر » رأى سايد بوثام متطلبات الاستعمار البريطاني في ضوء ما يلي :

« انه لمن الواضح ، اذن ، وقياسا على ما حدث في الهند ، يبدو ان ما نتطلبه لتأمين دفاع افضل عن مصر ، وتخفيف اعباء هذا الدفاع ، هو دولة تؤدي بالنسبة لحدود تلك الوظيفة التي أدتها افغانستان بالنسبة للهند . وبدون ذلك سوف يكون مركزنا الى الجنوب مما يعرف بالامبراطورية التركية الآن في وضع صعب للغاية . فسواء اخذنا ظروفنا السياسية بعين الاعتبار ، أو نظرنا الى الامبراطورية البريطانية من حيث كونها تستند بصورة رئيسية الى السيادة البحرية ، او من زاوية قدرتنا على تطوير قوتنا العسكرية بسرعة لمواجهة الطوارىء المفاجئة ، فان تجربتنا السعيدة في الهند ينبغي تكرارها في المنطقة الجديدة « عبر الهند » .(٨)

لكن غيرة سايد بوثام على رؤية « التجربة السعيدة » التي مرت بها الامبراطورية البريطانية تتكرر مرة اخرى فوق ارض فلسطين — وهي الارض التي يصفها بـ «المنطقة الجديدة عبر الهند» — ليست وليدة البواعث الاستراتيجية والعسكرية وحدها . فالدولة اليهودية المقترحة يتوقع لها ان تلعب دورا يتعدى دور الدولة العازلة في خدمة المصالح الامبريالية البريطانية . اما اليهود فهم بالنسبة له يؤلفون المستعمرين المحتملين على نطاق واسع ويستحق الذكر في فلسطين . ولا ينازعهم في هذه الميزات منازع !

ان هربرت سايد بوثام يتصور المشروع الاستعماري الصهيوني في فلسطين بطريقة تفضح الكثير من عناصره الهرتزلية ، رغم ما يورده عن «القياس الهندي» . فهو يتحدث بالاسلوب الهرتزلي ذاته ، ويقول :

« لا شيء يبدو اكثر تأكيدا ، فيما لو اصبحت فلسطين تؤلف جزءا من الامبراطورية البريطانية ، من ان استعمارها بالمعنى الحقيقي لن يتم على يد أمثال اولئك الانجليز الذين عمروا كندا واستراليا . فاليهود وحدهم يستطيعون استعمار فلسطين » .

ثم يمضي صاحب هذا القول الى تطوير عناصر الحجة الداعية الى اجراء تجربة استعمارية يهودية تحت رعاية الامبريالية البريطانية على النحو الاتي :

« وحدهم يستطيعون انشاء ممتلكة مستقلة (dominion) وجديدة على شاطىء البحر الابيض المتوسط ، حيث ترتبط هذه الممتلكة منذ البداية مع بريطانيا في العمل الامبريالي ، وتكون في آن واحد : حصنا واقيا ضد الشرق الغريب ووسيطا بينه وبيننا ، لا بل مدنية تتميز عن مدنيتنا لكنها متشربة بأفكارنا السياسية ، تقف وايانا في المرحلة ذاتها من التطور السياسي ، وتدشن حياتها الثانية كأمة تدين لهذه البلاد بعرفان الجميل وترى فيها الاب الثاني لها » .(٩)

فلنرجع الى عبارة ماكس نوردو الواردة في مطلع هذا القسم اذاك تتبدى لنا المغامرة الصهيونية الاستعمارية ، منذ مطلع عهدها تحت الاحتلال البريطاني لفلسطين وكأنها قد وطدت العزم على اداء المهمة المنوه عنها اعلاه : الوفاء بالدين المترتب عليها لحساب الاب الثاني ، اي الامبريالية البريطانية. وهناك وصف مسهب للدور الصهيوني في حماية المصالح الامبريالية البريطانية على لسان ماكس نوردو . ففي معرض تقديمه لوضع على اساس معضلة لن يستطيع حلها سوى الصهيونية وحدها ، نجده يكتب عام ١٩٢٠ ما يلي :

« ان انجلترا لا تستطيع ضم فلسطين ، لان الحلفاء تخلوا رسميا عن جميع المكاسب الاقليمية . اما اذا تركت فلسطين وشأنها لكي تخدم أمر مصيرها بيدها ، فانها سوف تصبح نقطة نزاع وخلاف بين فرنسا ودولة فيصل العربية . ولا يسع انجلترا ان تتخلى عن فلسطين لصالح فرنسا ، مثلما انها لا تستطيع بنفسها ان تقيم هناك جسرا ثابتا يصل بين الوطنيين المصريين الذين يشنون كفاحا مريرا للتخلص من الحماية البريطانية ، وبين الوطنيين العرب السوريين الذين يحلمون بأمبراطورية عروبية سرعان ما تشكل خطرا يتهدد امن قناة السويس وسلامة الطريق الى الهند».(١٠)

وقبل أن يدلي نوردو بهذه الاراء بسنة تقريبا كان الكولونيل ر. ماينرتزهاغن قد كتب الى رئيس الوزراء البريطاني من باريس اثناء انعقاد مؤتمر الصلح لكي يشرح التحدي الذي سيواجه مركز بريطانيا الامبريالي في الشرق الاوسط على يد الموجة القومية والوطنية العربية الصاعدة . اما الاقتراح الذي تقدم به ماينرتزهاغن بغية مجابهة التحدي السافر للوجود الامبريالي البريطاني في المنطقة فانه يتضمن الامور التالية :

« نحن لا نستطيع مصادقة اليهود والعرب على حد سواء. ويستند اقتراحي

الى مصادقة ذلك الشعب الذي يرجع ولاءه الصادق لنا ــ اعني : اليهود. فهم يدينون لنا بالكثير وعرفان الجميل من الخصال البارزة لدى عنصرهم . ورغم اننا فعلنا كثيرا لاجل العرب ، فانهم لا يعرفون معنى عرفان الجميل. وفضلا عن ذلك ، فالعرب سوف يشكلون عائقا وعثرة ، بينما سيكون اليهودي خير سند وعون لنا . »(١١)

ثم ينتقل رجل الاستخبارات البريطانية الى تعداد الحسنات المرجو تحقيقها من جراء الضم البريطاني لشبه جزيرة سيناء . فيعدد الحسنات التالية منها :

ا) الضم البريطاني سوف يقيم منطقة عازلة او فاصلة بين فلسطين ومصر .

ب) سوف يعطي بريطانيا موطىء قدم قوي في الشرق الاوسط ويتيح لها الوصول الى البحر المتوسط والبحر الاحمر على حد سواء .

ح) انه سيزود بريطانيا بالمجال الكافي لاقامة قاعدة استراتيجية ، مثلما تؤمن لها الموافقة اليهودية افضل ميناء على الشاطىء الشرقي للمتوسط .

د) سوف يضع بريطانيا في مركز يؤهلها لاحباط كل تحرك مصيري يرمي الى اغلاق قناة السويس بوجه السفن البريطانية ، مثلما انه يمكنها من حفر قناة ثانية تصل البحر الاحمر بالبحر الابيض المتوسط .

هـ) بما أن تعداد السكان العاديين في سيناء لا يتجاوز بضعة الاف نسمة ، فليس من المتوقع بروز مسالة قومية هناك .(١٢)

هذه الاقتراحات وغيرها من المفاهيم التي اخذت تتبلور عشية الانتداب البريطاني على فلسطين وجدت تجسيدها الفعلي ودلالتها العملية خلال حملة سيناء ١٩٥٦ والعدوان الثلاثي ضد مصر وعلى منطقة قناة السويس . كما ان العدوان الاسرائيلي في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ يؤلف برهانا ساطعا على العهدة الى دولة المستوطنين الصهيونية بمهمة تنفيذ الاطماع القديمة وتحقيق الاهداف المنشودة .

وفي عام ١٩٢٦ كشف الميجور البريطاني بولسون نيومان عن اهمية فلسطين الاستراتيجية بالنسبة للسياسة الامبريالية التي تتبعها بريطانيا في الشرق الاوسط ، فابرز تلك الاهمية كما يلي :

« كان من المقدر لفلسطين ان تصبح احد المرتكزات الرئيسية في السياسة الجوية للامبراطورية البريطانية. وذلك باعتبارها الشريان الجوي الرئيسي بين الشرق والغرب ، وباختصار ، فان فلسطين كانت ستصبح « قناة السويس الجوية » ، بحيث تقوم على الصعيد الجغرافي جنبا الى جنب مع « قناة السويس البحرية » .(١٣)

وحتى بعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وقيام الدولة الاسرائيلية فان السلوك العسكري للمركز الامامي الصهيوني اضفى المزيد من الثقل الاثباتي والتصديق على تلك العملية التي اطلقتها الامبريالية الغربية ثم قامت بتوجيهها صوب حماية مصالحها المستشرية في الشرق الاوسط ، والاشراف على تأمين تلك المصالح دون ان يعترض سبيلها عائق او عثرة .

ان التحالف الصهيوني مع الامبريالية البريطانية خلال فترة الانتداب شهد بصورة تدريجية تحولا في التشديد منذ اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية فصاعدا . واذا كانت السيطرة على الحركة الصهيونية العالمية اثناء العقدين الممتدين من ١٩٢٠ الى ١٩٣٩ « وقفا على الصهيونيين الاوروبيين واليشوف الفلسطيني دون سواهم » ، فان مجيء صيف ١٩٤٠ يمثل نقطة التحول في « انتقال مركز النشاطات السياسية الصهيونية الى الولايات المتحدة الامريكية » .(١٤) وعلاوة على ذلك ، فانه ليس من قبيل الصدفة المجردة ان يأتي التحالف اللاحق بين الصهيونية والامبريالية الامريكية في اعقاب الحرب العالمية الثانية بمثابة «قطيعة» مع بريطانيا ،وان يؤدي بالتالي الى قيام دولة اسرائيل .

لقد استمرت العملية ، لكن بريطانيا « خرجت » منها لكي تفسح المجال أمام التفاعل بين السيادة الامريكية والاطماع الصهيونية .

وفي ١٦ نيسان ، ١٩٤٤ اختار الدكتور ناحوم غولدمان ، عضو اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ، ان يخاطب اجتماع المجلس الاداري للمنظمة الصهيونية الامريكية بالعبارات التالية :

« لم اكن يوما احد اولئك الذين يعتقدون بأن مركز الثقل الصهيوني انتقل من لندن الى واشنطن . فما زلت عند اعتقادي بأن لندن هي مركز الثقل، وبكل تأكيد طالما ان تشرشل هو رئيس الوزراء . ذلك لانني استبعد لجوء الرئيس روزفلت الى محاربة تشرشل جديا حول اي اقتراح بالحل يتقدم به الثاني في نهاية المطاف . »

ثم يتابع غولدمان قائلا :

« بيد ان الولايات المتحدة سوف تلعب دورا هاما في تكوين السياسة المتعلقة بفلسطين . فالزعماء البريطانيون من اصدقاء الصهيونية يريدون تصعيد المشاركة الامريكية وزجها اكثر فأكثر في الصورة ، لانه كلما ازداد استعداد اميركا لتحمل اعباء المسؤولية المعنوية والسياسية ، اصبح من الاسهل على بريطانيا ان تنصرف الى معالجة الوضع ازاء العرب . ان الولايات المتحدة ، كدولة داعمة ، تستطيع ممارسة دور حيوي جدا . » (١٥)

هذه الامال الصهيونية تحققت خلال فترة قصيرة،وسرعان ما قفزت الامبريالية الاميركية لتحتل مكان السلف البريطاني . وقد تمادت السياسة الاميركية في تدعيم النشاط الصهيوني ، حتى ان احد الصهيونيين الاميركيين تمكن من اصدار الحكم التالي على الوضع التحالفي الناشىء :

« عند مجيء عام ١٩٤٧ بنوع خاص ، برزت الولايات المتحدة الاميركية كقوة رئيسية في الشرق الاوسط لتحل عمليا محل بريطانيا في المنطقة اياها، وتعمل على انتهاج سياسة خاصة بها . لكن الناطقين الرسميين بلسان الحركة الصهيونية ، في سعيهم لكسب التأييد الاميركي لفكرة الدولة اليهودية ، لم يكونوا قد لجأوا بعد الى تقديم الحجة المتعلقة بمصلحة امريكا القومية في قيام الكومنولث اليهودي كمعقل للافكار الغربية وكحصن ضد التغلغل الشيوعي في الشرق الاوسط . »(١٦)

ولدى قيام اسرائيل تبنت السياسة الامريكية الدور الرئيسي ، وجرى توجيه العملية الاستعمارية للصهيونية الاقليمية صوب خدمة مصالح الامبريالية الاميركية فالصندوق القومي اليهودي — وهو الاداة المالية التي انشأها المؤتمر الصهيوني عام ١٩٠١ لكي تكون بمثابة « المؤسسة القومية لابتياع الاراضي » في فلسطين ، بحيث تصبح الاراضي المبتاعة « ملكا مشتركا وثابتا للشعب اليهودي » — هذا الصندوق ، اطلق عليه الرئيس ترومان وصفا يستحق الاهتمام ويسترعي الانتباه ، اذ اعتبره « النقطة الرابعة الاميركية وكأنها قد خطط لها قبل خمسين عاما » .(١٧) بيد ان هذا التشبيه الاميركي لنشاطات الصندوق المعروف بالكيرن كايمت واسقاطه على النقطة الرابعة لا يبين سوى ناحية واحدة من نواحي التحالف الصهيوني مع الامبريالية الجديدة خلال العقدين الماضيين . فلنوجه اهتمامنا ، اذن ، نحو طبيعة ومدى التحالف الاسرائيلي مع القوى العصرية للامبريالية الجديدة وقوى المعسكر المضاد للثورة التحررية في العالم. ففي هذين المجالين تنعقد ثمار التكوين الصهيوني ويكتمل نضج التنفيذ ، بحيث تتكشف لنا تلك الخدمات التي تؤديها دولة المستوطنين الصهيونيين لمصالح الامبريالية المستشرية في هذه الرقعة من العالم .

٣ ــ تحالف للغزو والاحتواء : ١٩٥٠ ــ ١٩٧٠

« والنقطة الرئيسية في ملاحظاتي اليوم هي ان منظمة حلف الاطلنطي فيحيرتها الحاضرة ليس لديها الكثير لكي تتعلمه من اسرائيل فحسب ، بل هي بحاجة ماسة الى اسرائيل » .

(John Conell — *Israel: Western Defence Bastion*, July, 1963)

ان صاحب القول الوارد اعلاه كان يحاول التحسر على الخسارة المستمرة التي منيت بها بريطانيا في الشرق الاوسط طيلة العقدين الماضيين ، وهي خسارة على صعيد الوجود العسكري والنفوذ السياسي . فالخلف الاميركي الذي ورث التركة الضائعة للسيطرة البريطانية يبدو في نظر الرجل وكأنه يكرر ارتكاب اخطاء السلف ، بينما يضيف اليها تنويعات خطيرة من عندياته . غير أن خلاصة الملاحظات التي يبديها جون كونل بحضور الفايكونث صموئيل حول موضوع اسرائيل كقلعة من قلاع الدفاع الغربي، يمكن ايرادها على لسانه بالشكل الاتي :

« في اعتقادي انه منذ ١٩٤٨ فصاعدا كان بالامكان ، لا بل من الواجب ، أن تصبح اسرائيل نقطة ارتكاز السياسة البريطانية في الشرق الوسط ... ان جميع مساعينا وجهودنا الدبلوماسية والسياسية ، رغم براعتها ومشقتها، وبالاضافة الى انفاق المبالغ المالية الكبيرة ، كلها كانت عبثا . وذلك لاننا ، في غمرة الاقرار المتردد بوجود اسرائيل كحقيقة وواقع قائمين لم يخطر لنا أبدا ان نواجه المضاعفات المنطقية الكاملة التي تتأتى عن هذا الوجود — وجودها كدولة قومية ، متغربة وموالية للغرب ، على مستوى عال من التطور والفعالية الى جانب الاقدام والعزم : وسط مستنقع الشرق الاوسط الاسن. نحن لم نتبع طريق الشرق ولم ننتهج سبيل المصلحة : بل كنا نتعامى عن مصالحنا اكثر مما تعامينا عن مسؤوليتنا . »(١٨)

الا ان هذا التحسر على زوال الوجود العسكري البريطاني في الشرق الاوسط يجب الا يعمينا عن حقيقة اعتماد اسرائيل على المعسكر الامبريالي . وعن استعدادها لحراسة المصالح العائدة للامبريالية الجديدة بمتابعة الخط الذي تسير عليه السياسة الخارجية الاميركية .

فقد أكد هربرت ماركوزي عقب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بما يلي :

« لم تكن هناك ثمة مناسبة في الامم المتحدة عندما اتخذ ممثل اسرائيل او ممثلوها موقفا الى جانب الكفاح التحرري في العالم الثالث وضد الامبريالية . »(١٩) فالمواقف الاسرائيلية الرسمية على صعيد المنظمة العالمية وفي اوساط الامم المتحدة تناهض كفاح الشعوب في سبيل التحرر من السيطرة الامبريالية الجديدة ، وتلتزم بالخط الموضوع للسياسة الاميركية الى حد بعيد . »

ومن السهل للمرء ان يعدد الكثير من الامثلة للتدليل على تحالف اسرائيل مع قوى الامبريالية الجديدة والثورة المضادة في العالم .

فلنتعرف الى بضعة عينات منها :

أ) عند اندلاع نيران الحرب الكورية عام ١٩٥٠ انحازت الحكومة الاسرائيلية بشكل مفضوح الى جانب الولايات المتحدة الاميركية(٢٠) وجاءت هذه البادرة لتؤكد بما لا يقبل الشك ان عدم الانحياز المزعوم عند اسرائيل لم يتبلور او يتجاوز حدود الدعاية والتبني اللفظي .

ب) عام ١٩٥٦ قامت اسرائيل بدورها كراس حربة في حملة سيناء للعدوان الانجلو — فرنسي ضد مصر ، وقد جاء ذلك في أعقاب البادرة المصرية لتأميم شركة قناة السويس .

ج) بعد مضي ثلاث سنوات تقريبا على العدوان الثلاثي ضد مصر ، ومع قيام العديد من الدول والبلدان المستقلة حديثا في افريقيا واسيا ، لجأت اسرائيل الى تدشين سياسة ترمي لتدعيم مصالح الامبريالية الغربية وتوسيع مدى المشاريع الرأسمالية بتكريس المزيد من الاهتمام للدول المستقلة حديثا في القارة الافريقية .

ففي المقالة الطويلة التي كتبها دافيد بن غوريون لتتصدر الكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية ١٩٥٩ — ٦٠ ، نجده يقدم التقييم التالي لمركز اسرائيل الدولي في كل من أسيا وافريقيا :

« لقد انقضت ثلاث سنوات تقريبا على حملة سيناء والكفاح السياسي الذي تلاها . وكان بعض الزملاء قد ساورتهم المخاوف لئلا تؤدي الحملة الى استعداء الشعوب الاسيوية والافريقية ، حتى ان هذه المخاوف بدت وكأن هناك ما يبررها خلال الاشهر الاولى عقب الحملة » .

ثم يتابع بن غوريون تحليله للوضع فيقول :

« ان هذه السنوات الثلاث اظهرت بوضوح كيف ان تلك المخاوف لم يكن لها من أساس البتة ، ولم تتجسد على صعيد الواقع العملي . فاسرائيل اليوم هي واحدة من الدول التي تحظى ببالغ الاحترام والاعجاب بين الشعوب الاسيوية والافريقية ، كما أن حملة سيناء وبطولة قوات « جيش الدفاع الاسرائيلي » اثناء القتال أسهمت بقسط وافر في بروز هذا الموقف الجديد » . (٢١)

ومنذ عام ١٩٦٠ فصاعدا تتخذ اسرائيل لنفسها في غربي آسيا دورا مشابها لدور اليابان في الشرق الاقصى . بيد أن هذا التشابه في الادوار يجب الا يعمينا عن طبيعة الخدمات التي تسديها اسرائيل للامبريالية . فالموقف الاسرائيلي من حرب فيتنام ومن حكومة جنوب افريقيا العنصرية ومن مختلف حركات التحرر في العالم لا يحتاج الى كثير من البحث والتنقيب ، وقد كفت اسرائيل نفسها جميع الباحثين مؤونة ذلك .

ورغم ان اسرائيل تقوم بدور الوسيط بين الامبريالية الاميركية والبلدان المستقلة حديثا في افريقيا ، فان الدولة الصهيونية تلعب دورا مزدوجا في هذا النشاط المضاد لحركات التحرر الثورية : انها تسعى لاقامة علاقات صداقة ومودة مع تلك البلدان الناشئة طمعا في الحصول على تأييدها وكسب دعمها في المجال الدولي . والى جانب ذلك نجدها تضع وكالاتها الدبلوماسية والعسكرية ومؤسساتها « الانمائية » تحت تصرف الامبريالية الاميركية لكي تعمل على توطيد دعائم السيطرة الغربية وتساهم في اجهاض الحركات الثورية للكفاح الوطني التحرري .

ثمة دراسة اجرتها مؤخرا « جماعة البحث في افريقيا » عن الرسالة الامبريالية لاسرائيل في القارة الافريقية . حيث قدمت الدراسة دلائل وافية تفضح طبيعة النشاط الاسرائيلي وتؤكد على ارتباطه الوثيق بمصالح الامبريالية العالمية . لقد توصل القائمون بتلك الدراسة الى اثبات صحة الحقائق التالية :

١ — ان حكومة الولايات المتحدة ساعدت في تكوين اسلوب ومادة برامج المساعدة الاسرائيلية لافريقيا .

٢ — ان اميركا وحلفاءها ساعدوا في تمويل هذه البرامج عن طريق استخدام الحيلة المستورة نسبيا بالعمل من خلال « البلد الثالث » (الوسيط) .

٣ — تركزت برامج المساعدة الاسرائيلية في مجالات لها أهمية استراتيجية ، وخصوصا في حقل التدريب العسكري المتخصص ، مع تطبيقات مباشرة على صعيد مكافحة الثورات ومحاولة اجهاضها .

٤ — ان هذه البرامج الاسرائيلية تخدم مصالح اسرائيل الامبريالية على نطاق صغير نسبيا ، لكنها تندمج بصورة متكاملة وملائمة في نطاق الاستراتيجية الامبريالية التي

تسير عليها الولايات المتحدة في مختلف دول العالم وعبر قومياته وشعوبه . (٢٢)
ويكفي ان نتذكر الموقف الاسرائيلي من حرب فيتنام والزيارة التي قام بها الجنرال موشيه دايان منذ اربعة اعوام لمسرح الحرب هناك ، حيث اطلع عن كثب على أساليب الامبريالية الاميركية في مكافحة الثورات الوطنية والوقوف بوجه حرب العصابات .
نحن لا نستطيع الدخول في التفاصيل ضمن النطاق المحدود لهـذه المقالة . لكن جميع الحقائق والدلائل المتوافرة تؤكد باستمرار ووضوح لا يرقى اليه الشك على الدور الذي تلعبه اسرائيل في الشرق الاوسط وخارجه ، كخادم للمصالح الامبريالية . ومما لا ريب فيه ان اسرائيل تحاول تأمين مصالحها الخاصة من خلال ذلك وتسعى للحصول على مزيد من التأييد لسياستها العنصرية والتوسعية . وهذا الامر يتم عن طريق الخدمات الاسرائيلية لقضايا الامبريالية والثورة المضادة في العالم الثالث .
ان اسرائيل تنتعش على هذا الارتباط المثلث الاطراف، وقوى الامبريالية الجديدة لا يسعها الا الانشراح لرؤية معارفها التقنية ورساميلها يتم « تصديرها » عـن طريق اسرائيل وبرامجها الفنية الى البلدان الاسيوية والافريقية . أي أن اسرائيل تستورد هذه «السلع» الغربية لكي تقوم بتصديرها فيما بعد الى بلدان العالم الثالث تحت ستار المساعدات الفنية وبرامج التدريب والانماء .
ويمكن القول باطمئنان ان رسالة اسرائيل كخادم للامبريـالية الاميركية وتوظيفـات الرساميل في بلدان آسيا وافريقيا بنوع خاص تتيح للمعسكر الامبريالي انتهاج سياسة مضادة لثورات التحرر الوطني بحيث تؤدي الى نتائج من هذا القبيل :
ـــ ضمان السيطرة الغربية وتأمين استمرارها .
ـــ الابقاء على الاتكالية الاقتصادية لدى تلك البلدان .
ـــ « احتواء » الحركات الثورية للكفاح الوطني والتحرري . وتقديم العون اللامحدود لقوى الثورة المضادة بالاضافة الى ربطها بعجلة الامبريالية العالمية .
يبدو ان القوى الامبريالية في حلف الاطلنطي يمكنها ان تتعلم من اسرائيل ، بالاضافة الى حاجتها الماسة لاسرائيل، اسلوب ممارسة النفوذ والاستعباد الاقتصادي عن طريق طرف ثالث . ان امبريالية اسرائيل السائرة في ركاب الامبريالية الجديدة تلعب دورا بارزا في تمهيد السبيل أمام التغلغل الامبريالي الغربي في كل من افريقيا وآسيا . هذه الامبريالية المحدودة نسبيا تخدم مصالحها من خلال الخدمات التي تسديها لمصالح الامبريالية العالمية تحت ستار وكالات المساعدة الفنية وبرامج الانماء والتدريب .
ان شعب فلسطين الذي شرده المستوطنون الصهيونيون وجردوه من ممتلكاته واستولوا على ارضه ، ذهب ضحية لعملية استعمارية تمتعت بتأييد مطلق من جانب الامبريالية .
فلا عجب ، اذن ، ان تقوم دولة اسرائيـل بدور الخـادم المخلص والامين لاسيادهـا الامبرياليين ، وفي محاولتها الرامية الى احباط حركة التحرر الوطني الفلسطيني وتصفية الدفع الثوري بين الفلسطينيين .
ثمة ناحية اخرى لهذا الكفاح في سبيل التحرر والعودة والعدالة، وهي تشير الى التحالف القائم بين اسرائيل وجميع القوى المضادة للثورة والموالية للامبرياليـة الجديدة . ان حراسة قناة السويس اصبحت تشمل حراسة المصالح الامبريالية الاميركية في المنطقة ، والاستعداد لضرب حركات التحرر الوطني .
لذا يصبح من الضروري بالنسبة لجميع قوى التقدم والتحرر في العالم ان تقف صفا واحدا بوجه الامبريالية وان تؤيد بكل الوسائل الممكنة حركة الشعب الفلسطيني وثورته الوطنية ضد خدام الامبريالية في العالم الحديث .
فلا يكفي ان نعرف طبيعة الارتباطات التي تشد اسرائيل الى معسكر الامبريالية العالمية، بل ينبغي العمل يدا واحدة في سبيل احباط ذلك التواطؤ وقطع الطريق على كل تحالف امبريالي النزعة والطابع يهدف الى خنق الثورات الوطنية والتحررية في مهدها .

المراجـــع :

1. Fayez Sayegh: "The 'Non-Colonial' Zionizm of Mr. Abba Eban", reprinted from *Middle East Forum,* Vol. XLII, No. 4(Beirut, 1966), p. 71.
2. Theodor Herzl — *The Jewish State:* An Attempt at a Modern Solution of the Jewish Question, 4th ed., trans. by Sylvie D'Avigdor, (London: 1946) p. 30.
3. *The Complete Diaries of Theodor Herzl,* ed. by R. Patai, trans. by H. John (New York: Herzl Press, Thomas Yoseloff, 1960), Vol. II, pp. 799-800.
4. Alex Bein — *Theodore Herzl.* A Biography, (The Jewish Publication Society of America, Philadelphia: 1940), p. 357.
5. Oskar Rabinowicz: "Herzl and England", in *Herzl Yearbook,* Vol. 3, (Herzl Press, New York: 1960), p. 42.43.
6. Ibid., p. 43.
7 Ibid.
8. Herbert Sidebotham — *England and Palestine.* Essays towards the Restorations of the Jewish State, (London: 1918) p. 183.
9. Ibid.
10. انظر المقتطفات المأخوذة من مقالات ماكس نوردو في صيف ١٩٢٠ ، وقد أعيد نشرها في عام ١٩٤٧ على صفحات الجريدة التالية :

    The Jewish Standard, December, 1947, page 3, "1920's Warning to 1947".
11. Colonel R. Meinertzhagen — *Middle East Diary:* 1917-1956, (London: The Cresset Press, 1959), p. 18.
12. Ibid , p. 19.
13. E. W. Polson Newman — *The Middle East,* (London: 1926), p. 6.
14. Joseph B. Schechtman — *The United States and the Jewish State Movement,* The Crucial Decade: 1939-1949, (Herzl Press and Thomas Yoseloff, New York: 1966), p. 70.
15. Ibid., pp. 406-407.
16. Ibid., p. 408.
17. Bernard A. Rosenblatt — *The American Bridge to the Israel Commonwealth,* Foreword by Dr. Harris J. Levine (President, Jewish National Fund of America), New York: 1959, p. viii.
18. John Connel — *Israel: Western Defence Bastion,* Published by the Anglo-Israel Association, Pamphlet No. 3, (London: July, 1963), p. 4.
19. Herbert Marcuse — "Fur eine gemeinsame Front"

    وهي مجموعات ملاحظات بعنوان «نحو جبهة مشتركة»، نشرت في العدد الخاص من مجلة *Diskussion* (Zeitschrift Fur Probleme der Gesellschaft und der dentsch-israelischen Bezichungen, 8 Jahrgang, Nr. 23, 1967, p. 3.

20. N. Israeli: "Israel and Imperialism" (a brief Analysis), in *International Socialism*, (Spring, 1968), p. 34.
21. David Ben Gurion: "Israel's Security and her International Positions Before and after the Sinai Campaign", in *Israel Government Yearbook 1959-60*, pp. 54 and 55.
22. Africa Research Group: "Israel: Imperialist Missions in Africa", reprinted from *Tricontinental* as chapter 5 in *Palestine: Crisis and Liberation* (Collection Analysis), pp. 109-110.

سلسلة دراسات فلسطينية

تصدر عن مركز الابحاث ـ منظمة التحرير الفلسطينية

اول كتاب شهري (٨٠ كتابا) مختص بالتعرف على العدو

اسلوب علمي * مصادر اصلية * مواضيع جديدة * كتّاب اختصاصيون
عدة لغات * حجم وسعر مناسبان

كل ما تحتاج ان تعرفه عن العدو :

مؤسساته : الكيبوتز . الموشاف . الهستدروت . المنظمة الصهيونية العالمية . حيروت . الماباي . المابام . الاحزاب الدينية . اليسار .

سياسته : استعماره فلسطين ، بناء المستعمرات . اطماعه التوسعية . العنف . الدبلوماسية . القوة العسكرية . السياسة الخارجية . العدوانات . الاستراتيجية . حرب ١٩٦٧ . التدابير الانتقامية . مزاعمه . معاملته لعرب الارض المحتلة منذ ١٩٤٨ ومنذ ١٩٦٧ . استهتاره بالحقوق وبالمواثيق الانسانية .

اوضاعه الداخلية : العلم . الزراعة . التخطيط . الادب . السكان . المراة . الدعاية . السياحة . السياسة المالية . النفط . البطالة . الصناعة . التجارة . الهجرة .

علاقاته مع العالم : الهند . اوروبه الغربية . افريقيه . الولايات المتحدة . الاتحاد السوفياتي . الامم المتحدة . السوق المشتركة . اليهودية العالمية . اسكندنافية . كنده .

المواجهة العربية له : شرعية المقاومة . المقاطعة الاقتصادية . الاعلام . استخدام النفط .

اطلبها ، او اطلب القائمة الكاملة ، من مركز الابحاث

شارع كولمباني المتفرع من شارع السادات ـ راس بيروت
بناية الدكتور راجي نصر ـ ص.ب ١٦٩١ ـ بيروت .

احداث ايلول ومسؤولية النظام الاردني

بلال الحسن

من يتحمل مسؤولية الصدام الدامي الذي وقع في ايلول بين حركة المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني ؟

هذا السؤال الهام ، يحاول كتاب يعده مؤلفه للنشر ان يجيب عليه بالاستناد الى وقائع المواقف السياسية التي سبقت تشكيل الحكومة العسكرية الاردنية صباح ٧٠/٩/١٦ ، والتي كانت فاتحة عشرة ايام دامية ، ولدت نتائج هامة وخطيرة .

والفصل المنشور هنا هو جزء من هذا الكتاب ، يتناول بالتحليل ، مواقف المنظمات الفلسطينية، ممثلة بمواقف ثلاث منظمات هي : فتح ، والجبهة الديمقراطية ، والجبهة الشعبية ، كما يتناول بالتحليل تحركات النظام الاردني السياسية والعسكرية ، بحيث يمكن في نظرة مقارنة سريعة بينهما ، تحديد مسؤولية المجزرة وتقييم الحملة الاعلامية التي روج لها النظام الاردني، محاولا رمي التبعات كلها على عاتق العمل الفدائي .

لقد جرت محاولات دؤوبة من قبل النظام الاردني لتصوير ان الوضع وكان حركة المقاومة سوف تباشر تنفيذ الاستيلاء على السلطة الاردنية ، وان كل ما جرى في الاردن ، كان ردا على هذا الموقف الفدائي ، لذلك فقد عالج الكتاب بشيء من التفصيل جذور الازمة بين المقاومة والنظام ، والتي ترجع الى تخوف الحكم الاردني من فكرة الكيان الفلسطيني ، مبينا مواقف المجالس الوطنية الفلسطينية المتلاحقة ، التي اكدت اكثر من مرة رفضها لكل مشاريع الدولة الفلسطينية ، ومظهرا كيف ان النظام الاردني كان يحارب بروز الشخصية الفلسطينية اكثر مما يحارب قضية الكيان ، باعتبار ان بروز الشخصية الفلسطينية كان مرحلة من مراحل النضال الوطني الذي حاربته السلطة الاردنية باستمرار .

وقد ولد هذا التعارض العام تعارضا اخر في المواقف السياسية ، حول التسوية السياسية ، ممثلة اولا بقرار مجلس الامن ، وممثلة ثانيا بمبادرة روجرز التي حاولت ان تضع التسوية السياسية موضع التنفيذ العملي . ومن خلال هذين التعارضين ولدت كافة الاصطدامات المعروفة بين المقاومة والنظام .

ثم يتحدث الكتاب عن موقف حركة المقاومة من التسوية السياسية شارحا نقاط الاتفاق والاختلاف حول هذا الموضوع ، ونمط الحوار الفلسطيني الذي دار حوله . وسار في اتجاهين: اتجاه يعتبر مسؤولية الرفض مسؤولية فلسطينية خالصة ، واتجاه اخر يرى ان هذا الرفض، اذا لم يقترن بتحالف مع الجماهير العربية، عبر حركاتها الوطنية ، سوف يبقى رفضا ضعيف التاثير . وكيف ان هذين الخطين في الحوار التقيا جزئيا في المجلس الوطني الفلسطيني السابع، وفي المجلس الوطني الفلسطيني الاستثنائي ، حيث خرجت حركة المقاومة بقرار عام يدعو لتحويل

الاردن الى « معقل للثورة الفلسطينية » .
وانطلاقا من هذا القرار العام يحاول الكتاب ان يرصد مواقف حركة المقاومة في الرد على مبادرة روجرز ، من خلال المؤسسات الفلسطينية المشتركة (المجلس الوطني ــ اللجنة المركزية) معتبرا ان العمل الفدائي ، لم يخرج من خلال هذه المؤسسات بقرار سياسي واضح ، يمكن ان تبنى عليه خطة عمل مضادة للنظام ، تدفع النظام نفسه للرد .
وعلى ضوء ذلك ينتقل الكتاب لبحث مواقف المنظمات ، كل تنظيم على حدة ، ثم الى بحث تحركات النظام الاردني .

المنظمات والرد على مشروع روجرز

يلاحظ المراقب المتتبع للوضع في الاردن ان الشهرين اللذين يفصلان بين الاعلان العربي عن قبول مبادرة روجرز وبين بدء المجزرة في الاردن ، قد تميزا بتوتر عسكري يومي ، وبحملة اعلامية علنية من قبل بعض منظمات المقاومة الاساسية .. وكلا الوضعين ، التوتر العسكري ، والحملة الاعلامية العلنية ، تعبير عملي عن اتساع نطاق التناقض بين حركة المقاومة والنظام الاردني حول مشروع روجرز، وقد كانت هناك ثلاثة اساليب في معالجة الموقف ، يمثل كل اسلوب منها عينة نموذجية لطبيعة التنظيم المعني ، ونمط تفكيره السياسي .

الاسلوب الاول مثلته منظمة فتح ، وهو اسلوب « الدفاع عن النفس » . عدم الاقدام على خطوة مبادرة لضرب النظام ، مع الاستعداد العسكري لمواجهته ، اذا هو اقدم على ضرب حركة المقاومة. واثناء فترة الاشتباكات اليومية(١) التي سبقت الاشتباك الكبير ، لم تستعمل فتح امكانياتها العسكرية لغير اغراض الدفاع عن النفس . وكانت في صحيفتها اليومية واضحة تماما في هذا الموضوع، وتكاد تكون كل افتتاحيات صحيفة « فتح » طوال شهر كامل قبل المجزرة تدور كلها حول هذا الموضوع . نقرا مثلا « كل تحركات السلطة تشير الى انها تعد لمؤامرة جديدة تستهدف ضرب الثورة على امل تمرير الحل السلمي عن طريق صدام مسلح ... اما نحن فلا نريد هذا الصدام .... ونحن لا ندري هل فات الاوان لوقف الصدام ام لم يفت ؟ ولكن كل الدلائل تشير الى ان بدايات الصدام قد بدأت فعلا ... فليتحمل النظام اذا كل المسؤولية، وكل دماء الضحايا التي ستراق دماؤهم ، حيث سيكون الامر مختلفا هذه المرة»(٢).

وبالرغم من هذا الموقف الدفاعي ، كانت حركة فتح تدرك أن هذا الصدام لن يكون من نوع الاصطدامات السابقة ، التي تنتهي بحل وسط ، او باتفاقية مرضية للطرفين تعكس موازين القوى،بل هو صدام حاسم ونهائي « اذا ارادت السلطة الصدام ، وهذا يبدو واضحا من كافة تصرفاتها وجرائمها . اذا ارادت الصدام فان ثورتنا ستجد نفسها مرغمة على خوضه . ولكن هذا الصدام حتما سيكون الصدام الاخير. ونتيجة الصدام، ستصنعه جماهيرنا الثورية المسلحة : الانتصار المحتم »(٣).

وحين اخذت حالة التوتر تزداد حدة في عمان ، بدأت مواقف فتح تعبر عن نفسها بشكل اوضح ، فانتقلت من موقف المتوقع للصدام والمستعد له الى موقف التحذير ، فقد شهد يوم ٣٠ اب هجوما واسعا من السلطة على اكثر من موقع فدائي في عمان وتعليقا على ذلك كتبت جريدة فتح تقول « الثورة لن تسمح لمجموعة الاوضاع المتردية التي تحاول السلطة فرضها على المواطنين ان تستمر ... والثورة لن تسمح بأن يصرفها احد طويلا عن واجبها الاساسي الذي انطلقت من اجله »(٤). واذا كانت الثورة لن تسمح باستمرار التردي ، فهي انما تفعل ذلك ليس من أجل اسقاط النظام ، بل حتى لا تنصرف طويلا عن واجبها الاساسي اي واجب تحرير فلسطين .

ومن غير الممكن في حالة شديدة من التوتر ، مثل التي كانت قائمة في عمان ، ان يستمر الموقف السياسي عند حد التحذير ، فلا بد من اقتراح صيغة للحل ، وفي ظل الموقف الدفاعي فان اي صيغة للحل هي حتما نوع من الحل الوسط . وقد كانت صيغة الحل التي اقترحتها فتح هي « السلطة الوطنية » .

لقد بقي هذا الشعار الذي طرحته اللجنة المركزية وتبنته فتح شعارا غامضا . ونجد فقط محاولتين في جريدة فتح لشرحه ، المحاولة الاولى تصور وجود فريقين في السلطة الاردنية ، فريق عميل متآمر على الثورة ، وفريق اخر موجود في مواقع السلطة ، ولكنه لا يملك اي سلطة فعلية(٥). الفريق الاول هو رجالات القصر ، والفريق الثاني هو الوزارة . وبناء على هذا التصوير للوضع ، يمكن استبدال الفريق

العميل بفريق وطني .
المحاولة الثانية هي التي حددت فيها جريدة فتح ست صفات للسلطة الوطنية هي :
« اولا : ان تملك سيطرة كاملة على كافة اجهزة الجيش والامن والدولة .
ثانيا : ان تقوم بتطهير كل هذه المؤسسات من العملاء والحاقدين من اعداء الشعب والثورة .
ثالثا : ان تقوم على الفور بمحاكمة كل المجرمين والقتلة الذين ارتكبوا المذابح البشعة بحق الشعب.
رابعا : ان تختفي كافة اشكال التعبئة الاجرامية الحاقدة التي تمارسها السلطة العميلة داخل الجيش وبين المواطنين .
خامسا : ان يبنى التلاحم المصيري بين القوات المسلحة الوطنية وبين الثورة حتى يمكن التفرغ بكامل قوتنا بالتوجه للعدو الذي يحتل ارضنا .
سادسا : ان يتم تامين جو من الامن الكامل بتصفية كل الجيوب العميلة والمنظمات المشبوهة ، حتى يطمئن ثوارنا الى سلامة ظهورهم ولامن وطمانينة جماهيرهم اثناء توجههم لقتال المحتل »(٦).
ان هذه المواصفات الست للسلطة الوطنية تتجاهل اي اشارة لموضوع التسوية السياسية ومشروع روجرز . وهي في حقيقتها مواصفات حكومة وطنية، وليست مواصفات سلطة وطنية . اي انها دعوة لتغيير الحكومة بحكومة جديدة ذات صفة وطنية من جهة ، وذات صلاحيات من جهة اخرى ، وليست ابدا دعوة لتغيير النظام من أساسه . وكل ما يهم فتح من هذه الحكومة ان تؤمن حالة من الامن والاستقرار الداخلي ، اذ انها لا تطالبها باي مهام اقتصادية او عسكرية او سياسية من نوع جديد . وجريدة فتح لا تحدد الجهة التي يتوجب عليها ان تحقق صيغة « السلطة الوطنية هذه » ، ولكن ما دام الموضوع يتناول تغيير الحكومة وليس تغيير النظام ، يصبح من المنطقي القول بأن هذا الطلب موجه الى الملك بصفته الجهة التي يحق لها اقالة او تشكيل اي حكومة جديدة داخل نظامه .
وقد كانت اللجنة المركزية اكثر وضوحا في معالجة الموضوع ، اذ دعت الملك صراحة الى انجاز هذه المهمة حين اعلنت انها توصلت الى قناعة تامة بأن « الواجب الوطني المقدس لانقاذ وحماية البلاد والشعب والثورة الفلسطينية ، اصبح يقضي ابعاد هذه العناصر المتآمرة عن مواقع السلطة ، واستبدالها بعناصر وطنية موثوقة ، لكي تصبح السلطة سلطة وطنية ... وان اللجنة المركزية تناشد الملك حسين ... بأن يفصل العناصر الفاسدة والعميلة عنه »(٧).
واذا كانت هذه الاستشهادات المعبرة عن موقف فتح الدفاعي هي الطابع العام الذي عبرت عنه صحيفتها ، الا اننا نجد خروجا عن هذا الخط العام في بعض الاحيان ، فمشية انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني الاستثنائي لبحث مشروع روجرز دعت صحيفة فتح المجلس الى « ان ينتقل من موقف الرفض الى موقف احباط المشروع ، اي من سلبية الرفض الى ايجابية الافشال . أبواب الانتصار مشرعة لان بنادق الثوار تحت التنشين ، وما على المجلس الوطني الا ان يدخل باب الانتصار »(٨).
والمرة الثانية التي خرجت فيها فتح عن خطها الدفاعي العام كانت في ندوة فلسطين العالمية الثانية التي عقدت في عمان ، فقد نشرت جريدة فتح نص الحوار التالي بين احد أعضاء الندوة وبين احد مسؤولي فتح بعد ان القى كلمة فيها .
« سؤال : ما هو المقصود بأن تكون عمان هانوي الثورة ، وما هي الوسائل لتصبح كذلك ؟
جواب : يتم ذلك بتثوير كافة الاوضاع ، بتنظيم الشعب في مؤسسات ، وتسليحه ، وتدريبه ، بناء اقتصاد ثورة متكامل ، وان تتغير العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين ابناء الشعب لتقوم على أساس العدالة الاجتماعية دون اي استغلال . ويتحقق ذلك بأن تصبح السلطة في البلد ، سلطة ثورية »(٩).
نلاحظ هنا كلاما واضحا عن السلطة الثورية وعن مواصفاتها الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية . ولكن جوابا في ندوة يبقى اقل دلالة من افتتاحية رسمية . كما أن هذا الجواب يتناقض مع الخط العام الذي عبرت عنه الصحيفة باستمرار ، كما يتناقض مع مواقف فتح في المجلس الوطني ، حيث رفضت أن تذهب الى ما هو ابعد من صيغة « معقل الثورة » بدون تحديد . وقيمته الوحيدة كما يبدو، انه يتنافى مع الخط العام لحركة فتح اكثر مما يعبر عنه .
الاسلوب الثاني في مواجهة الازمة ، مثلته الجبهة الشعبية الديمقراطية وهو أسلوب التحريض الجماهيري ، لتوسيع اطار النضال من اجل انشاء السلطة الوطنية . وقد كانت الجبهة الديمقراطية واضحة تماما في التعبير عن نفسها ، منذ بدأت

تصدر صحيفتها(١٠)، حتى يوم المجزرة . وتملك الجبهة ما هو اكثر من تحديد موقف سياسي لمواجهة مشروع روجرز ، تملك وجهة نظر متكاملة حول طبيعة الصراع بين حركة المقاومة والنظام الاردني. فالجبهة الديمقراطية ترى انه منذ ان وجد العمل الفدائي في الاردن ، بدأت سلطة ثانية توجد الى جانب سلطة النظام . وهذه السلطة الثانية وجدت في البداية في حالة جنينية ، ثم اخذت تنمو وتتطور وتكسب اعتراف الجماهير بها . ثم بدأت السلطة الثانية ، سلطة العمل الفدائي ، تنشىء اجهزتها الخاصة الى جانب اجهزة النظام.و«اخذت الجماهير تنفض شيئا فشيئا عن اجهزة السلطة القديمة وتفقد احترامها لها »(١١).

وقد كان شيئا طبيعيا ، ان ينشب الصراع بين هاتين السلطتين ، وعلى هذا الاساس تفسر الجبهة الديمقراطية كافة الصراعات التي نشبت بين النظام الاردني وحركة المقاومة . اذ ان هذه الصراعات هي النتيجة الحتمية لسلطتين تتنازعان اكتساب مواقع النفوذ في البلد الواحد . أما توقيت هذه الصراعات فترى الجبهة انه مرتبط بتوازن القوى من جهة ، وبتحرك الحلول التصفوية من جهة اخرى .

وترى الجبهة الديمقراطية ان ازمة ١٩٧٠/٢/١٠ كانت « دليلا على توطد سلطة المقاومة ... كما كانت ايذانا بتحول حاسم في ميزان القوى بين السلطتين لترجيح كفة سلطة المقاومة »(١٢). ويلاحظ انه اثناء تلك الازمة رفعت شعارا علنيا يوضح هذا الفهم يقول « لا سلطة فوق سلطة المقاومة » ففي تعميم توجيهي للاعضاء صدر أثناء الازمة المذكورة دعت الجبهة اعضاءها الى « التأكيد باستمرار بأن على الجماهير الاعتراف بسلطة واحدة، هي سلطة لجان التنسيق ، ولا سلطة فوق سلطة المقاومة ومنظماتها »(١٣).وعندما قامت مظاهرات الاحتجاج ضد زيارة سيسكو للاردن في شهر نيسان ١٩٧٠ ذيلت الجبهة بياناتها العلنية بهذا الشعار . وحين نجحت المظاهرات الجماهيرية في الغاء زيارة سيسكو كتبت الشرارة تقول « ان وجود سلطتين في هذا البلد ، سلطة الرجعية العميلة ، وسلطة جماهير الشعب والمقاومة المسلحة ، هو حقيقة قائمة لا يمكن حتى للرجعيين انكارها» والواقع يؤكد ان سلطة الجماهير هي التي تقرر منذ اليوم بشكل متعاظم مصير وطنها ومستقبله »(١٤).

وقد كان هم الجبهة الديمقراطية الاساسي ، ان تبقى حالة ازدواجية السلطة قائمة لاطول فترة ممكنة ، حتى يتم اثناء ذلك ترسيخ سلطة المقاومة وتعميقها، وتحويل الالتفاف الجماهيري حولها من التفاف عفوي سائب ، الى التفاف منظم يعبر عن نفسه في مؤسسات ديمقراطية ، والا تحول شعار « لا سلطة فوق سلطة المقاومة » الى شعار محافظ ، بعد أن اصبح امرا واقعا بعد الانتصارات الجماهيرية في شهري شباط ونيسان من عام ١٩٧٠ . وقد سعت الجبهة من اجل توطيد حالة ازدواجية السلطة الى رفع شعارات اخرى تكسب شعارها الاساسي مضامينه العملية ، فدعت الى انشاء المجالس الشعبية المنتخبة التي تعبر عن « ضرورة منح سلطة المقاومة طابعا جماهيريا ثوريا ، ينفي سماتها البيروقراطية »(١٥)،وكانت ترى ان المجالس الشعبية مدعمة بالميليشيا ، والنقابات ، هي المؤسسات الديمقراطية التي تنمو في رحم النظام القديم مبشرة بولادة نظام جديد ، اذ « ان المهمة المركزية التي تواجهها الثورة في هذه الساحة ، من اجل تأمين نجاحها في انجاز مهمتها الاستراتيجية الكبرى في تحرير الارض المحتلة بطريق الحرب الشعبية ، هي مهمة اقامة نظام وطني ديمقراطي ... يستند الى الشعب المسلح والمنظم في كتائب الميليشيا والمجالس الشعبية »(١٦). ولكن كيف يتم الوصول الى هذا النظام الوطني الديمقراطي . ؟ ان التقليد المتبع في المنطقة هو تقليد الانقلابات العسكرية . وقد رفضت الجبهة فكرة الانقلاب العسكري بشدة ، لان ذلك سيؤدي الى سلب المقاومة « طابعها الجماهيري الثوري »(١٧)، ففي ظل حركة جماهيرية مسلحة ، يشكل اللجوء للانقلابات العسكرية ، خطوة الى الوراء ، وتكون النتيجة نصرا « مغامرا » يقدم كهبة للجماهير ، بينما المطلوب ان تصنع الجماهير انتصاراتها بنفسها في اللحظة التي تكون حركتها السياسية ناضجة لذلك ، حتى تتمكن من المحافظة على هذا النصر .

كذلك رفضت الجبهة الديمقراطية في تلك الفترة فكرة «الحكومة الوطنية»، قائلة «ان قدوم حكومة وطنية سوف يعني التوفيق بين السلطتين »(١٨)، بينما المطلوب هو تعميق حالة ازدواجية السلطة ، اذ أن التوفيق بين السلطتين ، يشكل خطوة للوراء ، وتنازلا عن مكسب هام من مكاسب النضال الجماهيري .

ولما كانت الجبهة ترفض الانقلاب العسكري ، والحكومة الوطنية ، فقد دعت بالمقابل للنضال من اجل « نظام حكم وطني ديمقراطي معاد للامبريالية والصهيونية والرجعية »(١٩). يتم الوصول اليه عن طريق تعزيز النضال الجماهيري ، وعن طريق تعميق ازدواجية السلطة ، حتى تصل سلطة حركة المقاومة ، الى مستوى يؤهلها لحسم الصراع بين السلطتين لصالحها ، وبالاعتماد على قوة الجماهير المسلحة فقط ، « ان المزيد من نضوج الازمة الثورية داخل السلطة المزدوجة ، والمزيد من اقامة منظمات ديمقراطية واسعة للجماهير ، والمزيد من تسليحها والعمل بين صفوفها ، لرفع درجة وعيها السياسي وتجذيره سوف يدفع القوى الاكثر تقدما والاكثر ثورية نحو مواقع القيادة في حركة الجماهير وداخل السلطة الوطنية ، حتى يمكن قيادة الجماهير نحو حكم وطني ديمقراطي...»(٢٠).

وواضح ان مثل هذه المهمة تحتاج الى مدى زمني كاف ، واي تعجل في حسم التناقض بين السلطتين، سوف يؤدي الى اجهاض سلطة المقاومة ، لذلك « علينا ان نرسم مواقفنا التكتيكية اليومية بحيث نحول دون نشوب صدام نهائي مبكر بين السلطتين، وفي حالة نشوب الصدام ان نحول قدر الامكان دون دفعه الى نهاياته »(٢١). ويبقى هذا التكتيك ساري المفعول حتى يتعزز « موقع اليسار داخل حركة المقاومة وتنمو الحركة الجماهيرية الى تلك الدرجة من الصلابة والوعي والنضج ، بحيث تمكنها من جعل السلطة القادمة ، مهما كانت طبيعتها ، اسيرة للمد الجماهيري ، ان لم تكن منبثقة عنه »(٢٢).

هذا الموقف الواضح للجبهة الديمقراطية ، الذي يرى وجود سلطتين ، ويدعو الى تعميق التناقض بينهما ، والى تأجيل نشوب صدام نهائي حتى تصل سلطة المقاومة الى مرحلة كافية من النضج، تعرض لانعطاف سريع بعد بروز مشروع روجرز ، والموافقة العربية عليه . فمنذ مشروع روجرز، اختفى شعار « لا سلطة فوق سلطة المقاومة »وبرز شعار اخر يقول « كل السلطة للمقاومة » .

فمع مشروع روجرز ، ادركت الجبهة الديمقراطية، كما ادركت فتح ، ان التسوية السياسية قد دخلت مرحلتها العملية .

ومع مشروع روجرز ، ادركت الجبهة الديمقراطية، كما ادركت فتح ، ان « الهدف الحقيقي للصفقة الاستسلامية هو رأس المقاومة والجماهير المسلحة»(٢٣).

ومع مشروع روجرز ، ادركت الجبهة الديمقراطية، كما ادركت فتح ان «الرجعية تخطط لجر الجيش الى معركة مع الشعب ومع المقاومة ... لتفرض عليهم الصلح مع اسرائيل ، والعودة الى حكم «الارهاب الرجعي»(٢٤).

وبعد هذه النقاط المتفق عليها ، يبدأ الخلاف في وجهات النظر بين فتح والجبهة الديمقراطية .

فالجبهة الديمقراطية ترى ان كل هذه المواقف جيدة جدا ، ولكنها ليست كافية ، اذ ان « صيانة الثورة وضمان حقها في مواصلة القتال على طريق حرب التحرير ، يرتبطان منذ الان بشكل لا يقبل الانفصام بالنضال من اجل قاعدة ثابتة للثورة ، من اجل هانوي عربية في عمان، من اجل سلطة وطنية ثورية، تستند الى ارادة المقاومة»(٢٥). واذ تؤكد الجبهة ضرورة النضال من اجل اقامة السلطة الوطنية الثورية ، فهي لانها لا ترى مخرجا امام حركة المقاومة غير هذا المخرج ، ذلك ان امام حركة المقاومة « واحدا من مخارج ثلاثة : اما ان نموت بشرف... او ان نصبح جزءا ذليلا من لعبة التسوية الاستسلامية ... او ان نناضل من اجل سلطة وطنية ثورية تستند الى منظمات المقاومة والجنود والشعب المسلح »(٢٦) .

ولا تكتفي الجبهة بوضع هذا المطلب النضالي أمام منظمات حركة المقاومة ، بل هي تدعو لطرحه على الجماهير ، منتقدة آراء قالت في المجلس الوطني الاستثنائي ، انه لا يجوز طرح مثل هذه القضايا للبحث العلني فتقول « هل صحيح ان قرارا من هذا النوع ينبغي ان لا يعلن الى الجماهير ؟ اذن من الذي ينبغي ان يناضل ضد الرجعية والثورة المضادة غير الجماهير ؟ ... القوى الثورية ليست منظمات تآمرية ، وانما عليها ان تطرح كل مواقفها بوضوح أمام الجماهير ... فالافكار الثورية حين تقتنع بها الجماهير تصبح قوة مادية لا تقهر »(٢٧). وتتابع الجبهة الديمقراطية بهذا الموقف ، اصرارها على رفض المواقف التآمرية (الانقلاب) متمسكة بتعميق النضال الجماهيري وتوسيع مداه .

والسعي لاقامة السلطة الوطنية الثورية ، لا يرتبط فقط ، بالنضال من اجل تحرير الارض المحتلة ، بقدر ما يرتبط ايضا بالنضال من اجل توفير الحماية لمصالح الطبقات الكادحة . ففي تعليق على خلاف بين الفلاحين ، واحد الاقطاعيين حول مياه (سيل

الزرقاء) ، كان معروضا على المحاكم للبت فيه تقول الشرارة «بالرغم من تأكد الفلاحين والمزارعين بأن الحكم في هذه القضية لن يكون لصالحهم ... الا انهم سيتابعون نضالهم الوطني والطبقي لاقامة النظام الذي يمثل مصالحهم ، ويصفي كل اشكال الاستغلال والاضطهاد الذي يتعرضون له »(٢٨).

وهنا من المفيد ان نشير الى ملاحظتين :

الاولى ان اساس السلطة الوطنية التي دعت لها الجبهة الديمقراطية كان متذبذبا بين موقفين : موقف يقول ان المقاومة هي اساس السلطة الوطنية . وموقف آخر يقول ان المقاومة والجنود والشعب المسلح هي الاساس . ويبدو ان توسيع نطاق اساس السلطة الوطنية من المقاومة الى المقاومة والجنود والشعب المسلح، مرتبط بالرد على الحملة الاعلامية التي شنها الحكم الاردني لتحريض الجيش على الفدائيين من جهة، ولخلق نزعة التفرقة بين الفلسطينيين والاردنيين من جهة اخرى .

والملاحظة الثانية : ان جريدة فتح خاضت حوارا « غير مسمى » بينها وبين جريدة الشرارة ، فبينما كانت الشرارة تدعو الى رفض مشروع روجرز ، وتعرية الموقف الرسمي العربي الموافق على المشروع ، وشن نضال جماهيري لاقامة سلطة وطنية في الاردن ، وترى ان هذه القضايا الثلاث تشكل موقفا سياسيا موحدا ، كانت جريدة فتح ترد على هذا الموقف قائلة « ان الذين يريدون ان يقاتلوا الفا من الاعداء في وقت واحد ، ويفتحون النار على المحايدين والحلفاء ، ولا يرون ثوريا غير الذي ينتمي الى صفوفهم مباشرة ، اولئك لا يدركون معنى القوانين الموضوعية لحرب الشعب التي تتجه لتحقيق هدف التحرير الوطني الديمقراطي . الخطر في مثل هذه النظرة الضعيفة لا يكمن في عدم فهم قوانين حرب الشعب فحسب ، وانما ايضا يكمن في تعريض كافة مكتسبات الثورة الى الدمار »(٢٩).

ثم كانت جريدة فتح اكثر وضوحا في ردها على قضية « اعلان الموقف ، والعقلية التآمرية » فقالت « ليس ثمة ما هو اخطر من فهم القواعد الثورية والنظريات الثورية بصورة متحجرة وجامدة ... مثال على ذلك تبني القاعدة التي تقول ان الثورة ليست مؤامرة . لذلك على الثورة ان تفصح عن كل خططها . هذه القاعدة تبدو للوهلة الاولى صحيحة ... طبعا الثورة ليست مؤامرة ، ولكن الثورة ايضا ليست تخبطا عشوائيا وليست تصرفا اهوجا وشعارات في غير محلها »(٣٠). ولكن يجب ان نلاحظ انه بعد هذا الموقف بعشرة ايام فقط ، تبنت جريدة فتح شعار السلطة الوطنية ، واعلنت عن المواصفات المطلوبة لهذه السلطة ، فالخلاف اذا ليس على موضوع الاعلان عن الموقف او عدمه . فقد كانت مواقف فتح واضحة تماما . انما يكمن الخلاف حول الموقف نفسه، هل هو موقف دفاعي ام موقف مبادر ؟.

الاسلوب الثالث في مواجهة الازمة مثلته الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وهو الاسلوب الذي يقوم على خلق حالة من التحدي والشغب ضد الحكومات العربية التي وافقت على مشروع روجرز ، من اجل رفع صوت الرفض للمشروع عاليا في وجه الجميع .

وتنطلق الجبهة الشعبية لمواجهة مشروع روجرز ، من نفس النقطة التي تنطلق منها فتح والجبهة الديمقراطية ، وهي النقطة التي تقول ان الحلول السلمية ، ومنها مشروع روجرز « لا يمكن ان تتم الا على جثة حركة المقاومة . بعبارة اخرى : ان تصفية ، ذبح ، ضرب ، سحق ، انهاء ، حركة المقاومة شرط اساسي جدا حتى تسير هذه الحلول بمجراها الطبيعي »(٣١).

ورأت الجبهة الشعبية ان محاولة تصفية حركة المقاومة كشرط لتنفيذ الحلول السلمية ، عملية محكوم عليها بالفشل وذلك لعدة اسباب :

السبب الاول هو تأييد الجماهير لحركة المقاومة « نرى جماهيرنا وهي تحاول فعلا الحفاظ على ثورتنا ، من هنا نشعر منذ الان اننا سنربح هذه المعركة » (٣٢).

السبب الثاني يعود الى فشل محاولات ضرب حركة المقاومة في السابق ، مما يجعل نفس القانون ساري المفعول « لقد جرت حتى الان ست محاولات لضرب حركة المقاومة . ثلاث منها في لبنان ، وثلاث منها في الاردن ، ومع ذلك لم تنجح ... ولن تنجح بالتالي اي محاولة قادمة »(٣٣).

السبب الثالث عسكري لانه « في النهاية لا يمكن حسم موضوع سحق حركة المقاومة الا عسكريا ... اذا استثنينا موضوع التدخل الخارجي الامريكي ، فالقوى العسكرية هي نفس القوى التي واجهناها في المرات السابقة ، وانتصرنا عليها » (٣٤).

ان هذه الاسباب الثلاثة ، لا تقدم كما هو واضح تبريرا مقنعا لاحتمالات فشل النظام الاردني بتصفية

حركة المقاومة ، اذ ان التأييد الجماهيري للمقاومة لا يكفي (بدون تنظيم وتهيئة مسبقة) لتحقيق الانتصار . كذلك فان فشل محاولات التصفية السابقة لا يعني بالضرورة فشل المحاولات اللاحقة. كما ان ميزان القوى العسكرية يمكن ان يتبدل ويتغير.ولكن ما يهمنا من ابراز هذه الاسباب الثلاثة ليس متانتها وواقعيتها ، انما يهمنا ابراز ادراك الجبهة الشعبية لخطورة المعركة المنتظرة، وتفاؤلها الواضح والمسبق حول النتائج .

ان الجبهة الشعبية تبرز تفاؤلها في نفس الوقت الذي تعترف فيه بوجود خلاف في وجهات النظر بين المنظمات الفدائية ، حول اسلوب مواجهة مشروع روجرز « اذا كان هناك خلاف بين فصائل المقاومة فهو خلاف حول مخطط المواجهة ، كيف نواجه هذا الامر ؟ نحن كجبهة شعبية نقول : منذ الان يجب ان توضع كل الحقائق امام الجماهير ، دون اعتبارات ، وتعرف كل الاخطار المعرضة لها ، والتي تحيط بقضيتها ، وتعتمد على نفسها، وتصمم على احباط هذه الاخطار من اي جهة جاءت»(٣٥). فالبند الاول في المواجهة : وضع الحقائق امام الجماهير ، والتصميم على احباط المؤامرات .

واذا وصلت الامور الى حد ذبح حركة المقاومة « فان حركة المقاومة سترد ، وترد بدون تحفظ ، ودون اي اعتبار ، وسيكون لديها الاستعداد الكامل لان تجعل اذا استطاعت ، من الساحة الفلسطينية والاردنية واللبنانية والعربية بشكل عام، جهنم على كل اعداء الجماهير »(٣٦). وهذا الرد سوف يكون موجها الى « كل المصالح الاستعمارية ، وكل المصالح الرجعية »(٣٧).

فالبند الثاني في المواجهة هو الرد بدون تحفظ في كل منطقة عربية وتحويلها الى جهنم تحرق المصالح الاستعمارية والرجعية .

واذا كان الدكتور جورج حبش قد وضع في مؤتمره الصحفي ، انجاز هذه المهمة الكبيرة ، مهمة ضرب المصالح الاستعمارية والرجعية ، على عاتق حركة المقاومة ، فان ناطقا آخر باسم الجبهة الشعبية ، يعطي للموقف بعدا آخر حين يقول « ان المقاومة الفلسطينية لن تكتفي بالطبع برفض المشروع الامريكي ... ولكنها ستكون حريصة على ان تبلور هذا الرفض مع جماهير الامة العربية ، في اندفاعة ثورية حقيقية ، للمضي في تعميم استراتيجيتها على مستوى الوطن العربي »(٣٨).

فالبند الثالث في المواجهة هو الحرص على تعميم استراتيجية الكفاح المسلح على مستوى الوطن العربي .

لقد كان هذا الموقف ببنوده الثلاثة، هو الرد الاولي للجبهة الشعبية حول اسلوبها المقترح لمواجهة مشروع روجرز ، الا ان الجبهة لم تحافظ على بنودها المقترحة — باستثناء البند الاول — في نشراتها اللاحقة ، ففي كل البيانات والمقالات التي صدرت بعد ذلك ، لا نعثر ابدا على ما يشير الى ضرب المصالح الاستعمارية والرجعية ، كما لا نعثر على اي اشارة لتعميم استراتيجية الكفاح المسلح على مدى الوطن العربي.وحين ينقطع الخط البياني لهذا الموقف ، يبرز خط بياني آخر ، لموقف آخر يحصر اهتمامه في دائرة العمل الفلسطيني بالدرجة الاولى. فما دام الاختلاف قائما حول مخطط مواجهة مشروع روجرز لذلك فان « المقاومة مطالبة بخطة عمل موحدة ، ذات نفس تصاعدي ... ينبغي ان تكون خطة عمل المقاومة خطة هجومية ، اذ ليس من مصلحة المقاومة ، ان تقبل الوقوف في الزاوية الدفاعية لريثما تحرر الانظمة شروط الاستسلام على جماهيرنا . ومن المصيري ان يحدث ذلك بأسرع ما يمكن »(٣٩).

هذه الخطة الموحدة ما هي بنودها ؟ يجيب على هذا السؤال بيان للجبهة الشعبية قائلا « ان الجماهير الفلسطينية والعربية مطالبة بالرفض الكامل لكل المشاريع الاستسلامية ، وعلى راسها مشروع روجرز . كما ان عليها ان تفضح وتعري كل الراكضين وراء تنفيذ هذه المشاريع ... وعلى مستوى الساحة الفلسطينية — الاردنية لا بد من تعزيز الوحدة الوطنية ... وتطوير اللجنة المركزية للمقاومة ، عبر برنامج واضح للعمل ، وعلاقات محددة ، للوصول الى شكل ارقى للوحدة الوطنية، من أجل تصعيد القتال، والتصدي للمؤامرة الكبرى التي يجري الان تنفيذها فوق ارضنا »(٤٠). ولا يتطرق البيان للحديث عن كيفية تعزيز وتطوير الوحدة الوطنية واللجنة المركزية ، كذلك لا يتطرق للحديث عن برنامج العمل الواضح المطلوب. بالرغم من اصرار الجبهة الشعبية الدائم على الحديث عن الرؤيا الواضحة ، وقد قامت الجبهة الشعبية بمحاولة وحيدة لوضع بنود خطة العمل التي اكثرت الحديث عنها فدعت الى :

« — وحدة برنامج عمل ومخطط وقيادة لمواجهة

مهمات هذه المرحلة (مرة اخرى بدون شرح) .
— رسم قانون لمعاقبة اي خيانة منتظرة .
— شن حملة اعلامية مشتركة تفضح معنى القبول العربي بشروط الاستسلام ، وتعبىء الجماهير ضد ذلك .
— تحطيم حالة وقف اطلاق النار بأي وسيلة ممكنة »(٤١).

وهذه البنود (وهي اوضح ما يمكن العثور عليه في نشرات الجبهة) لا تتطرق الى ضرب المصالح الاستعمارية والرجعية ، وتحصر اهتمامها في العمل الفلسطيني ، مكتفية على النطاق العربي بالحملة الاعلامية .

الا انه في الوقت الذي تخلت فيه الجبهة الشعبية عن كل حديث يتعلق بضرب المصالح الاستعمارية والرجعية ، قامت بخطف اربع طائرات وانزال ثلاث منها في « مطار الثورة » قرب مدينة الزرقاء(٤٢) ، معتبرة خطف الطائرات (حسب موقفها المعروف) تجسيدا عمليا لضرب المصالح الاستعمارية ، ووسيلة لمواجهة مشروع روجرز ، فكتبت تعليقا على خطف الطائرات «ان توجيه اعنف الضربات للمصالح الامبريالية الاميركية هو التجسيد العملي لتصميم الثورة على احباط مؤامرات التصفية الامبريالية التي تتعرض لها القضية الفلسطينية من خلال الحلول الاستسلامية التي تتم محاولة فرضها على جماهيرنا »(٤٣) .

وتشرح الجبهة كيف شكلت عمليات خطف الطائرات ونسفها تجسيدا عمليا لاحباط مؤامرات التصفية ، فتقول « أمام وقف اطلاق النار ضد العدو وفتحه ضد المقاومة . امام التآمر الاعلامي والسياسي والدولي والعربي ... كان لا بد من القيام بسلسلة عمليات تخترق كل ذلك (!) فكانت عمليات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين »(٤٤) . وتعليقا على نسف طائرة « الجمبو جيت » في مطار القاهرة(٤٥) قالت ان الحادث كان « نسفا لمفصل رئيسي من مفاصل الحل السلمي »(٤٦). وقد احدثت عمليات خطف الطائرات ضجيجا ودويا كبيرين ، انشغلت به لفترة من الزمن كثير من الصحف العربية والاجنبية، وبلغ انشغالها بهذا الموضوع الى الحد الذي تجاهلت فيه تغطية انباء الاشتباكات اليومية في الاردن بين السلطة والمقاومة . ولكن عند اعلان الحكومة العسكرية ، اختفى ضجيج الطائرات ، وبرزت انباء المجزرة الى المقدمة .

ضمن مسار هذه المواقف الثلاثة تحركت فصائل المقاومة ، كل فصيل على حدة، وبأسلوبه الخاص، للرد على مشروع روجرز ومحاولة تنفيذه ، فهل يمكن اعتبار اي من هذه المواقف مسؤولا عن بدء الاصطدام ؟

ان العرض الذي قدمناه عن المواقف الاساسية لحركة المقاومة كما عبرت عنه ثلاث منظمات رئيسية ، يضعنا أمام الحقائق التالية :

اولا : ان حركة فتح التي تمتلك اكبر قوة عسكرية ضاربة ، والتي تتمتع بأوسع تأييد جماهيري ، قد بقيت حتى اللحظة الاخيرة في مواقف دفاعية . وكانت آخر درجات تطرفها ، تطالب بالتغيير في اجهزة السلطة ، تحت مظلة النظام نفسه، وذلك انسجاما مع خطها العام الذي يدعو لعدم التدخل في شؤون اي بلد عربي ، باستثناء مطلب واحد هو حماية امن الثورة ، فموقفها السياسي لا يشكل اي تهديد للنظام الاردني ، فيما لو تركت تمارس دورها الذي رسمته لنفسها بالعمل ضد اسرائيل .

واذا كانت حركة فتح قد قامت في تلك الفترة بحشد كميات كبيرة من الذخائر داخل مدينة عمان ، فان عملية الحشد هذه لا يمكن فصلها عن موقفها السياسي ، موقف الاستعداد للدفاع عن النفس ، اذا تحرك النظام الاردني لضرب حركة المقاومة .

ثانيا : اما الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، فان موقفها السياسي لم يتطرق لا من قريب ولا من بعيد لموضوع اسقاط النظام الاردني ، وحصرت الجبهة كل حديثها ، بتوجيه عام يدعو للنضال من اجل افشال الحل السلمي ، دون شرح للوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك ، لا في الموقف العلني ، ولا في المواقف المطروحة على المجلس الوطني الاستثنائي، او على اللجنة المركزية لمنظمة التحرير ، فلا يمكن اعتبار مواقفها بأي حال من الاحوال مبررا لخوف النظام، واقدامه بالتالي على تحرك مضاد . اما عمليات الطائرات التي قامت بها ، فقد شكلت تحديا لهيبة النظام ، وخاصة على الصعيد الدولي ، ذلك ان نسف ثلاث طائرات لثلاث دول اجنبية، فوق اراضي الاردن ، دليل مادي على فشل النظام الاردني في السيطرة على اراضي دولته ، استعمل كمبرر لضرب حركة المقاومة (مع جملة مبررات اخرى) ، ولكنه « مبرر » ليس غير ، اذ ان نسف الطائرات تحد معنوي ، لا يمكن ان يقود الى اسقاط النظام ، كما ان موقف اللجنة المركزية الذي وصل الى حد

اعلان تجميد عضوية الجبهة الشعبية فيها ، بسبب اسلوبها في معالجة القضية ، كان موقفا كافيا لاذابة مرارة التحدي ، لو ان النظام الاردني لم يكن حريصا على التمسك بالمبررات لتنفيذ مخططه.

ثالثا : ويبقى في النهاية موقف الجبهة الشعبية الديمقراطية ، التي دعت علنا الى اعطاء « كل السلطة للمقاومة »، وشنت حملة تحريضية واسعة لتوحيد الموقف السياسي ، للمنظمات وللجماهير ، حول هذا الشعار .

لقد كان هذا الموقف ، هو الموقف الوحيد الواضح السائر باتجاه الاصطدام مع النظام ، لحسم الصراع لصالح حركة المقاومة . وقد استعمل ايضا كمبرر أساسي في التهيئة لحملة أيلول ، ولكن تركيز الانظار على هذا الموقف ، لم يكن ايضا سوى « مبرر » وذلك لعدة اسباب :

١ — ان الجبهة الديمقراطية ، حتى لو أتيحت لها آنذاك الفرصة الكاملة لتحقيق شعارها، فانها لا تملك القوة العسكرية الكافية لانجاز هذه المهمة . خاصة وان القوة العسكرية لاي منظمة فدائية ، ليست — داخل الاردن — سرا من الاسرار ، فالمنظمات تعرف قوى بعضها البعض جيدا، كما ان المخابرات الاردنية ضليعة بهذه المعرفة .

٢ — ان الجبهة الديمقراطية ، حين رفعت شعار « كل السلطة للمقاومة » رفعته كشعار نضالي ، كهدف للجماهير ، وليس كشعار مطروح للتنفيذ الفوري . وهي في مواقفها التي شرحناها من قبل اكدت بوضوح اهمية تأجيل اي صدام مع النظام، واهمية ابقاء الصدامات — اذا وقعت — ضمن نطاق معين ، حتى تتوفر ظروف نضج اكبر داخل حركة المقاومة .

٣ — ان رفع هذا الشعار كهدف للنضال الجماهيري ، يعني أن تنفيذه مرهون ، بموافقة المنظمات الاخرى عليه ، وبانحياز غالبية الجماهير الى جانبه ، وآنذاك لا يكون التحرك المطلوب تحركا من الجبهة الديمقراطية وحدها ، بل من كل القوى الملتفة حول هذا الشعار .

في حالة كهذه هل يشكل هذا الشعار كموقف سياسي ، تهديدا عمليا للنظام الاردني ؟ ان الجواب على ذلك واضح تماما ، وتوضحه اكثر مواقف فتح التي لم تقتنع بموقف الجبهة الديمقراطية . ومواقف الجبهة الشعبية ، التي لم تكن تمت بصلة لمنهج تفكير الجبهة الديمقراطية . وبناء على ذلك نستطيع ان نقول ان شعار كل السلطة للمقاومة ، لا يشكل حين يوضع تحت مجهر الدرس خطرا « آنيا » على النظام الاردني . ان خطره يتبلور ، حين تصبح الجبهة الديمقراطية قوة جماهيرية قائدة ، وهذا ما لم يكن باديا في الافق القريب ، بحيث يشعر النظام الاردني انه مضطر للدفاع عن نفسه .

والنتيجة التي نخرج بها من كل ذلك ان القرار السياسي الذي خرجت به منظمات حركة المقاومة ، لا يمكن اعتباره — على غرار القرار السياسي الذي خرجت به المؤسسات الفدائية المشتركة — رميا للقفاز في وجه النظام ، فاما ان يدافع عن نفسه او ان ينهار !

لقد كان هناك صراع لا شك فيه ، ولكن محركه الرئيسي ليس المواقف المشتركة لحركة المقاومة ، وليس المواقف المنفردة لكل تنظيم على حدة ، ان محركه الرئيسي هو التناقض الكبير بين حركة المقاومة والنظام الاردني حول التسوية السياسية ، حين اقتنعت كل الاطراف ان الموافقة على مشروع روجرز ، تضع هذه التسوية فوق عربة التنفيذ العملي لقرار مجلس الامن . هذا هو الوجه الاول والاساسي لحملة أيلول ، اما وجهها الثاني ، فهو ان حركة المقاومة ككل ، اصبحت من القوة ، بحيث تستطيع — الى حد ما — عرقلة مشاريع التسوية السياسية ، فلا بد اذا من حسم هذه المسألة ، حتى يمكن اعطاء الموافقة على مشروع روجرز قيمتها العملية . اما كل ما يتذرع به النظام الاردني والمدافعون عنه ، من ان سبب حملة ايلول ، هو توجه حركة المقاومة لاسقاط النظام ، فليس كما قلنا غير تبريرات استعملت في التغطية الاعلامية الجزرة .

الاستعداد العسكري وحملات التمهيد

في الوقت الذي كانت فيه حركة المقاومة الفلسطينية، تعيش حالة من التردد السياسي ، ويسيطر على موقفها الغموض والعمومية ، كان النظام الاردني، على العكس من ذلك تماما ، يشحذ خناجره، ويقوم بتعبئة شرسة في الاوساط المؤيدة له ، متنقلا حسب مخطط مدروس من مرحلة الى مرحلة ، ومن معركة جزئية الى معركة اخرى ، بحيث تكاملت اجراءاته كلها في النهاية ، لتكون حملة ايلول البربرية التتويج النهائي لكل ذلك . وسنحاول في هذا البحث تتبع مواقف النظام الاردني لنستنتج منها ، من كان

المسؤول بالفعل ، عن بدء الاصطدام العسكري . ان مخطط النظام الاردنـي لضرب حركة المقاومة الفلسطينية مخطط قديم ، بدأ تنفيذه قبل الاعلان عن مشروع روجرز ، مما يؤكد ان رد فعل المنظمات ضد مشروع روجرز لم يكن ابدا نقطة انطلاق النظام الاردني للصدام . وحين وضع مخطط النظـام الاردني لضرب حركة المقاومة موضع التنفيذ ، كانت المنظمات الفدائية اليسارية ، كالجبهة الديمقراطية على سبيل المثال ، لم تزل فتية في بداية تكوينها ، فلم تكن بالتالي الهدف الاساسي لعملية التصفية ، بالرغم من التركيز الاعلامـي الضخم على مواقفها فيما بعد ، وتصوير هذه المواقف على أنها المفجر الاساسي للصدام . ان حركة فتح في ذلك الوقت كانت في رأس قائمة المنظمات الموضوعـة كهدف للتصفية ، ثم استنبطت بعد ذلك شعارات العمل الفدائي الشريف ، والعمل الفدائي غير الشريف ، وما اليها مـن شعارات ، لتكون في خدمة المخطط الموضوع سلفا ، قبل أن يوجد الشعار نفسه .

لقد مر مخطط السلطة الاردنية في ثلاث مراحل ، لم تكن حملة ايلول سوى المرحلة الثالثة منها . وسنحاول هنا رسم الملامح العامة لهذا المخطط.

المرحلة الاولى

١ ـ قوات الامن الخاصة

في منتصف عام ١٩٦٩ ، بدأت السلطة الاردنيـة تكوين « قوات الامن الخـاصة » ووضعت تحـت تصرفها امكانيات مالية وعسكرية كبيرة ، واوكلت اليها ، مهمة خلق الاجواء السياسية والنفسيـة والعسكرية ، التي تمكن مـن ضرب حركة المقاومة الفلسطينية . وقد بقيت « مهمـة قوات الامـن الخاصة » مجهولة لفترة من الزمن من قبل منظمات حركة المقاومة ، الى ان استطاعت حركة فتح ، اعتقال عدد من قادة وعناصر هـذه القوات حيث ادلوا باعترافات مذهلة ، عـن المخطط الموضوع لهم ، والمهمات المكلفين بتنفيذها . وتلتقي كل هذه الاعترافات عند نقاط واحـدة : مراقبة مكاتب المنظمات ، واحصاء عناصرها العسكرية ، ومعرفة اماكن سكن قياداتهـا ، ونشر شائعات تضخـم اخطاءها ، والرد على مواقف المنظمات السياسية .. الخ . ولكن اخطر هذه الاعترافات واكثرهـا وضوحا ، اعتراف المدعو سعيد علي ابراهيم ، واسمه الحركي (نصر) ، احـد قياديي القوات المذكورة .

يقول (نصر) في اعترافاته ان الخطة الاساسية لقوات الامن الخاصة كانت تصفية العمل الفدائي المسلح تحت حجة أن **التنظيمات** الفدائيـة هـي الذراع المسلح للافكار اليسارية ، وان الاردن يؤمن بالنظام الاقتصادي الحر، ومرتبط بمعالم الاقتصاد الرأسمالي الدولية ، وان هـذه **المنظمات** هدفها القضاء على النظـام . وحيث ان الرأسماليـة والاشتراكية لا يمكن ان تلتقيـا ، وان **المنظمات** الفدائية المسلحة لا يمكن ان تلتقي مع النظام الملكي الاردني القائم ، فلا بد اذن من **الاصطدام** ان عاجلا او آجلا . وبما ان المبدأ يقول ان افضل وسائل الدفاع هي الهجوم فلا بد من تنفيذ خطـة **هجومية** تؤدي الى **سحق** هذه التنظيمات قبـل ان تصبح مطلبا جماهيريا حقيقيـا . لذلك لا بد مـن عمليات اشغال جانبية تبعد هـذه التنظيمات عـن دورها الاساسي حتى لا تستطيع الاستنـاد على القاعدة الشعبية الكاملة ، وبالتالي تخسر عامل الزمن ، في التفرغ للعمل داخل الارض المحتلة ، الذي سيكون الرباط القوي الذي يشد الجماهير للتلاحم مع حركة المقاومة ، فتعمل الشعبـة الخاصة بسرعة علـى افتعال احـداث تؤدي بالتالي الـى ايجاد تناقض وصراع مسلح بـين التنظيمـات . وتخلق حـول التنظيمات جوا من الاشاعات يقف فاصلا بين حركة المقاومة والجماهير،فتكون حركة المقاومة قد خسرت الزمن الضروري لحياتها ، وتكون الشعبة الخاصة قد أمنت الزمن الضروري لتنفيذ الخطـة ، بايجاد **قاعدة شعبية مسلحة** ، تتصدى لحركة المقاومـة بالسلاح ، فتقع الحرب الاهلية ، ويتدخل النظام الملكي حكما فيصلا ليمنع استمرار الحرب الاهلية الدموية ، ويبرز النظـام وكأنه فـوق الاحـداث والخلافات ، وتبرز حركة المقاومة ، وكأنها عدوة الشعب ، بدلا من ان تكون القـوة العاملة على تحريره .

ولقد وضعت مدة ستـة شهور لتنفيذ هذه الخطة ابتداء من شهر ايلول ١٩٦٩ وحتى شباط ١٩٧٠ . ولقد أجرت السلطة « مناورة » ١٩٧٠/٢/١٠ لتعمل على تقدير القوى وردود الفعل الداخلية والدولية ، استعدادا للانقضاض الكامل خلال ثلاثةاشهر(٤٧)، بعد مناورة شباط في محاولة لسحق حركة المقاومة. ولقد جرت الاتصـالات ووزعت الادوار ، وبدأت العمليات الجانبية لجر حركة المقاومة الـى معارك داخلية . والمزايدات الاعلامية الرسميـة بضرورة

تواجد التنظيمات على خط القتال ، مع اشتعال الاحداث الداخلية لاشغال التنظيمات، كانت محاولة لتشويه المقاتلين امام الجماهير ، وترسيخ فكرة ان المقاتل يجب ان يكون بعيدا عن المدن ، فيبرز المقاتل وكأنه رجل عصابات اجرامية . وكل هذه الاعمال هي لدفع القوات الفدائية الى مناطق الحدود ، اي الى مناطق التقتيل بعيدا عن حماية الجماهير ، حتى تسهل عملية سحقها دون اية ردود فعل شعبية .

ومن ناحية ثانية فقد كان هناك سعي لخلق شعور عام داخل القوات المسلحة بأن التنظيمات هي عبارة عن عصابات كاذبة غايتها هتك الاعراض، والاعتداء على البيوت في المدن ، مما سيولد لدى القوات المسلحة شعورا بالمرارة والحقد على هذه التنظيمات ، وبالتالي خلق شعور نفسي مريح لدى الجنود ، بأنهم يؤدون واجبا مقدسا عند ضرب التنظيمات لتخليص البلاد من مجرمين مرتزقة(٤٨).

ويمضي المدعو (نصر) في شرح تنظيم قوات الامن الخاصة فيرسم لها هيكلا تنظيميا واسع النطاق تتسلسل فيه المراتب من : الادارة التي هي بمثابة القيادة ، الى المخاوير اي المسؤولين العسكريين ، الى الانصار وهم اساس الجهاز العسكري وعموده الفقري ، الى المقاومة الشعبية التي تشبه جهاز المليشيا لدى المنظمات ، واخيرا الجبهة الوطنية وهي التنظيم الشعبي المحيط بكل هذه الاجهزة .

ومارست قوات الامن الخاصة مهمة اعلامية مدروسة ، اذ كانت تنشر بيانات تتضمن ردا على مواقف المنظمات ، ودفاعا عن مواقف السلطة ، تحت اسم « اللجنة الثورية للتوعية » .

واحاطت بها مؤسسات علنية مثل « المنظمة الهاشمية » و«الاتحاد الوطني الاردني» و« المنظمة الشعبية الاردنية لمساندة الجيش » .

وحين نراجع قوائم الاسماء التي وزعت عليها الاسلحة في كثير من مدن وقرى الاردن ، ضمن نطاق المقاومة الشعبية ، نلاحظ ان غالبية هذه الاسماء، ان لم نقل كلها من ابناء الضفة الشرقية . ذلك ان النظام الاردني قد عمل بدأب على زرع التفرقة بين الفلسطينيين والاردنيين ، في محاولة منه للبروز بمظهر المدافع عن مصالح «الاردنيين» امام محاولات « تسلط الفلسطينيين » .

وقد حاول النظام الاردني في كثير من الاحيان ان يصور عمليات التوتر والاصطدام بين الفدائيين والجيش على انها من صنع العناصر المتطرفة في كلا الجانبين ، حتى يبرز القصر في النهاية كمنقذ ومخلص ، كما قال (نصر) في افادته ، ولكن هناك من الوثائق ما يثبت ان اعلى مستويات النظام في الاردن كان على صلة وثيقة بكل هذا التخطيط ، ففي رسالة من الملك حسين الى اللواء الركن محمد خليل عبد الدايم نقرأ الفقرة التالية « انني اذ اثبتك في منصبك نائبا لرئيس الاركان العامة للقوات المسلحة ، لاجد ان اضيف الى وظيفتك وظيفة المفتش العام للقوات المسلحة ، آملا ان تبقى كلما سمحت بذلك ظروف عملك الاول ، في حركة دائمة بين جميع وحداتنا وتشكيلاتنا المقاتلة والقيادية والادارية ، مضاف اليها **جيشنا الشعبي مراقبا وموجها من قبلي شخصيا** »(٤٩).

ان هذا الاعتراف يحتاج الى وقفة قصيرة . فتاريخه يؤكد ان مخطط تصفية حركة المقاومة قد وضع موضع التنفيذ قبل الاعلان عن مشروع روجرز ، وقبل أن يبرز رد فعل المنظمات العنيف ازاءه . وفي تلك الفترة ، لم تكن حركة فتح تعطي اهتماما كبيرا لحشد قوتها العسكرية داخل عمان . كما ان الجبهة الديمقراطية لم تكن قد رفعت بعد شعار « كل السلطة للمقاومة » ، كذلك لم تكن الجبهة الشعبية قد قامت بنسف الطائرات في « مطار الثورة » . ويؤكد هذا مرة اخرى ان مواقف منظمات المقاومة استعملت كمبررات لتنفيذ المخطط الموضوع سلفا ، وان هذا المخطط لم يكن ابدا كما يدعي النظام الاردني ، رد فعل لمواقف المنظمات . وقد اختير موعد تنفيذه ، في وقت مناسب جدا وضروري للنظام ، وهو الوقت الذي بدت فيه احتمالات كبيرة امام نجاح التسوية السياسية .

اما تفاصيل الاعتراف فتبرز ان النظام الاردني لا يفرق في نظرته للعمل الفدائي بين تنظيم واخر، بين تنظيم معتدل ، وتنظيم متطرف ، بين عمل مهتم بالفداء ، وعمل مهتم بالحزبية والايديولوجيات كما ركز في حملته الاعلامية اثناء مجزرة ايلول . فالاعتراف يتحدث اكثر من مرة عن التنظيمات بدون تمييز ، ويعتبرها كلها بدون استثناء غير قادرة على التعايش مع النظام . وهو يؤكد ان الاصطدام محتم، وان على النظام ان يأخذ المبادرة في هذا الاصطدام. وهو يتحدث عن « القاعدة الشعبية المسلحة » اللازمة لتنفيذ الخطة قبل أن يشتهر أمر المقاومة الشعبية ،وامتدادها الواسع بين انصار السلطة .

ويتحدث الاعتراف عن ازمة ٧٠/٢/١٠ على أنها مناورة اختبارية فقط . وامام هذا التفسير، نستطيع ان نلقي شيئا من الاضواء على سبب مرونة الملك حسين ، في المفاوضات التي جرت انذاك بينه وبين الوفد المفاوض باسم القيادة الموحدة(٥٠). فلم يحتج الامر لغير جلسات محدودة وافق فيها الملك على التراجع عن مطالبه كلها .

واذا كان الاعتراف يتحدث عن « استعداد للانقضاض الكامل خلال ثلاثة اشهر بعد مناورة شباط » فمن المهم أن نلاحظ انه بعد اربعة اشهر انفجرت ازمة ٧٠/٦/٧ التي كانت اعنف بكثير من كل الازمات التي سبقتها ، اتبع فيها بشكل كامل نفس التكتيك الذي نفذ في مجزرة ايلول ، الا ان التدخل الرسمي العربي لعب دورا مهما في ايقافها ، وادى هذا التدخل الى ايفاد اللجنة الرباعية التي توصلت الى عقد اتفاق هدنة بين الطرفين . فبقي بذلك المجال مفتوحا امام معركة اخرى حاسمة .

وحين يتحدث الاعتراف عن الحملة الاعلامية داخل القوات المسلحة لتشويه سمعة المنظمات ، فان هذه الحملة الاعلامية تكتسب معناها التام، حين نعلم أن قيادة الجيش كانت تعطي للجنود مبلغا من المال تطلب منهم استعماله للانتقال من اماكن سكنهم بين تجمعات الفلسطينيين (في مخيم الوحدات مثلا) الى اخرى تكون غالبيتها من الشرق اردنيين ، بحجة ان الفلسطينيين يهيئون مجزرة لذبحهم . اما داخل القطعات فقد كانت تنقل لهم انباء ملفقة عن انتهاكات الاعراض التي تجري في المدن ، وعن المنازل التي تسرق في وضح النهار .

ان هذا الاعتراف بمجمله وبتفاصيله يشكل وثيقة هامة ، ولو اراد اي مسؤول من حركة المقاومة، ان يقدم وصفا لمخطط السلطة الاردنية لضرب العمل الفدائي لما استطاع ان يقدم وصفا أدق .

٢ ــ مؤتمرات العشائر

تكميلا لمخطط السلطة ، وسعيا منها لاظهار موقفها وكأنه مدعوم بتأييد الجماهير ، شكلت ما سمي « باللجنة التحضيرية للمؤتمر الاردني العام » ردا على المؤتمر الذي كانت تعد له الحركة الوطنية الاردنية بالتعاون مع حركة المقاومة الفلسطينية . وهذا المؤتمر كان في حقيقته مؤتمرا للعشائر فقط ، وليس مؤتمرا للقوى الاردنية ، وكانت مهمته التحريض ضد العمل الفدائي الفلسطيني ، وليس أيا من الاهداف التي ذكرت في البيانات العلنية .

ومع ذلك ففي بيانات اللجنة التحضيرية ما يلفت النظر ، فهي تقول ان من اهداف المؤتمر الاردني العام « ١ ــ تجسيد ارادة الشعب الاردني الثابتة في الوقوف الى جانب القضية الفلسطينية ، وذلك بدعم كفاح الشعب العربي لاستعادة حقه في وطنه (لنلاحظ هنا لعبة الالفاظ التي استبعدت اي ذكر للشعب الفلسطيني) ٢ ــ من اجل الوقوف بشجاعة وحزم في وجه كل ما يستهدف بلدنا قيادة ونظاما وكيانا»(٥١). (لنلاحظ هنا ايضا النزعة التحريضية التي توحي بأن «الفلسطينيين» يعملون للاطاحة بالنظام والكيان) .

ان هذه المعاني التي ترد بشكل خفي في بيان علني، سوف تتضح تماما في المؤتمر الذي اقتصر على عدد من زعماء العشائر.لقد عقد المؤتمر يوم ٧٠/٨/٢١ في منزل محجم العدوان في « صويلح » قرب عمان ، وقال محجم العدوان في كلمة الافتتاح « ليكن معلوما للعموم اننا اجتمعنا تحت شعار واحد (الله ــ الوطن ــ الملك) . فلكل امة هدف تجتمع لتحقيقه ، ونحن هدفنا الاساسي ان نحافظ على بلدنا الاردن ، وعلى كرامتنا التي هدرت، وعلى اعراضنا وشرفنا الذي ديس (!) (نفس الاجواء التي كان يركز عليها في اوساط الجنود) وعلى ملكنا لانه رمز وحدتنا ووجودنا ... ليعرف الناس الاخرون (!)اننا كنا نذبح الرجل من اجل عباءته . فكيف اذ تعرض ملكنا لبعض المكروه(٥٢)؟ يجب ان نكون يدا واحدة نعمل لصيانة كرامتنا التي ذبحت (!) وهنا ساد جو من الحماس ، وصاح بعض الشباب ، نريد سلاح يا محجم علشان نوري هالفلسطينيين »(٥٣).

٣ ــ التحرك العسكري

في نفس الوقت الذي كانت فيه قوات الامن الخاصة تواصل عملها ، وفي نفس الوقت الذي كانت فيه مؤتمرات العشائر توالي تحريضها،كانت قوات الجيش الاردني تتحرك حسب خطة عسكرية واحدة، للتمركز في المناطق الحساسة التي تمكن من محاصرة الفدائيين من جهة ، وقطع طرق الامداد عنهم من جهة اخرى . وكان شهر آب هو الشهر الذي تم فيه تحريك معظم قطعات الجيش الاردني باتجاه المدن الرئيسية . وكانت المنظمات الفدائية تتلقى باستمرار انباء هذه التحركات .

ــ ففي عمان واصلت « القوى المضادة للثورة تعزيز مواقعها، فقد ارتفع عدد الكمائن في الكلية العسكرية من ثلاثة الى ستة ، وتم تركيب رشاشين (الفا ٦)

في نفس الموقع ،يشرفان على جبل الاشرفية وعوجان ، وخط عمان — الزرقاء »(٥٤).

وفي الفترة الواقعة بين٨/١٤ — ١٩٧٠/٨/٣٠ سجل رصد فتح تمركز ٣ الوية و٩ كتائب وسريتي دبابات في داخل عمان وفي المواقع المحيطة بها،ونقلت معظم هذه القوات من مناطق الغور المواجهة للمناطق المحتلة . ونقل رصد فتح بتاريخ ٧٠/٨/٢٩ ان الكتيبة التي تمركزت على طريق عين غزال — الجامعة الاردنية ، مهمتها اقتحام مخيم الحسين والنزهة . وان الكتيبتين المتمركزتين عند الاذاعة مهمتهما اقتحام مخيم الوحدات .

— اما في المنطقة الشمالية « فقد نقلت ثماني وحدات من سلاح الدروع والمدفعية لتتمركز على الحدود العراقية والسورية . كما تم سحب لواء مشاة من الجبهة وانتشر في مواقع قتالية على امتداد الحدود السورية بحجة اجراء مناورات »(٥٥) وسجل رصد فتح ان «لواء مجحفل» تحرك نحو منطقة «الاكيدر» ليقوم بمهمة قطع خط الامداد بين الثورة وسوريا(٥٦) وبعد ذلك بأيام صدرت اوامر للقوات المتمركزة حول مدينة اربد «بضرورة تحصين مداخل المدينة من والى الاغوار وعلى الممرات والطرق ، لمنع اي تحرك فدائي »(٥٧).

— وفي نفس الفترة ايضا نقلت قوات كبيرة الى مدينة الزرقاء فقد تمركز فيها لواء مدرع انتشر من المدينة حتى منطقة ماركا القريبة من مطار عمان ، كما تمركزت فيها ايضا كتيبة نقلت من الغور ، ومجموعة من دبابات سنتوريون ، نقلت من قرية ام قيس(٥٨).

لقد شكل تنفيذ هذه الاجراءات المرحلة الاولى من مخطط السلطة الاردنية ، اما المرحلة الثانية المتداخلة معها زمنيا) فقد كانت من نوع مختلف ، رتب النظام فيها سلسلة من العمليات العسكرية، اختلف اسلوبها باختلاف المناطق التي تمت فيها .

المرحلة الثانية

يمكن من الناحية النظرية تقسيم الاردن الى ثلاث مناطق ، من ضمن حالة ازدواج السلطة التي كانت قائمة حتى حملة ايلول .

أ — مناطق تميل فيها كفة النفوذ لصالح النظام . وهي مناطق جنوب الاردن .

ب — مناطق يتساوى فيها النفوذ بين سلطة النظام وسلطة المقاومة مثل مدينتي عمان والزرقاء .

ج — مناطق تميل فيها كفة النفوذ لصالح المقاومة ، وهي مناطق الشمال التي تشمل اربد وجرش وعجلون .

وفي كل منطقة من هذه المناطق قامت السلطة الاردنية ، بسلسلة من العمليات العسكرية التمهيدية ، تتناسب مع توازن القوى القائم فيها ، وكانت في كل هذه العمليات الطرف المبادر .

١ — مجزرة جنوب الاردن

لم يكن مؤتمر العشائر في صويلح الذي تحدثنا عنه سوى نموذج واحد، لعدد اخر من المؤتمرات المحلية، التي عقدت في مناطق جنوب الاردن ، بتحريض وتخطيط من قبل المخابرات العامة ، وقوات الامن الخاصة ، واسفرت عن شن حملات ارهابية ضد مكاتب المنظمات الفدائية ، وضد المواطنين الفلسطينيين . اسفرت عن عدد غير معروف من القتلى والجرحى ، وخلقت حالة واضحة من الارهاب ، كرست الى حد بعيد حالة التفرقة الاقليمية بين الفلسطينيين والاردنيين في الوقت الذي كانت كل وسائل الاعلام الاردنية تتباهى بالحديث عن « الاسرة الهاشمية » . ومن الملفت للنظر ان وسائل الاعلام العربية ، تجاهلت تماما ذكر اي خبر يتعلق باحداث جنوب الاردن ، بالرغم من ان صحف حركة المقاومة نقلت اكثر من مرة تفاصيل ما يجري هناك.

وقد بدأت احداث جنوب الاردن ، حين عقدت بعض العناصر القبلية المؤيدة للسلطة اجتماعا في منزل (عبدالله ابو العشائر) في مدينة الشويك ، تراسه المدعو (علي مخر) احد رجال الحرس الملكي المتقاعدين . وطلبت عناصر السلطة من اهالي الشويك مهاجمة مدرسي المدرسة الصناعية وقواعد الفدائيين .

وفي يوم ٧٠/٩/٤ ترأس « فيصل بن جازي »اجتماعا لعدد من رؤساء العشائر ، وحضرته عناصر من السلطة ، وطالبوا باجلاء الفدائيين من الجنوب ، وكل من يتعاطف معهم ، او سبق أن قدم لهم اية مساعدة .

وفي يوم ٧٠/٩/٥ تجمعت بعض عناصر السلطة في معان لتصل بعد قليل عدة سيارات تنقل مسلحين ، وبدأوا على الفور بمهاجمة مكاتب المنظمات الفدائية وقتل من فيها واحراقها(٥٩). ثم توزع المسلحون على مفارق الطرق ، على طريق معان — الحسا — القطرانه ، وبدأوا بايقاف جميع السيارات ، والتدقيق في هويات الركاب ، وانزال كل من يتبين

انه من الضفة الغربية او قطاع غزة ، وقتله على الفور .

وفي مدينة الطفيلة ، رتبت عملية مماثلة ، وقام مسلحون باطلاق النار على مكاتب المنظمات . وامتدت هذه العمليات ايضا الى مدينة الكرك(٦٠). حيث دعت اجهزة السلطة لعقد « مؤتمر عشائري يحضره كافة وجوه ومشايخ العشائر ... اجتمعوا في بيت المدعو « دليوان المجالي » ، وكان المدعو (عارك المجالي) من ابرز الخطباء في هذا الاجتماع. ثم خرج العملاء الى الشوارع وهم يطلقون الرصاص ... وقاموا بالاعتداء على احد المطاعم ، وكسر اقفال عدد من المحلات »(٦١).

وكان الصوت الوحيد الذي خرج من جنوب الاردن اثناء هذه المذبحة التي سكتت عنها اجهزة الاعلام العربية، هو صوت استغاثة صادر عن سكان مناجم الحسا، ففي يوم ٧٠/٩/٦ وصلت الى اللجنة المركزية برقية باسم مهندسي وموظفي وعمال مناجم الحسا تقول «تعرضنا للتهديد والقتل والنهب وهتك الاعراض من القبائل المحيطة بنا ، وذلك **بحضور مدير منجم الحسا ، وممثلي الحكومة والمقاطعة والمخفر** ... راجين اتخاذ الخطوات السريعة لانقاذنا ، او نموت دون عرضنا وشرفنا »(٦٢).

بهذه العملية التي تمت بشراسة وصمت ، فرضت السلطة سيطرتها على جنوب الاردن ، وسط جو من الارهاب الذي لا مثيل له ، وقد مكنها من اللجوء الى هذا الاسلوب الارهابي ، تمتعها بنفوذ يفوق نفوذ حركة المقاومة في المنطقة ، وكون غالبية السكان من العشائر التي يعتمد عليها النظام الاردني في حماية نفسه ، وتعتمد هي عليه في معاشها ، بواسطة الهبات التي يقدمها لهم باستمرار .

٢ — معارك عمان والزرقاء

في مدينتي عمان والزرقاء ، اللتين عاشتا لفترة من الزمن في ظل توازن بين سلطتي النظام والمقاومة ، لم يكن النظام قادرا على ترتيب عمليات تمهد مثل تلك التي قام بها في منطقة الجنوب ، فلجأ الى اسلوب اخر يتناسب مع توازن القوى القائم ، هو اسلوب العمليات العسكرية الصغيرة واليومية ، التي تؤدي في النهاية الى نتيجتين : الاولى انهاك قوى العمل الفدائي عسكريا ونفسيا ، والثانية دفع المواطنين نحو حالة تجعلهم يطالبون فيها بتوفير الاستقرار حتى يتمكنوا من تأدية اعمالهم وكسب رزقهم ، اذ ان الاشتباكات اليومية ، كانت تؤدي — بالاضافة الى الخسائر في الارواح — الى تعطيل مظاهر العمل اليومي (اغلاق المحلات — تعذر وصول العمال الى اماكن عملهم .. الخ) ، كل ذلك بهدف الوصول الى اللحظة التي يصبح فيها الضرب العسكري العنيف مهيئا له في اذهان الناس . وبعد ان تكون عملية الترويع اليومية ، المترافقة مع حملة اعلامية تلقي اللوم على الفدائيين ، قد اوصلت قطاعا لا بأس به من الناس الى موقف الحياد ، اما بدافع الخوف ، او بدافع الطمع بحالة من الهدوء المفقود .

وقد بدا اتباع هذا التكتيك في مدينتي عمان والزرقاء بشكل منتظم منذ يوم ٧٠/٧/٢٦ اي قبل يوم واحد من انعقاد المجلس الوطني الاستثنائي . ومنذ ذلك التاريخ ، حتى اعلان تشكيل الحكومة العسكرية ، شهدت عمان اشتباكا يوميا على الاقل ، تفاوتت درجات العنف فيه ، ولكن اعنفها كان الاشتباك الذي وقع يوم ٧٠/٩/٢ ، وكانت حصيلته ٤٠ قتيلا ومئة جريح(٦٣)، وعقد على اثره اجتماع طارىء للجامعة العربية لبحث الموقف .

وفي هذه الفترة ، عقدت بين السلطة والمقاومة ثلاث اتفاقيات لوقف اطلاق النار في مدى خمسة ايام فقط(٦٤)، كانت كلها تنقض فورا بعد ساعات من توقيعها .

وقد تميزت الايام القليلة التي سبقت بدء المجزرة بظواهر ملفتة للنظر اهمها :

١ — ان الملك حسين قد كشف عن نوايا نظامه من العمليات التي رتبها حين قال «ان حكومتي **في الوقت الحاضر** هي وحدها التي يحق لها التكلم بالنيابة عن الفلسطينيين. والشعب الفلسطيني ينتمي الى الاسرة الكبيرة التي احكمها »(٦٥).

٢ — كان النظام الاردني يقوم بكل هذه العمليات غير عابىء باللجنة الرباعية العربية التي جددت عملها بعد اجتماع الجامعة العربية الطارىء لوضع اتفاقية جديدة لتهدئة الموقف ، بينما كانت الصحف الاردنية تواصل نشر اخبار التقدم الذي تحرزه اللجنة يوما بعد يوم .

٣ — ان بعض المراقبين الصحفيين توقعوا «احتمالات قيام حكومة عسكرية كبيرة وقوية جدا . لان الوضع الداخلي المتردي يتطلب وجود رئيس حكومة يمسك بكل السلطة ويضغط عليها بالقوة نفسها ، ويشد بيده على السلطة المدنية وعلى السلطة العسكرية

معا ، وبقدر واحد من الكفاية والفعالية »(٦٦). وقد تحققت هذه التوقعات بسرعة، ولكن رئيس الوزراء المنتظر لم يكن رجلا قويا، بل ضعيفا الى الحد الذي يسمح بتنفيذ كل شيء باسمه دون قدرة على الاحتجاج او الرفض .

٣ ــ معارك الشمال

في المنطقة الشمالية من الاردن ، والتي كان فيها توازن القوى يميل لصالح حركة المقاومة ، لجأت السلطة الاردنية الى اسلوب في العمل ، يعبر عن الواقع القائم فيها . فسيطرة حركة المقاومة في هذه المنطقة لم تكن تسمح بخلق حالة ارهاب مضادة ، ولم تكن تسمح كذلك بتنفيذ سياسة الانهاك التي مورست في عمان والاسلوب الوحيد المفتوح امام النظام لاستعادة النفوذ ، هو أسلوب الهجوم المباشر ،وقد مارسه ايضا بشراسة وبوضوح لا مجال معهما للقول مطلقا بأن « اساءات » العمل الفدائي كانت دافع الجيش للتحرك ، كما أكد مخطط اعلام السلطة باستمرار .

بدأ هجوم السلطة المباشر على منطقة الشمال في اليوم التاسع من ايلول ، اي بعد أيام من مجزرة الارهاب في الجنوب ، وقبل اسبوع واحد من بدء حملة ايلول . ففي فجر ذلك اليوم تحركت قوة من دبابات اللواء ٤٠ ، ومجنزرات محملة بالمشاة وقامت بقصف مركز وشديد على قواعد الفدائيين في المناطق المحيطة بمدينة اربد ، وهي مناطق كفر اسد ، والخراج . وتقدمت قوات اخرى على طريق عجلون، وقصفت قواعد الفدائيين هناك ، وقد استمر هذا الهجوم طوال يوم كامل . هوجمت فيه عند منتصف النهار قواعد الفدائيين عند قرى الطيبه ــ الصما ــ وادي العرب ــ دير ابو سعيد . وقامت القوات المهاجمة باغلاق الطرق التالية بعد ان مهدت لعملياتها بقصف مدفعي مركز :

ــ طريق اربد ــ أيدون
ــ طريق اربد ــ كفراسد
ــ طريق اربد ــ الحصن .

كما اغلقت قوات الجيش طريق منطقة الافوار المؤدية الى المناطق المحتلة ، وقصفت في الافوار ايضا قواعد الفدائيين المتقدمة .

وقد « سقط نتيجة لهذه المجزرة الغادرة عشرات الشهداء والجرحى ، وبلغ عدد الشهداء حتى الساعة الخامسة مساء ٢٥ شهيدا »(٦٧).

وبهذه العملية نفذت السلطة الاردنية الجزء الاول من مخططها في منطقة الشمال ، وهو الجزء المتعلق بضرب قواعد الفدائيين وتثبيت المقاتلين فيها، كخطوة مبدئية لتقليص نفوذ حركة المقاومة في الشمال .ولا يمكن مطلقا القول بأن « اعادة الامن » للشمال ، او اعادة هيبة السلطة ، كان هو المقصود من هذه العملية . فالضربة وجهت اساسا لقواعد الفدائيين المنتشرة في الجبال، ولم توجه لمراكز نفوذ العمل الفدائي ، المتصادمة مع مركز نفوذ السلطة ، داخل المدن والقرى ، وهنا يبرز كيف أن النظام الاردني ، كان يستعمل احابيله الاعلامية ، الداعية لحفظ الامن ، حين يكون ذلك ممكنا ، ولكنه كان يضرب بكل ذلك عرض الحائط ، حين يكون خداع هذه الحجج مكشوفا تماما .

الجزء الثاني من مخطط السلطة في منطقة الشمال كان يهدف الى قطع خطوط التموين والاتصال بين سوريا وقواعد الفدائيين . واستعملت في ذلك القوات التي نفذت الى مناطق الحدود (كما ذكرنا سابقا) ، وقد قامت هذه القوات بمحاولة جدية للسيطرة على قرية الطرة قرب اربد ، ونجحت في ذلك ، ثم عادت قوات الفدائيين وسيطرت على المنطقة ،وقد كان ثمن احدى الاشتباكات للسيطرة على هذا الطريق الحيوي ١٢ شهيدا سقطوا نتيجة القصف المدفعي للجيش يوم ١٣/٩/٧٠(٦٨).

وهنا ايضا يتضح تماما ان الهدف الاساسي للعمليات هو السيطرة على طرق تموين الفدائيين وليس ايا من ادعاءات السلطة بالسيطرة على الامن واعادة الهدوء والنظام .

ان هذه الاجراءات العسكرية التمهيدية التي تحدثنا عنها في مناطق الاردن الثلاث ، لا تدع مجالا للشك في ان النظام الاردني ، كان الجهة التي بدأت التحضير للاشتباك العسكري العام ، ولم يكن هذا التحضير حدثا طارئا ، بل جزءا من خطة شاملة بدأت في منتصف عام ١٩٦٩ بتشكيل «قوات الامن الخاصة» ثم تتابعت حلقاتها بمؤتمرات العشائر ، وبتسليح المؤيدين .

وقد انجزت السلطة الاردنية كل مخططاتها ، في الوقت الذي كان فيه قرار حركة المقاومة السياسي، غارقا في العموميات ، وفي المواقف الدفاعية ، وفي احسن الاحوال ، بالمواقف التحريضية المرهونة بحدوث تغير جماهيري وتنظيمي حاسم باتجاه حسم الصراع المحتم (نتيجة كل هذه الاجراءات التمهيدية) لصالح حركة المقاومة .

وبالمقارنة بين الموقفين،تتبلور بشكل ناصع مسؤولية النظام الاردني عن تدبير حملـــة أيلول ، وعن كل نتائجها ، وتسقط كل الحجج التي تذرع بها النظام الاردني لتبرير المجزرة .

المراجع :

١ ــ سنتحدث عن هذا الموضوع في مكان اخر
٢ ــ فتح ــ العدد ٦٣ ــ ٧٠/٨/٢٥
٣ ــ فتح ــ العدد ٦٩ ــ ٧٠/٨/٣١
٤ ــ فتح ــ العدد ٧٠ ــ ٧٠/٩/١
٥ ــ ...
٦ ــ فتح ــ العدد ٨٠ ــ ٧٠/٩/١٠
٧ ــ من بيان اللجنة المركزية ــ جريدة فتح ــ العدد ٨٠ ــ ٧٠/٩/١٠
٨ ــ فتح ــ العدد ٦٥ ــ ٧٠/٨/٢٧
٩ ــ فتح ــ العدد ٧٦ ــ ٧٠/٩/٦
١٠ ــ منذ ٧٠/٨/١٥ بدأت الجبهة الديمقراطية اصدار جريدتها المركـــزية « الشرارة » مرتين في الاسبوع وكانت قبل ذلك تصدر بشكل غير منتظم . ثم توقفت عن الصدور اثناء الاصطدامات وبعدها
١١ ــ تقرير المكتب السياسي المقدم الى مؤتمر الجبهة التأسيسي المنعقد في ٧٠/٨/٢١ الفصل الاول ص ٨
١٢ ــ نفس المصدر ــ ص ١٠
١٣ ــ تعميم داخلي ــ مكتب التنظيم المركزي ــ ٧٠/٢/١٥
١٤ ــ الشرارة ــ العدد السابع ــ ايار ١٩٧٠
١٥ ــ تقرير المكتب السياسي ــ الفصل الاول ــ ص ١٧
١٦ ــ نفس المصدر ــ ص ١٤
١٧ ــ ١٨ ــ نفس المصدر ــ ص ٢١
١٩ ــ نفس المصدر ــ ص ٤٨
٢٠ ــ الشرارة ــ العدد السابع ــ ايار ١٩٧٠
٢١ ــ ٢٢ ــ تقرير المكتب السياسي ــ ص ٢٢
٢٣ ــ الشرارة ــ العدد ٨ ــ ٧٠/٨/١٥
٢٤ ــ الشرارة ــ العدد ١٣ ــ ٧٠/٩/١٠
٢٥ ــ الشرارة ــ العدد ٨ ــ ٧٠/٨/١٥
٢٦ ــ الشرارة ــ العدد ١٢ ــ ٧٠/٨/٢٩
٢٧ ــ الشرارة ــ العدد ١٢ ــ ٧٠/٨/٢٩
٢٨ ــ الشرارة ــ العدد ١٠ ــ ٧٠/٨/٢٢
٢٩ ــ فتح ــ العدد ٥٩ ــ ٧٠/٨/٢٠
٣٠ ــ فتح ــ العدد ٦٩ ــ ٧٠/٨/٣١
٣١ ــ مؤتمر جورج حبش الصحفي الذي عقده بمخيم البداوي قرب طرابلس ــ لبنان/الهدف ــ العدد ٥٣ ــ ٧٠/٨/١
٣٢ ــ نفس المصدر
٣٣ ــ نفس المصدر
٣٤ ــ نفس المصدر
٣٥ ــ ٣٦ ــ ٣٧ ــ نفس المصدر
٣٨ ــ غسان كنفاني ــ الهدف ــ العدد ٥٣ ــ ٧٠/٨/١
٣٩ ــ غ.ك ــ الهدف ــ العدد ٥٤ ــ ٧٠/٨/٨
٤٠ ــ بيان صادر في ٧٠/٨/٣ ــ الهدف ــ العدد ٥٥ ــ ٧٠/٨/١٥

٤١ ــ غسان كنفاني ــ الهدف ــ العدد ٥٨ ــ ٧٠/٩/٥

٤٢ ــ تم خطف الطائرات يوم ٧٠/٩/٦

٤٣ ــ بيان صادر في ٧٠/٩/١٢ تعليقا على نسف الطائرات الثلاث في مطار الثورة بالزرقاء

٤٤ ــ عدنان بدر ــ الهدف ــ العدد ٦٠ ــ ٧٠/٩/١٩

٤٥ ــ نسفت الطائرة بتاريخ ٧٠/٩/٧

٤٦ ــ عدنان بدر ــ الهدف ــ العدد ٧٠/١٩/٦٠

٤٧ ــ بدأت أزمة ٧٠/٢/١٠ حين فاجأ النظام الاردني حركة المقاومة ببيان يتضمن نقاطا تحد من حرية العمل الفدائي وسهولة تحركه

٤٨ ــ من ملفات رصد فتح ــ والاعتراف بتاريخ نيسان ١٩٧٠

٤٩ ــ من وثائق رصد فتح

٥٠ ــ انبثقت القيادة الموحدة اثناء ازمة ٧٠/٢/١٠ .وسميت فيما بعد بأسم اللجنة المركزية

٥١ ــ منشور صادر بتاريخ ٧٠/٨/٧

٥٢ ــ اشارة الى ادعاء النظام ان محاولة جرت لاغتيال الملك على طريق مطار عمان بتاريخ ٧٠/٩/١ من قبل الفدائيين

٥٣ ــ من تقرير رصد فتح

٥٤ ــ الشرارة ــ العدد ٩ ــ ٧٠/٧/١٨

٥٥ ــ الشرارة ــ العدد ٩ ــ ٧٠/٧/١٨

٥٦ ــ تقرير مرفوع من رصد فتح الى القيادة العامة لقوات العاصفة بتاريخ ٧٠/٨/٢١

٥٧ ــ نفس المصدر ــ تقرير بتاريخ ٧٠/٨/٢٩

٥٨ ــ نفس المصدر

٥٩ ــ استشهد في هذا اليوم ٤ فدائيين في مكتب فتح ، و٤ في مكتب الجبهة الشعبية ، واحرق مكتب الصاعقة

٦٠ ــ فتح ــ العدد ٧٧ ــ ٧٠/٩/٧

٦١ ــ الشرارة ــ العدد ١٥ ــ ٧٠/٩/٨

٦٢ ــ فتح ــ العدد ٧٦ ــ ٧٠/٩/٦

٦٣ ــ جريدة النهار ــ ٧٠/٩/٣

٦٤ ــ وقع الاتفاق الاول بتاريخ ٩/٥ والثاني في ٩/٨ والثالث في ٧٠/٩/١٠

٦٥ ــ مقابلة مع جريدة لوموند اجراها اريك رولو . النهار ــ ٧٠/٩/٩

٦٦ ــ وفيق رمضان ــ مراسل النهار في عمان ــ ٧٠/٩/٤

٦٧ ــ فتح ــ العدد ٧٩ ــ ٧٠/٩/٩

٦٨ ــ جريدة فتح

تطور القضية الفلسطينية في عهد الحكومة العربية في دمشق

خيرية قاسمية

هذه الدراسة محاولة شاملة لاعطاء فكرة عن التطورات التي واجهتها القضية الفلسطينية قبل ان يمنح الحلفاء الانتداب للحكومة البريطانية على فلسطين عام ١٩٢٠، في الفترة التي تلت الحرب العالمية مباشرة حيث اقيمت في دمشق حكومة عربية بين عامي ١٩١٨ — ١٩٢٠ تحقيقا لمبداي الوحدة والاستقلال اللذين نادت بهما الحركة القومية منذ سنوات . وكانت فلسطين جزءا ولو نظريا من هذه الحكومة باعتبارها الاقليم الجنوبي من سورية ، الا انها عمليا كانت تحت الادارة العسكرية البريطانية منذ ان دخلت قوات اللنبي حدودها الجنوبية .

ولاقت القضية الفلسطينية — كجزء من القضية العربية — نصيبها من مناورات مؤتمر السلم في باريس في جلساته العلنية والسرية . وكان يضاعف خطورتها التزام الحكومة البريطانية بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين عام ١٩١٧ ، مما دفعها في محاولات متكررة للحصول على موافقة الزعامة العربية على خططها في فلسطين بجرها الى الاتفاق مع الحركة الصهيونية . ولكن شدة المعارضة الداخلية وردود الفعل المحلية فرضت على هذه الزعامة التخلي عن قبول اي تسوية . وستثبت الاحداث التالية في عهد الانتداب ان الحكومة البريطانية كانت مخطئة في تقديرها لقوة المعارضة الوطنية .

فلسطين قبل قيام الحكومة العربية :

لم تشكل فلسطين خلال العهود التاريخية المختلفة كيانا منفصلا عن سورية . وحتى اواخر العهد العثماني لم تكن وحدة ادارية بل كانت تتوزع بين متصرفية القدس (المرتبطة بوزارة الداخلية مباشرة) وولاية بيروت (وتشمل لوائي عكا ونابلس) .

ولم تكن فلسطين بعيدة عن الاحداث التي كانت تجري في المنطقة ، وقد ساهم ابناؤها في الحركة القومية الحديثة التي بدأت تتجلى منذ نهاية القرن التاسع عشر . وكان لشباب الاوساط المثقفة دور كبير في المشاركة في تشكيل الجمعيات والاحزاب السياسية السرية والعلنية خاصة بعد عام ١٩٠٨ حين اخذت حركة التململ والتذمر من الحكم العثماني طابعا عربيا اكثر تحديدا كرد فعل للتحدي التركي(١) .

وتحمل هذا الاقليم عبئا كبيرا اثناء الحرب العالمية الاولى وخاصة لانه اتخذ نقطة انطلاق لهجوم تركي على جبهة السويس ، وكانت نتائج الهزيمة التركية على ابناء المنطقة قاسية ، وعانوا من مظالم جمال باشا كسائر اهل البلاد .

وكانت فلسطين مشمولة في الميثاق الذي وضعه زعماء الجمعيات العربية في دمشق وسلم الى فيصل في مايو ايار ١٩١٥، ويتضمن الشروط التي يطالب زعماء العرب بتحقيقها —

كي يقوموا بثورة يعلنها الشريف حسين ـــ تكون اساسا للعمل المشترك بينهم وبين انكلترة ، وارفق بالميثاق مصوّر يعين حدود البلاد العربية في آسية التي يجب ان يدور السعي على أساسها لنيل الاستقلال(٢).

واستخدم الحسين نصوص الميثاق في مطالبه الاقليمية اثناء مفاوضاته مع مكماهون.وفي مذكرة مكماهون ٢٤ اكتوبر تشرين أول ١٩١٥ قبل هذا الاخير بالحدود التي وضعها الحسين عدا بعض التحفظات ، ولم يثبت ان فلسطين منصوص عليها بصراحة او ضمنا في تحفظات مكماهون(٣).

الا ان الاتفاقية السرية المعروفة بأسم سايكس بيكو (مايو ايار ١٩١٦) في توزيعها المناطق الاسيوية من الامبراطورية العثمانية بين الدول الكبرى قد استثنت هذه المنطقة لتجعلها خاضعة لحكم دولي خاص على أن يعين شكله بعد الاتفاق مع بقية الحلفاء وممثل شريف مكة . وربما اتخذ هذا القرار نظرا لتضارب مصالح الدول الكبرى بالنسبة لفلسطين ، او بضغط من الصهيونية تمهيدا لفصل فلسطين عن سورية ووضعها ضمن نطاق النفوذ البريطاني.الا ان هذه الاتفاقية ظلت سرية وشارك العرب في احداث الحرب العالمية الاولى ، ومع أن فلسطين كانت من نصيب القوات البريطانية الزاحفة من مصر بقيادة اللنبي ولم يسمح للقوات العربية بالمشاركة في دخول القدس٩ـ١٢ـ١٩١٧ الا ان مساهمة الشباب العربي في فلسطين لم تكن اقل نصيبا من اخوانهم في احداث الثورة العربية(٤).

وحسب ابناء فلسطين ـــ بعد أن تحررت اجزاء كثيرة منها من الحكم العثماني قبل انتهاء الحرب ـــ ان عهدا جديدا قد بدأ لممارسة حقهم في الاستقلال(٥)، ولكن خاب املهم من جهة بوضع المنطقة المحررة تحت الحكم العسكري البريطاني ، ومن جهة اخري أعتراف الحكومة البريطانية بالاهداف السياسية للحركة الصهيونية في تصريح بلفور ٢ نوفمبر تشرين ثاني ١٩١٧ .

ومع أن وعد بلفور لم يذع رسميا وحاولت السلطات العسكرية عدم نشره برقابة ودعاية نشطة(٦) ، الا ان اخباره وصلت مصر اولا ثم تسربت الى فلسطين واثار خوفا وشكوكا في اهدافه الحقيقية ورأى فيه العرب انكارا لرغباتهم ولحريتهم السياسية . وقد كان العداء العربي للمطامع الصهيونية معروفا للحكومة البريطانية قبل وبعد تصريح بلفور ، وتقارير كلايتون ووينجيت بعد الاحتلال البريطاني تذكر الاستياء العربي ضد السياسة البريطانية تجاه الصهيونية والتخوف من اقامة حكومة يهودية في فلسطين(٧). وحاول خبراء الشئون العربية في الحكومة البريطانية القضاء على هذا التخوف وفرضت رقابة مشددة على كل الاخبار والصحف الواردة الى فلسطين(٨). الا انمجيء اللجنة الصهيونية الى فلسطين (ابريل نيسان ١٩١٨) برئاسة وايزمان هو في حد ذاته دليل عن الدعم البريطاني للحركة الصهيونية . في حين حرمت اغلبية الشعب في فلسطين من وجود منظمة مشابهة للدفاع عن مصالحها(٩).

وحاولت اللجنة الصهيونية ان تخفف من مخاوف العرب وتقنعهم بفكرة التعاون مع التأكيد على المعنى الضمني للتصريح بخلق مركز روحي معنوي في فلسطين(١٠) ، كما هيأت السلطات البريطانية لقاء بين فيصل ووايزمان في معسكر الاول قرب العقبة في ٤ـ٦ـ ١٩١٨ ، علق وايزمان عليه اهمية كبرى لترسيخ اسس الصداقة بينه وبين فيصل(١١). واصدرت بريطانية وحلفاؤها تصريحات جديدة كانت ترافق زحف القوات العربية والحليفة في سورية تؤكد عن عزم الحكومة البريطانية على احترام وعودها نصا وروحا بعد الحرب(١٢) .

قيام الحكومة العربية في دمشق والتطورات الادارية والسياسية في فلسطين :

توجت الثورة العربية بدخول دمشق ١٩١٨/٩/٣٠ واعلان الحكومة العربية عنها. الا انه عمليا لم يكن بيد هذه الحكومة الا القسم الداخلي من سورية ، أمـا العراق وفلسطين فكانت تحتلهما القوات البريطانية،كما نزلت القوات الفرنسية في ساحل سورية الشمالي وفشلت محاولة لاعلان حكومة عربية هناك .

وتولى اللنبي بصفته القائد العام للقوات الحليفة المسؤولية الكاملة في سورية التي اعتبرت جزءا من اراضي العدو المحتلة Occupied Enemy Territory وقسمت الى ثلاث مناطق ادارية : المنطقة الشرقية وتعرف بأسم O.E.T.E. وكانت تشمل ولاية دمشق (بما فيها الوية حماه حوران الكرك) مع القسم الجنوبي من ولاية حلب ، وضعت تحت الادارة العربية العسكرية وتولى فيصل قيادة القوات العربية بصفته قـائدا من قـواد الحلفاء . المنطقة الغربية : O.E.T.W. وتشمل جبل لبنان وكل منطقة الساحل من عكا حتى اسكندرون وهي تحت الادارة الفرنسية العسكرية . أما فلسطين فقـد اعتبـرت المنطقة الجنوبية من أراضي العدو المحتلة O.E.T.E. وكانت تحت الادارة البريطـانية العسكرية(١٣) .

وقبل العرب هذا الاجراء لانه مؤقت الى ان تتم التسوية النهائية ، طالما ان هذه المناطق هي جزء من الدولة العربية الواحدة التي كانوا يتطلعون الى تحقيقها في مؤتمـر السلم المقبل في باريس ، على أساس انها حقهـم الطبيعي في الاستقلال والوحدة الذي دعـم بانتصار القوات العربية ووعود الحلفاء اثناء الحرب .

وشغل القائمون في الحكم في دمشق بمهام ادارة شئون البلاد واعادة تنظيمها وساهم في ذلك ابناء البلاد العربية ، وشارك في ذلك ابناء فلسطين سواء في الدوائر الحكومية او في المجالات الثقافية(١٤) . كما ازداد النشاط السياسي وشكلت احزاب جديدة الى جـانب الاحزاب السياسية التي تعود الى مطلع اليقظة العربية الحديثة قبل الحـرب الاولى ، وتمتعت بدعم شعبي واسع لما نادت به من مبادىء عامة كالاستقلال والوحدة . ولـم يقتصر هذا النشاط على حدود المنطقة الشرقية بل امتد الى الجنوب والساحل. وفي مطلع نوفمبر تشرين الثاني ١٩١٨ تأسس في القدس ناد عربي غايته « حفظ كيان البلاد ... يسعى لاثبات شخصيته ووجوده في الساحات الحربية يدافع عن استقـلال الامة ... ويسعى لتثبيت روح الجد والنشاط في الاعمال بين افراد الشعب في فلسطين .. ويسعى لبث روح العلوم العربية .. فقد اعاد مدرسة روضة المعارف الوطنية .. وتبرع كثير من اعضائه في التعليم في هذه المدرسة الوطنية ...(١٥) وبعد أيام تأسس في نابلس ناد مماثل يسعى الى غايتين : ضم شتات النابتة النابلسية وجمع الفتها ... والثـانية القـاء المحاضرات العلمية والادبية...»(١٦) كما تشكلت الجمعيات الاسلامية المسيحية في جميع انحاء فلسطين وتولت قيادة الحركة الوطنية، وقامت تظاهرات في كل مكان وبشكل سلمي تنادي بشعارات الوحدة من طورس الى رفح . وتبنت شعارا يدل على معنى عميق من الوحدة الوطنية الهلال وبداخله الصليب الذي حل محل النجمة في الشعار العثماني(١٧) . وكان براي اللنبي ان لا يحدث اي تغيير في الانظمة والقوانين الموجودة حتى قرار مؤتمر السلم ، واعتبر أن اي تشجيع من وزارة الخارجية البريطانية للصهيونية سابق لاوانه . ولا يعني هذا انه لم يكن يعطف على آمال اليهود في زيادة الهجرة الا انه كان يعبر عـن تخوفه من أعمال العنف التي يقوم بها شعب فلسطين لو ظهر اي تسامح رسمي للمشاريع الصهيونية(١٨) . واصبح اللنبي بذلك هدفا للانتقاد الصهيوني ، فاتهم مع جهازه الاداري العسكري بالموقف المعادي وغير المتعاطف مع الامال الصهيونية،وانه كان يرى من الافضل دعم المطلب العربي في سورية الموحدة تحت اشراف بريطانية بدلا مـن تجزئتهـا مـع الفرنسيين(١٩) .

ولكن الواقع ان السياسة البريطانية قد ذهبت في تطرفها لدعم الصهيونية في فلسطين حدا كبيرا ، فقد كان من بين كبار الموظفين (وجميعهم بريطانيون) تسعة يهود اثنان منهم على الاقل من الصهيونيين الكبار ولم يستلم احد من العرب مركزا تنفيذيا ، ومن عين منهم في مصالح استشارية كان من خارج فلسطين ممن جاءوا مع الجيش البريطاني من مصر والسودان(٢٠).

وكان للصهيونية وسائل كثيرة في التأثير على ساسة بريطانية وعلى وزارة الخارجية بالذات ، وارسل وايزمان مذكرات طويلة حول المطالب الصهيونية ـ مع اتهامات مبالغ فيها موجهة الى الموظفين الانجليز ـ منها نقل بعض املاك الدولة الى الصهيونيين ، وتسليم حائط المبكى والاملاك التابعة للمعسكرات الالمانية قرب يافا والقدس، ومشاركة اليهود في الادارة والاعتراف بالعبرية لغة رسمية وانشاء لجنة اراضي صهيونية وحل الجنود اليهود في فلسطين(٢١).

وقد بدأ رد الفعل العربي في فلسطين في وقت مبكر وبشكل سلمي اولا ، فمنذ اللحظات الاولى للاحتلال البريطاني قدمت الاحتجاجات الى القدس ولندن . وقدم طلب رسمي(٢٢) من عرب فلسطين الى مؤتمر السلم يطلبون فيه تمثيلهم للظهور امام الهيئة الدولية ولم يلب هذا الطلب بعكس الصهيونيين الذين مثلهم وفد منظم(٢٣) .

وتولت الجمعيات الاسلامية المسيحية قيادة الحركة الوطنية فدعت الى عقد المؤتمر العربي الفلسطيني الاول في القدس بين ٢٧ يناير كانون الثاني و١٠ شباط ١٩١٩ الذي وضع مبادىء الحركة الوطنية واهدافها في ميثاق نص على مقاومة الصهيونية والعمل على تحقيق وحدة الاقاليم السورية (ومنها فلسطين) واستقلالها والوحدة العربية الشاملة ، واصبح هذا الميثاق اساسا للحركة الوطنية الفلسطينية(٢٤).

وحاولت الحكومة البريطانية تهدئة الاحتجاجات ضد السياسة الصهيونية ، فأرسلت سايكس الى سورية ـ وكان قوة موجهة في التأثير على سياسة بريطانية في الشرق الادنى اثناء الحرب ـ ومن حلب ارسل الى وايزمان عن طريق وزارة الخارجية برقية يشرح فيها الشعور المعادي للصهيونية في سورية(٢٥).

القضية الفلسطينية في مؤتمر السلم : مناورات ومساومات :

كان العرب كسائر الشعوب الصغيرة يتطلعون الى قرار مؤتمر السلم الذي سيعقد في باريس ليحقق لهم الاعتراف بمطلبهم في الاستقلال ، او على الاقل مبدأ حق تقرير المصير الذي اعتبر مبدأ لتسوية ما بعد الحرب (٢٦). وتصوروا ان الهدف الذي قاموا من اجله قد تحقق بعد أن قاموا بنصيبهم كاملا في الاتفاقية بينهم وبين الحلفاء او بريطانية بالذات.

ولكن تبين على ابواب المؤتمر البون الشاسع بين ما يطالب به العرب وبين ما ترضى الحكومة البريطانية ان تعترف به ، ومع ذلك اعتبروا ـ او على الاقل الوفد العربي الوحيد الذي سمح له بالتمثيل في مؤتمر السلم وهو الوفد الحجازي برئاسة فيصل ممثل الحسين ـ الحكومة البريطانية صديقتهم الوحيدة في تلك الفترة منها يستمدون النصح والمشورة .

ووقفت الحركة الصهيونية كاتجاه اخر (الى جانب المشاريع الفرنسية) لمعارضة تحقيق المطالب العربية في المؤتمر ، وكان زعماؤها قد اقدموا على توسيع نشاطهم بعد أن مالت كفة الحلفاء الى النصر بعقد اجتماعات ومؤتمرات بتوجيه من وزارة الخارجية البريطانية لوضع الخطوط العريضة للوطن القومي اليهودي استعدادا لمؤتمر السلم(٢٧) . وقد كسبوا الى جانب الدعم البريطاني دعم الوفد الامريكي الرسمي وعلى راسه ويلسون الذي ذكر بأن « الوطن القومي اليهودي كان احد اثنين من المنجزات الجديدة التي انبثقت عنها الحرب الى جانب عصبة الامم »(٢٨).

وانتظارا لافتتاح مؤتمر السلم جرت في لندن مباحثات جانبية بدأها بلفور وكليمنصو حيث

اتفقا على اجراء تعديل في توزيع مناطق النفوذ حسب سايكس بيكو تنازل كليمنصو بموجبه عن منطقة الموصل ، كما رضي ان يستبدل الادارة الدولية في فلسطين بأشراف بريطاني وذلك كله مقابل دعم بريطاني لمطالب فرنسة في سورية امام مؤتمر السلم(٢٩) . وبعد اسبوع من هذا التفاهم بدأت مباحثات رسمية بين الوفد العربي برئاسة فيصل ووزارة الخارجية البريطانية تولاها بلفور شخصيا ولم يذكر بلفور في التقارير التي كتبها عن المحادثات فيما اذا كان قد تباحث معه حول السياسة البريطانية المقبلة فيما يتعلق بفلسطين والعراق اذ كان واثقا كوالده ان العرب سوف يتوصلون الى تسوية ودية حول هذه الامور(٣٠) . وقد شعر فيصل من مجرى مباحثاته ان الادعاءات الفرنسية هي الخطر المباشر للدولة العربية فيسورية، وان بريطانية ليست مستعدة للنزاع مع فرنسة حول سورية مهما كانت تعطف على الاماني العربية ، وانه لا يمكن تأمين دعم بريطاني — وهو الدعم الوحيد الى الان نظرا لان بقية الدول مشغولة بشئونها الخاصة وليس لها مصالح مباشرة مع سورية — الا بالتنازل عن بعض المصالح العربية . ويبدو ان وزارة الخارجية البريطانية كانت تحتاج الى اعتراف من فيصل بسياستها حيال الصهيونية قبل عرض القضية على مؤتمر السلم دون الرجوع الى عرب فلسطين ، فدفعته الى الاتفاق مع الزعماء الصهيونيين للتوفيق بين المطالب الصهيونية والعربية ، كما أن فيصلا كان يرى أنه اذا توصل الى تفاهم مع الصهيونيين فسيوحدون جهودهم للحد من اطماع فرنسة في سورية(٣١) . وقد ذكر فيصل الى الصحفي البريطاني جفرز في مارس اذار ١٩٢٠ « ان العرب قد حرموا من الوصول الى المتوسط وانه كان يطالب بالوفاء بالوعود التي اعطيت لوالده ولكن ايديا حكومية رسمية كانت تقبض عليه وتدفعه في صداقة جديدة نحو وايزمان »(٣٢) .

ولا يعرف بالضبط ما الذي تم بين الامير ووزارة الخارجية حتى تمكنت بشخص لورنس (الذي كان قد الحق نفسه بالوفد العربي دون صفة رسمية) من اقناعه بعقد اتفاق مع وايزمان في٣ يناير كانون ثاني١٩١٩كتبها لورنس بخط يده بالانجليزية وقدمها الىفيصل بعد ان اعطى ايضاحا شفهيا عن محتوياتها . ويبدو أن فيصلا قد قبل في الاتفاقية تساهلا مع البرنامج الصهيوني في فلسطين او على ما قيل القبول بمضمون تصريح بلفور : فقد اتفق الطرفان على أن تتخذ كافة الاجراءات لتنفيذ وعد ٢ نوفمبر في دستور ادارة فلسطين (مادة ٣) . وان تتخذ كل التدابير الضرورية لتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين على ان تحفظ حقوق الفلاحين والمزارعين العرب (مادة ٤) وان ترسل المنظمة الصهيونية لجنة لدراسة اوضاع فلسطين وامكانياتها ومدى استثمارها لصالح العرب واليهود (مادة ٧) وان تكون الحكومة البريطانية هي الحكم في حالة نشوب خلاف بين الطرفين (مادة ٩)(٣٣) .

وقد ذكر لي المرحوم عوني عبد الهادي (وكان عضو الوفد العربي الذي لم يشترك احد منه في المحادثات) « وكم كانت دهشتنا كبيرة نحن اعضاء الوفد الحجازي حين اعلمنا سموه انه وقع اتفاقية مع الزعيم الصهيوني كتبها لورنس بخط يده بالانكليزية وترجمها لسموه بلغته العربية الركيكة ، ولما شاهد دهشتنا لتوقيع اتفاقية كتبها اجنبي لصالح اجنبي باللغة الانكليزية ولا يعرف سموه كلمة منها قال : من حقكم ان تدهشوا لتوقيعي مكتفيا بترجمتها ولكن دهشتكم ستزول حين تعلمون اني لم اوقع هذه الاتفاقية قبل أن اعلق خطيا موافقتي عليها في حالة موافقة الحكومة البريطانية على المذكرة التي سبق ان قدمتها الى وزارة الخارجية والتي تحوي طلب استقلال البلاد العربية كافة في آسية وفلسطين تدخل في هذه الحدود واكدت اني غير مسئول عن تنفيذ كل ما ورد في هذه الاتفاقية فيما اذا عدل في هذه المذكرة اي شيء ورد فيها » .

وقد اورد انطونيوس هذا الشرط في كتابه على النحو التالي : « يجب ان اوافق على

المواد المذكورة اعلاه بشرط ان يحصل العرب على استقلالهم كما طلبت بمذكرتي المؤرخة في ٤ ينـــاير كانون ثاني ١٩١٩ المرسل الى وزارة الخارجية البريطـــانية ، ولكـــن اذا وقع اقل تعديل او تحويل مني ان لا أكون عندها مقيدا بأي كلمة وردت في هذه الاتفاقية يجب ان لا أكون مسئولا بأي طريقة »(٣٤) وكما اخبر فيصل الصحفي جفرز شخصيا في مارس اذار ١٩٢٠ بأنه لم تكن لديه افكار واضحة عما تعنيه المقترحات او عن المشاريع الجديدة للصهيونية وكل ما اخبر به هو خطة لايجاد مستعمرات يهودية لهـــا حكم ذاتي بشروط ستسوى فيما بعد ، ورأى انه بالامكان أيجاد تعاون بين العرب واليهود خاصة بعد ما علمه من تأكيدات هوغارت ووايزمان ولورنس بأن اليهود لا يسعون الى اقـــامة دولة مستقلة في فلسطين وان هدفهم انعاشها فقط دون ان يؤثر ذلك على مصالح العرب المشروعة(٣٥) . الا ان المرحوم عوني عبد الهادي قد ذكر لي « ان هذا لا يخلي سمـــوه من نقد الناقدين واعتبار عمله هذا خطأ سياسيا كبيرا ، ومـــا كـــان لفيصل أن يعـــود باجنبيين احدهما يهودي والثاني انكليزي ويوقع على اتفاقية كتبها اجنبي بلغة اجنبيـــة مهما بلغت ثقته بلورنس ، وان علاقة لورنس نفســـه بالاتفـــاقية حجـــة كبيرة ضـــد فيصل »(٣٦) .

ورغم الاهمية الكبرى التي يعزوها وايزمان الى الاتفاقية نجد ان كل ما ادعاه الصهيونيون قد وافق عليه فيصل بشكل شخصي وانها كانت مجرد اقتراح لم تقدم على الاطلاق لتصل الى مرحلة المعاهدة ونظرا لانها لم تعرض على الحسين او على الحكومة العربية فليس لها ادنى قيمة في التعبير النهائي من السياسة العربية ، وان مجرد انتظار وايزمان سبعة عشر عاما لنشر الاتفاقية كانت فيها فلسطين تعاني القلق والدمار دليل كاف علـــى أن لا قيمة لها .

واهمية الاتفاقية انها كانت احدى وثيقتين تنسبان الـــى فيصل ويملكهـــا الصهيونيون كدليل على حصولهم على موافقة العرب على الخطط الصهيونية قبل البدء بتنفيذهـــا . والوثيقة الثانية هي التي نسب الى فيصل انه قد وجهها الى فرانكفورتر (عضو الوفـــد الصهيوني الاول الى مؤتمر الصلح وقاض في المحكمة العليا واستاذ في جامعة هارفارد) بعد احتجاج زعماء الصهيونيين على تصريح أدلى به فيصل الى صحيفة الماتان Matin في مارس ١٩١٩ بمعارضته تأسيس وطن قومي لليهود . وجاء التوضيح علـــى شكل رسالة تؤكد على التفاهم المتبادل بين اهداف العرب واليهود الذين « هم اولاد عمومـــة في العرق يعانون مظالم متشابهة على يد دول اقوى منهم » وعن عطف العرب وخاصة المثقفين منهم على الحركة الصهيونية ، وموافقة الوفد العربي في باريس على مقترحات المنظمة الصهيونية .. وعن سعي الطرفين للعمل من أجـــل احيـــاء الشرق الادنى .. « والتعاون لازالة المرارة التي خلقتها المؤامرات التركية بين سكان المستعمرات اليهودية والفلاحين العرب وذلك بالارادة المشتركة والمعرفة الكاملة »(٣٧). وفي مذكرات لم تنشر بعد يذكر المرحوم عوني عبد الهادي «انه لا صحة اطلاقا لرسالة فرنكفورتر وانما اذاعها وايزمان ولورنس لتضليل الراي العام ومن الادلة على عدم صحتها : لم يترام الى علمه ان مقابلة تمت في ذلك التاريخ بين الامير ووايزمان وفرنكفورتر ولورنس ، كمـــا انه لم يشهد بوصفه سكرتيرا للامير احتجاجا من هذا النوع ..» كما انه غير صحيح ان عوني انكر المقابلة الصحفية بين رئيس تحرير الماتان وبين فيصل..«لو صح ما يدعيه وايزمان عن هذه المقابلة وانكار سموه لها فلماذا لم يطلب من سموه تكذيب هذه المقابلة في جريدة الماتان ليطلع جميع الناس على الحقيقة بدلا من هذه الرسالة المزعومة »(٣٨).

وتعتبر هذه الرسالة مثل الاتفاقية السابقة خطة ستراتيجية للحصول على وثيقة عربيـــة بالموافقة على الخطط الصهيونية ، وكان فيصل الذي يقع تحت تأثير وضغط الحكومـــة البريطانية ـــ كما يبدو ـــ هو الوسيلة الوحيدة لاستمالة العرب مع أنه بالفعل كان عاملا

ثانويا لان الحلفاء بيدهم كل شيء .
بعد هذه المباحثات الجانبية عرضت القضية العربية على مؤتمر السلم في ١٩١٩/٢/٦، وكانت فرص فيصل في النجاح ضئيلة والى جانبه لورنس الذي ربط نفسه بالوفد العربي دون صفة رسمية رغم ان الفرنسيين كانوا معادين لوجوده واعضاء الوفد العربي يشكون بخططه(٣٩) . وكان خطاب فيصل امام مجلس العشرة في مبنى وزارة الخارجية الفرنسية توسيعا لمذكرتين قدمهما الوفد العربي الى مؤتمر السلم : الاولى في ١٩١٩/١/١ (٤٠) والثانية في ١٩١٩/١/٢٩(٤١). في المذكرة الاولى عرضت المطالب العربية على أساس مبادىء عامة منها حق الشعوب الناطقة بالعربية في آسية ــ اعتبارا من الخط الممتد شمال الاسكندرون وديار بكر حتى سواحل الهندي جنوبا ــ بالاستقلال والوحدة ، ولكن نظرا لتباين هذه الشعوب الاجتماعي والاقتصادي (حسب ما تذكره المذكرة) فقد اقترح تعيين مصير كل جزء منها : ان تمنح سورية نظرا لتطورها السياسي والاقتصادي استقلالا ذاتيا ولا بأس من الاستعانة باخصائيين اجانب ، اما الجزيرة (شمال سورية) والعراق فرغم المطالبة بحكومة عربية فيهما فلا مانع من اشراف احدى الدول الكبرى على مساعدتهما لتطوير امورهما الداخلية ، اما بالنسبة لفلسطين فرغم ان اكثرية سكانها من العرب وصلتهم وثيقة مع اليهود فلا بد من وصاية احدى الدول الكبرى لمنع اي منازعات قد تحدث في المستقبل بين العنصرين . ولكن هذه الفروق الاجتماعية والاقتصادية لا تشكل عقبة امام الوحدة التي هي هدف الحركات القومية(٤٢) .
واكدت المذكرة الثانية في ١٩١٩/١/٢٩ على طلب الاستقلال والوحدة وارفق بالمذكرة النقطة الثانية من خطاب ويلسون في مونت فرنون ٤ يوليو تموز ١٩١٨(٤٣). ورغم ان الصهيونيين لا يمثلون دولة، والسكان اليهود يشكلون أقل من ١٠٪ من سكان فلسطين فقد ارسلوا وفدا استقبل بود في باريس للحصول على تأكيد دولي لوعد بلفور وتأمين ضمه الى نص معاهدة السلم وميثاق العصبة ، لذلك رفضوا ضم فلسطين الى دولة عربية او تدويلها كما عارضوا مبدأ تقرير المصير لانه اذا طبق على فلسطين سيحول دون تأسيس دولة يهودية ، ورحبوا بادارة بريطانية للمنطقة فاتفقت مصالحهم بذلك مع مصلحة بريطانية ، وقد رفعت المنظمة الصهيونية مذكرتها الى مؤتمر السلم في ١٩١٩/٢/٣ وطالبت بحق الشعب اليهودي التاريخي باقامة وطن قومي في فلسطين على ان يعهد الى بريطانية بالانتداب من قبل العصبة لوضع فلسطين في ظروف سياسية واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي وتعمل على تشجيع الهجرة والاستيطان وتوسيع الحكم الذاتي ، والحق بالمذكرة الحدود التي تقترحها المنظمة الصهيونية لفلسطين، ومن الملاحظ ان المذكرة وضعت في مقدمتها الفقرات الخاصة المتعلقة بفلسطين من مذكرة فيصل في ١٩١٩/١/١(٤٤) . وظهر الوفد الصهيوني امام مجلس العشرة في ٢٣ فبراير شباط وعرض سوكولوف حق اليهود باقامة وطن قومي على أساس وعد بلفور وطلب انتدابا بريطانيا يؤمن هجرة يهودية وحكومة محلية،كما بحث وايزمان المركز الاقتصادي للشعب اليهودي ، وطالب بايجاد ادارة في فلسطين تحت حكم الانتداب تكفل حسب الشروط الطبيعية للبلاد تشجيع الهجرة اليهودية على ان تصبح فلسطين يهودية بقدر ما هي انجلترا انجليزية(٤٥).
لم يتوصل مؤتمر السلم الى اي قرار نهائي حول مستقبل البلاد العربية عدا القرار الذي اتخذ في ١٩١٩/١/٣٠ بفصل اجزاء معينة من الامبراطورية العثمانية تشمل سورية وفلسطين والعراق وارمينية وكليكيا واجزاء اخرى من آسية الصغرى ووضعها تحت اشراف العصبة عن طريق حكومات تعمل كدول منتدبة تستطيع ان تأخذ على عاتقها رفاهية الشعوب وتقدمها ! وكان هذا القرار اساسا للمادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم الذي انهى وضع مسودته النهائية في ١٩١٩/٤/٢٨ . الا ان اهم قرار في صالح القضية

العربية هو موافقة المجلس الاعلى للحلفاء في ١٩١٩/٣/٢٥ على اقتراح ويلسون بارسال لجنة تحقيق من هيئة خبراء ومن الدول الكبرى لمعرفة رغبات السكان في المنطقة والتحقق من الوضع « وعلى اساس الوقائع المكتشفة يمكن ارساء العدالة وتأمين السلام »(٤٦). وكانت فرنسة لا ترغب لاي لجنة بالدخول الى البلاد من اجل التحقيق الا اذا شمل العراق وفلسطين(٤٧) . كما وقفت بريطانية من القضية موقف الفتور نظرا للخلاف الذي كان يدور حول حدود الموصل وبسبب الضغط الصهيوني . فقد وقفت الحركة الصهيونية ضد فكرةالتحقيق في فلسطين وكانبلفور قد احتج منذ ١٩١٩/٣/٢٢ على ضم فلسطين الى منطقة التحقيق حتى لا يكشف تقرير اللجنة الذي سيوصي بانشاء حكومات وادارات تستمد سلطتها من الاختيار الحر للسكان « ان العرب يرغبون بحكومات عربية »(٤٨).

ونتيجة لانسحاب فرنسة وانكلترة من عضوية اللجنة أصدر ويلسون تعليماته الى الاعضاء الامريكيين بالذهاب الى سورية حيث وصلوا يافا في ١٩١٩/٦/١٠ باسم
The American Section of the International Commission on Mandatory in Turkey.
وعرفت باختصار بأسم لجنة كنغ كرين(٤٩).

فلسطين والمؤتمر السوري ولجنة كنغ كرين :

كان السوريون يعلقون اهمية كبرى على اللجنة الدولية ويرون انها ستقرر مصير البلاد، وخاصة لما كان يذيعه فيصل بعد قدومه عن الامال المرتقبة التي ترتبط بمقدم لجنة التحقيق الدولية . وقد تقدم عدد من المسئولين فيالحكومة العربية باقتراح تشكيل مؤتمر وطني عن طريق انتخابات شرعية تجمع ممثلين عن المناطق السورية الثلاث على قدم المساواة ، وذلك لتتبين اللجنة القادمة راي الشعب في مصير البلاد(٥٠).

وكانت الصعوبة الكبرى التي واجهت الجميع هو انتخاب الاعضاء اذ ان السلطات العربية لم تكن ممثلة في مناطق الاحتلال الفرنسي والبريطاني ، ونظرا لاعتقاد الجميع ان اللجنة ستصل قريبا جرت انتخابات سريعة في المنطقة الشرقية وفقا لقانون الانتخاب العثماني . اما المنطقتان الغربية والجنوبية (أي الساحل السوري الشمالي وفلسطين) فقد شارك ممثلوها في المؤتمر بمضابط توكيل من الاعيان والزعماء . وشاركت فلسطين (أو ما أصبح يعرف بأسم سورية الجنوبية)بـ ١٥ عضوا(٥١) من اصل ٦٩ ومع انه لم يراع النهج المألوف في الاجراءات الانتخابية في كل المناطق فمما لا ريب فيه ان المؤتمر كان مجلسا تمثيليا لسورية كلها بمناطقها الثلاث ، ومقرراته تعد معبرة عن الاراء التي كانت تسود الاكثرية ، وقد اقر بذلك اعضاء اللجنة الامريكية انفسهم(٥٢). وتمخضت مداولات المؤتمر عن عشرة قرارات(٥٣) عمل فيها الاعضاء جهدهم لتأكيد استقلال سورية التام ضمن وحدة عربية مستقلة دون حماية ولا وصاية، مع اظهار احتجاجهم على المادة ٢٢ من ميثاق العصبة . وكانت المواد المتعلقة بفلسطين هي ثلاث : مادة ٧ : « اننا نرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبي من البلاد السورية ، اي فلسطين ، وطنا قوميا للاسرائيليين ونرفض هجرتهم الى أي قسم من بلادنا ، لانه ليس لهم فيها ادنى حق ولانهم خطر شديد جدا على شعبنا » . مادة ٨ : « اننا نطلب عدم فصل القسم الجنوبي من سورية المعروف بفلسطين ، والمنطقة الغربية الساحلية التي من جملتها لبنان عن القطر السوري ، ونطلب ان تكون وحدة البلاد مصونة لا تقبل التجزئة بأي حال كان » . مادة ١٠ : « .. ان القاعدة الاساسية من قواعد الرئيس ويلسون التي تقضي بالغاء المعاهدات السرية تجعلنا نحتج على كل معاهدة تقضي بتجزئة بلادنا السورية، او كل وعد خصوصي يرمي الى تمكين الصهيونيين فيالقسم الجنوبي منبلادنا، ونطلب ان تلغى تلك المعاهدات والوعود بأي حال كان » .

وكانت مهمة اعضاء المؤتمر السوري الاول عرض هذه القرارات على اللجنة الامريكية

حين وصولها وتعريفها على رغبات الشعب . وقد استعدت الاوساط الوطنية في فلسطين لاستقبال اللجنة التي قابلت عددا من الوفود كما تلقت عرائض كثيرة . وقد اتفقت ٨٥٪ من العرائض على رفض البرنامج الصهيوني (٢٢٢ عريضة من اصل ٢٦٠) . وكل من استشارته اللجنة كان يؤمن بأن البرنامج لا يمكن تنفيذه الا بالقوة ، عدا يهود فلسطين الذين لم يتجاوز عددهم عشر السكان اذ لم يتورعوا عن تأييد المطالب الصهيونية وطلب وصاية انكلترة(٥٤) .

وقد وجدت بين مجموعة اوراق محب الخطيب ورقتان مطبوعتان توضحان ما دار بين اللجنة الدولية وسكان سورية الجنوبية (فلسطين) والمطالب التي قدموها على النحو التالي : « ١ — ان تكون بلادنا (سورية) التي تبتدىء شمالا بجبال طوروس وتنتهي برفح وغربا بالبحر المتوسط وشرقا بالبادية كتلة واحدة غير متجزئة مستقلة استقلالا تاما بلا حماية ولا وصاية ولا ما يغير معناها . ٢ — ان تكون مقاطعتنا سورية الجنوبية «فلسطين» التي هي جزء لا ينفك عن سورية مستقلة استقلالا داخليا تنتخب حكامها وتسن قوانينها الداخلية وفقا لرغائب سكانها الوطنيين وحاجات البلاد . ٣ — نرفض هجرة اليهود الى بلادنا رفضا باتا ونحتج على الصهيونية بكل قوانا ولا نرضى بحال من الاحوال ان تكون مقاطعتنا وطنا قوميا لليهود . أما اليهود الاصليون الموجودون في بلادنا قديما فاننا نعتبرهم وطنيين لهم ما لنا وعليهم ما علينا »(٥٥) . وقد سألت اللجنة وفد الاهالي في يافا « لماذا ترفضون المهاجرة الصهيونية ؟ وهل ترفضونها ابديا ام لمدة ؟ فأجابوا نرفضها ابديا لان البلاد بلادنا وهي عرب قبل اليهود وللاسباب الاقتصادية (وفصلوا الاسباب) »(٥٦) . وقد سألت اللجنة وفد الجمعية الاسلامية المسيحية في القدس « لماذا نرفضون المهاجرة الصهيونية ؟ فأجابوا : للاسباب الاقتصادية والجغرافية (كما ذكر اليافاويون) فسئلوا : وان لم يمكن رفض المهاجرة فماذا تعملون ؟ فأجابوا : اما ان نلقيهم في البحر او يردونا الى البادية »(٥٧) .

وقد قضت اللجنة ٤٢ يوما في انحاء متفرقة من المناطق السورية وفي ١١ يوليو تموز ١٩١٩ ارسل كنغ وكرين برقية الى ويلسون لخصا اراءهما حول الوضع في سورية « ان هناك امورا لا يمكن الخطأ فيها وهي الرغبة العميقة بالوحدة والاستقلال في سورية وفلسطين »(٥٨) . وكان من جملة الملاحظات التي أرسلت الى لندن عن طريق القاهرة في ١٩ يوليو « بأن البرنامج الصهيوني لا يمكن تنفيذه الا بالقوة ، ضد رغبات العرب ، وان هناك رغبة عامة بالوحدة السورية »(٥٩) .

ووصفت توصيات اللجنة في ١٩١٩/٨/٢٨ في تقرير طويل :(٦٠) :

وكانت أهم التوصيات هي المتعلقة بفلسطين فقد بدأت اللجنة عملها وذهنها مهيأ مسبقا في صالح الصهيونية اذ كانت معجبة بنجاح أساليبها الحديثة ولكن واجهتها حقائق صريحة دفعتها الى التوصية بتعديل كبير للبرنامج الصهيوني المتطرف حين اجتمعت اللجنة بالصهيونيين الذين يتطلعون نحو تجريد كامل للسكان المحليين من غير اليهود بأشكال مختلفة من البيع(٦١) . « ... فاذا كان هذا المبدأ (اي مبدأ ويلسون) واذا كانت رغائب السكان في فلسطين سيعمل بها فيما يتعلق بفلسطين فيجب الاعتراف بأن السكان غير اليهود في فلسطين — وهم تسعة اعشار السكان كلهم تقريبا — يرفضون البرنامج الصهيوني رفضا باتا ... فتعريض شعب هذه حالته النفسية لمهاجرة يهودية لا حد لها ولضغط اقتصادي اجتماعي متواصل ليسلم بلاده — نقض شائن للمبدأ العادل الذي تقدم شرحه ، واعتداء على حقوق الشعب وان كان ضمن صور قانونية ... ولا ينبغي لمؤتمر الصلح ان يتجاهل ان الشعور ضد الصهيونية في فلسطين وسورية بالغ اشده وليس من السهل الاستخفاف به فان جميع الموظفين الانجليز الذين حادثتهم اللجنة يعتقدون ان البرنامج الصهيوني لا يمكن تنفيذه الا بالقوة المسلحة ويجب ان لا تقل هذه القوة عن

خمسين الف جندي ، وهذا في نفسه برهان واضح على مـا في البرنامج الصهيوني من الاجحاف بحقوق غير اليهود ... بناء على ما تقدم تشعر اللجنة مع عطفها على مسألة اليهود ان الواجب يقضي عليها بأن تشير على المؤتمـر ان لا يؤيد غير برنامج صهيوني معتدل يجب العمل فيه بالتدريج وبعبارة اخرى يجب تحديد المهاجرة اليهودية الى فلسطين والعدول بتاتا عن الخطة التي ترمي الى جعل فلسطين حكومة يهودية ... ولا يوجـد هناك سبب يمنع ضم فلسطين الى سورية المتحدة كاقسام البلاد الاخرى ووضع الاماكن المقدسة تحت ادارة لجنة دولية دينية تكون تحت اشراف الدولـة الوصية وعصبة الامم ويكون لليهود بالطبع عضو في هذه اللجنة .. »(٦٢).

لم ينشر تقرير لجنة التحقيق الامريكية في حينه ، واختفـى في ملفات وزارة الخارجيـة الامريكية في واشنطون حتى عام ١٩٢٢ حيث نشر بعد ان فقد اي تأثير في تسوية القضايا التي عالجها(٦٣). وربما كانت التوصيات المتعلقة بالشعور المعـادي لفرنسة في سورية وللبرامج الصهيونية في فلسطين قد دفع كلا من الحكومة الفرنسية والبريطانية للتدخل لدى الوفد الامريكي ووزارة الخارجية في واشنطون لاخفاء التقرير . ووجهـات النظـر الصهيونية اعتبرت التقرير منحازا . وتوصياته لا يمكن العمل بها وان اخفاءه كان الطريقة الوحيدة لانهاء الوضع الذي خلقه تعيين اللجنة(٦٤).

وبذلك اثبتت هذه المحاولة التي قام بها مؤتمر السلم للكشف بدقة معقولة عن الرغبات الحقيقية في المنطقة عدم جدواها في التأثير على مجرى السياسة نظرا لانه قد تقرر توزيع مناطق النفوذ بين الحكومة الفرنسية والبريطانية حتى قبل ان تباشر اللجنة مهامها(٦٥).

عودة الى مناورات لندن وباريس :

بعد رحيل اللجنة كانت سورية بمناطقها الثلاث في حالة قلق آخذ في الازدياد لعدم الوصول الى تسوية حول تقرير مصير البلاد . وقـد صور تقرير مرسل من مقـر قيادة الحملة المصرية في ٣٠ اغسطس الوضع في سورية بعد رحيل اللجنة ، وان المعارضة للصهيونية قد نمت في فلسطين الى حد كبير ، وان عرب فلسطين يعتبـرون انفسهم قبل كل شيء سوريين كجزء من بقية السكان ، كما بين التقرير الصعوبات العملية في الوقت الحاضر التي تحول دون تحقيق الوطن القومي اليهودي والتي ستزداد خطورة في المستقبل(٦٦). تبين لفيصل بالذات صعوبة ايقاف المقاومة الفلسطينية للسياسة الصهيونية(٦٧). فطالب في رسالة له الى لويد جورج « باسم الشرف البريطاني والعدالة الانسانيـة ان لا يكون جزاء العرب على اخلاصهم وتضحياتهم هو تجزئة بلادهم »(٦٨).

والواقع ان الحكومة البريطانية كانت ترغب بالانتهاء من مغامرة الحرب في الشرق بشكل يرضي مؤقتا فرنسة والمصالح الصهيونية دون ادنى اهتمـام للمشاعر العربية ، ولعب بلفور دورا بـارزا في توجيه السياسة البريطانية ، فقدم مذكرة في ١٩١٩/٨/١١ حـول سورية وفلسطين والعراق بين فيها ان سبب المصاعب الحالية هو التناقضات الموجودة بين الوثائق التالية : مراسلات الحسين مكماهون ، اتفـاقية سايكس بيكو ، التصريح المشترك ، ميثاق العصبة ، التعليمات التي اعطيت الى لجنة كنـغ كرين . وبرأيه ان التناقض يبدو اكثر وضوحا بين لغة الميثاق وسياسة الحلفاء في فلسطين، فالدول الغربية قد وعدت بتأييد الصهيونية : « فكيف يمكـن التوفيق بين هذا الوعـد وبين الميثاق او تعليمات لجنة التحقيق الامريكية ؟ »(٦٩). ولذلك اقترح التمسك بالفكرة الاساسية التي تكمن وراء سايكس بيكو .

وعلى ضوء هذه المذكرة قدم لويد جورج الى المجلس الاعلى لمؤتمر السلم في ١٩١٩/٩/١٥ صورة عن اتفاقية فرنسية انجليزية مؤقتة لسحب القوات البريطانية من سورية الداخلية عدا فلسطين والعراق على ان تحل القوات الفرنسية غربي خط سايكس بيكو والعربية شرقي هذا الخط(٧٠).

وفيما كان الراي العام العربي ينتظر جلاء القوات الاجنبية كلها عن سورية كاملة ، اذ به يفاجأ برسم حدود فرنسية بريطانية عبر سورية على أساس خط سايكس بيكو ورغبات الصهيونية . وكانت هذه الاتفاقية بداية لتقسيم سورية الى منطقتي انتداب وخلق فلسطين كوحدة منفصلة ، رغم ما قيل ان الاتفاقية مؤقتة .

وكان لا بد من ابلاغ فيصل شخصيا بموضوع انسحاب القوات الانجليزية(٧١) وبدأت سلسلة مباحثات في داوننغ ستريت من ١٩/٩ — ١٤/١٠/١٩١٩ انتهت بالفشل . وفي خلال مباحثات فيصل في لندن تقرب منه وايزمان من جديد يعرض عليه تقديم اموال وخبراء للحكومة العربية ، واقناع الحكومة الفرنسية بالتخلي عن ادعائها في المنطقة الداخلية مقابل مساعدة الامير في تحقيق البرامج الصهيونية في فلسطين .

ويبدو ان الامور قد توقفت عند هذا الحد لان الامير كان يريد من الصهيونيين ان يضعوا ثقلهم الى جانب العرب ضد الفرنسيين ، بينما كان وايزمان يرى بأن يحتل الفرنسيون المناطق الساحلية الان ثم يمكن اخراجهم فيما بعد(٧٢) .

وفي حديث لفيصل الى مندوب صحيفة الجويش كرونكل ٣/١٠/١٩١٩ ردا على عبارة ادلى بها اسرائيل زانجويل « بأن كل اليهود يتطلعون الى اقامة وطن قومي في فلسطين بحيث يصبح في النهاية دولة يهودية » ، ذكر « أن فلسطين هي جزء من سورية .. ومع انه لا يزال يتفق مع رأي وايزمان في الهجرة والاستيطان ولكنه لا يعتقد ان فلسطين يمكن ان تستوعب اكثر من ١٠٠٠ — ١٥٠٠ مهاجر سنويا وقد تشكل فلسطين فيما بعد ولاية من الدولة السورية ذات حكم ذاتي يتمتع فيها اليهود بحقوق متساوية مع العرب»(٧٣) .

وأثار هذا التصريح رد فعل صهيوني عبر عنه هربرت صموئيل فيما بعد في محاضرة امام الجمعية التاريخية اليهودية في لندن ٢٥/١١/١٩٣٥ ذكر فيها بأنه كان عليه ان يزيل سوء التفاهم الناجم عن العبارة التي ظهرت في الجويش كرونكل وان فيصلا قد اخبره بأن ما يعترض عليه هو التأسيس المباشر لدولة يهودية في فلسطين ، مثل هذا العمل سيضع الاغلبية تحت حكم الاقلية ولكنه لا يعترض على ما يريده زعماء الصهيونية ، اي تنمية الهجرة والاستيطان . وأبرز هربرت صموئيل رسالة ذكر بأن فيصلا كان قد ارسلها له في ١٠ ديسمبر كانون أول سنة ١٩١٩ من باريس ونشرتها التيمس في ١٢ يناير (كانون ثاني ١٩٢٠) يشكر له فيها ازالة سوء التفاهم ويؤكد ان هناك اتفاقا تاما بينه وبين وايزمان سيكفل الانسجام اللازم لنجاح قضيتهما المشتركة(٧٤) .

ولو ثبت صحة هذه الرسالة فليس من العدل ان نقول ان كتابتها كغيرها من الرسائل السابقة كانت، بالنيابة عن الحركة العربية او عن زعمائها لانه لم يكن هناك اي زعيم له صلاحية منح هذه الوثائق ، فقد بدأت بفيصل وانتهت به ، ونظرا لانها لم تعرض على الحسين ولا على غيره من زعماء الحركة العربية فليس لها أدنى قيمة كتعبير نهائي عن السياسة العربية(٧٥) .

لم يلاق فيصل نجاحا في مباحثاته في لندن اذ كانت المصالح الفرنسية والبريطانية قد سويت ، واضطر في مباحثاته مع كلمنصو في باريس الى التوصل الى اتفاقية مبدئية من عدة بنود في ٦/١/١٩٢٠ تعترف فرنسة فيها بدولة سورية مستقلة ضمن حدود سيعترف بها مؤتمر الصلح على ان تتعهد هذه الدولة بالتالي بأولوية فرنسة بامدادها بالخبراء والمستشارين لتنظيم الادارتين المدنية والعسكرية وان تعترف باستقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي(٧٦) . وقد ذكر فيصل الى الكولونيل تايلور في بيروت في ١٤/١/١٩٢٠ « ان من نقاط الاتفاقية هو سورية الموحدة ومن ضمنها فلسطين تحت مساعدة فرنسية ... وان امله في النجاح ان يقدم للشعب فكرة بأن الانتداب الفرنسي يعني سورية الموحدة ... ورغم ان عليه ان يطالب بفلسطين ... وقد وعده كلمنصو بأن يدعمه في ذلك .. الا انه ليس له امل في النجاح»(٧٧) .

فلسطين جزء من المملكة السورية :

شعر فيصل بعد عودته بقوة المعارضة(٧٨)، فقرر ان يسير في الخط الموافق لهذا الاتجاه ، فبعث الى اللنبي برسالة في ١٩٢٠/٢/١١ يصور فيها حراجة موقفه بعد عودته الى سورية وخاصة بعد أن نشرت الصحف المحلية مراسلات الحسين ومكماهون وبرقية والده التي تستنكر اي عمل لا يتفق مع وحدة واستقلال البلاد العربية ، وانه قد وجد نفسه ملزما لمعرفة السياسة الحقيقية للحكومة البريطانية حول فلسطين والعراق « حتى يمكنني ان اعطي أملا للشعب وان احمي شرفي وشرف عائلتي التي قامت من اجل قضية نبيلة وعرضت مركزها للخطر ووضعت اعتمادها الكلي على الحكم القوي »(٧٩).

ولم يعد ممكنا ان يطلب من الراي العام الانتظار فترة أطول لقرار مؤتمر السلم، وخاصة بعد ان انتشرت اخبار متضاربة عن المصير الذي سيمنح للبلاد، فوافق على اقتراح اقرب المستشارين والاصدقاء بضرورة وضع الحلفاء أمام الامر الواقع باعلان استقلال سورية المتحدة بجميع مناطقها وتقرر جمع أعضاء المؤتمر السوري من جديد (بعد ان أجلت جلساته في ديسمبر ١٩١٩) وعقدت اجتماعات تمهيدية لبحث مقدمات اعلان الاستقلال.

وكان أكثر هذه الاجتماعات أهمية هو اجتماع المؤتمر الفلسطيني في دمشق ١٩٢٠/٢/٢٧ اشترك به مندوبون عن الاحزاب السياسية والوجهاء ورجال الدين للمناقشة واقرار الوضع حول فلسطين ، وأعلنوا ان سورية الجنوبية (فلسطين) هي جزء من سورية ، وعارضوا الصهيونية لخطرها على كيان البلاد السياسي والاقتصادي والقومي مع عدم الاعتراف بأي حكومة وطنية في فلسطين قبل ان تعترف الحكومة المحلية بمطالب شعب فلسطين التي قدمت الى اللجنة الامريكية(٨٠) وفي نفس اليوم الذي كان يعقد فيه هذا المؤتمر انطلقت في القدس مظاهرة يتقدمها رئيس البلدية موسى كاظم الحسيني بعد اجتماع في نادي الجمعية الاسلامية المسيحية احتجاجا على قرار مؤتمر الصلح تحمل اللافتات (فلسطين جزء من سورية)(٨١).

وقد اتخذ اعضاء المؤتمر السوري في دمشق قرارا بالاجماع ينص على « استقلال بلادنا السورية ، التي منها فلسطين بحدودها الطبيعية استقلالا تاما لا شائبة فيه ، مبنيا على الاساس المدني النيابي وحفظ حق الاقلية ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود او محل هجرة لهم»(٨٢). وقرروا تقديم العرش للامير فيصل يوم ٨ مارس آذار ١٩٢٠ ، ولحق ذلك قرار المؤتمر العراقي الذي اجتمع في دمشق في نفس اليوم ليعلن استقلال العراق .

وقد اعتبر البعض ان اعلان الاستقلال تسرع لا مبرر له وانه لما كانت العراق وفلسطين في يد الاحتلال البريطاني والمناطق الساحلية الغربية في يد فرنسة لم تكن قرارات دمشق لتؤدي الى أي نتيجة عملية . ولكن الواقع ان هذا القرار كان تعبيرا عن الارادة الشعبية وما يعتقده القوميون انه الموقف العربي الصحيح بعد سنة ونصف من الانتظار تحت الاحتلال الاجنبي والادارات العسكرية(٨٣).

وقد أكد فيصل في حديثه الى الصحفي جفرز بعد اعلان الاستقلال « بأن لقبه كملك يشمل فلسطين كذلك .. ما لم يكن هناك شك حول هذه النقطة بسبب سوء استعمال الدول الغربية لكلمة سورية والتي تعني بالنسبة لهم القسم الشمالي في البلاد فقط... لقد كان هدف الحسين دوما ضم فلسطين الى المنطقة التي اشترط ان يشملها الاستقلال العربي»(٨٤).

وكان من الطبيعي ان يرحب عرب فلسطين ، التي كانت جزءا من سورية والتي شارك ممثلوها في المؤتمر السوري بقرار اعلان الاستقلال ، وتجلت في الاحتفالات الوطنية وتقدم المحتفلون في المدن الرئيسية اعضاء الجمعيات الاسلامية المسيحية والعلماء والتجار والادباء وأشرف على تنظيمها مراكز النوادي العربية(٨٥).

وهذا ما دفع الصهيونيون الى القيام بمعارضة قوية لضم فلسطين الى الدولة السورية وبدأوا يشككون بما فعله الوطنيون في جميع انحاء البلاد بمناسبة اعلان الاستقلال(٨٦). وكان رد الفعل لاعلان الاستقلال لدى الحكومتين البريطانية والفرنسية عنيفا، وفي رسائل مشتركة أرسلت من لندن استنكرت الحكومتان اجراءات المؤتمر السوري لان مستقبل سورية والعراق ستقرره دول الحلفاء(٨٧).

وبذلت الحكومة العربية كل جهودها للمحافظة على الصلات الودية مع جميع الحلفاء وتوضيح الاسباب التي ادت الى هذه الخطوة(٨٨). وأبدى فيصل ثقته الكبرى ببريطانية فهو لا يزال يعتبرها حليفة العرب الرئيسية منذ ان وضعت اساس الاعتراف بدولة عربية ضمن الحدود التي رسمها الحسين(٨٩).

ولم تجد هذه المحاولات فقد رفضت الحكومتان الاعتراف بشرعية قرارات المؤتمر في دمشق ودعت فيصلا الى أوروبة لبسط قضيته لان مستقبل الاجزاء العربية لا يزال بيد مؤتمر السلم.

بدء المقاومة :

شعر عرب فلسطين ازاء هذا التصميم العنيد للحلفاء برفض الاعتراف بالاستقلال ان اليهود هم العقبة الرئيسية لضم فلسطين الى الدولة السورية المستقلة الجديدة فبدأوا يتبعون أسلوب العنف لاثبات حقهم احتجاجا على خطر المشاريع الصهيونية ودعم السلطات البريطانية(٩٠). ولا يعرف تماما الموقف الذي اتخذه فيصل في حماية هذه الاعمال(٩١)، ولكن ما هو ثابت ان بعض ما كان يجري في فلسطين كان مركزه دمشق بديره رجال غير مسئولين يؤيدهم الرجال المسئولون والاحزاب بالمال والسلاح(٩٢). ومن امثلة هذه الحوادث هجوم جماعات وطنية في مارس (آذار) ١٩٢٠ على مستعمرة صهيونية في منطقة الحولة وقتل عدد من اليهود الذين أستنجدوا بالسلطات الفرنسية(٩٣)، وهجومين آخرين في ابريل نيسان قامت بهما القبائل البدوية عبر الاردن على مستعمرات يهودية محاطة بأسلاك ومسلحة ببنادق انكليزية ، كما هوجمت الحاميات البريطانية في سمخ وبيسان وجرح ضابط بريطاني واسقطت طائرة عسكرية ، وأدى ذلك الى انقطاع سير القطارات بين دمشق وحيفا وتعطل المواصلات البرقية والهاتفية ، وارسلت الحكومة البريطانية نجدات بالقطارات وقصفت المهاجمين بالطائرات(٩٤)، وكانت السلطات الانكليزية تعتقد ان لحكومة دمشق يدا في هذه القلاقل لذلك منعت الجنود العرب من التجول على الحدود للمحافظة على المحطات(٩٥). وفي تعليق جريدة الدفاع الدمشقية على هذه الاحداث « ان العرب لم يرموا في حربهم الى مقاتلة الانكليز بل الى طرد اليهود من بلادهم .. وادرك العرب ان السلطة الانكليزية هي التي سلحت اليهود أصحاب المستعمرات»(٩٦).

واتخذ الاضطراب في القدس شكل ثورة ضد اليهود في ٤ ابريل نيسان ١٩٢٠ وكانت أول سلسلة في الاحداث التي تطبع تاريخ فلسطين في الثلاثين سنة التالية ، وقد تفجرت بمناسبة أحتفال النبي موسى الديني والقومي(٩٧)، فقد تعرض اليهود لمظاهرة عربية كانت تهتف للاستقلال وتحمل صور فيصل وتنادي بسقوط الصهيونية ورد العرب عليهم بمهاجمة احياء المدينة اليهودية وانتشرت الاضطرابات في كل مكان(٩٨). ويذكر مراسل التيمس ان الحوادث امتدت من ٤ــ٥ أيام حتى تمكنت القوات الهندية والبريطانية بعدها من اعادة الامن(٩٩). وكانت الحركة مظهرا للشعور القومي العربي ولم تكن طائفية بل موجهة ضد الصهيونية وعملية الهجرة. واعترفت لجنة التحقيق التي شكلتها الحكومة البريطانية للنظر في القضية بأن سبب الاحداث الدموية هو خيبة أمل العرب لعدم تحقيق الاستقلال ولوعد بلفور ، اذ يخشون ان يخضعهم تأسيس الوطن القومي لليهود اقتصاديا وسياسيا(١٠٠).

واسف فيصل لحوادث القـدس وبعث برسالة الى اللنبـي يحتج فيها بأن المسلمين والمسيحيين قد حكموا بأحكام هي اشد بكثير من التي حكم بها على اليهود .. كما احتج بأن السلطة الانجليزية في فلسطين تسمح لليهود بأن يتسلحوا ضـد العرب بينما يمنع هؤلاء من اقتناء السلاح تحت عقاب غرامة كبيرة وسجن لمدة طويلة(١٠١).

مؤتمر سان ريمو وفرض الانتداب :

هذه المحاولات الى جانب جهود الحكومة العربية للمحافظةعلى صلاتها الودية معالحلفاء لم تعق تنفيذ القرارات التي اتفق عليها منذ فترة طويلة والتي تقضي بتجزئة الامبراطورية العثمانية طبقا لبنود الاتفاقيات السرية . وحدد موعدا للاجتماع الثانـي لمؤتمر السلم (مجلس الحلفاء الاعلى) في سان ريمو في ايطالية ٢٥ ابريل نيسان ١٩٢٠ .

ورفض فيصل التجاوب مع دعوة بريطانية لشرح موقفه الشخصي امـام المجلس الاعلى قبل ان يأتيه تأمين من الدولتين انجلتره وفرنسة بوحدة استقلال سورية وعدم فصـل فلسطين عنها واتخاذهـا وطنا قوميا لليهود(١٠٢). وفي رسالته الـى لويد جورج ذكـر « اني ارغب بكل قلبي اجابة الدعوى ... ولكن حيث اني لا اعلم ما هو الاساس الذي سيتخذ لحل المسالة السورية خاصة العربية عامة فلذا وخوفا من انـه بعد استماعي ايضا يصدر قرار يخالف رغباتكم فعندئذ اكون في موقف جدا حرج امام الامة العربيةوامام المجلس الاعلى والحلفاء ، فلذا أطلـب ان تخبروني مبدئيا عـن القرار الذي سيتخذ وتطمنوني اولا عن استقلال البلاد السياسي ووحدتها فاذا كان يعترف بذلك فاني لا ارى انشاء وطن قومي في فلسطين(١٠٤).

ومع ذلك فقد قرر الساسة المجتمعون في سان ريمو في ٢٥ ابريل تقسيم المناطق العربية التي وزعت دبلوماسيا اثناء الحرب ــ مع ان الصلح مع تركية لم يعقد بعد ، ومع ان نظام الانتداب لم يعرض على مجلس العصبةــ فقدم الانتداب على سورية ولبنان الى فرنسة ، وعلى العراق وفلسطين وشرق الاردن الى بريطانية . وتقرر ان تضم المعاهدة مع تركية مادة تعترف باستقلال سورية بما فيها لبنان والعراق ، اما فلسطين فلم يشر الى أمر استقلالها بل ان المادة ٩٥ من المعاهدة قد نصت ان يعهد الفرقاء الموقعون بتطبيق نصوص المادة ٢٢ من ميثاق العصبة على الادارة في فلسطين الى دولة منتدبة تنتخب من بين دول الحلفاء الكبرى وستكون مسئولة على ان تضع في حيز التنفيـذ التصريح الذي اعلن في نوفمبر من قبل ممثل الحكومة البريطانية والذي تبنته الدول الحليفةالاخرى حول انشاء وطن قومي في فلسطين(١٠٤).

وخاب أمل العرب في فصل فلسطين عن سورية ، اذ ان ذلك لا يتناقض ورغبات السكان فقط بل يهمل بشكل تام الوحدة بين جزئي البلد في اللغة والتقاليد والعرق والاقتصاد .

ونقل اللنبي القرارات الى فيصل في ١٩٢٠/٤/٢٧ مع الالحاح عليه بالسفر الى اوروبة لبسط قضيته لان وضعه لا يمكن أن يستقر الا بواسطة مؤتمـر السلم ، وان الدولتين مستعدتان للاعتراف به ملكا على سورية شرط قبول الانتداب الا ما كان يتعلق منهـا بفلسطين ، اذ انه بشأن فلسطين فقد ذكر اللنبي « انك كنت تعرف دائما ان حكومـة جلالته ملتزمة بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لان حكومة جلالتهتعتبر نفسها ملزمة بحماية مصالح السكان المحليين في البلاد بكل ما في الكلمة من معنى ، وهـذا الالتزام ستؤكده بنود الانتداب»(١٠٥). وكان رد فيصل الى اللنبي «بأنه فيما يتعلق بقرار الانتداب .. أرى من واجبي عدم الخوض فيه ، لان الشعب السوري يشعر بأنه يمثل خطرا على امنهم واستقلالهم ، وقد احتجوا احتجاجا مريرا ضده ورفضوا قبوله .. اما فيما يتعلق بمستقبل فلسطين فلم نر اي وضوح في خطابكم بالنسبة للاعتراف بهذا البلد كجـزء لا يتجزأ من سورية ، رغم أن فلسطين بحكم جغرافيتها وتقاليدها واقتصادها وايضا بحكم لغتها وامانيها القومية لا يمكن ان نعتبر الا جزءا من سورية .. كما اني قد وجدت ضمن

المراسلات بين الحسين ومكماهون رسالة مؤرخة في ٢٥ ديسمبر ١٩١٥ تعترف فيها الحكومة البريطانية بأن فلسطين جزء من الدولة العربية، وتعترف بحدودها من قبل الحكومة البريطانية ... وكما يظهر من حيثيات المقابلات في داوننغ ستريت تعتبر هذه المراسلات لها نفس قيمة الالتزامات مع رئيس الجمهورية الفرنسية .. وحتى اتفاقية سايكس بيكو عن قضية فلسطين قد اوضحت في الفقرة الثالثة بأن تقام ادارة دولية في المنطقة السمراء ويجب ان تقرر نوعية هذه الادارة بعد موافقة ممثلي شريف مكة ولا بوجد في هذه الوثيقة اي شيء يذكر عن الصهيونيين او اليهود . وبما انه من الضروري تهدئة شعبي الذي في حالة قلق ذهني وروحي فاني آمل ان احصل من بريطانية العظمى على تصريحات مرضية... كي يثبت له ان اي معاهدة بين بريطانية والصهيونيين لن تكون اكثر اهمية من اي معاهدة اخرى مع الملك حسين او رئيس الجمهورية الفرنسية. وبخصوص موضوع ايجاد وطن قومي لليهود في فلسطين فاني اؤمن بأن هناك بعض سوء الفهم ، كل ما اعترفت به هو الحفاظ على حقوق اليهود في هذا البلد بنفس الاعتراف لحقوق المواطنين العرب المحليين واعطائهم نفس الحقوق والامتيازات، ولقد احتج عرب فلسطين المسلمون والمسيحيون في كل مناسبة على اي اتفاق او تعهد يجعلان من ارض اجدادهم وطنا قوميا لليهود ... »(١٠٦).

ولم تجد هذه الاحتجاجات اذ كانت وزارتا الخارجية والحربية في لندن قد بحثتا في امكانية فصل فلسطين عن اشراف اللنبي السياسي والعسكري وتعيين حاكم مدني له خبرة ادارية حتى قبل ان يمنح الانتداب الى بريطانية . ولم يعهد في ذلك الى حيادي بل الى صهيوني هو هربرت صموئيل .

وقبل ان يذاع خبر تعيينه رسميا قدم فيصل احتجاجا رسميا ليس فقط لان صموئيل كان يهوديا بل بسبب انه كان « صهيونيا غايته تأسيس حكومة يهودية على انقاض قسم كبير من سورية(١٠٧)... وطلب من الحكومة البريطانية ان كان خبر التعيين صحيحا ان ترجع عن قرارها الذي يمس مصالح وعواطف العرب »(١٠٨).

وخصصت جلسات في المؤتمر السوري في دمشق لتقديم احتجاج الجمعية العربية الفلسطينية على تعيين هربرت صموئيل وتقرر رفع احتجاج من طرف المؤتمر لمن يلزم(١٠٩).

كما قام بعض اعضاء المؤتمر السوري الفلسطيني ووجوه البلاد في القدس بمناسبة وداع (بولز) الحاكم السابق بتقديم احتجاج على مجيء صموئيل الى جميع المعتمدين ومقاطعته مقاطعة تامة مع الاضراب ٣ ايام عند قدومه(١١٠).

وقدمت مذكرات من جميع انحاء فلسطين الى الحكومة المحتلة في المنطقة الجنوبية احتجاجا على قرار سان ريمو الذي كان كارثة قومية بعد سنتين ونصف من الاحتجاجات ضد تصريح بلفور ، وكانت هذه الاحتجاجات تتمسك بالمطالب المحضرة في استقلال سورية المتحدة من اقصى حدودها الشمالية الى رفح جنوبا ورفض الهجرة الصهيونية رفضا باتا.

وقد فشلت محاولة صهيونية اخيرة لاعادة الاتصال بفيصل وببعض الفلسطينيين من اعضاء المؤتمر السوري في دمشق تولاها هذه المرة حاييم كالفارسكي (الذي تولى رئاسة الجمعية العربية اليهودية في فلسطين التي تدعو الى التعايش السلمي) فقد قدم الى دمشق في يونيو (حزيران) ١٩٢٠ واتصل ببعض اوساط فيصل كما حاول التأثير على بعض الفلسطينيين المقيمين في دمشق واقناعهم بضرورة التفاهم بين العرب واليهود مع عرض جديد بتحسين الاوضاع الثقافية والاقتصادية . وكان الرد حاسما ففلسطين هي جزء من المملكة السورية ولا يمكن التفاهم الا بالتخلي عن فكرة الوطن القومي والهجرة، مع ضمان حقوق اليهود الوطنيين المدنية والدينية(١١١).

وبسبب انشغال الحكومة العربية بمشاكلها على الحدود الغربية مع السلطات الفرنسية نتيجة للتطورات الاخيرة بعد سان ريمو والتي وصلت اوجها في انذار غورو (١٤ تموز

يوليو ١٩٢٠) فقد ترك الشعب في فلسطين ليتابع وحده نضاله السياسي . وتم الانتقال من ادارة عسكرية الى مدنية على يد هربرت صموئيل الذي وصل في ٣٠ يونيو حزيران. وقد وصفت التايمس في عدد ١٩٢٠/٧/٥ الاستقبال الحار الذي استقبل به يهود فلسطين هربرت صموئيل بينما شكت من موقف العرب العدائي . وقد رفع ممثلو المدن احتجاجا يعربون عن خيبة املهم برسالة ملك بريطانية الى فلسطين والتي ورد فيها « ... ان الدول المتحالفة قد قررت ان تتخذ التدابير لتضمن تأسيس وطن قومي لليهود بالتدريج وهذه التدابير لن تؤثر قطعيا على حقوق الاهالي المدنية او الدينية ولا تنقص ما للرقي المعنوي لعموم طبقات الشعب الفلسطيني »(١١٢) . . وهذا ما دفع وجهاء يافا الى القول بعد خيبة املهم بهذه الرسالة « لقد عدنا توا من جنازة الارض المقدسة»(١١٣) .

المراجـــع :

١ ــ بين اوراق **المرحوم محب الدين الخطيب** كراس يتضمن اسماء اعضاء الفتاة وتاريخ انتسابهم منذ ١٩٠٩ الى ١٩٢٠ ويتبين منه ان نسبة تمثيل الفلسطينيين كانت عالية .

٢ ــ **انطونيوس (جورج)** ، يقظة العرب ، تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة ناصر الدين الاسد ، احسان عباس ، بيروت ١٩٦٦ ص ٢٤٣ .

تمتد الحدود من خط مرسين واضنه شمالا الى حدود ايران وخليج العرب شرقا ثم المحيط الهندي باستثناء عدن جنوبا والبحر الاحمر والمتوسط غربا .

٣ ــ استثنت التحفظات المناطق التركية والمناطق التي عقدت بريطانية مع زعمائها معاهدات في الجزيرة والمناطق التي لفرنسة مصالح خاصة غربي مناطق دمشق وحمص وحماه وحلب ، واحتفظت بريطانية لنفسها بحق اقامة نظام اداري خاص في ولايتي البصرة وبغداد . انظر : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ١٩١٥ ــ ١٩٤٦ ، الجامعة العربية ، ادارة فلسطين ١٩٥٧ ، ص ٣٩ ــ ٤٢ .

٤ ــ تشكلت في القدس اثر الاحتلال البريطاني لجنة خاصة لارسال المتطوعين الى قوات الثورة العربية عرفت باسم Arab Recruiting Committee F.O. 371/3409/143493.

٥ ــ كان الجيش البريطاني في اثناء تقدمه يوزع منشورات تعد بتحرير العرب انظر :
Tibawi, Syria in War Time, Islamic Quarterly, Jan. 1968 p. 35.

نقلا عن : Cmd. 3530 (Shaw Report) 1930, pp. 126-27.

٦ ــ برقية من وزارة الخارجية الى وينجيت رقم ١٠٣٢ بتاريخ ١٩١٧/١١/٢ F.O. 371/3054.

٧ ــ برقية من وينجيت الى الخارجية رقم ١٢٨١ في ١٩١٧/١١/٢٨ F.O. 371/3054.

٨ ــ حول وقف عدد من مجلة الكوكب ٢٥ يونيو ١٩١٨ F.O. 371/3388/120738/1495.

٩ ــ F.O. 371/3395/88469.

١٠ ــ حول خطاب ايزمان في القدس في مأدبة اقامها حاكم القدس العسكري رونالد ستورز حضرها عدد من اعيان المدينة F.O. 371/3395/98470/11053.

١١ ــ سجل الضابط Joyce الذي كان يترجم الاجتماع في مقال في Arab Bulletin June 18, 1918

١٢ ــ اهم هذه التصريحات : التصريح الى السبعة ١٦ يونيو ١٩١٨ . والتصريح المشترك ٧ نوفمبر تشرين ثاني ١٩١٨ الذي يؤكد على مبادىء ويلسون الاربعة عشر بحق الشعوب في تقرير مصيرها .

١٣ ــ Zeine, Z. The Struggle for Arab Independence, western diplomacy and the rise and fall of Faisal's Kingdom in Syria, Beirut 1960.

١٤ ــ من بين هذه الاسماء عيسى العيسى رئيس ديوان الامارة ، عوني عبد الهادي امين السر السياسي ، احمد قدري طبيب الامير الخاص ، صبحي الخضراء ومحمد علي التميمي (الامن العام) الشيخ سعيد الكرمي (عضو المجمع العلمي) ، وكان بين اساتذة معهد الحقوق القومي التسعة عشر اربعة اساتذة من فلسطين بينهم عبد اللطيف صلاح مدير المعهد .

١٥ ــ **مجلة الكوكب** (القاهرة) ١٢نوفمبر تشرين ثاني ١٩١٨ .

١٦ ـ **المصدر نفسه** ٢٦ نوفمبر تشرين ثاني ١٩١٨ .

١٧ ـ *Newton*, F. Fifty Years in Palestine, London 1948 p. 133.

١٨ ـ *Wavell*, A. Allenby, Soldier and Statesman, London 1946 pp. 261.262.

١٩ ـ *Esco* Foundation for Palestine, Palestine — Study of Jewish, Arab and British Policies, vol. I Yale University press 1947.1948, p. 127.

٢٠ ـ *Tibawi*, A. Syria from the Peace Conference to the Fall of Damascus, Islamic Quarterly, vol. XI, July-December 1967 p. 99.

٢١ ـ *F. O. 371/3395/182887/11053.* وقد بعث الجنرال كلايتون الى الخارجية برقية في ٥ ديسمبر ١٩١٨ رقم ٢١٣ ذكر فيها ما اثاره نشر هذه المطالب من التخوف وعدم الثقة بين السكان (غير اليهود) في فلسطين انظر : F.O. 371/3885/201968/747.

٢٢ ـ *Newton*, op. cit., p. 127.

٢٣ ـ كان من خطة العربية الفتاة ان ترسل وفدا منتخبا من المناطق السورية المختلفة ، وقد وجدت بين اوراق المرحوم **محب الدين الخطيب** محضر الجلسة الثانية للهيئة المركزية للفتاة في دمشق في ١٩١٨/١٢/٢٢ وفيها « تقرر ذهاب الشباب الفلسطينيين الى بلادهم للقيام بانتخاب الوفد المنوي ارساله الى اوربة » .

٢٤ ـ **محمد عزة دروزة** ، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، ج ١ صيدا ١٩٥٩ طبعة ثانية ص ٣٥ـ٣٦ . كان المؤتمر برئاسة عارف الدجاني وسكرتيرية عزة دروزة .

٢٥ ـ *Tibawi*, Islamic Quarterly, July-Dec. 1967. op. cit., p. 82.

٢٦ ـ *Baker, R. S.*, Woodrow Wilson and World Settlement. London 1923, vol. I p. 12.

٢٧ ـ *Weizmann*, Ch., Trial and Error, London 1949.

٢٨ ـ *Jeffries*, J. Palestine, The Reality, London 1936, p. 243.

٢٩ ـ *Cumming*, H, Franco-British Rivarly in the Post-War Near East. The decline of French influence, 1914-1923, p. 60.

٣٠ ـ *Tibawi*, Islamic Quarterly July-Dec. 1967 op. cit., p. 79.

٣١ ـ من تقرير لضابط الارتباط البريطاني في دمشق (كورنوالس) حول حديث ادلى به فيصل في ٢٥ سبتمبر ١٩١٩ . *Documents* on British Foreign Policy vol. IV, pp. 421-422.

٣٢ ـ *Jeffries*, op. cit., p. 249. وقد ذكر لي المرحوم عوني عبد الهادي في صيف ١٩٦٨ « وكان احد اعضاء الوفد العربي » : ان موقف الوفد العربي اصبح حرجا فاما ان يغادر اوروبة او يقبل بمساعدة انكلتره للمسألة العربية .

٣٣ ـ انطونيوس ص ٥٩٢ ـ ٥٩٤ .

ومن الملاحظ انه في كتاب *Weizmann*, Trial and Error p. 308 لم ترد الا المادتان الثالثة والرابعة من الاتفاقية ولم يشر لا وايزمان ولا اي مصدر صهيوني آخر الى هذه الاتفاقية امام مؤتمر السلم ولا امام لجنة شو ١٩٢٩ حتى نشرها وايزمان في التايمس Times في ١٩٣٦/٦/١٠ ووردت في تقرير اللجنة الملكية ١٩٣٧ وكانت نسخة من الاتفاقية (بدون شرط فيصل) قد قدمت الى D.H. Miller عضو الوفد الامريكي لمباحثات السلم كوثيقة رسمية ضمها الى مجموعته :

My Diary of the Conference of Paris with Documents: vol. I, New York 1924. p. 67.

٣٤ ـ **انطونيوس** ص ٥٩٢ ، وقد ذكر المؤلف انه ترجمه عن صورة فوتوغرافية عن الاصل (ولم يذكر اين وجد الاصل) .

٣٥ ـ Jeffries op. cit., p. 249.

٣٦ ـ في مقابلة اخرى مع **المرحوم عوني عبد الهادي** ذكر ان « حقيقة لورنس بدأت تنكشف لفيصل بعد حادثة جرت في لندن حين دعت سيدة انكليزية اسمها مسز بروك لحضور ندوة تقام في بيتها يحضرها عدد من اعضاء الوفد الحجازي وبعض رجالات الانكليز للاحتجاج على وعد بلفور وما يعرضه من اخطار لمصالح بريطانية السياسية والاقتصادية في بلاد الشرق ، وقد استقبلتني مسز بروك والدموع تترقرق في عينها

واطلعتني على الرسالة التي بعث بها اليها لورنس واعتذر عن حضور الندوة لاعتقاده انها في غير مصلحة البـــلاد » .

٣٧ ــ حول نص الرسالة انظر : *Weizmann*, op. cit., p. 306.
Jeffries, op. cit., p. 256-257.
Esco, op. cit., p. 142.

٣٨ ــ اثير موضوع هذه الرسالة في احدى جلسات لجنة شو ١٩٢٩ اذ عرض المحامي اليهودي فريمان على اللجنة نسخة مكتوبة وموقعة بالانجليزية من هذه الرسالة المزعومة ليقول ان اليهود لم يحضروا لفلسطين الا بعد موافقة زعماء العرب وطلبت هنا (اي **عوني عبد الهادي**) بوصفي محامي العرب لدى اللجنة ان يبرز المحامي النسخة الاصليـة للرسالة ان كان لها وجود . وارسلت برقية الى فيصل لسؤاله عن صحة ادعاء فريمان فتلقيت برقية من رستم حيدر رئيس ديوان جلالته يقول : « ان جلالته لا يـــذكر شيئا من هـــذه الرسالـة .. »

٣٩ ــ مقابلة مع المرحوم عوني عبد الهادي .

٤٠ ــ *Zeine*, Z., op. cit., Appendex C. pp. 248-51.

٤١ ــ **انطونيوس** ، المصدر السابق ص ٣٩٧ ــ ٣٩٨ .

٤٢ ــ وقد اتخذت المذكرة الاولى دليلا على ارتباط فيصل ببريطانية ومعرفته خططهم في فلسطين ، وقد وجدت بين مجمـوعة اوراق عوني وثيقة من اوراق الوفد الحجازي في مؤتمر السلم تلخص القسم الاول من المذكرة حول حق الاجزاء العربية بالاستقلال والوحدة ولكنها لا تتعرض للقسم الثاني الذي يعين مصير كل جزء على حدة ، وهذا ما دعى المرحوم عوني عبد الهادي الى ان ينفي وجود مذكرة ١٩١٩/١/١ كلها ولا يقبل الا بمذكرة ١/٢٩ التي تطالب بالاستقلال الكلي للمنطقة ومن ضمنها العراق وفلسطين التي طلبت مذكرة ١٩١٩/١/١ وصاية عليهما ، وكما روى لي ان للورنس دورا فيها لارضاء الصهيونية ، وخاصة ان لورنس كان يترجم خطاب فيصل ولم يكـن احد من اعضاء الوفد العربي يعرف الانجليزية كما لم يكن احد من اعضاء المؤتمر يعرف العربية غير لورنس .

٤٣ ــ ترى هذه النقطة ان حل كل مسألة سواء كانت تتعلق بالارض او السيادة او المسائل الاقتصادية ، والسياسية يجب ان يبنى على قبول الناس الذين يتعلق بهم قبولا حرا لاعلى المصالح المادية او لفائدة اي دولة او امة اخرى ترغب في حل آخر خدمة لنفوذها الخارجي او لسيادتها .

٤٤ ــ حول نص المذكرة انظر :
Hurewitz, J. Diplomacy in the Near and Middle East vol. II pp. 45-50.
من الملاحظ ان الحدود المقترحة تمتد من جنوب صيدا وحتى منحدرات جبل الشيخ ثم الى خط يقع غربي الخط الحجازي ويوازيه وينتهي بخليج العقبة .

٤٥ ــ *Weizmann*, op. cit., pp. 305-306

٤٦ ــ *Howard*, H., An American Experiment in Peace Making, the King Crane Commission. Moslem World. Vol. 32. April 1942, p. 126.

٤٧ ــ *Ibid*, p. 144.

٤٨ ــ *Tibawi*, Islamic Quarterly, July-Dec. 1967, op. cit., p. 87.

٤٩ ــ حول اعمـال لجنة كنغ كرين انظر كتاب :
Howard, H., The King-Crane Commission (An American Inquiry into the Middle East) Beirut 1963.

٥٠ ــ **مجلة المنار** (القاهرة) ج ٥ مجلد ٢٣ ، ٢٧ مايو ١٩٢٢ ، ص ٣٩ .

٥١ ــ الاعضاء الفلسطينيون في المؤتمر السوري هم : عزة دروزة ، امين التميمي ، رفيق التميمي ، عادل زعيتر ، ابراهيم عبد الهادي ، الدكتور احمد قدري ، معين الماضي ، صلاح الدين الحاج يوسف ، سليم عبد الرحمن ، يوسف العيسى ، عبد الرحمن الخولي ، ابراهيم العلي ، رشيد الحاج ابراهيم ، حسين الزعبي ، علي مهدي . انظر : **يوسف الحكيم** ، سورية في العهد الفيصلي بيروت ١٩٦٦ ص ٩٣ .

٥٢ ــ *Jeffries*, op. cit., p. 292.

٥٣ ـ حول نص قرارات المؤتمر السوري انظر : **انطونيوس** المصدر السابق ص ٥٩٦ ـ ٥٩٩

٥٤ ـ **الشهابي ، مصطفى** ، القومية العربية تاريخها وقوامها ومراميها ، القاهرة ١٩٥٩ ص ١٢٥ .

٥٥ ـ وثيقة من اوراق **المرحوم محب الدين الخطيب** تحت عنوان « سؤال وجواب اللجنة في فلسطين » .

٥٦ ـ **المصدر السابق** .

٥٧ ـ **الوثيقة السابقة من اوراق المرحوم محب الدين الخطيب** .

٥٨ ـ *Howard,* Moslem World, op. cit., p. 134.

٥٩ ـ Woodward and Butler (ed). *Documents* on British Foreign Policy, 1919-1939, Ist. Series. vol. IV, pp. 315-316.

٦٠ ـ حول توصيات اللجنة انظر : *Hurewitz,* op. cit., vol. II, pp. 66-74.
و **انطونيوس** ، يقظة العرب ، المصدر السابق ملحق ح ص ٦٠٠ ـ ٦١٦ .

٦١ ـ *Howard,* Moslem World, op. cit., pp. 141-152.
ويذكر Howard في كتابه The King Crane Commission op. cit., p. 320. ان التطورات في فلسطين بعد ١٩١٩ تبرر هذه التوصيات فقد اصبحت فلسطين ارض صراع بين القومية العربية والصهيونية والامبريالية الانجليزية .

٦٢ ـ **انطونيوس** المصدر السابق ٦٠٦ ـ ٦١٠ ملحق ح .

٦٣ ـ انظر كتاب : *Baker,* op. cit., vol. II ch. XXI.

٦٤ ـ *Esco,* op. cit., pp. 212-213.

٦٥ ـ يذكر *W. Yale* في كتابه The Near East, A Modern History, University of Michigan Press, 1958, p. 337.

« ان العرب قد عرفوا بذكائهم انه ليس للجنة امنية منحهم الاستقلال وعندما سأل كرين وجهاء الخليل عن الدولة المنتدبة التي يطلبونها ، اجابوا بذكاء « ان كل الحكومات سيئة » ، وبعد ان فهموا عدم جدوى احتجاجهم غادروا المكان بعد ان ابلغوا اعضاء اللجنة بانه اذا اصر المؤتمر على فرض حاكم عليهم « فهل للجنة ان تتفضل وتبلغ الرئيس ويلسون اننا نفضل الله » .

٦٦ ـ *F. O. 371/4182/180392.*

٦٧ ـ *Documents* on British Foreign Policy, vol. IV op. cit., p. 290.

٦٨ ـ *F. O. 371/4182.*

٦٩ ـ *Documents* op. cit., pp. 340-346.

٧٠ ـ *Zeine, Z.* op. cit., Appendex 6, pp. 260-62.

٧١ ـ *Documents,* op. cit., p. 371.

٧٢ ـ *Documents,* op. cit., pp. 421-422.

٧٣ ـ *Esco,* op. cit., p. 203 and Jeffries, op. cit., p. 306.

وكانت جريدة العاصمة قد اشارت الى التصريح عدد (٦٦) ١٩١٩/١٠/١٣ .

٧٤ ـ حول النص الكامل للرسالة انظر : *Jeffries,* op. cit., p. 308 and *Esco,* op. cit., p. 204.
وقد نفى **المرحوم عوني عبد الهادي** (سكرتير فيصل حينذاك) صحة هذه الرسالة واثبتت انها موضوعة من قبل الصهيونيين ودليله على ذلك ان احد اعضاء المنظمة الصهيونية (لا يذكر اسمه) كان قد تقرب الى فيصل في لندن وقدم له نسخة عن تقرير يرجون سموه ان يصدره تصحيحا لما اورده في صحيفة (الجويش كرونيكل) وقد اطلعت على مسودة هذا التقرير بين اوراق المرحوم عوني عبد الهادي وقد كتب عليه التعليق التالي : « اعطى الكتاب الى عوني ووضعه بين الاوراق المهملة ولم يطلع عليه فيصل ... لم يلتفت اليه » اما التقرير فهو على النحو التالي : « سمو الامير فيصل

يا صاحب السمو

اتشرف بان اعرض لكم مسودة تقرير على النحو الذي اشرتم اليه امس في محادثتكم مع مستر هربرت صموئيل وبالنظر للوقت الطويل الذي مر على صدور حديث مقابلة « جويش كرونيكل » اليهودي وسوء المفهومية الناتجة عن عدم وجود تفصيل كاف عن الظروف التي وقعت فيها هذه المقابلة فمن الاهمية الكبرى

ان يصدر ايضاحا سريعا عنها نرجو امكان اعطاء قرار الى روتر في هذا المساء واذا اردتم ان تخاطبوني اليوم فليكن ذلك الى مركزنا في ٧٧ كرويت رسل ستريت بكل احترام واعتبار اتشرف ان ابقى خادم سموكم المطيع » .

صورة التقرير :

استقبل سمو الامير فيصل ممثلي الهيئة الصهيونية التي ذكرت له بعض الملاحظات عن الصهيونية وفلسطين المنسوبة اليه في حيز المقابلة المنشورة في جويش كرونيكل في ٣ اكتوبر ١٩١٩ وهو قد فوض (بنشر) القرار الاتي :

انا مسرور بالفرصة التي خولت زيارة ممثلي الهيئة الصهيونية لي لاصلاح خبر مكدر . افهم ان السؤالات الموجهة الي في المقابلة المنشورة في جويش كرونيكل كانت عن موقفي تجاه تأسيس مملكة يهودية في فلسطين حالا فانا صرحت اني لا اوافق هذا الطلب والحقيقة ان مثل هذا الطلب لم يوجه من قبل الدكتور وايزمان ولا من قبل ... » . انتهى .

٧٥ ـ *Jeffries*, op. cit., p. 308.

٧٦ ـ *Documents*, op. cit., pp. 624-626.

٧٧ ـ *Documents*, op. cit., p. 360. وذكر لي **المرحوم عوني عبد الهادي** انه في اثناء مباحثات فيصل مع **بيشون** (وزير الخارجية الفرنسي) قال **بيشون** لماذا لا تطالب ولا مرة بفلسطين كما تطالب بسورية فقال له اني كل مرة اطالب بها بسورية أجد من يردد صوتي في المطالبة فلو كنتم انتم تدعموني بالمطالبة في فلسطين لما ترددت في ذلك ... انا مستعد الان ان اصرح واطالب بملء صوتي بفلسطين لو كنت اضمن انكم تؤيدوني .

٧٨ ـ كانت اخبار المعارضة قد وصلت الى فيصل وهو لا يزال في اوروبة ، وقد سارت في دمشق مظاهرة سلمية تقدمت باحتجاج الى دار الامارة ومعتمدي الدول ووزارة الخارجية ضد كل تسوية « تقضي بتجزئة بلادنا وحرمانها من استقلالها وجعل جنوبها موطنا لليهود ... » **العاصمة** عدد ٧٤ في ١٩١٩/١١/١١ .

٧٩ ـ النص الكامل بالانجليزية بين مجموعة اوراق **المرحوم عوني عبد الهادي** .

٨٠ ـ **السفري ، عيسى** ، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، يافا ١٩٣٧ ص ٣٤ .

٨١ ـ **المصدر نفسه** ص ٣٤

٨٢ ـ **الحصري ، ساطع** ، يوم ميسلون ، بيروت ـ طبعة اخيرة ، ص ٢٧٨ ـ ٢٨١ .

٨٣ ـ **مقابلة شخصية مع السيد عزة دروزه**

٨٤ ـ *Jeffries*, op. cit., p. 325.

٨٥ ـ جريدة **العاصمة** (دمشق) عدد ١١١ ٢٢ اذار ١٩٢٠ نقلا عن جريدة (سورية الجنوبية)

٨٦ ـ ورد في جريدة **الدفاع (الدمشقية)** عدد ٥٠ ، ٩ مارس ١٩٢٠ ، « ارسلت برقيات من جمعيات صهيونية الى اوروبة تذكر بان كل ما ظهر من مظاهرات انما هو عمل شرذمة قليلة من ارباب الغايات وطلاب الوظائف » .

٨٧ ـ *Young*, H., The Independent Arab, London 1933. p. 305.

٨٨ ـ **العاصمة** عدد ١٠٩ ١٥ مارس اذار ١٩٢٠

٨٩ ـ *Jeffries*, op. cit., p. 323-24.

٩٠ ـ في جريدة **الدفاع الدمشقية** عدد (٦٥) ١٩٢٠/٣/٢٨ مقال حول التخوف من الهجرة الصهيونية الى فلسطين ثم اخبار مظاهرات اظهر الوطنيون فيها استياءهم من الهجرة .

٩١ ـ بين مجموعة اوراق **المرحوم عوني عبد الهادي** مسودة رسالة بخط فيصل كتبها الى اللنبي يذكر فيها الصداقة الشخصية « التي تمنعني واياكم ان تتصدر سحب السلاح ضد بعض .. لا يوجد في العرب نية عدائية ضد اي حكومة كانت وبالاخص الحكومة البريطانية وجيشها » .

٩٢ ـ **داغر ، اسعد** مذكراتي على هامش القضية العربية ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٢٩ .

وقد وجدت بين اوراق **المرحوم محب الدين الخطيب** اقتراح من فلسطين (دون توقيع) الى اللجنة الوطنية العليا التي كانت تتولى تدريب المتطوعين في دمشق وارسالهم الى مناطق الحدود من اجل اشراك

الفلسطينيين بالحركة الوطنية مع بيان اسمـاء زعماء البلاد وامراء العربان .

٩٣ ـ جريدة **الدفاع الدمشقية** عدد ٥٠ ٩ مارس ١٩٢٠

٩٤ ـ *Jeffries*, op. cit., p. 321. وقد وصف المؤلف بعض هذه الاحداث في اثناء رحلته الى دمشق قادما من مصر لمتابعة الاحداث التي تلت اعلان الملكيـة .

٩٥ ـ **الدفاع الدمشقيـة** عدد ٩٥ ١٩٢٠/٥/٤

٩٦ ـ **المصدر نفسه** عدد ٩١ ١٩٢٠/٤/٢٩

٩٧ ـ يقال ان اول من اوجد هذا الاحتفال صـلاح الدين الايوبي وهـو يتطابق مـع الفصـح المسيحي واحيانا يتطابق مع الفصح اليهودي ، وكان هذا الاحتفال يجلب منذ العهد العثماني جماهير كثيرة من القرى المجاورة خاصة من الخليل ونابلس ومعها الرايات وهي تنشد الاناشيـد القومية . وقد ذكر الاستاذ اكـرم زعيتر في رسالة شخصية انه تبين له بعد التحري ان الظاهر بيبرس هو اول من اوجد هذا الاحتفال.

٩٨ ـ *Newton*, op. cit., p. 133. وقد ورد في **العاصمة** عدد ١١٦، ١٢ نيسان ابريل ١٩٢٠ عن حادثة القدس ان احد الصهيونيين تعرض للعلم السوري وصورة صاحب الجلالة اللذين كان يحملهما زوار الخليل اثناء مجيئهم الى القدس فنشبت فتنة تكررت في اليوم الثاني حين اطلق صهيوني آخر رصاصا على جنازة احد الشهداء ...

٩٩ ـ *Times*, History of the War, vol. XXI, p. 448-49. قدرت الاصابات بـ ٥ قتلى و ٢١١ جريحا يهوديا و ٤ قتلى و ٢٢ جريحا عربيا .

١٠٠ ـ **صايغ ، انيس** ، الهاشميون وقضية فلسطين ، ص ٥٢ .

١٠١ ـ من مجموعة اوراق **المرحوم عوني عبد الهادي** مسودة رسالة بخط الملك فيصل .

١٠٢ ـ من مجمـوعة اوراق **المرحوم عوني عبد الهادي** مسودة رسالة بخط الملك فيصل .

١٠٣ ـ الوثيقـة السابقـة .

١٠٤ ـ *Esco*. op. cit., p. 148.

١٠٥ ـ *Documents* on British Policy, Ist. Series vol. 13. London 1963. Edited by Butler a Bury. Document no. 442.

١٠٦ ـ بين مجمـوعة اوراق**المرحوم عوني عبد الهادي** نسخة عـن هذه الرسالة باللغة الانجليزية وقد وجدت مسودة بخط الملك فيصل لجزء من هذه الرسالة باللغة العربية على النحو التالي :

« ... اما مسألة جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود فاني لم اتعهد ابدا به لا كتابة ولا شفاهة وكل ما تعهدت به واتعهـد به اليوم ايضا هو ان حقوق اليهود تبقى محفوظة في بلادنا كما كانت في الماضي بمعنى اننـا نحافظ عليهم محافظتنا على العرب الوطنيين ويكون لهم من الحقوق والوظائف ما يكون للوطنيين فيها ... اني اريـد قبل كل شيء ان يصرح لي بصورة مطبقة ان المؤتمر لا يريد ان يفصل بيـن فلسطين وسوريـة ويقطع ما بينهمـا من الروابط ... »

وقد وجدت في هذه المجموعة ايضا مسودة اقتراح ارسله فيصل الى الحكومة البريطانية بتأسيس حكومة عربية في فلسطين وان تقبل الحكومة البريطانية .

١٠٧ ـ من مجمـوعة **المرحوم عوني عبد الهادي** مسودة رسالة بخط فيصل .

١٠٨ ـ الدقيقـة السابعـة .

١٠٩ ـ **العاصمة** عدد ١٣٦ ١ تموز ١٩٢٠

١١٠ ـ **الكنانة الدمشقية** عدد ٢٩٦ ، ١٩٢٠/٦/٣٠

١١١ ـ **الكنانة الدمشقية** عدد ٢٩١ ، ١٩٢٠/٦/٢٣ ، **الدفاع الدمشقية** عدد ١٣٦ ، ٢٥ يونيو ١٩٢٠ .

وقد ذكر لي السيد **عزة دروزه** وكان من جملة من قابلهم كالفارسكي « انه لم يستطع ان يؤثر فينا .. حتى لقد فكر البعض باغتياله وكلنا وجدناه لا يستحق العناية » .

١١٢ ـ **الدفاع الدمشقية** عدد ١٥١ ١٩٢٠/٧/١٣

١١٣ ـ **المصدر نفسـه** .

سياسة اسرائيل في المناطق المحتلة

احمد خليفة

في حزيران من العام ١٩٧٠ ، ربما بمناسبة الذكرى الثالثة لاحتلال المناطق الجديدة ، صدر عن وزارة الدفاع الاسرائيلية تقرير شامل مطول عن نشاطات الحكم العسكري في المناطق المحتلة . الذي اعد التقرير هو البريغادير جنرال شلومو غازيت ، المنسق الرئيسي لعمليات الحكومة في المناطق المحتلة ، ويحتوي على المبادىء الموجهة لسياسة الحكومة ، وعلى معلومات وافرة عن البنية الادارية للحكم العسكري والنشاطات الاقتصادية والخدمات العامة المقدمة للسكان ... كما يحتوي على احصاءات عامة وجداول احصائية متنوعة ذات دلالات اقتصادية واجتماعية وسياسية بالغة الاهمية(١). ان دراسة مادة التقرير ، ودراسة آخر التطورات على صعيدي حركة الاستيطان ومع المقاومة المسلحة والسياسية للاحتلال ، تظهر بوضوح ان السياسة الاسرائيلية تجاه المناطق المحتلة قد اصبحت محددة ومبلورة ، وان خطوات كبيرة قد قطعت على صعيد فرض الوقائع الجديدة، ودمج اقتصاد المناطق المحتلة بالاقتصاد الاسرائيلي، باتجاه ابتلاع المناطق وضمها الى اسرائيل . كما تظهر الدراسة ايضا ان الاراء التي سادت بالمحصلة فيما يتعلق بالسياسات الواجب اتباعها تجاه المناطق كانت مزيجا من آراء الون نائب رئيسة الحكومة وموشيه دايان وزير الدفاع ، مع بعض التحفظات التي فرضتها حقائق الوضع الدولي وآراء ساسة معتدلين نسبيا كآبا ايبان وزير الخارجية ، وبنحاس سابير وزير المالية والمرشح الاقوى لخلافة رئيسة الحكومة .

— ١ —

ان المناطق المحتلة لم تطرح على اسرائيل المشاكل التي تطرحها عادة منطقة محتلة على سلطة احتلال فحسب ، وانما ايضا ايقظت فيها احلام الحركة الصهيونية القديمة فيما يتعلق بأرض اسرائيل الكبرى . يقول دايان فيما يشبه الكشف الذاتي ملخصا مشاعر الصهيونيين تجاه نتائج الحملة العسكرية الكبيرة الثالثة منذ بدء الغزو الاستيطاني الصهيوني للارض العربية منطلقا من فلسطين :

لمدة عشرين عاما ، من حرب التحرير (حرب الاغتصاب : ١٩٤٨*) وحتى حرب الايام الستة، عشنا الشعور باننا نحيا في القمة ، نتنفس هواء صافيا . قاتلنا حتى وصلنا القمة ، واكتفينا بما حصلناه ... ولكن بالنسبة لمشتهانا ، بيننا وبين انفسنا ، لم نكن في الحقيقة سعداء او مكتفين ، ولكننا قبلنا على انفسنا ان ايلات هي حدنا الجنوبي ، وان عرض دولة اسرائيل هو المدى بين قلقيلية والبحر البالغ اقل من عشرين كيلومترا ، وان القدس القديمة خارج الحدود ، وان هذه هي الدولة وعشنا فيها . وفي حياة الواقع اليومية عقدنا سلمنا الخاص مع كل هذا .

ان مصدر الهزة الكبيرة التي نحياها اليوم ... كامن في ادراكنا للحقيقة باننا كنا مخطئين ، وعلينا ان نعترف لانفسنا بذلك. حسبنا اننا بلغنا القمة ولكن اتضح لنا اننا ما زلنا في مراقي الجبل . القمة اعلى : ايلات لن تكون حدنا الجنوبي وانما شرم الشيخ ، وليست متوله (المطله) حدنا الشمالي وانما القنيطرة . وغزه ستكون جزءا من اسرائيل، والحد الغربي مكانا ما في سيناء . هذه قمة جديدة ...

هذه خلق خريطة جديدة ، خلق حدود جديدة ، خلق اسرائيل جديدة(٢).

الخريطة والحمائم

ان فكرة خلق خريطة جديدة لاسرائيل فكرة تستحوذ

على تفكير وزير الدفاع الاسرائيلي . انه يحدد «خلق خريطة جديدة لاسرائيل » كهدف اساسي من اهداف الجيل الاسرائيلي الراهن . يقول في خطبة القاها امام طلبة الجامعة العبرية في القدس الجديدة : « ان هدف جيلنا هو ... **تقرير خريطة ارض اسرائيل** . ليس مرة اخرى خريطة رمزية (كخريطة عام ١٩٤٨) ، وليس فقط استقلالا سياسيا ، وانما التقرير الجذري لخريطة ارض اسرائيل ، خريطة المناطق ، خريطة الامن ، وخريطة شكل العلاقات على الحدود بيننا وبين جيراننا(٣). وهو يرى ان جوهر ما حدث في عام ١٩٤٨ على صعيد تحقق اهداف الحركة الصهيونية كان مجرد حصول الشعب اليهودي على الاستقلال السياسي . وان هذا الاستقلال كان الروح ، وان الجسد الذي الحق به — الحدود ، المناطق — كان كافيا فقط، من الناحية الكمية ، لمجرد البقاء على قيد الحياة . وجاءت حرب حزيران لتفسح المجال لخلق جسد جديد وحدود جديدة . وردا على اولئك الذين يتساءلون، داخل اسرائيل ، عن مصير الشعب الفلسطيني وحقوقه في حالةخلق الجسد والحدود المطلوبة ، يقول دايان بايجاز : « لا اعتقد ان هدف جيلنا هو اعطاء اختيارات مفتوحة للعرب ... ان المهمة الملقاة على عاتقنا في هذا الجيل هي اعطاء الحلول الصحيحة لارض اسرائيل»* انه يطلب من اسرائيل ان تحدد مصالحها الاساسية اولا ، ومن ثم تترك للسكان العرب التصرف بما لا يتناقض مع تلك المصالح(٤).

اما بالنسبة لمساحة الخريطة ، او بعبارة اخرى مكان الحدود الجديدة ، فان دايان يبقى غامضا بشانها . انه يضع التاكيد في تصريحاته وخطبه على العمل لخلق وقائع جديدة :

هناك خلافات في الراي حول خريطة المستقبل لدولة اسرائيل ، وانما في رأيي لا ضرورة لان يكون هناك خلاف في الراي حول النقطة التالية : في الاماكن التي لا نريد الانسحاب منها ، وهي جزء من الخريطة الاقليمية الجديدة لدولة اسرائيل ، علينا ان نخلق وقائع جديدة : ان نقيم مستوطنات — مدن ، ومستوطنات زراعية وصناعية ، وقواعد عسكرية . وهكذا تتشكل خريطة جديدة ، ليس بيوم واحد او بشهر واحد ... ولكن تتشكل(٥).

ان الخلافات في الراي التي يشير اليها دايان بين اعضاء الحكومة الاسرائيلية نبعت من اعتبارات ثلاثة اولها الخلاف فيالراي حول احتمالات تحقق السلام بين العرب واسرائيل والخشية من ان تنسف خريطة اكبر من اللازم هذه الاحتمالات . وثانيها الخشية على الطابع اليهودي للدولة من الزوال في المستقبل نتيجة لتفوق نسبة التزايد لدى السكان العرب على مثيلتها لدى اليهود(٦). وثالثا عوامل الضغط الدولي . ان فريق « الحمائم » في الحكومة الاسرائيلية ، وأبرز عناصره ايبان وسابير وممثلو حزب المابام ، بدا ميالا للتخلي عن مساحات اكبر من الاراضي المحتلة حديثا مقابل سلم حقيقي ، وعارض مبدأ الاستيطان الواسع او تقرير خريطة محددة لاسرائيل قبل استئناف فرص السلام . واظهر انه « يكتفي » بالجولان وقطاع غزة وشرم الشيخ اضافات للخريطة ويترك الضفة الغربية وصحراء سيناء مجالا قابلا للاخذ والرد في مباحثات مقبلة . بينما طالب فريق « الصقور » بالمقابل ، وأبرز عناصره في الحكومة دايان والون(٧) ، باستيطان الضفة الغربية ، اضافة للجولان وغزه واجزاء من سيناء ، استيطانا حثيثا وعلى نطاق واسع ، واعيا بأن استيطانا كهذا فقط يمكن أن يكبل يدي الحكومة في اية مفاوضات قادمة ويستدعي بالضرورة اضافات اقليمية للخريطة(٨). ان فريق الصقور كان يخشى كما يبدو من ان تؤدي عوامل معينة الى ازدياد الضغط على اسرائيل لكي تنسحب من معظم المناطق ، ومن ان يغير فريق « الحمائم » والرأي العام الاسرائيلي تحت الضغط موقفه في اللحظة الاخيرة من مسألة احداث « تغيير جذري في خريطة اسرائيل » ، ومن هنا وضع تشديده على ضرورة خلق وقائع جديدة « لا تكبل فقط ايدينا وانما ايضا يدي الطرف الاخر ويدي الواقع »(٩) معتبرا انه هنا يكمن جوهر القضية . وقد اصبح واضحا الان، بعد مرور ثلاث سنوات ونصف علىالاحتلال، ان الفريق الذي سادت وجهة نظره كان فريق الصقور ، وان مجمل تأثير آراء الحمائم كان ابطاء سير عملية الاستيطان ، لا الغاءها . وقد تكرس سقوط وجهة نظر الحمائم نهائيا بموافقة لجنة الامن والخارجية التابعة للكنيست في ايار من هذا العام على سياسة الحكومة بشأن اقامة (٢٥٠) مسكنا يهوديا في الخليل وبشأن اقامة مدينة في الضواحي الشرقية لمدينة الخليل(١٠). اذ مثلت هذه الخطوة نقلة في التفكير الاسرائيلي بشأن الاستيطان من مرحلة المستوطنات الزراعية والدفاعية الى مرحلة المستوطن — المدينة ، وهي مرحلة (مستثنيا القدس)(١١) كان فريق الحمائم قد نجح في تأخيرها

حتى لحظة اتخاذ الحكومة قرارا بهذا الشأن في آذار من عام ١٩٧٠ .

وقائع الصقور الجديدة ــ ألون

ان عبارة « خلق وقائع جديدة » من العبارات التي يكثر فريق الصقور في اسرائيل من استخدامها . والوقائع الجديدة لا تتمثل فقط في الاستيطان، وانما ايضا في الدمج الاقتصادي التدريجي ، وفي انشاء القواعد والمراكز العسكرية ، وفي توسيع شبكة الطرق وتحسينها .

ان نظرة ايغال الون بالنسبة للاستيطان تختلف عن نظرة دايان ، وان كانت المحصلة العملية للنظرتين في النهاية واحدة . ان الون يضع التأكيد في الاستيطان على الجانب الامني بالمعنى « السياسي ــ العسكري » له ، وان كان طرأ تحول على تفكيره بالنسبة لهذه المسألة مؤخرا . ولكن قبل ان نتكلم بشيء من التفصيل عن النظرتين يجدر بنا أن نشير الى ان الجدل الاساسي حول الاستيطان والدمج الاقتصادي كان يمس الوضع في الضفة الغربية ، وربما غزة ، وليس الجولان بالتأكيد . ان الجولان اعتبرت جزءا من اسرائيل ، فالغي العمل بالقانون السوري والعملة السورية واحل محلهما القانون والعملة الاسرائيلية . وتظهر الارقام المتعلقة ببناء المستوطنات ، ما تم انشاؤه حتى الان وما هو تحت الانشاء ، ان الاستيطان في الجولان كان يسير بسرعة حثيثة ، كما تظهر المخططات الموضوعة لتطوير الاستيطان ومصادر المياه والزراعة في الهضبة انه لم يكن هناك ثمة خلاف كبير داخل الحكومة الاسرائيلية حول هذا الموضوع. فمن أصل (٢٢) مستوطنة كانت قد تمت اقامتها حتى شهر آذار من عام ١٩٧٠ ، تقع (١٠) مستوطنات داخل تخوم هضبة الجولان ، وتتوزع الباقية كالتالي : (٥) في غور الاردن ، و(٣) في شمال سيناء ، و(٢) في غوش عتسيون بين القدس والخليل، وواحدة في بيت نوبا (موديعين). ومن اصل (٨) مستعمرات كان العمل جاريا في انشائها حتى ذلك التاريخ تقع (٤) ضمن تخوم الهضبة ، مقابل واحدة في غور الاردن ، واثنتان في مدخل رفح وواحدة في غوش عتسيون(١٢). ونشرت جريدة هآرتس الرصينة في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٠/٦/١ انه قد تمت الموافقة على برنامج خماسي لتطوير مستعمرات هضبة الجولان وتثبيتها اقتصاديا ، وان المتحدث بلسان وزارة الزراعة صرح بأن مبلغ (١٧٠) مليون ليرة اسرائيلية مطلوب لتنفيذ هذا المخطط لاستثمارها في اعمال مختلفة كاقامة المباني وتطوير الحقول المنتجة . وذكر حاييم جفتي وزير الزراعة الاسرائيلي في تصريح نشرته جريدة دافار بتاريخ ١٩٧٠/٨/١٧ ان الاولوية بالنسبة لتطوير الهضبة ستعطى لتنمية مصادر المياه للتوصل الى (٢٨) مليون كم مربع من المياه في السنة(١٣).

هذا بالنسبة للجولان . ولم يكن الامر كذلك بالنسبة للضفة الغربية . ان التصورات بشأنها ما زالت غامضة وان كان هذا لا يعني ان حركة فرض الوقائع الجديدة فيها غير جارية . ان اسرائيل لم تصرح حتى الان بشكل رسمي انها معنية بضم الضفة الغربية وما زال القانون الاردني ساري المفعول والعملة الاردنية معمولا بها . والسبب الرئيسي هو أن الضفة الغربية عامرة بالسكان ومن الصعب جدا ، ضمن الظروف السائدة الان في المنطقة والعالم ، تفريغها من سكانها الفلسطينيين العرب . ان الون يرى في الضفة الغربية « متنفسا امنيا وطيدا نستطيع بواسطته صد كل اعتداء من الشرق »(١٤).ويصرح بانه مهما كان الحل السياسي للمناطق المأهولة بالسكان في القرى العربية في الضفة الغربية فان نهر الاردن وغور الاردن وسلسلة الجبال العالية التي تمتد بمحاذاة نهر الاردن بما في ذلك الصحراء الواقعة بين البحر الميت والخليل يجب ان تبقى كلها بيد اسرائيل(١٥). وقد قدم الون مشروعا اشتهر باسمه يدعو فيه الى اقامة سلسلة من المستوطنات تغلب عليها الصبغة العسكرية في المناطق الا ستراتيجية غير المأهولة كثيرا بالسكان لتشكل حزاما امنيا يمتد على طول نهر الاردن ويساعد اسرائيل على محاربة التسلل الفدائي ومنع دخول أي جيش عربي الى الضفة في المستقبل . ويرى ابني نيسان ، احد كتاب جريدة دافار ، ان اكبر مزية لمشروع الون تكمن في مرونته ازاء « الشريك » للتسوية ... فقد اوجد المشروع، في رأيه ، امكانية للتسوية مع المملكة الاردنية ، او مع كيان فلسطيني يحصل على سيادته ضمن حدود المملكة الهاشمية ... كما أوجد امكانية لاقامة منطقة من الحكم الذاتي في المناطق المأهولة من الضفة الغربية(١٦).

من الواضح ان الكاتب المذكور، في اعتباره المشروع منسجما مع الاختيارات المذكورة كلها ، ينطلق من تصوره لفارق كبير موجود بين استيطان الون الذي تغلب عليه الصبغة « الامنية ــ العسكرية »

واستيطان دايان أو بيجن الذي تغلب عليه الصبغة التوسعية . ولكن البيان الذي أدلى به ألون في الكنيست في آذار ١٩٧٠ حول استيطان مدينة الخليل وانشاء مدينة يهودية ملاصقة لها يؤكد ان هذا التصور لم يعد يستند الى اساس قائم بعد . يقول ألون بالحرف الواحد مخاطبا الكنيست :

ان الروابط التاريخية التي تشد الشعب اليهودي لمدينة الخليل ، والمكانة التي تحتلها كمدينة الاباء ومهد الامة ، أمر معروف للجميع . ان اهمية حافة البحر الميت ، وصحراء يهودا ، وجبل الخليل من الناحية الاستراتيجية ، ليست أيضا خافية عن نظر الحكومة . ولذلك لم يكن من المستغرب ان تقرر الحكومة السابقة استيطان غوش عتسيون ...

ان الحكومة السابقة ، منطلقة من المكانة الخاصة التي تحتلها مدينة الخليل ، وافقت على سكنى مجموعة المستوطنين في مدينة الخليل... ان اليهود المقيمين هناك مقيمون كأصحاب حق ، مقيمون بمعرفة الحكومة ومساندة الحكومة ، وتقدم لهم دوائر الحكومة المختلفة كل الخدمات المطلوبة ...

ان الحكومة السابقة كلفت فريقا من الخبراء ... باعداد بحث شامل عن امكانات انشاء ضاحية يهودية كبيرة ملاصقة لمدينة الخليل .

وقد جددت الحكومة الحالية مناقشاتها لتوصيات فريق الخبراء وكلفت فريقا آخر بالبدء فورا باعداد مشروع نموذجي للضاحية المذكورة،بدءا بمواصفاتها وانتهاء بمخطط لبناء المدينة وكل المسائل الصورية المتعلقة بذلك ...

وتدرس الحكومة الان طرائق عديدة ... لتنمية عدد السكان اليهود حول نواة المستوطنين الحالية ، دون ان تربط ذلك بالتخطيط النهائي للضاحية(١٧).

وردا على سؤال فيما اذا كانت اقامة الضاحية اليهودية المذكورة — وهي خطوة تهويد واضحة لمنطقة آهلة بالسكان — لا تتناقض ومشروع ألون، يقدم نائب رئيسة الحكومة الاسرائيلية الاجابة التالية المنشورة في ملحق هآرتس — ٩/٤/ ١٩٧٠ :

على العكس من ذلك . يجب السعي لادخال صحراء يهوذا ضمن خارطة اسرائيل المستقبلة ... ان صحراء يهوذا تحيط بالبحر الميت . ان المبنى الطبوغرافي لها ملائم لحرب العصابات وهي تحيط بالضواحي الجنوبية والشرقية لمدينة القدس. ولهذا من وجهة نظر امنية صرفة علينا التمسك بها .. انها لا تصلح لاستيطان زراعي كلاسيكي ولهذا فان بناء مدينة يهودية على رأس الجبل... يلبي حاجتين في وقت واحد حاجة توطين سكان يهود بكثرة في الطرف الغربي لصحراء يهودا من جهة ، ومن جهة اخرى يعطينا الاقتراب من مدينة الاباء اكتفاء ادبيا تاريخيا .

لقد اقتبسنا هذه الفقرات من اقوال ألون بشكلها المطول لندلل على أمرين في منتهى الاهمية : أولا ان الفوارق في وجهات النظر ، بين الصقور ، فيما يتعلق بطبيعة الاستيطان (أمني مقابل توسعي) تضيق بمرور الوقت تحت وطأة السير المتسارع لحركة خلق الوقائع الجديدة وتسحب معها مجمل افراد الحكومة الاسرائيلية. وثانيا ان هذه الفوارق لم تكن منذ البداية أصيلة وثابتة لتصمد في وجه المطامع القابعة في اعماق القلب والضغط المعنوي والخطوات التنفيذية لسياسة الامر الواقع .

وقائع دايان

ان مهندس سياسة « الوقائع المفروضة » والديناميو المحرك لها في الحكومة الاسرائيلية هو ، كما لا بد وضح من كلامنا ، موشي دايان . انه يصر على أن السؤال الوحيد الواقعي المطروح امام الحكوم ليس برنامج السلام هذا او ذاك ، وانما « م العمل ؟ ابقاء الاختيارات مفتوحة والامتناع عن فرض وقائع حتى لا تصبح عائقا في طريق مفاوضات السلام — او الانطلاق بجهد متواصل على مدى الـ ٢٤ ساعة لخلق وقائع جديدة ، وتحطيم القديمة ، وتغيير الواقع ... تغييره بشكل يقربنا من الوضع الذي نطمح اليه»(١٨).

ان دايان ، بدءا ، لا يضع التأكيد بالنسبة لمسألة الاستيطان على الجانب الامني — العسكري ، الجانب الاكثر اهمية والاثقل وزنا في رأيه هو أن الاستيطان يخلق « وقائع سياسية جديدة . وذلك من ضمن الافتراض ... بأن المكان الذي نقيم فيه مستوطنة او ممتلكا لن نتحرك منه »(١٩). وهو يعلن صراحة انه لا توجد اليوم اهمية خاصة للاستيطان من الناحية الامنية وان الدفاع عن حدود غير مستوطنة ممكن تماما كالدفاع عن حدود مستوطنة . ويضرب مثلا على صحة كلامه خط قناة السويس ، الخالي من المستوطنات ، والمسيطر عليه — حسب اعتقاده — ليس أقل من خط غور الاردن او بيسان(٢٠).

ولذلك لا يكتفي دايان بمستوطنات الون«الدفاعية» وانما يطالب باقامة مدن يهودية في الضفة الغربية في أماكن مشرفة على الطرق الاستراتيجية .

المدن في رايه تمتاز بمزايا ثلاث : اولا تحتاج الى ارض اقل وتضم سكانا اكثر وبالتالي من الممكن الدفاع عنها بسهولة اكثر . ثانيا من الممكن اقامة المدن في الاراضي غير الصالحة للزراعة وبالتالي تقل الحاجة لمصادرة أراض زراعية لاقامتها . وثالثا المدن بطبيعتها أقل احتياجا من المستوطنات الزراعية لتأمين كفايتها من البضائع والخدمات . ويعتقد دايان انه ، متى تم انشاء المدن ، فان دمج اقتصاد الضفة الغربية بالاقتصاد الاسرائيلي سوف يتحقق تلقائيا(٢١).

ان دمج اقتصاد الضفة الغربيةبالاقتصاد الاسرائيلي يمثل في الحقيقة المطلب الثاني لدايان بالنسبة لخلق الوقائع المفروضة . وهو مطلوب لتقليل اعتمادها على الدول العربية المجاورة وزيادة اعتمادها على اسرائيل ، ومطلوب ايضا لصياغة شكل العلاقة التي يطمح دايان لرؤيتها في المستقبل قائمة بين العرب واليهود . انه يقول في خطاب علني القاه في بئر السبع بتاريخ ١٩٦٨/١١/٦ بأن على اليهود ان يتعلموا الحياة مع السكان العرب ما دام ليس في نيتهم طردهم من الضفة والقطاع ، وليس في نيتهم التخلي عن « حقهم » في الحياة في الخليل واستيطانها . انه يدعوهم للعمل على تغيير شكل العلاقة القائمة بحيث يصبح الواقع واقع تعايش — كما يفهمه هو طبعا — لا واقع حواجز وعداء . انه يطرح السؤال : ما معنى الحياة سوية ؟ ويجيب عليه « شيئان . أولا بمقدار ما يتعلق الامر بنا سحق الحواجز والتغلب على مشاعر العداء . ثانيا تحقيق الدمج الاقتصادي ، ربط شبكات الكهرباء الرئيسية* ، ربط شبكات المياه ، اقامة شبكة مواصلات مشتركة ووضع برنامج زراعي مشترك للمنطقة كلها ... واكثر من ذلك ، يجب اتاحة الفرصة لعرب الخليل للعمل في بئر السبع لانه توجد هناك بطالة في الخليل مقابل نقص في الايدي العاملة في بئر السبع ، كما هو الامر بالنسبة لسكان رام الله العاملين في القدس»(٢٢).

ولكن هناك مشكلة معينة تقلق دايان : انها نسبة عدد السكان العرب الى السكان اليهود في منطقة الخليل — بئر السبع . ان هناك في منطقة الخليل حوالي الـ (١٢٠) ألف عربي ، وفي منطقة بئر السبع حوالي الـ(١٦٠) الف يهودي،و«هذه نسبة غير مرضية . الا انه ليس هناك ما يحول دون تحويل غوش عتسيون ، التي هي بين القدس والخليل ، الى مركز يهودي مديني ، صناعي ، زراعي وروحاني . وفي امكاننا أن نفعل ذلك ... ان بئر السبع التي انطلقت كبلدة نامية عقب حرب الاستقلال أصبح عدد سكانها عقب حرب الايام الستة ٨٠ الف نسمة »(٢٣).

ان استيطان الضفة الغربية ودمجها اقتصاديا بالاقتصاد الاسرائيلي يحقق لدايان اذن أمرين : بقاء الضفة منطقة آمنة عسكريا ومفتوحة لليهود « للزيارة ، والعيش ، والاستيطان » من جهة ، وخلق اوضاع مادية وانماط حياة جديدة بين الفلسطينيين العرب وبين اليهود من جهة اخرى ، وهذا ما يعنيه دايان بعبارة « تكبيل يدي الواقع». أما بالنسبة للوضع السياسي فان دايان يقول بأنه لا يهمه كثيرا اذا اختار سكانها ان تكون جزءا من الاردن مع شيء من الاستقلال الذاتي ، او اختاروا لها البقاء مستقلة ، او قرروا بكل بساطة ان تكون جزءا من الاردن ، ولكن بشرط ان تقبل مطالب اسرائيل . وهو يصوغ هذه المطالب بالشكل التالي : « اولا : ان يكون لنا ، كحق وليس كمنة، ان نزور ، ونعيش ، ونستوطن . ثانيا : أن يكون لنا قواعد عسكرية هناك ، وان يكون الجيش الاسرائيلي قادرا على العمل بحرية ، سواء في الحرب الصغيرة الان ضد الفدائيين ، او في حالة وقوع حرب اكثر شمولا . ويجب ان نكون بالطبع قادرين على منع دخول أي جيش عربي للضفة الغربية »(٢٤).

ولذلك كما قاتل دايان من اجل فرض العمل العربي داخل اسرائيل رغم معارضة سابير وبن غوريون التوية له ، قاتل من اجل ابقاء الجسور مفتوحة بين الضفة الغربية والاردن . ان هناك ابعادا أمنية واقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة سوف ترد في سياق البحث ، ولكن هناك بعدا سياسيا لهذه السياسة مربوطا بالمصير الذي يتصوره دايان لسكان الضفة.ان دايان لا يريد فرض الجنسية الاسرائيلية على عرب الضفة والقطاع لما تتضمنه من حقوق سياسية ، ولا يسمح لهم بالتوطن داخل حدود ما قبل حزيران ، لانه يريد الحفاظ على الطابع اليهودي للدولة — ولكنه يدرك في الوقت ذاته انه من المستحيل ابقاء مجتمع بأكمله قاصرا سياسيا . اذن ما الحل ؟ ان منطلق الحل الذي يتوصل اليه دايان هو « ابقاء الاتصال بين السكان العرب في المناطق والدول العربية مستمرا ... وتمكينهم من الاحتفاظ بروابط قومية وثقافية وثيقة مع الدول العربية ، ومن الذهاب الى هناك للدراسة ...

والتفتيش عن طريقة ما كي يظلوا قادرين على البقاء كمواطنين اردنيين »(٢٥). اما الحل ذاته فان دايان يرفض ان يلزم نفسه به ، ولكنه يغامر بتصور وضعية يراها معقولة ، وان كان يدخلها في حيز اللعب بالافتراضات : « ان سكان مدينة القدس ، كمواطني المدينة ، يحق لهم التصويت في انتخابات المجلس البلدي ، ولكنهم كمواطنين اردنيين لا يحق لهم التصويت في انتخابات الكنيست . انني لا ارى اي خطأ في وضعية كهذه . لنفترض انه تم التوصل الى سلم مع الاردن ، معاهدة سلم كاملة ، وسمحت الاردن لهم بالتصويت في انتخابات البرلمان الاردني. في هذه الحالة سيكون لديك مواطن من القدس هو عضو في الوقت ذاته في برلمان عمان... انك لا تستطيع أن تبقي مجتمعا بأكمله قاصرا سياسيا . عاجلا او آجلا أنت مضطر لان تمنحه نفس الحقوق السياسية التي تملكها . فاما ان يكون له الحق بالتصويت في انتخابات الكنيست ، او الحق بالتصويت لانتخاب برلمان آخر »(٢٦).

ان مثل هذا الحل ، بالطبع ، ليس حلا وانما مجرد « لعب » لا اكثر ولا اقل . وقد اوردناه لندلل على « جدية » الجدل الدائر حول مصير المناطق داخل اسرائيل مقابل جدية الحركة الجدلية المتمثلة في الخطوات الحثيثة على درب الوقائع المفروضة. ضمن هذا الاطار من المطامح والتصورات يجب النظر الى سياسات اسرائيل المتعلقة بالاستيطان والدمج الاقتصادي. وضمن هذا الاطار تجب مراقبة الخطوات التي تم تنفيذها حتى الان : المستوطنات التي أنشئت والمخطط لانشائها، الاستيطان اليهودي في مدينة الخليل والمخطط لانشاء خليل يهودية ، مصادرة الاراضي ، القواعد العسكرية ، شبكة الطرقات التي مدت او وسعت او حسنت نوعيتها(٢٧)، شبكة كهرباء غزة التي ربطت باسرائيل والمركز الصناعي الذي اقيم في شمالها هذا العام ، مراكز البحث العلمي والزراعي لدرس التربة والمناخ والتنقيب عن مصادر المياه ، العمل العربي في اسرائيل ، الاستثمارات اليهودية في المناطق ، والجسور المفتوحة . انها كلها تسير باتجاه واحد. فرض وقائع جديدة تكون محصلتها العملية فيما لو استمرت الحركة قيام اسرائيل اكبر تحكم شعبا فلسطينيا ليس « قاصرا سياسيا » وانما مغلوبا على أمره ، مسموحا له بالاحتفاظ بروابط « قومية وثقافية » مع البلدان العربية تخديرا لمشاعره حتى لا يثور .

محتفظين في ذهننا بهذا الاطار ننتقل الان الى الجانب الاخر من سياسات اسرائيل في الضفة الغربية ، وهو الجانب العملي المتمثل بسياسة القمع (او التهدئة كما يسميها العسكريون الاسرائيليون) والاتجاهات والخطوات الاقتصادية التي ينفذها الحكم العسكري المحتل .

— ٢ —

مباشرة بعد حرب الايام الستة اقيمت في المناطق المحتلة حكومة عسكرية لتتولى مهام الامن واعادة الحياة الى مجاريها الطبيعية . وقد قسمت المناطق المحتلة الى اربع وحدات ادارية وعين على رأس كل وحدة حاكم عسكري. والوحدات الادارية الاربع هي (١) الجولان (٢) الضفة الغربية (٣) قطاع غزة وشمال سيناء (٤) منطقة شرم الشيخ في جنوب سيناء ويطلق عليه المحتلون اسم « منطقة شلومو » . وقد كان الدافع لهذا التقسيم اختلاف القوانين المعمول بها في كل من المناطق المذكورة من جهة وتسهيل ادارتها من جهة اخرى . وبينما ظل القانون الساري في غزة وسيناء بمنطقتيها هو القانون المصري ، والقانون الساري في الضفة الغربية هو القانون الاردني، الغي القانون السوري في الجولان في عام ١٩٦٨ واحل محله القانون الاسرائيلي . واعتبرت الجولان جزءا من اسرائيل ومنطقة تطوير واستيطان .

قمع المقاومة

وقد اعتبرت الحكومة العسكرية ان المهمتين الاوليتين اللتين كان عليها ان تواجههما في البداية في المناطق الاهلة بالسكان — وهي الضفة والقطاع — هما تهدئة الاوضاع واعادة تنشيط الاقتصاد . فقد قابل السكان في المناطق المحتلة الاحتلال في الاشهر الاولى بمحاولة عصيان مدني تمثلت في الاضرابات والامتناع عن دفع الضرائب واغلاق المدارس وامتناع المحامين عن المرافعة امام المحاكم ومقاطعة البضائع اليهودية وحملة تحريض وتوقيع لعرائض الاحتجاج والاستنكار . وقد كان المحرك الرئيسي لهذه الحملة، في رأي شلومو غازيت منسق عمليات الحكومة في المناطق،هو اعتقاد السكان الفلسطينيين في الضفة أن عصيانا مدنيا على نطاق واسع معززا بضغط دولي على اسرائيل يمكن ان يرغمها على الانسحاب(٢٨).

وقد كان رد فعل الحكومة تجاه حملة العصيان المدني منذ البداية الرد التقليدي لسلطة احتلال

عسكرية: سجن ونفي العناصر التي اعتقدت سلطة الاحتلال انها مسؤولة عن حملة العصيان المدني ، وانزال القوات العسكرية الى الشارع للارهاب وقمع التظاهرات، وفرض منع التجول والتفتيشات المقصود منها العقاب والازعاج والمضايقة، ومحاولة شراء متعاونين معهـا للتخريب على الحملة مـن الداخل . وعندما كانت الحملة تشتد احيانا كانت السلطة تلجأ الى مصادرة المحلات التجارية وابنية المدارس واغلاق الاسواق لفترات معينة، كما حدث عندما أغلقت السلطة العسكـرية مركز السـوق التجاري في نابلس وصـادرت مدرسة الصلاحية الثانوية في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٩ ومدرسة فلسطين الثانوية في غزة في تشرين الثاني (نوفمبر) من نفس العام وحولتهما الى مبنيين من مباني الحكم العسكري(٢٩).

ان العصيان المدني الذي جابه به السكان الاحتلال في الاشهر الاولى له ظل مجرد محاولة ولم يتفتح الى عصيان مدني حقيقي . والسبب هو عجـز القيادات السياسية التقليدية والانفصام القائم بينها وبين السكان في المدن ، والموقف المتعاون الذي اتخذه الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل، وغياب القيادات السياسية اصلا عـن الريف . ويضاف لذلك كله بالطبع اجراءات السلطة المحتلة ومبادرتها لابعاد كل عنصر فعال سياسيا الـى الضفة الشرقية بموجب أمر اداري . وقد ذكر دايان في تصريح نشرته جريدة دافار (عدد ١٩٦٩/١٢/١٧) ان عدد القادة العرب المطرودين من الضفة الغربية الى الاردن حتى تاريخ ١٩٦٩/١٢/١ بلغ (٧١) شخصا . وتظهر قائمة تفصيلية بأسماء المبعدين انه في عام ١٩٦٩ فقط تم ابعاد (١٣١) شخصا من المناطق المحتلة(٣٠).

ان محاولة العصيان المدني تمحورت حول رفض قضيتين اساسيتين: ضم القدس واجراءات التهويد العملية ، وحذف مادة واسعة من المنهج الدراسي المقرر للمدارس بحجة انها تنمي في الطلاب مشاعر العداء تجاه اليهود واتضح انها شملت كل ما من شأنه أن ينمي الشعور الوطني او الوعي السياسي لدى الفلسطينيين . وقد انتهت محاولة العصيـان المدني هذه في النهاية الى الفشل ... ونجح الحكم العسكري في تصفية مظاهرها تدريجيا . فانتظمت الخدمـات البلدية وافتتحـت المدارس واصبحت الاضرابات فيها متقطعة وازدادت الضرائب المجموعة في الضفة سنة عن سنة(٣١)، وانتظم العمل في المحاكم ، ولم يبق من مظاهر حملة العصيان المدني بعد مرور اكثر من ثلاث سنوات على الاحتلال الا اضراب المحامين الذي استمر دونما أية فعاليـة حقيقية .

الا ان التحدي الاكبر للاحتلال لم يكن صادرا فـي الحقيقة عن القيادات السياسية التقليدية التي رات في حملة عصيان مدني الرد المناسب او الممكن ، وانما من المنظمات الفدائية التي رات في الكفاح المسلح الوسيلة الاكثر نجاعة والوحيدة التي تعد بأمل في المستقبل . وقد بدأت العمليات الفدائيـة الاولى بعد الاحتلال في شهر اب (اغسطس) من عام ١٩٦٧ ، ونفذت في المناطق المحتلة قديمـا ، وتمثلت في نسف عدد من الجسور وانابيب الميـاه ، ومهاجمة عدد من المنشآت الصناعية ، ووضـع القنابل في اماكن تجمعات سكانية . وكـان وضع المتفجرات في اكتوبر ١٩٦٧ التي اكتشفت قبل ان تنفجر في سينما صهيون في القدس الجديدة اشهر هذه العمليات(٣٢).

ان العمل الفدائي قام بعد الاحتلال مباشرة بمحاولة لنقل مركز الثقل في نشاطاته الى داخل المنطقـة المحتلة ، وبشكل أساسي الضفة الغربية . فقد أعلنت منظمة العاصفة ، الذراع العسكري لفتح، في اواخر حزيران ١٩٦٧ ان قياداتها قد انتقلت الى المناطق المحتلة وانها ستواصل عملياتها ضد العدو من هناك . ومن المعروف ان « أبو عمار » شخصيا كان من بين الاشخاص الذين انتقلوا للضفـة الغربية للاشراف على التخطيط لبدء العمل المسلح ضد الاحتلال وانه غادر الضفة بعد ان بدأت حملة الاعتقالات في صفوف فتح . كما قامت الجبهـة الشعبية لتحرير فلسطين ، المشكلة انذاك حديثا، بتسريب عدد كبير من العناصر القيادية الى الضفة والقطاع مفترضة ، وفتح ، ان المجال الحيوي للمقاومة المسلحة هو الشعب الفلسطينـي فـي المناطق ، وان الكفاح المسلح لا يمكن ان يشتـد وينمو ويحقق اهدافه الا اذا نجح في تعبئة الشعب بحيث يقاتل ويوفر الحماية والاختفاء للمقاتلين . ان السلطة الاسرائيلية ادركت منذ البداية « ان عاملا وحيدا يمكن ان يرجح كفة الميزان [الى جـانب العمل الفدائي او جانب التهدئة] وهو : موقـف وعلاقة مجموع السكان العرب في المناطق المحتلة بخلايا المخربين» (٣٣). وبالتالي حددت اسرائيـل كهدف أساسي من أهداف سياستها في المنـاطق المحتلة عزل الفدائيين عن مجموع السكان . ومن

اجل تحقيق هذه الغاية لجأت السلطة المحتلة الى وسيلتين . الوسيلة الاولى مباشرة وآنية وتلخصها عبارة « الترهيب والترغيب » المألوفة — ايقاع العقاب القاسي بالفدائيين والمشاركين في التنظيم او العمليات من جهة ومن جهة اخرى اعطاء السكان امتيازات (يمكن ان تحجب) مثل : حرية الانتقال والسفر ، وحرية المتاجرة، وضرائب اقل ، وحرية الكلام ، وجهاز اداري حكومي مكون في غالبيته من العرب(٣٤). اما الوسيلة الثانية فهي اكثر جذرية وتعطي نتائجها في مدى زمني ارحب — انعاش الاقتصاد ورفع المستوى المعيشي للسكان .

ان العقاب القاسي يتمثل في السجن والتعذيب والنفي ونسف البيوت ومصادرة الممتلكات ، رغم ان السلطات المحتلة ، بالطبع ، عندما تتكلم عن « العقاب القاسي والسريع » كوسيلة من وسائل الردع الاساسية لا تدخل التعذيب من ضمنه ، وان كان اصبح ثابتا ان السلطات الاسرائيلية تمارسه على نطاق واسع(٣٥). ان السلطة العسكرية تعطي مبدأ نسف البيوت اهمية خاصة كوسيلة من وسائل الردع ، وتعتبر انه على الصعيد العملي يمكن ان يعطي نتائج بالنسبة لارهاب مجموع السكان اكثر من السجن او النفي . ان محاكمة الشخص الذي القى القنبلة على مغارة المكبلة في الخليل مثلا قد تأخذ ، كما يقول غازيت ، وقتا طويلا ، ولكن نسف بيته في اليوم التالي لالقاء القبض عليه هو « عمود من الدخان يستطيع كل واحد ان يراه ويسمعه ويفهم منه ما يجب ان يفهم »(٣٦). وقد صرح دايان (دافار — ٢/١٧/ ١٩٦٩) ان عدد البيوت المنسوفة حتى تاريخ ١٩٦٩/١٢/١ بلغ (٥١٦) منزلا . ولم يقتصر نسف البيوت على بيت الفدائي او الذي آوى الفدائي او ساعده ، وانما تجاوز ذلك الى نسف البيوت في المنطقة التي وقعت فيها العملية . وهكذا في تشرين الاول (اكتوبر) من عام ١٩٦٩ نسفت السلطة المحتلة في حلحول (الخليل) ١٨ بيتا انتقاما لمقتل ملازم اول في الجيش وجرح عدد من الجنود ، وفي غزة عمدت السلطة العسكرية في ذات الشهر الى نسف كل البيوت الموجودة على طول الشارع الذي قتل فيه التاجر اليهودي شلومو. وكان « عمود الدخان » هذه المرة اوضح من اللازم ، وثارت عاصفة داخل اسرائيل وبين انصارها في العالم ، لان النسف الجماعي للبيوت أثبت بما لا يدع مجالا للشك ما كانت السلطة العسكرية تنكره — وهو لجوؤها الى « العقوبات الجماعية» السيئة الصيت ، والتي تحرمها اتفاقيات جنيف . ان المتتبع لاخبار الاحتلال الاسرائيلي للمناطق سيذكر دون شك العاصفة التي اثارها المقال الذي كتبه مايكل آدامز في الغارديان في شباط ١٩٦٨ ، وسجل فيه مشاهداته حول « الارهاب الجماعي » الممارس ضد السكان في الضفة والقطاع . ان كثيرين من الاسرائيليين ، رسميين وغير رسميين ، بادروا في حينه الى نفي المعلومات الواردة في المقال وقبل انصار اسرائيل في الراي العام العالمي وقائع النفي . ان احداثا كثيرة وقعت منذ ان كتب مايكل آدامز مقاله ، وكتب كثيرون غيره ، ولكن ممارسة اسرائيل للعقاب الجماعي ظلت مجال أخذ ورد حتى ارتفع دخان البيوت المنسوفة المذكور ولم يعد بعد مجال للرد . فقمت العملية المألوفة للاسرائيليين عندما تسقط كل الستارات . اطلق على الحدث والوسيلة اسم « عقاب الجوار » وقيل للانصار : اسرائيل ليست المانيا النازية .

ان الارهاب من جهة ، واداة قمع على مستوى عال من الكفاءة والتدريب موجهة ضد الفدائيين من جهة ثانية ، والانتعاش الاقتصادي من جهة ثالثة ، ادت الى انحسار العمل الفدائي في الضفة الغربية وتراجعه الى ما وراء نهر الاردن . ان انسحاب القيادات ، او بالاحرى ما لم يقتل او يسجن منها ، من الضفة الى ما وراء النهر قد تم في بدايات عام ١٩٦٨ واستمر حتى لحظة كتابة هذا المقال . وتشير الدلائل الى ان فعالية العمل الفدائي في الضفة الغربية في عام ١٩٧٠ كانت ضعيفة . وبالتالي يستطيع المرء ان يقول ان السلطة العسكرية قد نجحت الى حد كبير في تهدئة الاوضاع في الضفة ، وفي عزل السكان عن العمل الفدائي .

اما الصورة بالنسبة لقطاع غزة فانها مختلفة بدون شك . ان اضراب غزة الشامل في الاسبوع الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ لمدة ثلاثة ايام حدادا على مقتل يوسف الخطيب نائب القائد العسكري للجبهة الشعبية في القطاع، والتظاهرات واطلاق النار على قوات الاحتلال في الجنازة التي اقيمت له ، دليل على طبيعة العلاقة المستمرة بين الفدائيين واهالي القطاع . ونترك لجريدة دافار (١٩٧٠/١٠/٨) تصوير الوضع هناك :

« من يتابع حالة الامن في قطاع غزة يصل الى استنتاج مؤلم جدا . ان السؤال الذي لا بد من طرحه : من يحكم قطاع غزة حقا ؟ ان تدفق اليهود الى مستوطنات القطاع توقف منذ وقت طويل . حتى ان نساء عسقلان وبئر السبع تخلين عن الموجودات المتوفرة في اسواق غزة . ويمتنع المواطنون الاسرائيليون من الاقتراب من مدخل المدينة . واما اليهود الذين يواصلون السفر اليها فهم قوات الجيش الاسرائيلي وموظفو الحكم العسكري .

« ان فتح طريق يتجنب المرور في القطاع ساعد السيارات اليهودية على السفر دون الاضطرار لاستعمال طرق القطاع . لان غزة وبقية مدن القطاع بتصرف رماة القنابل ..

« ولايجاد تعاون اقتصادي بين العرب واليهود يقام قرب الخط الاخضر شمالي مدينة غزة .. مركز تجاري وصناعي لسكان القطاع . ومن المفروض ان يؤدي هذا التعاون الى توفير الامن للاسرائيليين الذين يحضرون الى المنطقة .

« منذ حرب الايام الستة يسيطر الجيش الاسرائيلي على مناطق يهودا وشمرون [المقصود الضفة] وغور البحر الميت وهضبة الجولان . ويزداد عدد اليهود الذين يزورون هذه المناطق كسياح وللقيام بأعمال تجارية وزراعية . أما قطاع غزة فانه « مغلق » أمام هؤلاء الاشخاص واصبح بمثابة منطقة « خارج النطاق » لان كل من يحرص على روحه يمتنع عن الاقتراب من مداخلها . »

الانعاش الاقتصادي

قلنا في مستهل الجزء الثاني من المقال ان الحكم العسكري في المناطق المحتلة اعتبر ان المهمة الاساسية العاجلة الثانية له في بداية الاحتلال [المهمة الاولى — التهدئة] هي تنشيط الاقتصاد وترتيب الاوضاع الادارية لتأمين احتياجات السكان المعاشية واستمرار تقديم الخدمات العامة . ان دافع الحكم العسكري لذلك له في الحقيقة وجهان: الوجه الاول نابع من كون الحكم العسكري هو السلطة الوحيدة الموجودة في المناطق والوجه الثاني نابع من اعتبارات امنية — سياسية ، ومرتبط بالمهمة الاولى . يقول غازيت في هذا الصدد : «ان المشكلة الكبرى التي تواجهنا هي اقامة « حاجز بين التعاطف السلبي مع الفدائيين والمشاركة الفعالة في أعمالهم .. ان العوامل الاقتصادية تلعب دورا كبيرا في حل هذه المشكلة»(٣٧).

وقد كان الاجراء الاول الحاسم الذي اتخذه الحكم العسكري بصدد تنشيط الاقتصاد في الضفة الغربية هو السماح بتصدير المنتوجات الزراعية الى الضفة الشرقية ، وبذلك امكن تصريف الفائض منها في الاسواق المعتادة لها في الاردن والبلدان العربية . ثم سمح فيما بعد باستيراد البضائع عبر الجسور المفتوحة ، بدءا بتلك التي كانت مطلوبة قبل حرب حزيران ووصلت للمخازن في الضفة الشرقية، ومن ثم كل البضائع التي تعتبر الجهة الشرقية مصدرها الطبيعي . ان سياسة «الجسور المفتوحة» ، كما تذكر مجلة **اسرائيل ايكونومست** [تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٩ — ص ٣٠٦] قد ساهمت « أكثر من أي اجراء اخر في حل المشكلة الاقتصادية ... واعادة الحياة في الضفة الى مجاريها الطبيعية » . ان المجال لا يتسع في هذه المقالة للتفصيل في سياسة «الجسور المفتوحة» كعامل من عوامل تنشيط الوضع الاقتصادي في الضفة ، ويكفي ان نذكر هنا ان الضفة قد صدرت للاردن والبلدان العربية في عام ١٩٦٨ منتوجات زراعية وبضائع بقيمة (٥١،٤) مليون ليرة اسرائيلية مقابل استيراد حجمه (١٧،٥) مليونا . وارتفع الرقم في عام ١٩٦٩ الى (٦٤،٤) مليون ليرة تصدير مقابل (٢٤،٥) مليون ليرة استيراد(٣٨).

اما الاجراء الثاني الحاسم ، وقد اتخذته الحكومة الاسرائيلية في عام ١٩٦٨، فقد كان السماح للعمال العرب من المناطق بالعمل في الاراضي المحتلة سابقا . ان دراسة الجدول المتعلق بعدد العاملين من الضفة الغربية في اسرائيل يظهر زيادة مطردة في عدد العاملين هناك . [الجدول على الصفحة التالية](٣٩).

ان الرقم يصل في اذار ١٩٧٠ الى (١٧،٩٦١) عاملا . وتذكر مجلة **اسرائيل ايكونومست** في عددها الصادر في اب — أيلول (اغسطس — سبتمبر) ١٩٧٠ (ص ١٨٧) ان احصاءات دائرة البحث في بنك اسرائيل تظهر بالنسبة لعام ١٩٦٩ زيادة في الانتاج القومي الاجمالي (GNP) للمناطق بنسبة مقدارها ٢٥٪ ، وتسجل ان عمال المناطق في العام المذكور كسبوا من عملهم في اسرائيل (٥١) مليون اسرائيلية تمثل ٣٠٪ من الزيادة المذكورة .

وقد ساهم السماح للعمال من المناطق بالعمل في اسرائيل ليس في امتصاص نسبة البطالة فحسب ، وانما في زيادة حجم القوة العاملة . ان الاحصاء

(جدول عمال الضفة المستخدمين في اسرائيل)

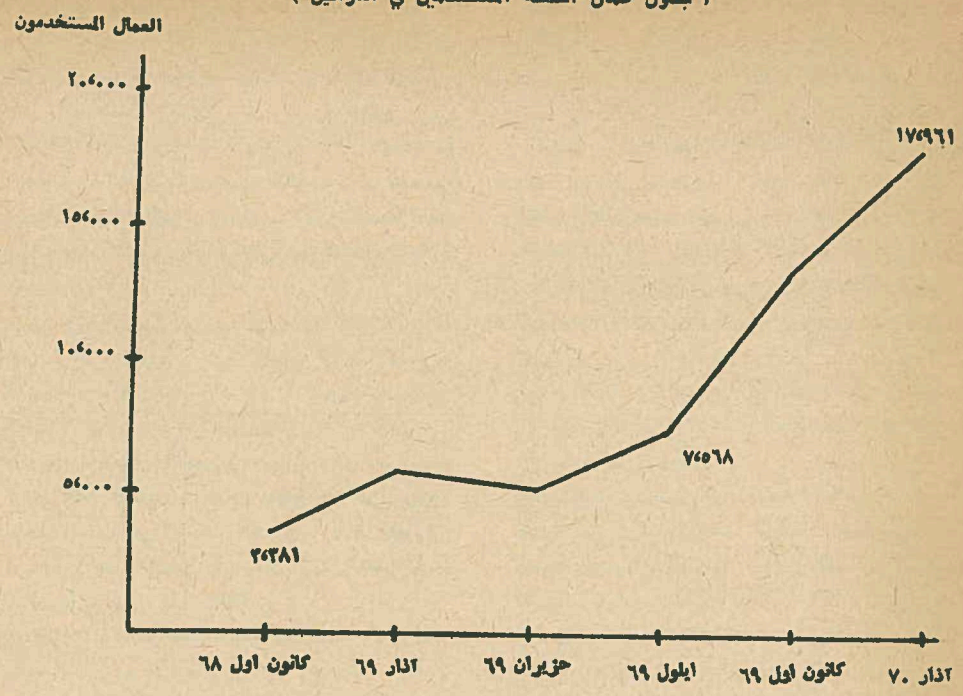

الذي اجري في ايلول (سبتمبر) من عام ١٩٦٧ اظهر ان هناك (١٨٤) الف رجل في سن العمل (١٤ عما فوق) في الضفة الغربية منهم (٦٧٠٦) الفا مشاركين في القوة العاملة بينهم (٦٠٠٢) الفا عاملين . اي ان نسبة المشاركين في القوة العاملة [نسبة العمالة] كانت ٤٦٪ ونسبة العاملين ٨٩ ٪ وكان عدد العاطلين عن العمل في أيلول (سبتمبر) ١٩٦٧ حوالي ٧٠٤٠٠ . اما احصاءات تشرين اول — كانون اول (اكتوبر — ديسمبر) ١٩٦٩ المتعلقة بنفس الموضوع فتظهر ان القوة العاملة بلغ تعدادها (٨٦٠٩) الف رجل منهم (٨٤٠٦) الفا عاملين . وبهذا تكون نسبة المشاركة في القوة العاملة خلال العامين المذكورين قد ارتفعت من ٤٦ ٪ الى ٦٣ ٪ وارتفعت نسبة العاملين من ٨٩٪ الى ٩٧٪ وبقي فقط ٢٠٣٠٠ رجل عاطلين عن العمل .

اما الوضع بالنسبة للعمالة في قطاع غزة وشمال سيناء فانه يبدو مشابها في اتجاهاته العامة. وعلى الصفحة التالية الجدول المتعلق بالعمل العربي من غزة في اسرائيل(٤١).

وفيما يتعلق بحجم القوة العاملة في القطاع يسجل احصاء ايلول (سبتمبر) ١٩٦٧ انه كان هناك (٨٩) الف رجل في سن العمل منهم (٣٦٠٦) الفا مشاركين في القوة العاملة بينهم (٣١٠٢) الفا عاملين . وبهذا تكون نسبة المشاركة في القوة العاملة ٤٣٪ ونسبة العاملين ٨١٪ وبلغ عدد العاطلين عن العمل ٧٠٤٠٠ . اما احصاءات ١٩٦٩ (تشرين الاول — كانون الاول/اكتوبر — ديسمبر) فتظهر ان القوة العاملة بلغ تعدادها (٥٣٠٦) الفا منهم (٥١٠٩) الفا عاملين . اي ان نسبة المشاركة في العمل خلال العامين المذكورين قد ارتفعت من ٤٣٪ الى ٦٦٪ ونسبة العاملين ارتفعت من ٨١٪ الى ٩٧٪ وكان عدد العاطلين عن العمل فقط ٣٠١٠٠(٤٢).

ان دراسة التقارير عن الوضع الاقتصادي في الضفة الغربية والقطاع تشير الى ان هناك فارقا كبيرا بين الجهد الاولي الذي بذل في بداية الاحتلال لانعاش الاقتصاد والذي تمثل في فتح الجسور لحركة التجارة وتشغيل العاطلين عن العمل في توسيع وتحسين الطرقات بوسائل بدائية(٤٣) وبين الجهد المبذول بعد مرور الاشهر الاولى لعام ١٩٦٨ . ان الجهد الاول كان جهد سلطة احتلال مترددة ، بينما يمثل الجهد اللاحق جهد سلطة احتلال تخطط للبقاء

(جدول عمال الضفة المستخدمين في اسرائيل)

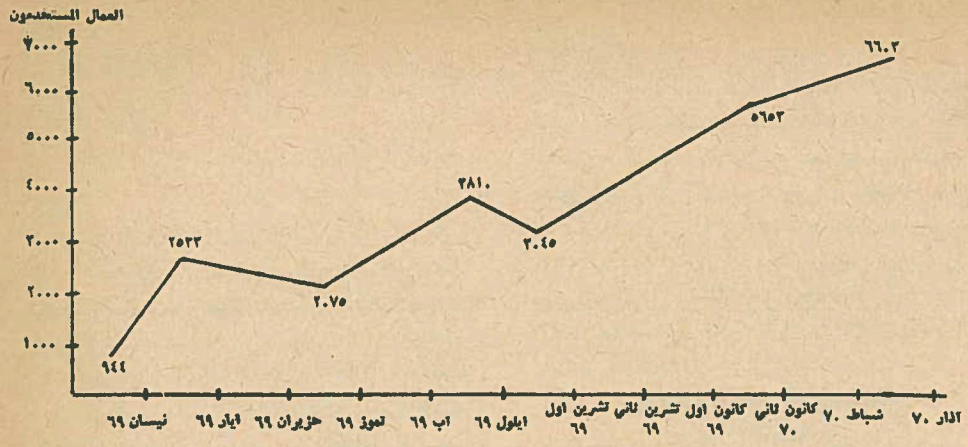

في المناطق ، وتستهدف ربطها اقتصاديا ومعاشيا باسرائيل ، ونهتم بتطوير الاقتصاد ورفع مستوى الخدمات لتجنب «اضطرابات اجتماعية...فيما لو ظل المستوى المعيشي [المنخفض] في المناطق المحتلة متخلفا بشكل جذري عن المستوى المعيشي [المرتفع] في اسرائيل»(٤٤).

توجهات الجهد الاقتصادي
زيادة العمالة

ان المعطيات اللازمة لدراسة الموضوع بشكل شامل ليست متوفرة ولذلك لا مناص من الاكتفاء بالاشارة للاتجاهات العامة مع اختيار نماذج انتقائية للتوضيح ان هناك توجها واضحا لرفع المستوى المعيشي للسكان عن طريق انعاش الاقتصاد وزيادة حجم ونسبة العمالة وليس عن طريق المعونات الاجتماعية والاستخدام غير الاقتصادي سواء في الضفة او القطاع . والدافع لهذا الجهد هو كما ذكرنا سابقا الامل في عزل السكان عن الفدائيين من جهة ، وقطع الطريق من جهة اخرى على اضطرابات اجتماعية واسعة يمكن ان تنشأ في المستقبل نتيجة للهوة الواسعة الموجودة بين المستوى المعيشي لسكان المناطق وسكان اسرائيل . وبمعزل عن الدافعين السابقين يسجل المرء أن الاقتصاد الاسرائيلي يشكو من نقص كبير في الايدي العاملة نتيجة للتعبئة العسكرية القائمة منذ الحرب ، وان الانتعاش الاقتصاديوازدياد القوة الشرائية لسكان المناطق المحتلة — ويبلغ تعدادهم المليون — يفتح للصناعات الاسرائيلية سوقا جديدة ويعطيها حوافز اضافية .

ان الجدولين في الصفحة التالية يبينان ان الميزانية العامة للسنوات المالية ١٩٦٨ الى ١٩٧١ هي ميزانية خدمات عامة ومعونات اجتماعية بالدرجة الاولى اذ تتجاوز المبالغ المخصصة للاغراض الاجتماعية الـ ٥١٪ من المجموع ، ويدخل ضمن بند الاغراض الاجتماعية نفقات الصحة والتعليم والشؤون الدينية والمعونة الاجتماعية . ولكن ميزانية عام ١٩٧٠—٧١ تسجل مقارنة بالسنوات السابقة قفزة واضحة فيما يتعلق بالبند المخصص للاغراض الاقتصادية يقابله انخفاض واضح في البند المخصص للاغراض الاجتماعية وحتى في البند المخصص لاغراض مصروفات الاجهزة الادارية الحكومية والقضاء والبوليس . اذ ترتفع النسبة المتعلقة بالاغراض الاقتصادية [الجدول المتعلق بالضفة] من ١٨٫٩٪ لسنة ١٩٦٩ — ٧٠ الى ٢٧٫٤٪ لسنة ١٩٧٠—٧١ بينما تنخفض نسبة بند الاغراض الاجتماعية من ٥٥٫٦٪ الى ٥٠٫٨٪ وبند المصروفات الادارية والاغراض الاخرى من ٢٥٫٥٪ الى ٢١٫٨٪ . هذا بالنسبة للضفة الغربية ويبدو الامر بالنسبة للقطاع ابين واكثر بروزا .

جدول رقم (١) — الضفة الغربية : اغراض الميزانية (المخصصات بالنسبة المئوية)(٤٥)

الاغراض	٦٨/٦٩	٦٩/٧٠	٧٠/٧١
اغراض اقتصادية	١٨٫٧	١٨٫٩	٢٧٫٤
أغراض اجتماعية	٥٨٫٨	٥٥٫٦	٥٠٫٨
اغراض ادارية وشؤون أخرى	٢٢٫٥	٢٥٫٥	٢١٫٨
المجموع	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪

جدول رقم (٢) ــ قطاع غزة وشمال سيناء :
اغراض الميزانية (المخصصات بالنسبة المئوية)(٤٦)

الاغراض	٦٩/٦٨	٧٠/٦٩	٧١/٧٠
اغراض اقتصادية	١٤،٧	١٩،٧	٣١،٦
اغراض اجتماعية	٥٧،٠	٥٦،٣	٣٩،٩
اغراض ادارية			
وشؤون اخرى	٢٨،٣	٢٤،٠	٢٨،٥
المجموع	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪

ان العامل الاساسي في تبديل النسب، كما يذكر تقرير الحكم العسكري(٤٧)، يرجع الى ارتفاع نسبة العاملين بحيث امكن تحويل قسم من المبالغ المصروفة في المعونة الاجتماعية سابقا الى اثنية في المجال الاقتصادي.

اما بالنسبة للاستثمارات فيذكر التقرير أن الحكم العسكري قدم في السنة المالية ١٩٦٩ ــ ٧٠ قروضا وتسهيلات مصرفية للصناعيين في الضفة الغربية بمقدار (٨،٢٦٣،٣٠٠) ليرة اسرائيلية مقابل (٧،٨٢٥،٩٠٠) لسنة ١٩٦٨ ــ ٦٩ على ان تصرف هذه المبالغ في انشاء صناعات جديدة وتوسيع الصناعات القائمة(٤٨). وقدم لمئة مزارع في الضفة في السنة المالية ١٩٦٩ ــ ٧٠ قروضا بلغ مجموعها (١،٥٠٠،٠٠٠) ليرة اسرائيلية فارتفع بذلك مجموع القروض التي قدمها الحكم العسكري للمزارعين في الضفة منذ الاحتلال الى (٣) ملايين ليرة(٤٩). وتعكس القروض المقدمة للصناعيين والمزارعين في غزة في السنة المالية ١٩٦٩ ــ ٧٠ زيادة كبيرة في الاهتمام الذي يوليه الحكم العسكري لانعاش الاوضاع الاقتصادية في القطاع بأقصى سرعة ممكنة . اذ قدم الحكم العسكري للمزارعين في السنة المذكورة قروضا بمقدار (٦،٢) مليون ليرة اسرائيلية(٥٠)، وقدم للصناعيين قروضا بمقدار (٤) ملايين ليرة مقابل (١،٢) مليون ليرة اسرائيلية للسنة المالية ١٩٦٨ ــ ٦٩(٥١).

ان هذه الارقام بحد ذاتها ليست كبيرة . ولكن اذا اضفنا اليها الاستثمارات الخاصة والاستثمارات في المجالات الاخرى(٥٢)، واضفنا العدد الكبير من عمال المناطق المستخدمين في اسرائيل بأجر صاف متوسط للعامل غير الفني مقداره (١١) ليرة اسرائيلية في اليوم الواحد ، واضفنا الجسور المفتوحة لتصريف المنتوجات الزراعية والصناعية في الاسواق العربية واستقبال الحوالات المالية من الاقرباء العاملين في الخارج ومبالغ الحكومة الاردنية المرسلة ، واضفنا العادات الشرائية المتواضعة لسكان المناطق ، فان التأثير الاجمالي لكل هذه العوامل لا بد وان يكون بالضرورة انتعاش اقتصادي ملموس وارتفاع كبير في نسبة العمالة والعاملين وارتفاع في معدلات الاجور(٥٣).

وقبل أن ننتقل للحديث عن التوجه الثاني المعنيين باثباته للجهد الاقتصادي لسلطة الاحتلال في المناطق المحتلة ، نمر بسرعة على برامج التدريب المهني ، فنذكر ان مراكز التدريب المهني في الضفة خرجت في عام ١٩٦٨ ــ ٦٩ (٤٣٠) عاملا فنيا، وفي عام ١٩٦٩ ــ ٧٠ (١،٢٦٠)(٥٤). بينما خرجت مراكز التدريب المهني في القطاع، وعددها ستة (٣٩٠) عاملا فنيا السنة المالية ١٩٦٨ ــ ٦٩ و(٣٥٠) في ٦٩ ــ ٧٠(٥٥).

توجهات الجهد الاقتصادي
ربط الاقتصادين

التوجه الثاني للجهد الاقتصادي الاسرائيلي المعنيين بايضاحه هو ربط اقتصاد المناطق بالاقتصاد الاسرائيلي عن طريق المبادلات التجارية ، والعمل العربي في اسرائيل ، والاستثمار اليهودي في المناطق وعن طريق تخطيط زراعي يحول المنتجات الزراعية في المناطق المحتلة الى منتوجات ملائمة للاحتياجات المحلية واحتياجات اسرائيل بالدرجة الاولى . وقد اوردنا اعلاه الارقام المتعلقة بحجم العمل العربي في اسرائيل ، واوردنا جزءا من الارقام المتعلقة باستثمارات الحكم العسكري ... ونذكر الان بسرعة جانبا اخر من الاستثمار اليهودي متمثل في عقود العمل الوسيطة (subcontracting) التي تنتج بموجبها مؤسسات عربية في المناطق مصنوعات لحساب مؤسسات صناعية اسرائيلية تقدم لها المواد الخام او المواد شبه الجاهزة(٥٦).

ان القطاع انتج في السنة المالية ١٩٦٩ ــ ٧٠ لصالح مشروعات اسرائيلية ما قيمته (٤٥٠) الف ليرة اسرائيلية مقابل (١٥٠،٠٠٠) لسنة ١٩٦٨ ــ ٦٩ . وانتجت الضفة الغربية ما قيمته (١،٣٨٥،٠٠٠) ليرة اسرائيلية في عام ١٩٦٩ مقابل (٨١٠،٠٠٠) في عام ١٩٦٨(٥٨).

ان الجهود المبذولة لربط اقتصاد المناطق بعجلة الاقتصاد الاسرائيلي ، وطبيعة العلاقات بين الاقتصادين ، تبدو كاوضح ما يكون ، في ارقام التبادل التجاري بين المنطقتين . فيما يلي لوحتان بارقام التجارة الخارجية بين الضفة والقطاع للسنتين ١٩٦٨ و١٩٦٩ :

لوحة رقم (١) : التجارة الخارجية ــ الضفة الغربية (المبلغ بملايين الليرات الاسرائيلية)[٥٩]

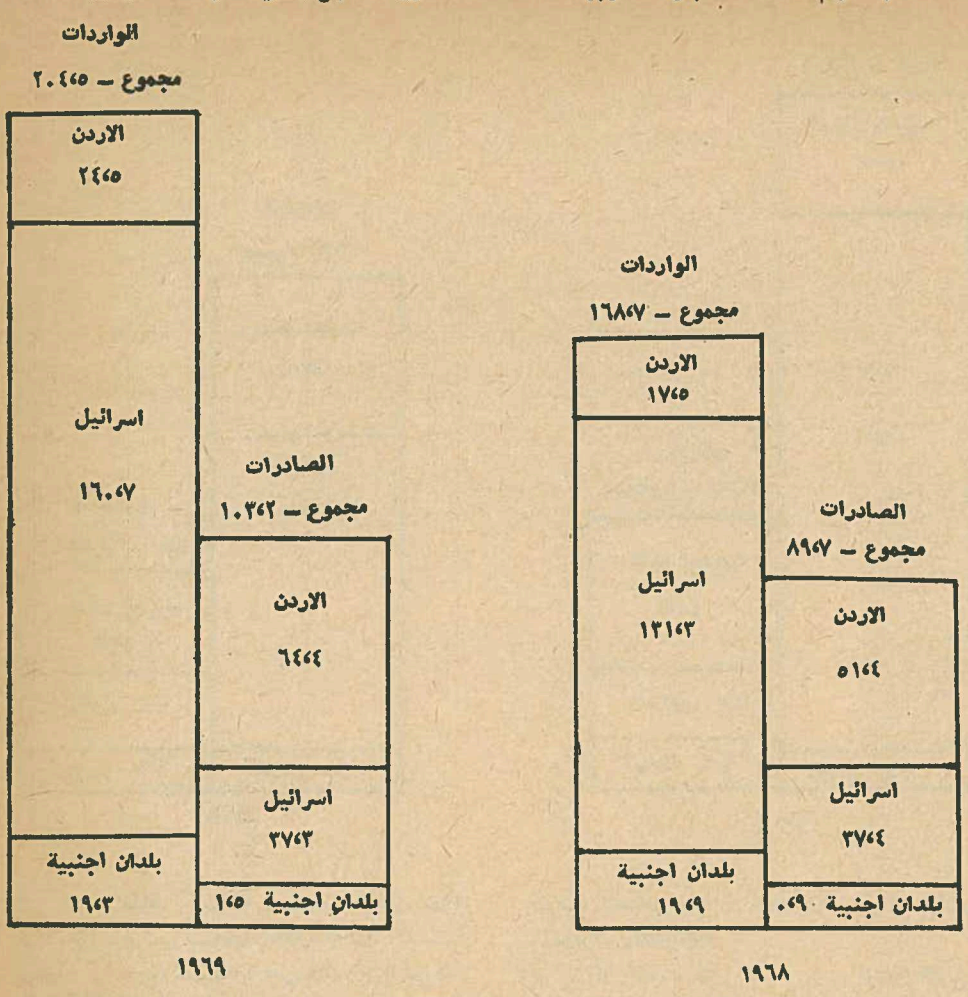

ان اللوحتين تظهران ان اكثر من ثلثي تجارة المناطق المحتلة الخارجية في عام ١٩٦٩ كان مع اسرائيل ، وان الميزان التجاري مختل لصالح اسرائيل اختلالا هائلا ، وانه في الوقت الذي فيه ظلت قيمة الصادرات من المناطق الى اسرائيل تقريبا على حالها ، ازدادت قيمة الواردات من اسرائيل في عام ١٩٦٩ زيادة كبيرة بلغت في الضفة الغربية (٢٩٠٤) مليون ليرة اسرائيلية وفي القطاع (٢٧٠٨). وهذا هو في الحقيقة الوضع الطبيعي المفروض ان يسود بين اقتصادين احدهما نام ومتطور والاخر متخلف ومكبوح ، وخاصة عندما تكون السلطة المنظمة للعلاقة بين الاقتصادين معنية بأن يظل الاقتصاد المتخلف تابعا للاقتصاد المتطور وتكون معنية بتطويره فقط في اتجاهات معينة .

الخطة الزراعية

ان الضفة الغربية تعدل الميزان التجاري الخاسر مع اسرائيل عن طريق الفائض من الميزان التجاري الرابح مع الاردن والدول العربية ، وعن طريق الخدمات التي تصدرها وتقدمها متمثلة بالعمل داخل اسرائيل والخدمات السياحية،وعن طريق الحوالات المالية الواردة من الخارج والمبالغ التي تدفعها الحكومة الاردنية لبعض اهالي الضفة . ان اغلاق الجسور المفتوحة الان يمكن ان يؤدي الى هزة اقتصادية في الضفة الغربية قد تهدد ما تسعى

لوحة رقم (٢) : التجارة الخارجية ــ قطاع غزة وشمال سيناء (المبلغ بملايين الليرات الاسرائيلية)[٦٠]

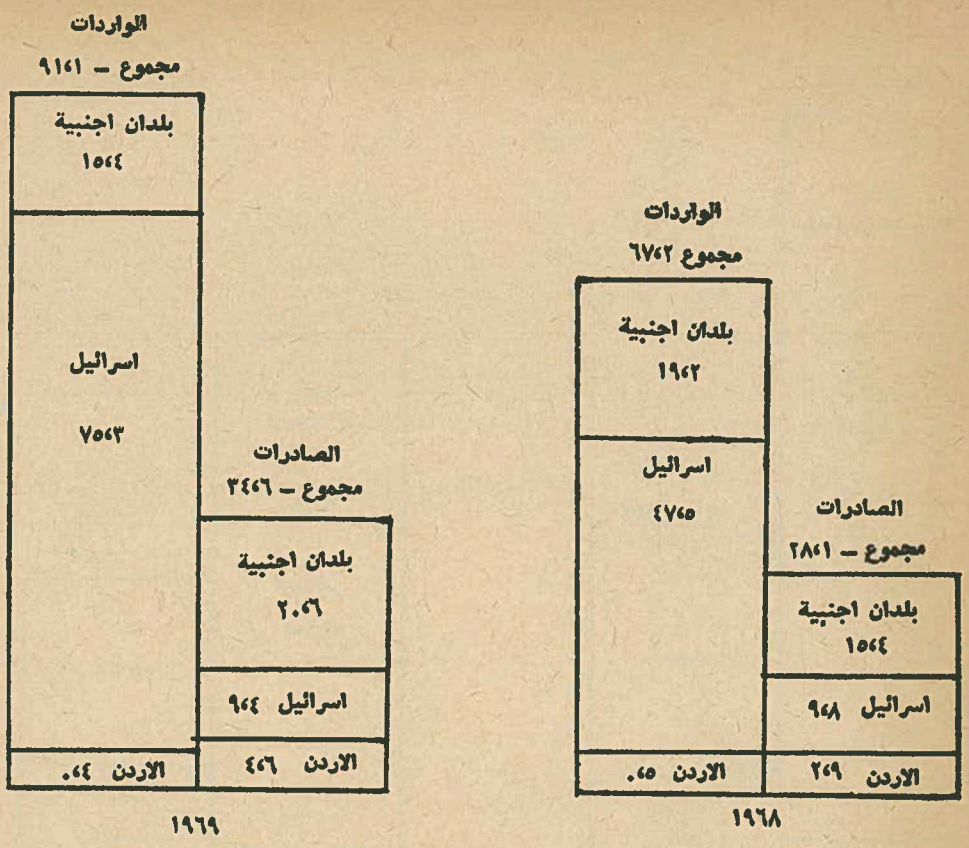

اسرائيل لتحقيقه . ولذلك وضعت اسرائيل خطة في الحقل الزراعي تستهدف تقليل اعتماد الضفة الغربية في تصريف منتوجاتها على الاسواق العربية. ومفتاح هذه الخطة تغيير الحاصلات الزراعية بحيث تتلاءم اكثر مع امكانيات التصدير لاسرائيل والبلدان الاجنبية ، مصنعة او غير مصنعة . ونقتبس من الخطة الخمسية الموضوعة لاعوام ١٩٦٩ ــ ١٩٧٤ البندين الرابع والخامس[٦١] :

اهداف الخطة ...

(البند الثاني) : زيادة الانتاج مع اعطاء افضلية نسبية لما يلي :

* منتوجات طازجة او مصنعة للتصدير الى أوروبا.
* منتوجات تحل محل المنتوجات التي تستوردها الضفة .
* منتوجات للبيع في اسرائيل ، مكملة او تحل محل المنتوجات التي تستوردها اسرائيل .

(البند الخامس) : ــ المنتوجات يجب الا تنافس المنتوجات الاسرائيلية

ان مراكز البحث الزراعية ، وهي أربعة انشئت بعد الحرب مباشرة[٦٢]، قد درست التربة والمناخ والمياه في الضفة الغربية ، واجرت تجارب لزراعة غلات جديدة كالقطن والبندورة والخيار الصالح للتعليب الخ.. ، وارسلت نتائج ابحاثها الى وزارة الزراعة الاسرائيلية .

ان المادة حول نتائج البحث ليست بين يدينا ولكن الحكم العسكري يحب ان يذكر كمثال على نجاحه في « اقناع » السكان بتغيير انواع الحاصلات الزراعية انقاص المساحة المخصصة لزراعة البطيخ (الذي كانت غالبيته تسوق في الضفة الشرقية والبلدان العربية ولا مجال لتسويقه في اسرائيل او اوروبا) من (٤٣) الف دونم في عام ١٩٦٨ الى (٢٦) الف دونم في عام ١٩٦٩ ، وازدياد مساحة

الارض المخصصة لزراعة التبغ من (١٥٠٠) دونم الى (٨،٠٠٠) دونم في العامين المذكورين(٦٣).

تقول مجلة **اسرائيل ايكونومست** [عدد آب ــ ايلول (اغسطس ــ سبتمبر) ١٩٧٠ ، ص ١٨٢] :

« ان الروابط التجارية الوثيقة التي قامت خلال السنوات الثلاث الماضية بين المناطق المحتلة واسرائيل يمكن أن تؤدي في حالة انقطاعها الى خلق صعوبات كبيرة لسكان المناطق . ان العودة الى الحكم الاردني او المصري قد تتسبب في خلق بطالة كبيرة ومن الارجح أن يعود مستوى الاجور الى الانخفاض . ان عددا متزايدا من السكان العرب بدأ يدرك ذلك وقد نجد في هذه الحقيقة تفسيرا للدرجة العالية من التعاون المتحقق مع السلطة العسكرية في المجال الاقتصادي » .

ان هذا القول ، مهما كانت نسبة الصحة فيه ، يمثل المطامع الاسرائيلية الكامنة وراء الجهد الاقتصادي للسلطة العسكرية في المناطق المحتلة : ان تتوثق الروابط الاقتصادية بين اسرائيل والمناطق المحتلة ، أن ينتعش الاقتصاد، أن يستكين السكان فلا يعودوا يفكرون بمقاومة الاحتلال . وتدريجيا يتم الدمج الاقتصادي والمعاشي ، وتدريجيا تبتلع اسرائيل الضفة والقطاع ، وتدريجيا تولد اسرائيل اكبر ، ويورث الجيل الاسرائيلي الحالي للجيل القادم رصيدا اكبر للوثوب .

* * *

يقول دايان : « تحت تصرفنا الان وقت ، ومناطق، وصلاحيات سلطة ، وعلينا ان نستغل الثلاثة(٦٤)».

يقول اوري افنيري مخاطبا الكنيست :

« مثل روح والد هاملت يحوم الكيان الفلسطيني على مسرح المنطقة ، لا يكل ولا يمنح الراحة ... مثل تلك الروح في مسرحية شكسبير لم يكف الكيان الفلسطيني ، ولا للحظة واحدة ، عن القاء ظله الراعب على المنطقة .

بقي في مخيمات اللاجئين ... وجد تعبيره في سلسلة لا تنقطع من الانتفاضات ضد الحكم الهاشمي ... صاعد دونما انقطاع حالة العداء بين اسرائيل والحكام العرب ... وتجلى اخيرا في قيام منظمات الفدائيين وتعاظم قوتها ... منظمات الفدائيين التي اصبحت الان عاملا مستقلا يهدد النظم العربية ويقرر الى حد كبير سير تصاعد الحرب بيننا وبينهم (٦٥)».

نقول لدايان هاوي اثريات الماضي ومحترف الحرب :

يجدر أن تقرأ ، أو تعيد قراءة ، مسرحية الكاتب العظيم .

المراجع :

١ ــ **ثلاث سنوات من الحكم العسكري / ١٩٦٧ ــ ١٩٧٠** (الترجمة الانكليزية ــ ستانسل) ، وزارة الدفاع الاسرائيلية، ١٩٧٠. توجد نسخة محفوظة في مكتبة مركز الابحاث الفلسطينية، منظمة التحرير، بيروت.

* شبه الجملة بين القوسين . ملاحظة من كاتب المقالة .

٢ ــ **معرخوت** (عبرية) ، منشورات وزارة الدفاع الاسرائيلية ، العدد ٢٠٤ ، كانون ثاني (يناير) ، ١٩٧٠ ص ٢٣ . الاقتباس مأخوذ من المقالة الاولى في المجلة ، وهي بعنوان «الامن في اسرائيل ١٩٧٠» بقلم البريغادير جنرال ي. رافيف ، سكرتير موشيه دايان وزير الدفاع .

٣ ــ موشيه دايان ، **خريطة جديدة ــ علاقات جديدة** (بالعبرية) ، « مكتبة معاريف » و « شكمونه » ، تل ابيب وحيفا ، ١٩٦٩ ، ص ١٧٧ ــ ١٧٨ . ويحتوي الكتاب على مختارات من الخطب والمحاضرات التي القاها دايان في الفترة بين ١٩٦٧ ــ ١٩٦٩ .

* المرجع نفسه ، ص ١٧٧ .

٤ ــ **جروزالم بوست ــ الملحق الاسبوعي** (عدد ١٩٧٠/١٠/٢٧)

٥ ــ **خريطة جديدة ...** ، ص ١٧٩ .

٦ ــ نشرت **دافار** (١٩٧٠/٨/٣٠) نتائج دراسة اجريت بغية بلوغ تصورات السكان في اسرائيل والمناطق المحتلة في عام ١٩٨٥ ... وقد اظهرت نتائج الدراسة ان نسبة السكان العرب ستصبح في ذلك التاريخ ٤٤٪ من مجموع السكان ، وانه بعد عشرين سنة ستفقد الغالبية اليهودية .

٧ ــ يعتبر مناحيم بيجن ، زعيم كتلة جاحال ، اضافة لدايان والون ثالث ابرز ثلاثة « صقور » في اسرائيل ، وقد ظل عضوا في الحكومة الاسرائيلية حتى ١٩٧٠/٨/٤ عندما قدم استقالته هو واعضاء كتلته من

الحكومة احتجاجا على موافقة الحكومة على مبادرة روجرز .

٨ ـ **خريطة جديدة** ... ، ص ١٦٣ .

٩ ـ المرجع نفسه .

١٠ ـ ورد الخبر حول موافقة اللجنة في جريدة **هآرتس** (١٩٧٠/٥/٢٠) .

١١ ـ يعد كاتب المقالة بحثا مستقلا حول مدينة القدس ، ولذلك يغفل الحديث عنها في هذه المقالة .

١٢ ـ الارقام المذكورة مأخوذة من بيان ادلى به نائب رئيسة الحكومة ايغال الون في الفترة ما بين ٩ـ١١ آذار (مارس) ١٩٧٠ ، راجع **محاضر جلسات الكنيست** (بالعبرية) ، الكنيست السابعة ، الجلسة بـ (٩ـ١١/٣/١٩٧٠) ، ص ١٠٧٢ـ٠٧٣ وبالنسبة لاسماء المستوطنات واماكن اقامتها ومعلومات اضافية عن الاستيطان راجع كتاب الدكتور انيس صايغ : **المستعمرات الاسرائيلية الجديدة منذ عدوان ١٩٦٧** ، مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٦٩ .

١٣ ـ نشرت **دافار** (عدد ١٩٧٠/٩/٤) ان لجنة مشتركة من قسم الاستيطان التابع للوكالة اليهودية ووزارة الاسكان قد استعرضت ٤٥ الف دونم من الاراضي الصالحة للزراعة في الجولان (٣٠،٠٠٠ في الجزء الجنوبي من الهضبة ، ١٢،٠٠٠ في الجزء الشمالي و ٣،٠٠٠ في المنحدرات) . وانه نظرا لان الشرط الاول لتطوير مرتفعات الجولان هو توفير المياه بالكميات المطلوبة فان اللجنة المذكورة على استعداد لاستثمار (٦٠) مليون ليرة اسرائيلية في تطوير مشاريع الري في الجولان على اساس الحاجة لـ (٢٩) مليون متر مكعب من الماء في العام . ويذكر دون بيرتز في مقالة بعنوان « قضايا انتخابات عام ١٩٦٩ في اسرائيل » نشرها في مجلة **ذي ميديل ايست جورنال** (شتاء ١٩٧٠ ، ص ٣٧ـ٣٨) ان هناك خطة موضوعة لايصال عدد المستوطنات في الجولان الى عشرين مستوطنة وان قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية خطط لاستثمار مبلغ (٥٠) مليون ليرة اسرائيلية في زراعة حاصلات للتصدير . ان الجهود والارقام المذكورة توضح مدى اهتمام السلطة المحتلة بأعمار وتطوير الهضبة ، والاولوية الخاصة التي تعطيها لها .

١٤ ـ **دافار** (١٩٧٠/٩/٣)

١٥ ـ **جويش ابزرفر** (١٩٦٨/١٢/٢٧) ، ص ٧ .

١٦ ـ **دافار** (١٩٧٠/١/٢٥) .

١٧ ـ **محاضر جلسات الكنيست** ... المرجع السابق ، ١٠٧٣ .

١٨ ـ **خريطة جديدة** ... ، ص ١٦٣ـ٠٦٤.

١٩ ـ المرجع نفسه ، ص ١٧٩ .

٢٠ ـ المرجع نفسه .

٢١ ـ **جويش ابزرفر** (١٩٦٨/١٢/٢٧ ، ص ٧) . ويجدر بنا هنا ان نذكر ان راي بيجن ، كما يلخصه كاتب المقالة عاموس بن فيرد في **الجويش ابزرفر** (نفس العدد والصفحة) ، شبيه براي دايان وان كان يصدر عن منطلقات مختلفة . ان بيجن يطالب بان تتحول كل مدينة في الضفة الغربية الى مدينة يهودية ـ عربية مشتركة . فكما توجد هناك ناصرة عليا يهودية وناصرة عربية متلاصقتان يجب ان تكون هناك خليل عليا ونابلس عليا يهوديتان وبذلك يتحقق الدمج من القاعدة . ويلاحظ ان مشروع اقامة « خليل » يهودية يمكن ان يعتبر تحقيقا لهذا المطلب .

* تم ربط شبكة كهرباء غزة بشبكة الكهرباء الاسرائيلية في ١٩٦٩/٢/٣ (**دافار** ٤ـ٢ـ١٩٦٩) ، واقرت وزارة الاسكان في جلستها المنعقدة بتاريخ ١٩٧٠/٢/٢٩ ربط جنوبي مرتفعات الجولان بشبكة الكهرباء الاسرائيلية ... وتعهدت الشركة بالبدء بالعمل فورا لتحقيق ذلك (**دافار** ١٩٧١/٢/٢٠) .

٢٢ ـ **خريطة جديدة** ... ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣ .

٢٣ ـ المرجع نفسه ، ص ١٥٤ .

٢٤ ـ **جروزالم بوست ـ الملحق الاسبوعي** (١٩٦٩/١٠/٢٧) .

٢٥ ـ المرجع نفسه .

٢٦ ـ المرجع نفسه .

٢٧ ـ بلغ مجموع المبالغ المنفقة على توسيع الطرق وتحسينها وصيانتها وانشاء طرق جديدة في الضفة الغربية خلال الاعوام الثلاثة ١٩٦٧ـ١٩٧٠ مقدار (٢٩،٧٧٩،٥٥٠) ليرة اسرائيلية . كما بلغ مجموع المبالغ المنفقة لنفس الغاية في نفس المدة في القطاع وشمال سيناء مقدار (٥،٥٣٤،٢٠٠) ليرة ، انظر **ثلاث سنوات** .... ، ص (٢٢) و (٩٢) .

٢٨ ـ **معرخوت** ، المرجع السابق .

٢٩ ـ **دافار** (٢٩ـ١٠ـ١٩٦٩) و (١٧ـ١١ـ١٩٦٩) .

٣٠ ـ انظر ابراهيم العابد ، **حقوق الانسان في المناطق المحتلة** (بالانكليزية) ، مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٣٣ ـ ٣٨ .

٣١ ـ انظر **ثلاث سنوات** ... ، ص ٧٩ .

٣٢ ـ **معرخوت**... ، المرجع السابق ، ص ٣٦ . المعلومات والاقتباسات التي نرجعها لهذا المرجع من الان فصاعدا ماخوذة من المقالة الثانية في العدد ، وهي بعنوان «المناطق المحتلة ، السياسة والانجاز» بقلم البريجادير جنرال شلومو غازيت ، منسق عمليات الحكومة في المناطق .

٣٣ ـ المرجع نفسه ، ص ٣٧ .

٣٤ ـ المرجع نفسه ، ص ٣٨ .

٣٥ ـ **انظر حقوق الانسان** ... ، المرجع السابق ، ص ١٨ـ٢٣ . انظر ايضا التقرير الوثائقي الذي اعده جورج ديب وفؤاد جابر : **انتهاك اسرائيل لحقوق الانسان في المناطق المحتلة ـ تقرير وثائقي** (بالانكليزية) ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٠ ، وفيها شهادة كاتب المقالة ص ١٤٣ ـ ١٦٤ . وقد كان كاتب المقالة شاهد عيان لعدة حالات تعذيب .

٣٦ ـ **معرخوت** ... ، المرجع السابق ، ص ٣٧ .

٣٧ ـ المرجع نفسه ، ص ٣١ .

٣٨ ـ **ثلاث سنوات** ... ، ص ١٣ .

٣٩ ـ المرجع نفسه ، ص ١٦ .

٤٠ ـ المرجع نفسه ، ص ١٠ .

٤١ ـ المرجع نفسه ، ص ٩٠ .

٤٢ ـ المرجع نفسه ، ص ٨٥ .

٤٣ ـ في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨ وصل عدد العاملين في الطرقات من السكان العرب في الضفة الى ٨٠٠٠ مستخدم . انظر المرجع نفسه ، ص ٢١ .

٤٤ ـ **ثلاث سنوات** ... ، ص ٤ .

٤٥ ـ المرجع نفسه ، ص ٧٣ .

٤٦ ـ المرجع نفسه ، ص ١٢٦ .

٤٧ ـ المرجع نفسه ، ص ٧٣ .

٤٨ ـ المرجع نفسه ، ص ٣٣ .

٤٩ ـ المرجع نفسه ، ص ٢٤ .

٥٠ ـ المرجع نفسه ، ص ٩٥ .

٥١ ـ المرجع نفسه ، ص ١٠٠ .

٥٢ ـ تذكر مجلة **اسرائيل ايكونومست** عدد آب ـ ايلول (اغسطس ـ سبتمبر) ١٩٧٠ ، ص (١٨٢) ان الاستثمارات في الموجودات الثابتة في عام ١٩٦٩ بلغ مقدارها في الضفة (٤٥) مليون ليرة اسرائيلية قدم الحكم العسكري منها (٢٠) مليونا بينما قدم الافراد والمؤسسات الخاصة الباقي . وبلغ مقدارها في القطاع (٢٣) مليون ليرة قدم الحكم العسكري (١٤) مليونا .

٥٣ ـ تذكر مجلة **اسرائيل ايكونومست** (المرجع نفسه) ان متوسط اجر العامل غير الفني قد ارتفع في الضفة في عام ١٩٧٠ الى (٧،٠٠) ليرات اسرائيلية في اليوم . وارتفع في القطاع الى (٥،٧٠) ليرة .

٥٤ ـ **ثلاث سنوات** ... ، ص ١٨

٥٥ ـ المرجع نفسه ، ص ٩١ .

٥٦ ـ ان جريدة **هآرتس** الصادرة بتاريخ ١٩٧٠/١٠/١٦ تذكر ان شركة كور قررت بناء مصنعين في قطاع غزة، وان شركة ايجد قررت اقامة مؤسسة كبيرة لخدمة باصاتها ، وان الحكم العسكري يخطط لاقامة مصنع لتعليب الاسماك في العريش . ان هذه المشاريع لو تحققت تكون قد رسمت فعلا منحى جديدا فيما يتعلق بالاستثمارات الاسرائيلية في المجال الصناعي في المناطق . اذ ان الصناعيين الاسرائيليين ، لاسباب عديدة ، فضلوا حتى لحظة كتابة هذه المقالة الاستثمار عن طريق عقود العمل الوسيط المذكورة اعلاه .

٥٧ ـ **ثلاث سنوات ...** ، ص ٩٩ .

٥٨ ـ المرجع نفسه ، ص ٣٢ .

٥٩ ـ المرجع نفسه ، ص ١٣ .

٦٠ ـ المرجع نفسه ، ص ٨٨ .

٦١ ـ **اسرائيل ايكونومست** ، تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٩ ، ص ١٠٣ .

٦٢ ـ **ثلاث سنوات ...** ، ص ٢٥ .

٦٣ ـ المرجع نفسه ، ص ٢٧ .

٦٤ ـ **خريطة جديدة ...** ، ص ١٤٩ .

٦٥ ـ **محاضر جلسات الكنيست ...** المرجع السابق ، ص ١٠٧٤ .

صدر عن مركز الابحاث

ـ **العرب تحت الاحتلال الاسرائيلي** (بالانجليزية)(٢ ل.ل.٠)

ـ **الاحتلال والمقاومة في ضوء القانون الدولي العام** ، بقلم الدكتور عز الدين فودة (بالعربية والانجليزية) (٢ ل.ل.٠)

ـ **المستعمرات الاسرائيلية الجديدة منذ عدوان ١٩٦٧** ، بقلم الدكتور انيس صايغ (بالعربية) (٢ ل.٠ ل.٠)

ـ **حقوق الانسان في الاراضي المحتلة** ، بقلم ابراهيم العابد (بالانجليزية) (٢ ل.ل.٠)

ـ **تهويد القدس** ، بقلم روحي الخطيب (بالانجليزية) (١ ل.ل.٠)

اطلبها من المكتبات ومن مركز الابحاث ـ منظمة التحرير الفلسطينية
شارع كولمباني المتفرع من شارع السادات ـ رأس بيروت
بناية الدكتور راجي نصر ـ ص.ب ١٦٩١ ـ بيروت

الاطفال الفلسطينيون : جيل التحرير

باسم سرحان

لهذه الدراسة* السوسيولوجية هدفان رئيسيان هما : ١) دراسة مدى الوعي الوطني والشخصي المميز للاطفال الفلسطينيين الذين ولدوا خارج فلسطين . ٢) معرفة درجة ارتباط هؤلاء الاطفال بوطنهم الام ومدى استعدادهم للتضحية في سبيله .

وفي حال الحصول على نتائج ايجابية لهذين الامرين نكون قد دحضنا النظرية الشائعة والمقبولة حتى في بعض الاوساط العلمية والتي تقول بأن عوامل مرور الزمن وتشرد الفلسطينيين وعدم معرفة الصغار لوطنهم معرفة مادية وحسية ، ستؤدي بالشعب الفلسطيني الى فقدان شخصيته الوطنية الخاصة به ، وبالتالي يتحول هذا الشعب الى افراد ، الرباط الوحيد الذي يربط بينهم هو انهم قدموا اصلا من وطن لم يعد له وجود .

العينة :

يقوم البحث الحالي على عينتين للاطفال الفلسطينيين . اخذت العينة الاولى من الاردن والعينة الثانية من لبنان . وتتألف كل عينة من ٢٥ طفلا اختيروا بطريق عشوائية . تضم العينة الاردنية عشرة اطفال فلسطينيين من عمان وخمسة عشر طفلا من مخيمين قرب عمان . وتضم العينة اللبنانية عشرة اطفال فلسطينيين من بيروت ، وخمسة عشر طفلا من مخيمين في لبنان . قد يبدو عدد الحالات في العينتين صغيرا جدا بحيث لا يمثل الاطفال الفلسطينيين كلهم ، لكنه في الواقع يفي بهدف الدراسة الذي يتطلب دراسة في العمق وليس مسحا اجتماعيا .

خصائص العينة :

تضم العينة (مجموع العينتين) اطفالا تتراوح اعمارهم بين عشر وخمس عشرة سنة ولد معظمهم خارج فلسطين (نازحو ١٩٤٨) . بعض هؤلاء الاطفال اشبال يتلقون توجيها سياسيا معينا من منظماتهم ، وبعضهم اطفال لا ينتمون الى اي تنظيم وبالتالي لا يتلقون اي توجيه سياسي .

كل اطفال العينة يذهبون الى المدرسة . وتضم العينة بعض الفتيات .

يأتي افراد العينة من مختلف مناطق فلسطين ، وينتمون الى عائلات مختلفة في المدخول والتعليم والمهنة والديانة ، وفي تاريخ النزوح وعدد مراته .

١ ــ وعي الاطفال الفلسطينيين الوطني وهويتهم الوطنية :

التركيز هنا يكون على ثلاثة جوانب للوعي الوطني والهوية الوطنية وهي : المصدر او المصادر التي استمد منها الاطفال الفلسطينيون هويتهم ووعيهم الوطنيين ، معرفتهم لقصة فلسطين التي تكون دليلا حسيا وجزءا لا يتجزأ من الوعي الوطني، مدى احساسهم

---

* هذا المقال مبني على دراسة اجتماعية للاطفال الفلسطينيين قام بها المؤلف وصدرت عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية باللغة الانجليزية (سلسلة ابحاث فلسطينية رقم ٢٣) .

بهويتهم الفلسطينية والذي يقاس بمدى رغبتهم في العودة الى وطنهم الام والاسباب الكامنة وراء تلك الرغبة . الجانب الرابع لوعي الهوية الوطنية هو موقف الاطفال الفلسطينيين من الذين كانوا السبب في بؤسهم وشعورهم نحوهم :

الهوية القومية : وضعنا ثلاثة اسئلة لقياس الهوية الوطنية وهي :

من اي بلد انت ؟ أين هي فلسطين ؟ هل انت لبناني ، اردني ، لاجيء ، مصري ، فلسطيني ؟ (سئلت كل اسئلة البحث بالعامية وصيغت بكلام مبسط جدا) .

اظهرت نتائج الاجابات على السؤال الاول ان كل الاطفال الفلسطينيين يعرفون انهم فلسطينيون وليسوا لاجئين او لبنانيين او اردنيين او سوريين الخ. وبالطبع فانهم يدركون هويتهم القومية وهي الهوية العربية ، اذ اجاب معظمهم انهم عرب فلسطينيون . لقد كانت الاجابات حول الوطنية واضحة لا مجال للشك او التردد فيها . فمثلا لم يقل اي طفل أنا اردني او لبناني من اصل فلسطيني ، رغم ان بعض الفلسطينيين الكبار في السن يستعملونها أحيانا .

حين سألنا « اين هي فلسطين ؟ » لم نكن نبغي من وراء سؤالنا اختبار معلومات الاطفال الجغرافية ، بل كان هدفنا الوصول الى تصور الاطفال لموقع فلسطين سواء كان ذلك التصور جغرافيا ام غير جغرافي . وقد أتت النتائج لتضع تصور الاطفال لموقع فلسطين ضمن اربعة مجالات للتصور العام لشيء ما او شخص ما :

الفئة الاولى من الاطفال وتبلغ ١٦ ٪ من افراد العينة تصورت فلسطين تصورا عاطفيا وقالت « فلسطين بعيدة او بعيدة جدا » .

الفئة الثانية وتبلغ ٥٠ ٪ من افراد العينة تصورت فلسطين تصورا سياسيا عبر عنه بالجمل التالية : « فلسطين في أيدي الصهاينة » ، « فلسطين مع اليهود »(١) ، و« فلسطين هي الارض المحتلة التي سرقها اليهود » .

التصور الثالث كان تصورا قوميا من قبل ٢٤ ٪ من افراد العينة : « فلسطين في قلب الوطن العربي » ، و« فلسطين جزء من البلاد العربية » .

الفئة التي أعطت الموقع الجغرافي لفلسطين كانت ٨ ٪ من افراد العينة ، ومن بعض الاجابات : « فلسطين في جنوب لبنان » ، « فلسطين في الضفة الغربية » ، « فلسطين على المتوسط قرب لبنان وسوريا والاردن ومصر » .

فقط طفل واحد (٢ ٪) لم يعط اي تصور لموقع فلسطين . (انظر الجدول ادناه)

تصور موقع فلسطين

	عدد	النسبة المئوية
١ ــ تصور عاطفي	٨	١٦
٢ ــ تصور سياسي	٢٥	٥٠
٣ ــ تصور قومي	١٢	٢٤
٤ ــ تصور جغرافي	٤	٨
٥ ــ لا يعرف	١	٢
المجموع	٥٠	١٠٠

ان معرفة القضية الفلسطينية يدل ، كما ذكرنا سابقا ، على وعي لوضع الاطفال الفلسطينيين الحالي . وقد اجاب ٩٦ ٪ من افراد العينة على سؤال « بما انك فلسطيني ماذا تفعل هنا ؟ » (اي لماذا تعيش هنا وليس في فلسطين ؟) بالقول ان ذلك يعود الى ان « الاسرائيليين » او « اليهود » او « الصهاينة » احتلوا فلسطين بالقوة وطردوهم منها . وقد اضاف ١٦ ٪ من افراد العينة ان اليهود تمكنوا من طرد الشعب الفلسطيني لانه « لم يكن مسلحا » او « لم يتنبه للخطر اليهودي » وبذلك لم يتمكن من مقاومته .

السؤال المهم الذي يلي هو كيف تم حفظ الوعي الوطني الفلسطيني لجيلين بعد النكبة والتشريد ؟
اظهرت نتائج الدراسة ان هذا الوعي وهذه الروح ، اذا صح التعبير ، قد حفظا وغرسا بواسطة العائلة اثناء تربية الطفل . لقد رضع الطفل قضية بلاده كما رضع الحليب . ان ارادة الشعب الفلسطيني في المحافظة على هويته وكيانه هي التي مكنت هذه الهوية وهذا الكيان من البقاء . الاب يخبر ابناءه ، والجد يفهم احفاده ، والام تخبر اولادها من هم وما الذي حدث لهم ومن السبب في محنتهم .
بالاضافة للعائلة ، كانت هناك ثلاث قنوات اتصال اجتماعية اخرى حفظت من خلالها الشخصية الفلسطينية ، وهذه القنوات هي : ١) البيئة الاجتماعية ككل ، ٢) وضع الفلسطينيين المادي ، ٣) حركة المقاومة الفلسطينية . (انظر الجدول ادناه) .

قنوات نقل وحفظ الوعي الوطني والهوية القومية

	العدد	النسبة المئوية
١ ــ العائلة (الاهل)	٣٤	٦٨
٢ ــ وضع الفلسطينيين	٤	٨
٣ ــ البيئة	١٠	٢٠
٤ ــ حركة المقاومة	٢	٤
المجموع	٥٠	١٠٠

لقياس موقف الاطفال الفلسطينيين من اليهود سألنا اربعة اسئلة هي :
ا) هل تحب اليهود ، تكرههم ، لا تحبهم ولا تكرههم ؟ لماذا ؟
ب) هل تكره اليهود الذين اخذوا بلدك ام كل يهود العالم ؟
جـ) ما هو الفرق بين اليهودي والصهيوني ؟
د) هل تقبل ان تعيش مع اليهود في فلسطين ؟ لماذا ؟
اظهرت نتائج البحث ان موقف الاطفال الفلسطينيين من اليهود ليس موقفا موحدا ، وان الفرق الاساسي في النظرة الى اليهود هو بين الاطفال الموجهين توجيها سياسيا وبين الاطفال الذين لا يتلقون اي توجيه سياسي .
فقد ذكر ٣٤٪ من افراد العينة انهم يكرهون الصهيونيين او الحركة الصهيونية ولا يكرهون اليهود . والذين اتخذوا هذا الموقف هم اشبال من فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والقيادة العامة . اما الاطفال غير الموجهين سياسيا فقد ذكروا كلهم انهم يكرهون اليهود لسبب واحد هو ان اليهود استولوا على فلسطين وطردوهم منها . وقد ذكر ١٠٪ من افراد العينة انهم يكرهون اليهود لانهم « يحاربونا » او لانهم « يقتلون الفدائيين » .
لقد استطاع كل الاطفال الموجهين سياسيا ، ٣٢٪ من افراد العينة ، ان يميزوا بين اليهودي والصهيوني . ولم يستطع ٣٢٪ آخرون ان يفرقوا بين اليهودي والصهيوني ، وقال ٣٦٪ غيرهم انه ليس هناك فرق بين اليهودي والصهيوني .
قال ٨٧٪ من الاطفال الموجهين سياسيا انهم يقبلون بالعيش مع اليهود في فلسطين على اساس الدولة الديمقراطية . اما بقية الاطفال الموجهين سياسيا ١٣٪ فقد ذكروا انهم يرفضون العيش مع اليهود في فلسطين « خوفا منهم » او لان « فلسطين لا تقبل انصاف الحلول ولنا كل الحق فيها » .
يدحض موقف الاطفال الفلسطينيين ، وخاصة الموجهين سياسيا ، المزاعم الصهيونية القائلة باننا نربي اولادنا على الحقد على اليهود كلهم وكرههم والمطالبة بدمائهم . حتى ان منظمات المقاومة التي تهدف الى ازالة الكيان الصهيوني من فلسطين توجه افرادها

توجيها بناء في سبيل الدولة الديمقراطية .
الحقيقة الهامة التي توصل اليها البحث هي ان كل طفل فلسطيني يعرف انه فلسطيني ولديه فكرة معينة عن فلسطين ، ويعرف قصة فلسطين بشكل عام وهو بالتالي يرفض اي تعريف آخر لنفسه وخاصة تعريف « لاجيء » الذي حاولت جهات عديدة في الوطن العربي وخارجه الصاقه به وغرسه في نفسه لاحداث تغيير تام في تصور الفلسطيني لنفسه وبالتالي لمحو هويته الوطنية وعزله نفسيا وسياسيا عن تجمعات الفلسطينيين المختلفة في انحاء الوطن العربي وخارجه . ان الطفل الفلسطيني لا يدور في فراغ فلا يعرف من هو ومن اين أتى ، بل انه يقف على أرض صلبة ويعرف كل شيء عن ماضيه وحاضره وله موقف واضح ومحدد من عدوه .

٢ ــ التصميم على تحرير فلسطين :

قبل حزيران ١٩٦٧ ، لم يعط الفلسطينيون الفرصة ولم يسمح لهم بايجاد الفرصة للقتال من اجل الحرية والتحرير . لكن بعد حرب حزيران ١٩٦٧ زالت معظم العقبات التي كانت تقف بين الفلسطينيين والكفاح المسلح .
لقد مضت ثلاث سنوات على اشتعال الثورة ومرت الثورة بانتصارات ومحن . ان الوضع الحالي للثورة يفرض علينا أن نتوجه الى دراسة الاطفال الفلسطينيين ، لان اطفال اليوم هم الذين سيقررون مصير المعركة من اجل فلسطين : فبامكانهم أن يقاتلوا حتى النصر أو أن يضعوا حدا للمعركة . ما نريد ان نعرفه بشكل محدد اكثر هو : اين يقف الاطفال الفلسطينيون من مسألة التحرير ؟ ما هو مدى تصميمهم على القتال ؟ اين تقع ولاءاتهم ؟ ما هي تطلعاتهم ؟ وما هي قيمهم ؟
يقاس التصميم على القتال بواسطة مؤشرات مباشرة وغير مباشرة كخطط المستقبل والخطط البديلة ، سلم الولاءات ، سلم الافضليات ، والاماني الشخصية الخ. سوف نخصص هذا الجزء من البحث لتحليل هذه المؤشرات ثم ربطها ببعضها بعضا لاعطاء صورة واضحة عن مدى تصميم الاطفال الفلسطينيين على تحرير وطنهم المحتل .

أ) الحياة اليومية للفلسطينيين والمشكلة الفلسطينية :

ان حضور المشكلة الفلسطينية في حياة الفلسطينيين اليومية عامل رئيسي في رغبة الفلسطينيين في التغيير . انهم يشعرون ان عليهم ان يفعلوا شيئا ، وهم يرددون ان كونهم احياء دون أن يحيوا أمر لا يمكن تحمله الى الابد. ان المهرب المرغوب الوحيد الذي يقبل به الفلسطينيون هو العودة . وهناك مظاهر واقوال عديدة في حياة الفلسطينيين اليومية تبرز تشديدهم على العودة . فهناك قولهم المعروف «عيدنا عودتنا» ، ومعايدتهم على بعضهم بعضا بقولهم « العيد القادم في فلسطين » . كما ان رغبة الكبار الشديدة بالموت في فلسطين هي مظهر آخر من مظاهر هذا النمط الاجتماعي . فكثيرا ما نسمع العجوز يقول لابنه « اتمنى ان اموت في فلسطين » و« طلبي الوحيد ان تنقلوا عظامي الى فلسطين بعد تحريرها » .
كانت القضية الفلسطينية حاضرة في حياة الفلسطينيين اليومية منذ تشردهم . وكان حضورها اكثر كثافة في حياة سكان المخيمات منه في حياة سكان المدن ، وذلك لسببين : كون وضع سكان المدن الاقتصادي افضل ، مكنهم من تفادي ضغوط خارجية كثيرة ، ثم ــ وهذا الاهم ــ كون سكان المخيمات يؤلفون وحدة عاطفية متماسكة نظرا لتقاربهم السكني والجسدي ، بينما الروابط العاطفية بين سكان المدن مقصورة على بضع عائلات فلسطينية . ان سكان المخيمات يواجهون مشاكل الحياة اليومية معا وهم يخضعون لنفس الضغوطات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ان اطفال المخيمات يذهبون الى نفس المدارس ــ الانروا ــ بينما اطفال المدن يذهبون لكافة انواع المدارس ويواجهون مشاكل الحياة اليومية كل بمفرده .

تظهر نتائج البحث الحالي ان الاطفال الفلسطينيين الذين يعيشون في المدن يفكرون بالمشكلة الفلسطينية ويصطدمون بنتائج محنتهم ، لكنهم يفكرون ايضا بأشياء اخرى كالادب والتمثيل والرياضة والدروس الخ. لكن الاطفال الفلسطينيين الذين يعيشون في المخيمات غارقون تماما في محنتهم ، فكل ما يفعلونه او يفكرون به موجه الى المشكلة الفلسطينية ومتصل بها . ان تيار فكرهم الرئيسي تيار سياسي ، وحياتهم اليومية حياة سياسية (الاستماع للاخبار ، فتح أحاديث حامية حول المشكلة ، والانضمام للاحزاب والحركات السياسية الخ) .

وقد كثفت الثورة الفلسطينية حضور المشكلة الفلسطينية في حياة سكان المخيمات، واصبحت محل اهتمام قطاع كبير من سكان المدن . حتى ان العديد من سكان المدن الذين كانوا يائسين من اي عمل سياسي ، اصبح لهم نشاط سياسي كبير عندما برهنت لهم الثورة الفلسطينية على ان هناك أملا وعلى ان النصر اكيد .

وقد سئل الاطفال الفلسطينيون : « ما هي اكثر ثلاثة أمور تتحدث عنها مع رفاقك كل يوم ؟ »

ظهر ان كل الاطفال الموجهين سياسيا (الاشبال) لا يتحدثون عن اي شيء غير الثورة . فهم يتكلمون عن مختلف نواحي الثورة — من انواع السلاح المستعمل والتدريب والعمليات والمقاتلين وحياة المعسكر ، الى الجهود العربية العسكرية والعودة والتحرير . كما ان اشبال الجبهة الشعبية بشكل خاص يتحدثون عن التركيب الطبقي للمجتمع الفلسطيني والعربي .

اما بين الاطفال غير الموجهين سياسيا ، فان اطفال المخيمات ايضا يقصرون حديثهم على الجوانب المختلفة للمشكلة الفلسطينية . اما الموضوع الرئيسي الاخر الذي يبحثونه فهو الدروس والمدرسة . ومن بين هؤلاء الاطفال طفل واحد (٢٪) ذكر انه بالاضافة الى الحديث عن فلسطين ، يتحدث عن ركوب الدراجات مع رفاقه. اطفال المدن غير الموجهين سياسيا يتحدثون كثيرا عن المشكلة الفلسطينية ، لكنهم يعطون مجالا اكثر من المجال الذي يعطيه أطفال المخيمات للحديث عن الرياضة والافلام والمدرسة الخ. ان اكثر كلمتين يستعملهما الاطفال الفلسطينيون في لبنان هما كلمتا « كلاشينكوف » و« فدائي ».

ب) خطط المستقبل والاختيارات البديلة :

لقد عرضنا بعض الخطط على افراد العينة وفي ذهننا هدفان : الهدف الاول هو اعطاء الفلسطينيين اختيارات مغرية بديلة لان يصبحوا فدائيين . والهدف الثاني هو معرفة مدى استعدادهم لقبول الخطط البديلة ، ثم معرفة خططهم للمستقبل او على الاقل اتجاهاتهم الحالية التي تشير الى خططهم الممكنة للمستقبل .

الخطط الثلاث التي عرضناها هي :

١ — منحة دراسية — مدتها خمس سنوات — للدراسة في الولايات المتحدة او اي بلد اوروبي يختاره الطفل .

٢ — فترة تدريب — مدتها خمس سنوات — في احدى التجارات في الكويت تنتهي بأن يصبح المدرب تاجرا كبيرا .

٣ — جولة سياحية مجانية — مدتها خمس سنوات — لخمسة بلدان يختارها الطفل.

وقد اخترنا مدة الخمس سنوات كمدة كافية لابعاد الطفل عن التأثير الاجتماعي « لجبهة القتال » ولانها في الوقت نفسه تمكنه من اتخاذ مهنة ثابتة .

قد يعني قبول طفل باحدى الخطط انه غير مرتبط بالمعركة بعد وقد لا يعني ذلك . ولذلك سألنا سؤالا مكملا لمعرفة ما اذا كان قبول الخطة يعني الانفصال عن المعركة ، وكان السؤال : « بعد انتهاء الخمس سنوات هذه ، ماذا تحب او ترغب ان تفعل ؟ » .

مع ان الاشبال مرتبطون بالمعركة ، فقد عرضنا عليهم الخطط لاعطائهم فرصة لفك

ارتباطهم والخروج من المعركة. وكانت النتيجة ان كل الاشبال (٣٢٪) قد رفضوا بدون ادنى تردد خطتي السياحة والتجارة . الاسباب التي اعطوها لرفضهم كانت : « نحن الان لسنا في مرحلة التجار والناس الكبار » ، « اريد اولا استعادة فلسطين » ، « اريد ان اصبح مقاتلا » ، و« وضعي الطبقي لن يسمح لي ، بعد التدرب في الكويت على التجارة ، ان اعود للقتال » ، « افضل ان تعطى النقود التي ستصرف على رحلتي الى حركة المقاومة » ، « افضل ان اخدم وطني من اضاعة وقتي » و« لا اريد ان اترك المعركة قبل ان نستعيد فلسطين » .

اما خطة المنحة الدراسية فقد قبلها ٨٧،٥٪ من الاشبال .

هذه الحقيقة ليست غريبة او متناقضة مع الارتباط بالثورة اذا اخذنا بعين الاعتبار القيمة العالية التي يعطيها الفلسطينيون للعلم ، وخطط الاشبال بعد انتهاء دراستهم . فقد ذكر كل الاشبال الذين قبلوا خطة المنحة الدراسية انهم سيعودون للالتحاق بالثورة بعد انتهاء الدراسة .

بعكس ما هو متوقع ، رفض معظم الاطفال الفلسطينيين (٨٨٪) غير الموجهين والذين يسكنون المخيمات ، الخطط الثلاث كلها دون ادنى تردد . وكان سببهم الوحيد في ذلك هو عزمهم على الالتحاق بالثورة .

ومن بعض اجوبتهم : « لا اريد ان اصبح تاجرا ، اريد ان اتدرب لاكون مقاتلا » ، « اريد ان اقاتل » ، « خلال خمس سنوات استطيع تدمير جزء من قوة العدو » ، « لسنا بحاجة الى شهادات الان ، فلسطين بحاجة الى مقاتلين » . طفل واحد رفض الخطط الثلاث لسبب شخصي ، وهو انه لا يريد ان يبتعد عن اهله . وطفل آخر فقط قبل الخطط الثلاث وقال انه لا يعرف ماذا سيفعل بعد مرور الخمس سنوات . ان احتمال انضمام اي من هذين الطفلين الى المعركة احتمال ضعيف .

كان للمدخول اثر على موقف الاطفال غير الموجهين والذين يسكنون المدن وتبين ذلك من موقفهم من الخطط المختلفة المعروضة عليهم(٢). فان الاطفال الذين دخل عائلاتهم منخفض اتخذوا مواقف مشابهة لاطفال المخيمات . لكن الاطفال الذين تحظى عائلاتهم بدخل مرتفع (١٦٪ من افراد العينة) اتخذوا مواقفهم على اساس شخصي بحت . وقد قبل ٧٠ ٪ من هذه الفئة الاخيرة من الفلسطينيين « الاغنياء » الخطط الثلاث . لكن القبول بالخطط المعروضة لا ينفي الشعور بالواجب الوطني عند الاطفال « الاغنياء » . ان لدى هؤلاء كل عزم على مساعدة الثورة ماديا واجتماعيا وسياسيا ، لكنهم لا يفكرون في ان يصبحوا مقاتلين . بناء على نتائج هذه الدراسة نعتقد ان الغالبية الساحقة للجيل الحالي من الاطفال الفلسطينيين « الاغنياء » ستبقى في صفوف « الجبهة المساندة » للثورة . واننا نقدر نسبة هؤلاء الاطفال من مجموع الاطفال الفلسطينيين بـ ١٠ ٪ — ١٥ ٪ ، وبالطبع سيكون بينهم افراد يصبحون مقاتلين .

لقد لاحظنا ان غالبية الذين يرغبون في ان يكونوا في « الجبهة المساندة » هم من فلسطينيي لبنان . ويمكن تفسير هذه الظاهرة بتشديد المجتمع اللبناني على «تقديم العون» والعمل السياسي والدبلوماسي بدلا من القتال .

ليس هناك اي فرق في المواقف من الخطط الثلاث بين الاشبال ، واطفال المخيمات ، واطفال المدن « الفقراء » الذين يسكنون الاردن ولبنان (هذه الفئات الثلاث تؤلف ٨٤٪ من العينة) .

جـ) سلم الافضليات :

التفضيل عادة ، وفي حال بقاء عوامل اخرى ثابتة ، دليل على القرارات التي ستتخذ ثم على القيام بخطوات لتنفيذها . اذا عرفنا افضليات الاطفال الفلسطينيين يمكننا ان نعرف خطواتهم الاكثر احتمالا في المستقبل . وبما ان موضوع هذا البحث يعالج التفضيل بين

القتال ونشاطات أخرى ، فقد سألنا السؤال التالي : « هل تفضل ان تدخل : كلية هندسة ، كلية طب ، كلية عسكرية ، كلية مهنية ، غيرها ؟ ولماذا ؟ »
لقد اختار ٧٨٪ من اصل ٨٤٪ من الفئات الثلاث ــ الاشبال واطفال المخيمات واطفال المدن الفقراء ــ الكلية الحربية . وحتى الحالات الثلاث الاخرى (٦ ٪) اظهرت ان اختيارها قائم على دوافع وطنية . فقد اختار طفل ان يدخل كلية هندسة لكي يصبح « مهندسا مع فتح » ، واختار آخر ان يصبح طبيبا « ليعالج الفدائيين الجرحى » ، واختارت فتاة ان تصبح اما طبيبة فدائية او مهندسة فدائية .
كل الاطفال « الاغنياء » ، باستثناء طفل واحد ، فضلوا دخول كليات الهندسة والطب والاداب والعلوم ، ولم يربطوا اختيارهم بأي دافع وطني .
يمكن ان نستنتج من المعلومات السابقة ان معظم الاطفال الفلسطينيين يتأثرون تأثرا كبيرا باعتبارات وطنية حين يتخذون قرارات شخصية . يبدو أن الطفل الفلسطيني يقول في داخله « قبل ان اقوم بهذا العمل او ذاك ، يجب ان اعرف اذا كان يؤثر على دوري في الثورة » . ومن الواضح ان الاطفال الفلسطينيين ــ بناء على هذه الحقيقة وحدها ــ هم اكثر ثورية ، في طريقة تفكيرهم وفي ارتباطهم بالثورة ، من الفلسطينيين الراشدين .
وقد عبر الاطفال الفلسطينيون عن نظرتهم للامر بأقوال منها : « اوضاعنا الان ليست للطب والهندسة ، همنا الاول ارجاع وطننا » ، و« الكلية العسكرية هي التي ترجع فلسطين » و« كلية عسكرية طبعا لكي احمي شعبي » .
ملاحظة اخرى هامة نستمدها من هذه الاقوال وهي انه لم يقل اي طفل فلسطيني أنه يفضل دخول الكلية العسكرية لكي « يقتل اليهود » أو « يرميهم في البحر » او اي ادعاء صهيوني من هذه الادعاءات المعروفة .

د) سلم الولاءات :

تدرس الولاءات الفرديةعلى انها جزء اساسي من البنيان الذييتحكم في التصرف الانساني ويوجهه ومن نظام القيم في مجتمع ما .
لقرون عديدة كان ولاء الفرد العربي اولا وقبل اي شيء آخر لعائلته . ان بعض الناس يعتبرون الولاء للدين اهم من الولاء للعائلة عند العرب ، وبعضهم الاخر يقول ان الولاء للدين يأتي مباشرة بعد الولاء للعائلة . نحن نميل الى تأييد الفريق الثاني . الولاءات الاقل اهمية هي الولاء للجماعة والولاء للقرية . أما الولاء القومي او الوطني فكان غائبا تماما عن سلم ولاءات الفرد العربي ، ولم يدخله الا حديثا (في اواخر القرن التاسع عشر) . رغم ان ولاء العربي لقوميته نما باطراد ، الا انه حتى الان لا يضاهي الولاء العائلي او الديني في المجتمع العربي عامة : في لبنان وفي سوريا وفي مصر الخ. لقد اظهرت دراسة اميرة حبيبي عن نزوح ١٩٦٧ (صدرت عن مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية) ان الولاء للعائلة والحرص على سلامتها كانا من الاسباب الرئيسية التي شجعت على النزوح ، وان الفلسطينيين الذين هربوا لم يفكروا بنتائج هروبهم على الصعيد القومي بتاتا .
السؤال الان هو : هل تختلف ولاءات الاطفال الفلسطينيين عن ولاءات اهلهم وولاءات الراشدين من العرب ؟
وضعنا ميزانا لقياس ولاءات الفرد العربي يقيس الولاءات التالية : الدين ، العائلة ، الوطن ، النفس ، المال .
وقد اظهر البحث ان كل الاطفال الفلسطينيين لهم نفس نظام الولاءات ، وان مكان اقامتهم او مدخولهم او توجيههم السياسي عوامل غير مؤثرة على سلم ولاءاتهم . (بالطبع ان التقيد التام بنظام ولاءات معين أمر غير موجود في اي نظام اجتماعي ، وبالتالي من الطبيعي ان نجد بعض الشواذ بين الاطفال الفلسطينيين) .

سلم ولاءات الاطفال الفلسطينيين هو على الشكل التالي :
١ ــ الولاء الاول والاساسي هو للوطن . فقد قال ٩٢٪ من افراد العينة انه اسهل على الشخص انه يفقد عائلته ودينه واموالـه وان يقاسي شخصيا من ان يفقد وطنه. هذا حقا شعور جديد وخاصة بين اطفال لم يروا وطنهم .
٢ ــ اتى الدين ثانيا بعد الوطن في سلم الولاءات . وهــذا أمر مخالف لتوقعات الباحث خاصة وان الدين مسألة روحية يصعب على الاطفال فهمها بينما العائلة شيء يلمسونه وله اثر كبير في مجرى حياتهم اليومية .
٣ ــ العائلة أتت ثالثا في سلم ولاءاتهم . يبدو ان الاطفال الفلسطينيين سيكونون الجيل العربي الاول الذي يكسر قبضة العائلة الحديدية على الفرد . وان الثورة تساعده على ذلك التغيير الجذري مساعدة كبيرة .

هـ) تصوّر الاطفال لطريق التحرير :

سألنا الاطفال الفلسطينيين : « هل تفضل العودة الى فلسطين ام الاستقرار حيث أنت؟» وقد أجابوا جميعا انهم يفضلون العودة الى فلسطين . وقال معظمهم (٩٠٪) ان السبب في رغبتهم هو أن فلسطين بلدهم . واعطى الاخرون (١٠ ٪) أسبابا مختلفة منهــا : « الحياة هناك أحسن » ، « نحن غرباء هنا » ، « فلسطين أرض خصبة تعطــي لبنــا وعسلا » .
احد الدوافع الرئيسية وراء الرغبة في العودة هي « استعادة الكرامة » . وقد عبر ٢٠٪ من الاطفال عن هذا الواقع بقولهم : « من لا وطن له لا كرامة له » ، « الناس هنا يقولون اننا لاجئون ، والواحد ليس له قيمة هنا » ، و« لكي نعيش هنــاك في عزة وكرامة » .
السؤال التالي كان « لقد قلت انك تريد العودة الى فلسطين ، فهل يسمح لــك اليهود بالعودة ؟ » .
هذا سؤال استدراجي وجوابه معروف سلفا ، وقد جاءت الاجابات كلها بالنفي . السؤال الطبيعي الذي يلي هو « بما انهم لن يسمحوا لك بالعودة فكيف ستعود ؟ » .
أجاب كل الاطفال (١٠٠ ٪) انهم يستطيعون العودة بواسطة القوة وخــاصة قــوة السلاح . وقد عبر معظم الاطفال (٨٦ ٪) عن القوة بكلمة « حرب » ، و« القتــال » و« الثورة » . وقد قال ٨ ٪ منهم أن الجيوش العربية ستعيد فلسطين ، بينمــا قــال ٢٠ ٪ منهم ان حرب التحرير الشعبية هي الطريق الوحيد للعودة . وقال طفل واحــد فقط (٢ ٪) ان العودة ممكنة من خلال حل سلمي عادل .
لزيادة التأكد من تصور الاطفال لسبل العودة والتحرير ، ولمعرفة تصورهــم لمستقبــل الشعب الفلسطيني وللدور الذي يجب ان يلعبه كل فلسطيني ، استعملنا طريقة اتمام الجملة . وقد طلبنا من الاطفال اتمام الجمل التالية :

ا) لا يرجع فلسطين الا . . . . .
ب) لن يحرر فلسطين غير . . . . .
ج) كل فلسطيني يجب ان . . . . .
د) الفلسطينيون سوف . . . . .

اتفق كل افراد العينة على أن القوة هي السبيل الوحيد لارجاع فلسطين ، ورمزوا للقوة بكلمات مثل : « بالدم » ، « بدماء الشهداء » ، « بالثورة » ، « بالفكر والبندقية » الخ .
أتم الاطفال الجملة الثانية بكلمات مثل : « الحرب » ، « حــرب التحرير الشعبيــة » ، « الفدائيين » ، « الفلسطينيين » و« ابناءنا » .
تصور ٨٤٪ من افراد العينة للدور الذي يجب ان يلعبه كل فلسطيني هو دور الفدائي (المقاتل) . فقد أتم هؤلاء جملة كل فلسطيني يجب ان يكون بكلمات « فدائي » و«ثوري» و« مقاتل » . أما باقي الاطفال ، ١٦ ٪ ، ومعظمهم من « الاغنياء » فقد تصوروا دور

الفلسطيني على انه المساهمة في المعركة بقدر امكانياته . وقد عبر طفل عن هذا التصور بقوله : « كل فلسطيني يجب أن يقدم شيئا » .
الجملة الرابعة اظهرت ثقة الاطفال بمستقبل شعبهم . فقد أتم معظمهم جملة « الفلسطينيون سوف » بكلمة « ينتصرون » او « يستعيدوا فلسطين » . لقد بدا وكأن كل طفل « يعرف » ان فلسطين سترجع عربية يوما ما .

و) من هو البطل :

تتألف صورة او فكرة البطل من جزئين : الشخص المثالي بالنسبة للفرد (للطفل) والصفات التي يتحلى بها البطل .
وقد سألنا سؤالين هما : ١) من معارفك ، من الذي تعجب به كثيرا وتحب ان تكون مثله؟ ٢) من هو البطل بالنسبة لك ؟
استطاع الاطفال في ٥٢ ٪ من الحالات ان يشيروا الى شخص معين من معارفهم على انه الشخص الذي يعجبون به ويتمنون أن يصبحوا مثله . وفي ١٢ ٪ من الحالات ذكر الاطفال شخصيات معروفة مثل كاسترو وغيفارا وابو عمار وجورج حبش . أما ٣٠٪ من الاطفال فلم يحددوا شخصا معينا لكنهم أبدوا اعجابهم بتعابير عامة اي « الفدائي » او « المقاتل » او « الشبل » . ثلاثة اطفال فقط (٦ ٪) قالوا انهم لا يعجبون بأحد .
في حال الاطفال الذين ابدوا اعجابهم بأشخاص حولهم ، كان هؤلاء الاشخاص فدائيين أو ثوريين . من الامثلة على ذلك : « اخي محمد لانه فدائي » ، « ابن عمي طلال الذي قتل وهو يحارب في عجلون » ، « مدربي أبو رشيد الذي نقل الى السلط واستشهد هناك » .
طفلان فقط أرادا ان يكونا مثل والديهما « لانه رجل طيب » ، وطفل ثالث أراد أن يكون مثل مدير مدرسته .
معظم الاطفال « الاغنياء » ابدوا اعجابهم بأشخاص من خارج الثورة ، مثلا : « أعجب بأخي المهندس واريد ان اصبح مثله » ، « عمي لانه تاجر ناجح وغني » .
البطل بالنسبة لخمسين بالمئة من الاطفال الفلسطينيين يتمثل بشخصي عبد الناصر وابو عمار . اما الخمسون بالمئة الاخرون فقد انقسموا الى فئتين . الفئة الاولى (٢٤٪) اعتبرت أن « الفدائي » او « الثوري » هو البطل . والفئة الثانية (٢٦ ٪) أعطت تعريفا او وصفا للبطل دون أن تسمي احداً . فقد وصف افراد هذه الفئة البطل بأنه « الشخص الذي يكافح ليحرر الارض والانسان » او « الذي يقدم أعز ما يملك لوطنه » او « الذي يموت في سبيل وطنه ويحميه » . كل هذه الاوصاف تدور حول معنى واحد : التضحية . البطل أذن بالنسبة لـ ٢٦ ٪ من الاطفال الفلسطينيين هو الشخص الذي يضحي بكل شيء في سبيل شعبه ووطنه .

ز ــ الاحتكاك بالفدائيين والمشاعر تجاههم :

يعتبر الباحث الاحتكاك الشخصي والجسدي للاطفال مع الفدائيين عاملا رئيسيا في تصميم الاطفال على أن يصبحوا فدائيين . ان عامل التقليد ، وهو عامل هام من عوامل تحديد السلوك الاجتماعي ، يلعب دورا كبيرا في دفع الاطفال للانضمام الى حركة المقاومة . التأثير الكبير الاخر للاحتكاك بين الاطفال والفدائيين هو أن الاطفال يلمسون مكانة « الفدائي » ومدى احتفاء الناس به ، حتى ان كل شخص يود ان يقدم شيئا او يفعل شيئا للفدائي الذي « يموت من أجلنا » .
لذلك اهتم البحث الحالي بقياس مدى احتكاك الاطفال بالفدائيين ونتائج ذلك الاحتكاك كما تعكسها مشاعر الاطفال نحو الفدائيين .
قال ٨٢٪ من أفراد العينة انهم يرون الفدائيين كل يوم ويتحدثون اليهم . هذا امر متوقع لان الفدائيين هم عادة اقرباء او جيران او أصدقاء هؤلاء الاطفال . الاستنتاج الاساسي

هو أن هناك احتكاكا شخصيا كبيرا بين الاطفال والفدائيين .
توجد ثلاثة مظاهر في الثورة الفلسطينية تثير مخيلة الناس ، وخاصة الاطفال ، وتحرك أعمق مشاعرهم . هذه المظاهر الثلاثة هي : ١) العمليات الفدائية في الارض المحتلة ، ٢) جنازات الفدائيين الذين يقتلون في هذه العمليات و ٣) عرض المليشيا العسكري في المخيمات والقرى .
وقد هدف البحث الحالي الى دراسة كيفية ومدى تأثير هذه المظاهر على الاطفال الفلسطينيين .
١ ــ **عمليات الفدائيين** : سألنا الاطفال : « كيف تشعر عندما تسمع بعملية في الارض المحتلة ؟ » .
وقد ظهر ان هذه العمليات لها تأثيرات مختلفة على الاطفال . ان ٢٨ ٪ منهم يشعرون بالسعادة حين يسمعون بعملية في الارض المحتلة لان « اسرائيل تخسر سلاحا وجنودا » أما غالبية الاطفال (٦٨ ٪) فيشعرون بالحماس والشجاعة ويودون ان يصبحوا فدائيين وان يقوموا بالعمليات نفسها . طفل واحد (٢ ٪) يزداد امله بالعودة بعد تلك العمليات ، وطفل اخر (٢ ٪) يشعر « بجهود الثورة » .
٢ ــ **جنازات الفدائيين** : سألنا الاطفال : كيف تشعر عندما تسمع بموت فدائي ؟ هل شاهدت او سرت في جنازة فدائي ؟ كيف كان شعورك اثناء الجنازة ؟
قال ٥٠ ٪ من الاطفال انهم يشعرون بالحزن عندما يسمعون بموت فدائي . وقال ٢٦ ٪ منهم انهم يشعرون بالفرح عندما يسمعون بموت فدائي « لان الجيل القادم سيحرر فلسطين » و« لان الكثيرين سيلحقون به » و« لانه مات من أجل فلسطين » . أما بقية الاطفال (٢٤ ٪) فمشاعرهم مختلفة ومتفرقة ، مثلا « من الطبيعي ان يموت الفدائي » و« يجب ان يموت عشر مرات » .
قال كل الاطفال انهم شاهدوا على الاقل جنازة واحدة لفدائي، وقال٨٢ ٪ منهم انهم مشوا في جنازة فدائي او أكثر .
شعر ثلث الاطفال تقريبا (٣٠ ٪) بالحزن اثناء الجنازة وشعر ثلث اخر تقريبا (٣٠ ٪) بأن الجنازة اعطتهم الحماس والقوة للانضمام الى حركة المقاومة . أما مشاعر ٤٠ ٪ الاخرين فكانت مختلفة : بعضهم خاف ، بعضهم شعر بالفخر والعزة ، وبعضهم تمنى ان تكون له نفس الجنازة الخ .
٣ ــ **استعراضات الميليشيا** : ذكر كل الاطفال انهم حضروا استعراضا للميليشيا(بعضهم طبعا افراد ميليشيا) . وقد ظهرت بينهم ثلاثة مواقف تجاه هذه الاستعراضات . الموقف الاول كان شعورا بالفرح والسرور عند ٥٠ ٪ من الاطفال . الموقف الثاني كان الرغبة في ان يلتحق بالميليشيا مثلهم ، وقد شعر بذلك ٣٤ ٪ من الاطفال . الموقف الثالث شعر به ١٦ ٪ منهم وهو موقف الثقة بأن الجيل القادم سيحرر فلسطين .
نستنتج من النتائج اعلاه ان مظاهر الثورة الثلاثة تؤثر تأثيرا ايجابيا على الاطفال الفلسطينيين ، اي أنها تجذبهم بقوة الى الثورة وتشجعهم وتعطيهم ثقة بالنصر . بكلام آخر ، ان الاصابات والجنازات والتدريب القاسي لا تخيف الاطفال الفلسطينيين من الثورة .

د) لماذا يقاتل الفلسطينيون :

يرجع بعض المراقبين المطلعين انتفاضة الفلسطينيين وثورتهم الى احوالهم الاقتصادية والاجتماعية ، ويرجعها بعضهم الاخر الى اضطهاد الحكومات العربية للفلسطينيين ، بينما يرجعها عملاء اسرائيل والاستعمار الى رغبة الفلسطينيين بالانتقام . وبالطبع يقول مراقبون اخرون ان سبب الثورة هو رغبة الفلسطينيين في استعادة كيانهم كشعب وفي استعادة هويتهم الوطنية .

اهتم الباحث بدراسة تصور الاطفال لاسباب ثورة الشعب الفلسطيني لان هذا التصور يعطي فكرة عن الاسباب التي سيقاتل الاطفال من أجلها .
لتسهيل الامر على الاطفال وضعنا اربعة اسباب قد يقاتل الاطفال من أجلها وهي كرامة الشعب الفلسطيني ، التخلص من الخيام والفقر ، الانتقام من الاسرائيليين ، واستعادة وطنهم حيث يريدون ان يعيشوا .
كانت النتائج مثيرة . فقد قال ٩٢٪ من الاطفال ان الفلسطينيين يقاتلون لاستعادة وطنهم حيث يريدون ان يعيشوا . وقال ٦٪ منهم ان الفلسطينيين يقاتلون من اجل كرامتهم ، بينما قال ٢٪ فقط ان الفلسطينيين يقاتلون للانتقام من الاسرائيليين . ولم يعتقد اي طفل ان الفلسطينيين يقاتلون للتخلص من الفقر والخيام والاعاشة .
تدل النتائج بوضوح تام على أن الاطفال الفلسطينيين ينظرون الى معركتهم كمعركة قومية وليس معركة اقتصادية ــ اجتماعية او معركة يغذيها الحقد .
يمكن ايضا ان نستنتج ان الاطفال الفلسطينيين لن يرضوا بالتعويض المادي او التوطين، وان الامر الوحيد الذي يرضيهم هو العودة الى بلادهم واستعادة سيادتهم الوطنية .

ط) اماني الاطفال الفلسطينيين :

حاولنا ان نعرف اماني الاطفال الفلسطينيين لسبب هام : اذا كانت النزعة العامة عندهم هي نحو الاماني الشخصية والمصالح الذاتية ، فان امكانية انضمامهم للمعركة تكون منخفضة ، والعكس صحيح .
سألنا الاطفال : ما هي أمانيك الثلاث التي تود ان تتحقق في حياتك ؟ اذكرها حسب الاهمية . وقد سئل هذا السؤال في وقت مبكر من المقابلة لتجنب تأثر الاطفال بالاسئلة السابقة وبالجانب الوطني المقابلة كلها .
الامنية الاولى التي ذكرها كل الاطفال الذين قابلناهم هي استرجاع فلسطين وتحريرها . وقد ذكر ١٠٪ من الاطفال ان هذه امنيتهم الوحيدة في الحياة .
بشكل عام وقعت اماني الاطفال الفلسطينيين في النطاق الوطني . لكن هذا الامر لا ينطبق تماما على الاطفال « الاغنياء » .
كانت الامنية الثانية لـ٧٦٪ من الاطفال امنية وطنية وهي : أن يصبحوا فدائيين ، ان يستشهدوا من أجل فلسطين وان تتحد منظمات المقاومة فيما بينها .
الامر الاكثر اهمية وبروزا هو أن الاماني الثلاث لـ ٦٦٪ من الاطفال الفلسطينيين كانت وطنية . فالامنية الثالثة لهذه الفئة كانت « استعادة كرامتي » و« خدمة وطني » و« الوحدة العربية » و« ان يموت اليهود » .
فيما يتعلق بالفئة التي كانت لها امنية شخصية واحدة على الاقل وهي تؤلف ٣٤٪ من العينة ، فان اكثر امنية شخصية رددتها هي «أن اتابع تعليمي» او «أن اصبح طبيبا / محاميا / مهندسا الخ» . من الاماني الشخصية الاخرى : «ان يبقى والدي على قيد الحياة» ، «ان احصل على كل ما ارغبه» ، «ان املك سيارة جميلة وسريعة» و«ان ينتصر السلام العالمي والاشتراكية العالمية » .
تظهر هذه النتائج ان هناك احتمالا كبيرا في أن ينضم معظم الاطفال الفلسطينيين الى الثورة . ان اهتمامهم الكبير بالاهداف الوطنية يؤيد هذا التوقع .

٣ ــ الاستنتاج العام للبحث :

تمكننا حقائق هذا البحث من تكوين عدة تعميمات علمية حول الاطفال الفلسطينيين ، وخاصة فيما يتعلق بهويتهم الوطنية ووعيهم القومي ، وتصميمهم على القتال لتحرير فلسطين من قبضة الصهيونية العنصرية .
لكن على القارىء ان يتذكر دائما ان التعميمات المتعلقة بالتصميم على القتال تبقى في نطاق القيم والاماني الى أن يتحول القول الى عمل في المستقبل . ونحن نعتقد ان الاطفال

الفلسطينيين سيعملون على تحقيق تطلعاتهم وامنيتهم وايمانهم اذا لم تقف في وجههـ
قوة خارجية كبيرة ، كمؤامرة دولية او اجهاض عربي جماعي للثورة الفلسطينية .
التعميمات التي توصلنا اليها من خلال بحثنا هي :
١ ــ يملك الاطفال الفلسطينيون درجة عالية من الوعي الوطني . فهم يعرفون من أي
أنوا ، ومن هم اعداؤهم ، وما هي أسباب وضعهم الحالي .
٢ ــ الاطفال الفلسطينيون يعرفون انفسهم كفلسطينيين فقط .
٣ ــ الاطفال الفلسطينيون يرفضون التوطين او التعويض ويصرون على التحرير .
٤ ــ فلسطين هي المكان الوحيد الذي يشعر الاطفال الفلسطينيون انه وطنهم الحقيقي
٥ ــ لم ينجح التشرد وحياة اللجوء في تحطيم او تفكيك وحدة الشعب الفلسطيني القومية
فقد حافظت تلك الوحدة على قيمها وتقاليدها وروابطها العاطفية .
٦ ــ يؤمن كل الاطفال الفلسطينيين بأن فلسطين عربية .
٧ ــ العائلة هي القناة الرئيسية لاستمرار الهوية والشخصية الفلسطينيتين .
٨ ــ محنة الشعب الفلسطيني تمس كل جوانب حياة غالبية الاطفال الفلسطينيين .
وهي تؤثر كثيرا على تطلعاتهم وتصوراتهم وامانيهم ونشاطاتهم اليومية .
٩ ــ ولاء الاطفال الفلسطينيين الاول هو لوطنهم .
١٠ ــ يؤمن الاطفال الفلسطينيون بأن تحرير فلسطين لن يتم الا بكفاح الفلسطينيـ
المسلح .
١١ ــ الاطفال الفلسطينيون لا يريدون ان يقاتلوا من أجل الثأر بل من اجل استعـاد
وطنهـم .
١٢ ــ الثورة الفلسطينية نفسهـا تشكل قـوة دافعة كبيرة للاطفـال الفلسطينيين
فقد اصبحت الثورة طريقة حياة وقيمة بالنسبة للفلسطينيين . ان الاطفال ينظرون ال
اي نشاط او عمل غير ثوري كأمر بغيض او على الاقل ثانوي وتافه .

المراجع :

١ ــ **ملاحظة هامة** : كلمة « يهود » كما يستعملهـا الفلسطينيون والعرب الاخرون تشير الى الجالية اليهو
التي استولت على فلسطين بالقوة . انها لا تشير الى اليهود في اميركا او روسيا او لبنان مثلا . وهي
تشير الى الساميين وبذلك فهي ليست تعبيرا عنصريا . وسوف يستعمل الكاتب كلمة يهود خلال البـ
بنفس المعنى .
٢ ــ لا تتضمن هذه الدراسة اي تحليل طبقي ــ رغم اهمية هذا التحليل ــ وذلك لان البنيـان الطبقـ
الفلسطيني لم يدرس حتى الان ومن الصعب تحديده .

الدكتورة سلمى الخضرا الجيوسي

العالم الميت

من أوجدني
أرض شبقة
ونسيم يحمل مبخرة
ويثير النوم على وطني

من أخمد انفاسي العبقة
وآثار الرجفة في قلمي ؟
وبغى وعتا
وامتص دمي ؟

من احرقني ؟
ملك من ارض الثلج اتى
عيناه منابع من تعب
وأصابعه برد لزج
ترتاح علي وتحدق بي
وبقيت أوارا مشتعلا
اشوى واعذب في لهبي

من أغرقني ؟
سفني كانت غررا بيضا
تختال على جفن الافق
من شق الثغرة في سفني ؟
(وازاح الستر عن الاوهام وحررني ؟)
فرأيت وقد دميت عيني
الافق مغارة ساحرة
والسفن مراكب من ورق

عرّاف الريح يعذبني
ويداورني ويخادعني
ويحدث أخبارا كبرت :
« فغدا ستشع مجنحة
رايات الشمس على مدني

وغدا سأحرر من كفني »
وأكذبه !
أأصدقه ؟
وانا لا ارض ولا احباب ولا مصباح يظللني ؟
وانا في اللجة اشرعة
ترتاد اليم بلا سفن ؟

أأصدقه ؟
وانا اقتات على المي ؟
أأصدق ان غدا وعد
وسترسخ في الدنيا قدمي
سأكذبه .
فالعالم ميت والبرد
قد عشش في عرق الرحم
وانا ؟ الغربة منطلقي
أذوي واضمخ من عبقي
وطنا يشتاق الى عدمي

الكويت ١٩٦٤

الجنازة

عاشق يتفرج فوق الحصون على ضجة النادبين
ابدا يعبرون بها ، فوق تابوتها غلة وكتاب
وهو فوق الحصون تسمر لا غزوة لا اياب
والجنازة لا تنتهي :
تتدحرج ، تتنهد بين الازقة ، حول القصور
تتمطى على قاسيون ، تدب على ورق الغار ، توغل في النهر ، تجري ، تفر .
الجنازة لا تنتهي . وهو فوق الحصون يكسر اقواسه لا يقر
يكتب الشعر يهجو رداها الذي لا يرد ولا يستقر .
صفعته الرياح
(وكان ابنها أمس ، كانت له الماء والياسمين
يتغسل فيها مع الفجر) دارت عليه الرياح
نخرت صدره وهو فوق الحصون تسمر لا غزوة لا رواح
يرقب النادبين
فرقت رئتيه الرياح .

عمان ١٩٦٤

في الكاسبا

ظننت ان الحرب . . .
انا هنا دمي متنا ، حرثتنا عجلات الحرب
وانت في الكاسبا ؟
الم اشلاء بني من زوايا الدرب
اعبر في الكابوس ، أخرى
اخرج منه جلدة مشوية ، اغوص فيه مرة اخرى

اطير احبو اختبي تنشرني الاصوات نشرا
اباع اشرى ، الف صل يكتوي في القلب
وانت في الكاسبا
والناس مرعى حرب !

لندن ٥ تموز ١٩٦٧

حزيران ١٩٦٧

تطع الصيف الماضي آخر عرق من قلبي
اسمعت بأخبار وفاتي ؟ بجنازتي ، الصامتة الخفرة
المهزلة الكبرى ان الميت يدفن ، يعلن عنه ، يساق ، يراه الشارع محمولا ويغيب في حفرة !
ليت التابوت يذوب كقلبي ، يتلاشى كالاحلام النضرة .
اسمعت بموتي ؟ ذاك الكأس العقرب ، ذاك الموت المشتاق الى الموت ؟
لا بد ، فناعيل رآني ادفن اذ القوة الى جنبي .

لندن حزيران ١٩٦٨

ترى ما الذي ؟

ترى ما الذي خض صدرك يوما
احالك سطحا سمنتا
من عنك ريحان امي وصحو أبي
وخلاك منفضح الستر في عالم من رموز ؟
هي الحرب ؟
من قال؟
لولاك ما انهدت الحرب كالرجس بين ذراعي عجوز .

لندن صيف ١٩٦٨

سيد الويل

ستكون حبيبي ، ليتك تعلم اي هوى اهواك !
العتمة غمر وهواك هلال غنى في الليل
قبلت النعل حلمت بانك سيد هذا الويل
وشربت لتاجك كأس السم ، صرخت الروح فداك
وفداك جراح القوم ، صغار القوم ، نساء القوم ، الكل فداك !
قمر هاو في الليل ، الكل فداك .
قلب يهوى اوجاع الليل ، الكل فداك .
ما اضيق قلبي دونك يا سعة الاحزان القصوى يا مرج الاشواك !
غفرانك سيدا ! لا قلب لدي اقدمه ، لا مال لدي اقدمه ، لا خيل
بل سيل يهوي ، سيل يهوي ، سيل يهوي ، فوق هدير السيل .

لندن ١٩٦٨

قمريـــات

القمر الاعرج

ايها القمر الاعرج

يا رفيق صبانا
تدل على ارضنا
وفي السر ضاجع قرانا .

ايها القمر الابله الاهوج
ضنتنا !
فالعدو رآك وهب يروم لقانا
واتانا وفي يدنا قمر أبلج .

لندن حزيران ١٩٦٨

حكاية

كان عمي
يصلي لفردوسه ، بعد أن قام واغتسل
سنة الله والرسول ونهر من القبل
تتلوى حضارة الجنس في فخذيه ، في السرة المترعة
زوجه مهرجان السرير وأولاده زينة الأجل .

كان زوجي
يصلي لبرغوثه ويصر الدنانير كي يشتري زوجة معه .

وانا ؟
ندبة في الجبين المهاجر ، ختم علي الريح ، عقد زواج مع النفي ، اهلي موات ،
صغاري مصابيح مقصورة شاردة
وبلادي ؟
بلادي قمير من الحزن غاب
وجثمان امي توغل بين الهضاب
الرياح على قبرها جامدة .

لندن ربيع ١٩٦٩

السماء الضائعة

(الى مي)

الهلال اراق دماءه
كم بحثت على شعره الاسود البكر في عتمات الوجوه
وصرخت له عبر ساحات لندن ، فوق المداخن ان يستريح
وسألت عيون الزجاج عليه فقالوا تخبأ في الريح
ما يريد الهلال المعذب ، يلبد في عطفات الدهاليز ، يسفح فيها رداءه
وجهه الشرق يبحث عن أهله ويتوه
استرح يا هلال ، جيوب المغارة قبر فسيح

استرح يا هلال ، استرح يا شريد ، استرح يا هلال
الاهلة تمرح فوق التلال
يا قميرا اضاع سماءه .

لندن خريف ١٩٦٩

البدر والكلاب

اول بدر نبحته الكلاب
نبات في جوفها
سهم من الضوء تلاشى وذاب
بلا بقايا .
هل رايت الكلاب ؟
منفوخة الاوداج ، عوج الرقاب
والبدر في جوفها
تمشي كأن الارض في كفها
العوبة او كتاب ؟

لندن ١٩٧٠

بلع الحوت القمر
يوم كانت زاهرات النجوم
في اجازة
بلع الحوت القمر
وأحال السماء
مأتما او مغازة

فخلعنا سماءنا والقمر
واخترعنا سماءنا والقمر
وحفرنا طريقنا في الرجوم
في براري الحجر
ودفنا الجنازة

لندن ايلول ١٩٧٠

القصة الكاملة لحركة الارض

حبيب قهوجي

في اربع جلسات طويلة استغرق كل منها اكثر من ثلاث ساعات ، روى الاستاذ حبيب قهوجي ، المناضل الفلسطيني في الارض المحتلة واحد مؤسسي حركة الارض الرائدة في النضال ضد اسرائيل من الداخل ، قصة هذه الحركة بالتفصيل ، واجاب على اسئلة بعض افراد اسرة « شؤون فلسطينية » ، د. انيس صايغ والاساتذة الحكم دروزه وبلال الحسن وابراهيم العابد واحمد خليفة والانسة ليلى القاضي . واشترك في المناقشة الاستاذ صبري جريس ، من زملاء الاستاذ قهوجي في النضال في الداخل . ويسرنا ، اذ نلخص في الصفحات التالية حديث الاستاذ قهوجي، ان نشير الى انه يعد حاليا دراسة تاريخية شاملة عن الارض، بتكليف من مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية الذي سيتولى نشر الدراسة بالعربية وبلغة او اكثر من اللغات الاوروبية . كما ان شؤون فلسطينية ستنشر ، في عدد قريب ، تفاصيل جلسة اخرى اداز الاستاذ صبري جريس الحديث فيها .

كيف ومتى نشات حركة « الارض » ؟ وما هي مقومات نشوئها ؟

— لم يكن في الارض المحتلة حركة عربية مستقلة تمثل النضال العربي . كان هناك فقط الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، الذي كان يعرف قبل العام ١٩٤٨ باسم « عصبة التحرر الوطني » . وقد أيد هذا الحزب قيام اسرائيل ، ولكنه بعد عام او اثنين من قيامها اخذ ينتقد الوضع القائم وحمل لواء معارضة الحكومة . وكان من الطبيعي أن ينبري الحزب الشيوعي للدفاع عن حقوق الاقلية العربية، اذ كان العرب يتحملون القسط الاكبر من الاضطهاد. فتجاوب الحزب مع الرغبات اليومية لعرب الارض المحتلة واصبح يناضل ضد الحكم العسكري ويطالب بمساواة العرب باليهود وبالكف عن مصادرة الاراضي العربية ، ولكنه لم يكن يعبر عن مطامح عرب الارض المحتلة من وجهة نظر قومية ، أي بوصفهم اقلية قومية .

في العام ١٩٥٢ قمت مع بعض الاخوان بتاليف رابطة اسميناها رابطة الشعراء وكان من بين اعضائها عصام العباسي وجمال قعوار وجورج نجيب خليل وحنا ابو حنا وفرج نور سلمان وراشد حسين ؛ كما كان بعض اعضائها من الشعراء اليهود العراقيين ومنهم سليم شمشوع وزكي بنيامين وسامي المعلم وشالوم الكاتب .

وفي الفترة ما بين عامي ١٩٥٣ و١٩٥٦ تعاونت وبعض الاخوان مع الحزب الشيوعي لاقامة مؤتمرات ولجان ذات أهداف محددة . وكان من بين الاشخاص الذين ساهموا في ذلك من غير الحزب الشيوعي منصور كردوش وطاهر الفاهوم من الناصرة ويني يني رئيس بلدية كفرياسيف وجبور جبور رئيس بلدية شفاعمرو وشكري الخازن مدير الكلية الارثوذكسية العربية في حيفا والشيخ جمال السعدي (توفي) شيخ جامع الجزار والقس رفيق فرح رئيس الطائفة الانجيلية في حيفا وبولس فرح احد اعضاء عصبة التحرر الوطني البارزين وكان قد ترك الحزب الشيوعي احتجاجا على قبول

التقسيم . في هذه الاعوام قمنا بانشاء لجنة الدفاع عن المواطنين وطالبنا باعطاء الجنسية الاسرائيلية للعرب في الارض المحتلة ، ولم يكن هدفنا بالطبع الحصول على الجنسية الاسرائيلية لذاتها ، بل كنا نريد أن نضمن الامن للمواطن العربي فلا يعود مثلا باستطاعة المحتل رميه خارج الارض المحتلة في أي وقت يشاء ، كما أردنا من وراء المطالبة بالجنسية الفضح السياسي على اساس ابراز المفارقة الكامنة في اعطاء اليهودي من بولونيا مثلا الجنسية الاسرائيلية بمجرد وصوله الارض المحتلة بينما لا يعطى العربي الساكن الاصيل هذه الجنسية. كذلك أقمنا مؤتمرا للدفاع عن حقوق الاقلية العربية ومؤتمر الاراضي العربية ولجنة الدفاع ضد الحكم العسكري . وقد اشترك معنا في هذه المؤتمرات واللجان عدا الحزب الشيوعي بعض اليهود الذين نستطيع أن نقول انهم تقدميون مثل حركة العمل السامي التي خرج منها اوري افنيري فيما بعد واعضاء حركة القوة الثالثة التيكان يقودها الدكتور شتاين وجماعة اليسار الجديد مثل مكسيم غيلان وأيضا بعض أساتذة الجامعة العبرية مثل البروفسور سيمون والدكتور شرشسكي . ولم نكن بالطبع متفقين مع هؤلاء على برنامج كامل ، ولكننا كنا نتفق على قضايا محددة ، وكنا نهتم باجتذابهم الى جانبنا حرصا على جماهيرية القضايا التي نطرحها ولكي يؤثروا في الراي العام اليهودي في الداخل ، وحتى نفوت على السلطات فرصة تصويرنا للعالم الخارجي على أننا مجرد عناصر عربية مشاغبة ، فنبين ان هناك يهودا مثقفين يتحسسون الظلم الواقع على العرب ويقفون الى جانبهم .

بقينا نناضل بهذه الطريقة الى العام ١٩٥٧ . ففي الاول من أيار لهذا العام اشتبكت تظاهرة قادها الحزب الشيوعي والعناصر القومية العربية في الناصرة بالشرطة ووقع عدد من الجرحى ، فقامت الشرطة اثر ذلك بحملة اعتقالات واسعة شملت ثلاثمائة او ثلاثمائة وخمسين شخصا أودعوا السجون بموجب احكام ادارية او حكموا بالسجن ثلاثة او اربعة اشهر بعد محاكمات صورية ، وكان بين المعتقلين عدد كبير من الشيوعيين والقوميين ويعود السبب في وقوع الاشتباك الى أن التظاهرة رفعت شعارات تزعج السلطة ، اذ جرت العادة أن تقوم الجماهير العمالية من شتى الاحزاب الصهيونية اليسارية وحتى المباي بتظاهرات احتفاء بعيد العمال العالمي ، ولكن العرب في الارض المحتلة كانوا يستغلون فرصة التظاهر ليعبروا عن مطامحهم القومية فيرفعون شعارات تطالب بتحرير الجزائر وبحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وتؤيد كل الحركات الثورية في الوطن العربي ، مما كان يزعج السلطة لانها ترى في ذلك تعبئة للجماهير فتحاول ضرب هذه التظاهرات أو حصرها في أقل حجم ممكن وتحت أقل الشعارات تطرفا .

عندما حدث ذلك ، رأيت الفرصة سانحة لاقناع الحزب الشيوعي بأن نعمل معه في اطار مشترك، فقمت وصديقي منصور كردوش بالاتصال بالحزب الشيوعي وعرضنا عليه تشكيل جبهة نعمل ضمنها سوية متفقين على الحد الاعلى من الشعارات التي يمكن أن نناضل في سبيلها معا .

استجاب الحزب الشيوعي ، وشرعنا في ارسال دعوات الى شخصيات مختلفة لها ماض نضالي أو لديها استعداد للعمل لتشكيل لجنة تحضيرية . وقعت هذه الدعوات مع شكري الخازن ، مدير الكلية الارثوذكسية العربية ، وعقد الاجتماع في حيفا وتم الاتفاق فيه على القيام بعمل مشترك مع الحزب الشيوعي ، ولم يعترض على ذلك سوى اثنان هما الياس كوسا المحامي وبولس فرح الذي اقترح انشاء جبهة من جميع العناصر المستقلة بدون الشيوعيين .

بذلك أنشأنا الجبهة واسميناها « الجبهة العربية » وأصدرنا في حوالي تموز ١٩٥٧ بيانا يجمل اهدافها بما يلي :

١ — المساواة بين العمال العرب واليهود .

٢ — الغاء الحكم العسكري بجميع صوره واشكاله.

٣ — ايقاف مصادرة الاراضي العربية واعادة ما صودر منها لاصحابه .

٤ — تحسين التعليم في المدارس العربية واستعمال اللغة العربية كلغة رسمية في البلاد .

٥ — الغاء جميع مظاهر التمييز بين العرب واليهود داخل البلاد .

٦ — المطالبة بعودة اللاجئين الفلسطينيين الى أملاكهم .

كان هذا هو القاسم المشترك الاعظم من الشعارات التي تم الاتفاق عليها . بعد ذلك قدمنا طلبا لتسجيل الجبهة ، ولكن السلطة رفضت تسجيلها بهذا الاسم متذرعة بقانون عثماني يقضي بمنع تسجيل جمعيات واحزاب عنصرية على اعتبار أننا أسميناها الجبهة العربية وهذا اسم عنصري ، متناسية أن

كل الاحزاب والمؤسسات الصهيونية تقوم على اساس عنصري. فما كان منا الا أن استبدلنا الاسم واسميناها الجبهة الشعبية الديمقراطية . بدانا نناضل ضمن هذا الاطار ، ونجحت الجبهة في اقامة عدة مراكز لها في القرى والمدن داخل الارض المحتلة ، ففي ذلك الحين كان المد الجماهيري العربي في الارض المحتلة في أوج صعوده ايام تأميم قناة السويس ومطالبة الجماهير العربية بالوحدة العربية ، فالجماهير في الارض المحتلة متفاعلة دوما مع الجماهير العربية في الخارج وهي ترتبط بها فكرا وروحا ، وتتخطى في تطلعاتها الحدود التي فرضتها اسرائيل .

بقينا نناضل مع الشيوعيين سوية ضمن الجبهة الى ان قام انقلاب قاسم العسكري في العراق ونشب الخلاف بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق ، فعكس هذا الخلاف نفسه علينا في الداخل واتخذ الحزب الشيوعي موقفا الى جانب قاسم ، وكنا نحن الذين أصبحنا آنذاك نعرف بالجناح القومي في الجبهة الشعبية الديمقراطية نرى أن الحق في جانب الجمهورية العربية المتحدة . أدى ذلك الى اشكالات عديدة على صعيد العمل المشترك وخشينا ان تتفتت الجبهة مما يضعف النضال في الداخل . فعرضنا على اللجنة المركزية للجبهة أن يكف الجميع عن التدخل في قضية خلاف العراق والجمهورية العربية المتحدة لان واجبنا في الداخل يحتم علينا أن نوحد شعاراتنا وجماهيرنا في الداخل لنشن نضالا مخططا واكثر نجاحا . وافق الاستاذ اميل توما ، وكان ممثل الحزب الشيوعي في اللجنة المركزية للجبهة ، على ذلك وقال « والله يا رفاق انتم محقون ، ولكنني امثل حزبا ، ولذا سأعود للجنة المركزية للحزب لارى ما تقول فيهذا الكلام». وبعد بضعة أيام جاءنا اميل توما ليقول أن الاحزاب الشيوعية في العالم العربي تتعرض لهجوم من جانب العناصر القومية ومن واجب الحزب الشيوعي الوقوف الى جانبها ومهاجمة العناصر القومية ، واضاف قائلا « اذا كان هذا لا يعجبكم ، أنشئوا جريدة لكم وهاجمونا كما نهاجمكم » . قال هذا وهو يعرف حق المعرفة اننا لن نستطيع انشاء جريدة لان الحكومة لن ترخص لنا في ذلك ولاننا لا نملك المال والتنظيم اللازمين . كانت هذه نهاية اشتراكنا في الجبهة فلم نعد نحضر اجتماعاتها واصبحت اللجنة مقتصرة على الحزب الشيوعي وثلاثة او اربعة آخرين يتعاونون معه مثل يني يني وشكري الخازن وطاهر الفاهوم .

هنا بدأ التفكير في انشاء حركة قومية عربية مستقلة داخل الارض المحتلة ، وكنت ومنصور كردوش نمثل الجناح القومي في اللجنة المركزية للجبهة فدعونا الى اجتماع حضره بالاضافة الينا حنا مسمار من الناصرة ومحمود السروجي وعبدالرحمن يحيى من عكا وتوفيق سليمان عوده وهو نقابي من الناصرة وزكي البحري وهو أيضا نقابي من حيفا . فكان هذا الاجتماع الذي وقع في نيسان ١٩٥٩ هو الاجتماع الذي تأسست فيه حركة الارض .

خرجنا من الاجتماع بقرار يقضي بأن نصدر جريدة وان نقوم قبل ذلك بفرض انفسنا على السلطة فنوزع منشورا يتضمن أهدافنا كي لا يعود بامكان السلطة اعتبارنا حركة سرية . وزعنا المنشور وكان فيه على ما اذكر ، ما يلي : — « نحن الجناح القومي في الجبهة الشعبية الديمقراطية نعلن أننا جزء من الشعب الفلسطيني الذي هو بدوره جزء من الامة العربية . واننا نناضل داخل هذه البلاد من اجل المساواة التامة بين العرب واليهود ، ونطالب اسرائيل ان كانت ترغب حقا في العيش في هذه المنطقة أن تنتهج السياسة التالية : —

أولا — الاعتراف بأن حركة القومية العربية هي الحركة المقررة في هذه المنطقة .

ثانيا — أن تقطع ما بينها وبين الفكر الصهيوني والحركة الصهيونية قطعا باتا .

ثالثا — أن تنتهج سياسة حياد ايجابي وتعايش سلمي .

رابعا — أن تساعد الشعب الفلسطيني وأن تعترف بحقه في تقرير مصيره وتسمح لجميع الذين تركوا هذه البلاد بالعودة اليها .

فاذا انتهجت اسرائيل هذه الخطوات ، فاننا نعتقد أنها بذلك تضع قدمها على الطريق الصحيح للوصول الى سلام عادل ودائم في هذه المنطقة » .

اعتبرنا ان هذه الشعارات تعني عمليا تفريغ اسرائيل من محتواها ، وقد توصلنا الى ذلك بعد نقاش طويل ، فلم يكن سهلا علينا ان نقول لا نعترف باسرائيل فذلك يعني دخولنا السجن من البداية بموجب قانون يقضي بسجن كل من ينتقد من حدود الدولة . وقد قدرنا أنه اذا أفرغت اسرائيل من محتواها السياسي والاقتصادي والعسكري فانها تصبح شعبا يستطيع الشعب الفلسطيني مع الشعب العربي استيعابه بسهولة في البداية لم تهاجمنا الاحزاب الصهيونية بل اخ

نترقب . اما الحزب الشيوعي فبدأ يهاجمنا مباشرة ويقول اننا عناصر اشترتها الاحزاب الصهيونية .
قدمنا طلبا الى وزير الداخلية للحصول على ترخيص للجريدة . وبعد أخذ ورد قالوا لنا سنعطيكم ترخيصا بعد انتخابات الكنيست لان الحكومة كانت محلولة آنذاك اثر ازمة وزارية . حينئذ بحثنا عن طريقة نلعب بها على القانون ، فوجدنا أن القانون يبيح لكل مواطن أن يصدر نشرة لمرة واحدة من دون ترخيص . قلنا : عظيم ! نصدر الجريدة كل مرة باسم شخص مختلف . وبدأنا نبحث في تسمية الجريدة فاستقر رأينا أن نسميها الارض ، لان كلمة الارض تحتوي كل القيم التي نناضل من اجلها ، فالصهيونية تحاول الاستيلاء على الارض ونحن نتشبث بالارض والصهيونية تحاول أن تقيم دولة على الارض العربية ونحن نرفض هذا الجسم الغريب الذي يحاول أن يفرض نفسه على الارض العربية .
أصدرنا العدد الاول من الصحيفة « الارض » ويصدرها حبيب قهوجي ، وكانت أشبه بالمجلة ففيها الافتتاحية والمقال السياسي وصفحة للطلاب وصفحة تتحدث عن التراث العربي وخصوصا الفلسطيني وتتكلم عن ابطال فلسطين عبر العصور وصفحة تتحدث عن الفلاحين العرب والزراعة العربية وصفحة للشعر والادب وصفحة للقصة. ثم أصدرنا العدد الثاني واسميناه «الارض الطيبة» ويصدرها منصور كردوش ، ثم « شذى الارض » ويصدرها صبري جريس ، وهكذا اصبحت الصحيفة تصدر مرة واحدة ثم تغلق نفسها بنفسها لتصدر باسم جديد وعلى مسؤولية محرر جديد ، فاستطعنا بذلك ان نتحايل على القانون .
بعد العدد السادس ، ارسلوا لنا عربيا كي يحاول اقناعنا بالترغيب والتهديد أن نكف عما نقوم به ، فلم ينجحوا في ذلك ، فبدأوا يرسلون الى كل منا على حدة ويعرضون عليه وظيفة او نقودا او يهددونه بمصادرة أملاكه وما الى ذلك ، فلم يجدهم ذلك ايضا. عندها عقدت المخابرات اجتماعا في الناصرة ضم أربعة وعشرين من ضباط فروع المخابرات في المناطق العربية ، كما علمنا . وكان موضوع البحث فيه هو كيف القضاء على هذه الجماعة (اي نحن) قبل أن يستفحل شرها . استقر رأي المجتمعين على أن تقوم الصحافة الصهيونية بشن حملة علينا وأن تجري مطاردتنا سياسيا واقتصاديا ومن جميع الوجوه ، وبعد ذلك نتقدم للمحاكمة بتهمة التحايل على القانون واصدار نشرة هي في الواقع صحيفة .
كنا الى ذلك الحين نطبع ثلاثة الاف عدد من الجريدة ، ولكننا لم نعد نجد مطبعة ترضى بطبعها ، فلجأنا الى شخص عربي في عكا عنده بقايا مطبعة منذ ما قبل العام ١٩٤٨ ، واصبحنا نطبعها هناك ونقوم بتوزيعها وبيعها بأنفسنا فأبيعها انا مثلا في حيفا وصبري جريس يبيعها في القدس حيث كان طالبا في الجامعة العبرية ومنصور كردوش يبيعها في الناصرة ومحمود سروجي يبيعها في عكا والجليل وصالح برانسي في الطيبة وهكذا. وكنا نحاول ان نوصل ولو عشرة اعداد الى كل بلد .

بعدئذ شنت الصحف علينا حملة شعواء وقال بعضها ان هذه الجماعة جماعة مثقفة وعنيدة ومخلصة وغير قابلة للاصلاح وهي ليست جماعة طائفية فبينها من هو روم ارثوذكس ومن هو ماروني ومن هو كاثوليك ومن هو مسلم ومن هو درزي ، وقالوا اننا نصدر مجلة قومية عربية تحاول ان تجمع العرب حولها وتبيع اعداد المجلة بأثمان مختلفة تبلغ احيانا خمس ليرات ترصد جميعها للقضية ، يقصدون بذلك القضية الفلسطينية محاولين تضخيم الامر وتصويره على انه عملية ثورة .
اتخذت السلطات قرارا نهائيا باعتقالنا بعد أن اصدرنا العدد الثاني عشر ، وبدأنا جميعا سواء أكان الواحد منا في حيفا ام القدس ام عكا نلاحظ ان المخابرات تقتفي اثارنا باستمرار ، اربعة وعشرون ساعة في اليوم وبشكل تظاهري . وبعد ذلك بيومين او ثلاثة داهم رجال الشرطة منزلي في حيفا حوالي الساعة الرابعة صباحا وبدأوا يفتشون اوراقي وكتبي واستمروا في ذلك حتى الساعة الثانية بعد الظهر ، ثم اخذوني الى السجن حيث وجدت انهم قد اعتقلوا كذلك منصور كردوش من الناصرة ومحمود سروجي من عكا والياس معمر من الناصرة وصبري جريس من الجامعة العبرية وصالح برانسي من الطيبة أي انهم اختاروا ستة كل واحد منهم من منطقة ليرهبوا العرب في كل المناطق ، ولم يعتقلونا جميعا في محاولة منهم لتفسيخ الحركة . وحوكمنا بثلاث تهم هي : اصدار جريدة دون ترخيص واصدار نشرة دون تمريرها على حاكم اللواء والتحايل على القانون ، واصدرت المحكمة حكمها بتغريم كل منا الف ليرة والسجن ثلاثة اشهر مع وقف التنفيذ . استأنفنا

الحكم الى المحكمة المركزية فثبتته ، ثم استأنفنا الى محكمة العدل العليا فخفضت الغرامة الى خمسمائة ليرة .

اثناء هذه المعركة مع القضاء ، تقدمنا بطلب تسجيل شركة الارض المحدودة الضمان ، وكنا نهدف من انشاء هذه الشركة الى الحصول على وسيلة لاصدار الصحيفة وعلى غطاء للعمل السياسي والى الحصول على الاموال اللازمة لاصدار الصحيفة . جعلنا رأس مال الشركة عشرين الف ليرة وقسمناه الى أسهم قيمة كل منها خمسون ليرة اسرائيلية على أساس ان نزيد رأس المال الى نصف مليون ليرة اذا زاد عدد الاعضاء . ولكي نتأكد من ان احدا لن يستطيع شراء الشركة وتحويلها الى شركة تجارية جعلنا الاسهم من نوعين : اسهما ممتازة واسهما عادية ، وتعطى الاسهم الممتازة للمؤسسين ولهم ٧٥٪ من الاصوات داخل اللجنة المركزية .

رفض مسجل الشركات تسجيل الشركة مدعيا ان أصحابها ذوو اهداف تخريبية تجاه اسرائيل وما الى ذلك . رفعنا الامر الى محكمة العدل العليا فقضت بتسجيل الشركة ، وكان ذلك في اواخر العام ١٩٦٠ . طرحنا الاسهم للبيع فبيع القسم الاكبر منها ، ولم نكن نبيع الاسهم من أي كان ، بل كنا نبيعها ممن نتأكد انه سيزاول العمل السياسي معنا من خلال الشركة ، فيقوم بتكوين خلية في مدينته او قريته ويحضر الاجتماعات بانتظام ويبيع الجريدة ويستطيع نقل اهداف الحركة وافكارها الى الجماهير ونقل تطلعات الجماهير ومدى تجاوبها الى الحركة .

لم تكن حركة الارض قد اتخذت حتى ذلك الحين شكل التنظيم الحزبي الدقيق ، فهي قد ورثت الخلايا القومية من تنظيم الجبهة الشعبية الديمقراطية ، وقصدنا أن نجعل الحركة فضفاضة في تنظيمها حتى لا نضعها وجها لوجه امام السلطة. ولم نطلق على انفسنا منذ البداية اسم « حركة الارض » بل اطلقنا اسم « اسرة الارض » ولكن السلطة اصبحت تسمينا « جماعة الارض »فعرفنا بين الناس بهذا الاسم، ولكن اسمنا كان قانونيا شركة الارض ومن ثم حركة الارض ، اي اننا مررنا بعدة تسميات : اسرة وجماعة وشركة ومن ثم حركة .

بعد ان سجلنا الشركة تقدمنا بطلب اصدار صحيفة على ان تكون شركة الارض المحدودة الضمان صاحبة الامتياز ويكون صالح برانسي المحرر المسؤول، فرفضت السلطة اعطاء صالح الترخيص على اعتبار انه لا يحمل شهادة الدراسة الثانوية الاسرائيلية ، فطلبنا الترخيص لصبري جريس فما كان من السلطة الا ان رفضت ذلك معتمدة على البند ١١١ من قانون الطوارىء الذي كان ساريا زمن الانتداب والذي يحق بموجبه لحاكم اللواء او من يقوم مقامه رفض اعطاء ترخيص دون ابداء الاسباب .

استغرق نضالنا من اجل الحصول على ترخيص قرابة سنة فلما فشلنا في الحصول عليه تابعنا نضالنا وصرنا نعقد الاجتماعات ونوزع المنشورات وندعو لمؤتمرات . وخلال هذه الفترة حاولنا ان نجد طريقة ما للوصول الى الجماهير وتنظيمها ، فقررنا انشاء نواد رياضية وثقافية نمارس من خلالها نشاطنا السياسي ، فصار اعضاء « الارض » في القرى يتقدمون بطلبات لانشاء مثل هذه النوادي، ونجحنا في انشاء ما يقرب من خمسة عشر ناديا ، اغلبها في قرى المثلث وقسم منها في قرى الجليل كالمكر وعرابة ودير الاسد. وكان جزء من هذه النوادي يعمل بحكم الامر الواقع ، لان القانون ينص على انه اذا مرت فترة محددة على تقديم طلب بالترخيص ولم يجب الطلب بالموافقة او الرفض فان النادي يستطيع اذ ذاك ان يمارس نشاطه . ظلت النوادي تمارس نشاطها الى أن تنبهت السلطات الى حقيقة الامر فقامت باقفال النوادي التي لم تكن مرخصة وتعمل بحكم الامر الواقع ، وبقي بعض النوادي الذي تمكن من الحصول على تراخيص يمارس نشاطه ، مثل نادي الطيرة الذي لم يغلق نهائيا الا قبل ما يقارب السنة .

في العام ١٩٦٤ كتبنا مذكرة الى الامم المتحدة نتحدث فيها عن القوانين التي سنتها السلطات وصادرت بموجبها الاف الدونمات من الاراضي العربية ونتحدث عن الحكم العسكري وعن كل مظاهر الظلم والاجحاف الواقعة على العرب ونشرح ايضا كيف ضاقت السلطات ذرعا بحركة سياسية عربية مستقلة ورفضت منحها ترخيصا لاصدار صحيفة في الوقت الذي تملك فيه كل الاحزاب الصهيونية وغير الصهيونية صحفا، وتحدثنا كذلك عن زيف الديمقراطية الاسرائيلية وأوضحنا ان من يسمونهم ممثلي العرب في الكنيست ليسوا سوى دمى وعبرنا عن تحدينا للسلطات ان تسمح لنا بالكلام لنرى من يمثل الاقلية العربية حقا .

طبعنا المذكرة في السر خوفا من أن تصادرها

السلطات قبل طبعها ، وبعد ذلك ارسلنا منها اثنتين وتسعين نسخة بالبريد العادي من اماكن مختلفة من المدن ومن المستعمرات والكيبوتزات ، حتى نضمن ان تنفذ احدى النسخ وتصل حيث نريد ، ثم اتبعنا ذلك بارسال نسخ من المذكرة الى كل السفارات الاجنبية في اسرائيل ، وارسلناها ايضا الى كل اعضاء الكنيست والوزراء ورئيس الوزراء وذلك لكي لا تتهمنا السلطات باننا نشكوها الى هيئات اجنبية مع اننا مواطنون في البلد .

بعد أن ارسلنا المذكرة ، قمنا بانشاء حركة اسميناها حركة « الارض » ووضعنا لها اهدافا ودستورا يقول « للفلسطينيين الحق في تقرير مصيرهم في نطاق الاماني العليا للامة العربية » . وكنا نقصد بعبارة « في نطاق الاماني العليا للامة العربية » أن نؤكد على وحدة المصير بين شتى اقطار الوطن العربي وعلى قومية القضية، فالقضية في رأينا فلسطينية بقدر ما هي قومية وقومية بقدر ما هي فلسطينية .

ضمنا الاهداف والدستور مذكرة ارسلناها الى مسجل الاحزاب وحاكم اللواء طالبين الترخيص للحركة ، وبعد بضعة أشهر اجاب حاكم اللواء برفض تسجيل الحركة لانها تطالب بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وهذا يعني عمليا الغاء دولة اسرائيل .

ذاع خبر المذكرة ، فأحدثت ردود فعل عنيفة واجتمع الكنيست بكامل اعضائه ، ثم اجتمعت الوزارة لتبحث في مذكرة « الدس والاكاذيب » كما اختار ليفي أشكول ان يسميها ، وقال حينئذ اننا نفر من المشاغبين شوه سمعة اسرائيل في الخارج مشيرا بذلك الى ان مندوبي الدول العربية في الامم المتحدة استخدموا الحقائق الواردة في المذكرة للرد على ادعاءات جولدا مئير التي كانت تقول ان العرب في اسرائيل يعيشون في مستوى افضل من العرب في الدول العربية .

اثر ذلك ، قامت السلطة بحملة اعتقالات في كل قرى الجليل والمثلث شملتني كما شملت صبري جريس ومنصور كردوش وصالح برانسي . وجهوا لنا تهمة الاتصال بالدول العربية والخطر على أمن الدولة واقامة علاقات مع الفدائيين ومنظمة التحرير الفلسطينية وانشاء حركة سرية في الارض المحتلة. وبعد اسبوع من اعتقالنا اصدر ليفي أشكول قرارا بحل شركة الارض وحركة الارض واعتبارهما خارجتين على القانون . واذا اجتمع اكثر من عشرة من اعضائهما فان الاجتماع يعتبر غير قانوني ويعاقب عليه بالسجن عشر سنوات او بغرامة مالية او بالعقوبتين معا . وخلال اعتقالنا في سجن الجلمة جرى تحقيق طويل معنا ، ولكنهم لم يكونوا يحققون معنا في التهم الموجهة لنا بقدر ما كانوا يناقشوننا في السياسة : القومية العربية والوحدة والشعب الفلسطيني وحقوقه الاشتراكية . واذكر نقاشا جرى مع احد المحققين فهو يلقي ضوءا على طبيعة التفكير الصهيوني . قال الضابط ويدعى زيف : لنتحدث بصراحة . نحن دولة صغيرة تقف على رجل واحدة ، وانتم انشأتم حركة خطرة . القي القبض على واحد من عبلين مثلا فيقول لي أنا من اسرة الارض ولا دخل لي بحركة الارض ، والقي القبض على اخر من عكا فيقول لي انا من مؤيدي الارض ولست من شركة الارض وهذا يقول شركة الارض وذاك يقول حركة الارض . شيء فوق الارض وشيء تحت الارض ، صرنا في بلبلة من امرنا . نحن لا نأبه لكل العرب الذين في الخارج فنحن نعرف مدى امكانياتهم ونعرف مدى ما يفهمون عن اسرائيل . أما هنا فالامر مختلف ، هناك ٣٠٠ الف عربي فاذا وحدتموهم واستطعتم تجنيد خمسة الاف منهم في الحركة فسيكون ذلك خطيرا .

قضينا في السجن ثمانية عشر يوما ، قدمنا بعدها لمحكمة حيفا فقضت باخراجنا من السجن بكفالة قدرها ستة الاف ليرة . رفضنا أنا والاخ صبري وقلنا سنبقى في السجن فليس هناك من يكفلنا ، بعد ثلاثة ايام اخرجونا من السجن بكفالة قدرها نصف ليرة .

بعد ان خرجنا من السجن في العام ١٩٦٤ ، وضعونا قيد الاقامة الجبرية في البيوت مدة سنة ، اي أن الواحد منا يحظر خروجه من البيت من الساعة السادسة مساء حتى بعد شروق شمس اليوم التالي بساعة واحدة ، ويتوجب على كل منا ان يثبت وجوده في مركز الشرطة يوميا . وكانوا خلال هذه السنة يأتون الينا كل ثلاثة اشهر ويحاولون اقناعنا بالتبرؤ من حركة الارض فكنا نرفض ذلك . وكانت السلطة تهدف من حجزنا الى تقييد حريتنا مدة سنة تسبق الانتخابات التي كانت ستحل في العام ١٩٦٥ ، وتخويف العناصر التي تؤيدنا باشعارها أن مصيرها سيكون مماثلا لمصيرنا ومحاولة ارهابنا كي نعلن براءتنا من حركة الارض ليستخدم ذلك ضدنا فيما بعد لو اردنا دخول

الحياة السياسية العامة .

عندما حان موعد الانتخابات ، قررنا ان ندخل من الشباك بعد أن طردونا من الباب ، فنرشح قائمة للانتخابات.وكنا على يقين من اننا سنستطيع ايصال عدد منا الى الكنيست اذا سمح لنا بالترشيح ، فاذا لم يسمح نكون قد اسقطنا ورقة التوت عن عورة ديمقراطية السلطة . اعددنا قائمة اسميناها القائمة الاشتراكية كان على راسها صالح برانسي يليه حبيب قهوجي ثم صبري جريس ثم سبعة اشخاص اخرين اخرهم منصور كردوش ، بذلك كان في القائمة اربعة من قيادة الارض وستة من مؤيديها . اصبح يتعين علينا كي نحصل على حق الترشيح ان ندفع خمسة الاف ليرة ونحصل على ٧٥٠ توقيعا بالتزكية من اشخاص لهم حق الانتخاب. حصلنا على دفاتر التزكيات ووقعناها فحصلنا على اكثر من ١٥٠٠ تزكية ، وتعرضنا خلال ذلك للمطاردة وكنا نخشى ان يسرقوا الاوراق منا او يفعلوا شيئا من هذا القبيل . بعد ان حصلنا على التزكيات قررت السلطة اعتقالنا . فاعتقلتنا في الليلة ذاتها ونفيت الى طبريا ونفي صبري الى صفد ومنصور الى عراد في النقب وصالح الى بيسان ووضع عشرات من نشيطي الحركة قيد الاقامة الجبرية ، وقامت السلطة بحملة تفتيش شملت اكثر من ستين من مراكزنا الانتخابية ، وبدات الصحف والاذاعة تشن حملة علينا . ولم تكتف السلطات بذلك ، فقد كانت تخشى ان ننجح في الانتخابات على الرغم من كل هذه الاجراءات فتكون لدينا اذ ذاك حصانة برلمانية نستطيع استغلالها في بعث الحياة في الحركة فما كان من السلطة الا ان اوعزت الى لجنة الانتخابات وهي مؤلفة من ستة وعشرين عضوا برفض ترشيحنا على اساس اننا ننتمي الى حركة غير قانونية محلولة . ولكن اللجنة تخطت بذلك صلاحياتها ، اذ ان مهمتها تنحصر في تدقيق الترشيحات من وجهة نظر تكنيكية لترى ما اذا كانت التزكيات صحيحة ام مزورة . في الوقت ذاته مارست الشرطة نشاطا واسعا في الضغط على من منحونا التزكيات فسحب ثلاثمائة منهم تزكياتهم ، ولكن ذلك لم يؤثر علينا اذ كنا لا نزال نحمل تزكيات تفوق العدد المطلوب ، كما اننا كنا نخفي قائمة اخرى من التزكيات لنستعملها اذا اقتضى الامر . قررنا خوض المعركة مع السلطة فطالبنا بلجنة تحقق في أمر سحب التزكيات ، فشكلت اللجنة برئاسة القاضي زوسمان وحققت في الامر وتوصلت ان سحب التزكيات قد تم تحت الضغط وبذلك تعتبر جميعها قائمة . ولكن السلطة اخذت قرارا اعتباطيا بمنعنا من الترشيح . فما كان منا الا ان رفعنا الامر الى محكمة العدل العليا ، فأصدرت المحكمة قرارا مخاتلا يقضي بأن لنا الحق في الترشيح ولكن كأفراد وليس كقائمة . ولما لم يكن قد تبقى للانتخابات سوى يوم واحد وكنا في المنفى ، فقد كان ذلك يعني عمليا حرماننا من الترشيح .

بعد ان انتهت الانتخابات وتشكلت الحكومة الغي قرار نفينا وكنا قد امضينا في المنفى قرابة ثلاثة اشهر . وبعد خروجنا من السجن فرض علي ان لا اغادر حيفا ، واستمرت الامور على هذا النحو الى ان اندلعت حرب حزيران عام ١٩٦٧ .

عشية الحرب ، قامت السلطات بحملة اعتقالات واسعة بين العرب فاعتقلت وزوجتي ووجهت لنا تهمة الاتصال مع « العدو » على اساس انهم وجدوا ملفات تثبت ذلك في غزة والجولان . ولكنهم لم يقدموني ولا قدموا زوجتي للمحاكمة بل قضوا بسجننا ثلاثة أشهر سجنا اداريا بموجب انظمة الطوارىء ، ولما انتهت الاشهر الثلاثة الاولى صدر قرار بحبسنا ثلاثة اشهر اخرى وهكذا حتى بلغ مجموع ما قضيناه في السجن قرابة سنة ، كانوا خلالها يعرضون علينا ان يطلقوا سراحنا شرط ان نغادر البلاد ، فكنا نرفض ، وعندما قاربت السنة على الانتهاء خيرونا بين الخروج من البلاد بصورة شرعية وبجواز سفر وبين ان يلقوا بنا على حدود احدى الدول العربية ، فاخترنا بعد ان تداولنا في الامر مع الاخوان ان نخرج بجواز سفر، فخرجنا في أيار ١٩٦٨ .

يقول البعض ان اسم الارض قد اختير لسببين : الاول لكي تميزوا انفسكم عن الشيوعيين فهم يشددون على كلمة « العمل » فشددتم انتم على كلمة « الارض » كتعبير قومي ، والسبب الثاني هو ان في شمال فلسطين مجموعة كبيرة من الفلاحين والمزارعين العرب اردتم ان تكسبوهم فاستعملتم كلمة محببة لهم . وينتهي كاتب الى القول انه كان يوجد في فلسطين جريدة اسمها «نداء الارض» وقد يكون هناك علاقة بين هذه التسمية والتسمية الجديدة ، فهل هذا صحيح ؟

— في الواقع ، عندما قررنا اصدار جريدة تداولنا في أمر تسميتها فعرضنا عدة اسماء منها الكفاح والنضال والهدير ، ثم اتفقنا على تسميتها

« الارض » لاننا من جهةلا نريد لها اسما رومانطيقيا شاعريا ، بل اسما واقعيا ماديا ، ولان كلمة الارض من جهة ثانية تعبر عن جوهر نضالنا فالعدو الصهيوني يحاول تجريدنا من الارض ونحن نتشبث بالارض وباستعادة ما فقدناه منها ، والصهيونية تعتبر ان ارض فلسطين كانت مستعبدة لشعوب اجنبية وغريبة وانهم الان يعتقونها كما يعتق العبد، ونحن نعتبر ان ارض فلسطين الان مستعبدة لشعب اجنبي وغريب وان علينا واجب اعتاقها .

ما السبب في ان معظم اعضاء حركة الارض وما سبقها من جماعات وجمعيات كان من الشمال ؟

ـ لهذا الامر اسباب متعددة . اولها ان الاغلبية الساحقة من عرب الارض المحتلة موجودة في الشمال ، فهناك في الشمال ١٨٠ او ١٩٠ الفا من مجموع ٣٠٠ الف عربي في الارض المحتلة . وثانيها أن عرب الشمال اقرب الى المراكز الثقافية من عرب المثلث ، فقد كانت قرى المثلث ترتبط ثقافيا مع يافا وطولكرم وجنين ونابلس ، لكن يافا لم يبق فيها سوى خمسة او ستة الاف عربي ، وانقطعت صلة قرى المثلث الصغير اي نابلس وجنين وطولكرم ، فبقي مجتمع عرب المثلث مقطوعا عن جذوره وارتباطاته الثقافية . ثالث الاسباب ان معظم عرب الجليل قد مارس النضال زمن الانتداب ، فقيادة الحزب الشيوعي مثلا من الشمال وبالذات من حيفا والناصرة وعكا ، السبب الرابع هو أن مجتمع المثلث مجتمع اسري ، يؤثر فيه رب الاسرة على ابنائه واحفاده ويلزمهم مثلا بالتصويت للماباي للحصول على مكاسب عائلية ، وذلك بعكس الوضع في الشمال . خامس هذه الاسباب هو ان غالبية عرب الشمال الذين بقوا في الارض المحتلة هي من المسيحيين ، والمسيحيون ليسوا بالضرورة اذكى، ولكنهم قد أتيحت لهم فرصة الإتصال بالثقافة في وقت مبكر عن طريق مدارس الإرساليات التي استفادت من وجودها ايضا البطوائف الاخرى ، حتى ان الاحصاء الذي قامت به اسرائيل يبين ان نسبة المثقفين بين المسيحيين العرب تبلغ ٩٣٪ ونسبتهم بين اليهود ٨٧٪ وبين المسلمين ٦٧٪ وبين الدروز ٢٣٪ ثم فيما بعد ٤٥٪ عندما اقبل الجيل الجديد على العلم .

جعلت الاسباب التي ذكرت عرب الشمال اكثر استعدادا للقيادة ، ولكننا نجد أن عرب المثلث اكثر حماسة للعمل ، واذكر اننا عندما كنا نجمع التزكيات لقائمتنا الانتخابية كنا ننتقل بشكل سري بين قرى الجليل لنجمع في كل منها عشرة تواقيع، بينما اصطف العمال العائدون من بيتح تكفا ويافا في الطيبة امام منزل صالح برانسي وصاروا يوقعون بالعشرات . **صبري جريس** : لو اتجهنا أبعد الى الجنوب ووصلنا النقب لوجدنا ان الوعي محدود جدا خصوصا بين البدو الذين يتعاونون مع السلطة بصورة فظيعة جدا ، حتى ان السلطة فقدت صوابها لمجرد أن الشيوعيين احرزوا صوتين من اصوات احدى القبائل في احد الانتخابات .

هل تعطوننا فكرة عن عدد اعضاء حركة الارض وعن تركيبها الطبقي ؟

ـ في الحقيقة لم يكن لدينا في أي وقت من الاوقات تعداد كامل للاعضاء ، ذلك اننا لم نكن معنيين باجراء مثل هذا التعداد . على اي حال كانت قوة الحركة في افكارها ومؤيديها وانصارها اكثر مما كانت في تجمع مادي . وكنا نتوخى ان لا نجعل منها تجمعا ماديا لئلا تصبح هدفا سهل المنال للسلطات . كنا نريد ان نجعل السلطة تطوح بقبضتها القوية في فراغ عندما تضرب بها فلا تجد امامها الا بضعة أشخاص . اما عدد اعضاء اللجنة المركزية فقد كان في مرحلة من المراحل ثلاثة وعشرين عضوا ، وتنبثق عن اللجنة المركزية قيادة جماعية من اربعة اشخاص .

هذا بالنسبة لعدد الاعضاء ، اما بالنسبة للتركيب الطبقي فقد كانت الحركة تتالف من العمال الصناعيين والحرفيين ثم المثقفين والمثقفين الممتازين من خريجي الجامعات والمعاهد العليا ثم الطلبة الثانويين وطلبة الجامعة العبرية ومعلمي المدارس غير الحكومية (مدارس الارساليات) ثم الفلاحين.

هناك عدد كبير من العرب يفد الى المدينة للعمل فيها من قرى الجليل والمثلث . فهل كانت نسبة هؤلاء كبيرة في حركة الارض ام لا ؟

ـ في الواقع ، يصبح الشبان الذين يتركون القرية للعمل في المدينة اكثر ثورية ممن يظلون في القرية، لان من يظل في القرية يبقى عرضة للضغوطات العائلية ولتحذيرات الاهل والمختار«احذر الحكومة، لا تخرب بيتنا» . أما من يرتحل الى المدينة فانه يلتقي بنخبة من العمال وبعناصر مثقفة اخرىويحتك بالنضال السياسي المتركز في المدن ، ولذا كان في حركة الارض عدد كبير من هؤلاء .

الملاحظ في اسماء القياديين ان بينهم بعض ابناء العائلات الكبيرة : الفاهوم مثلا . الم تشعروا

بالتناقض احيانا بين هذا البعض وبين جمهرة الاعضاء من عمال ومثقفين وفلاحين ؟

ـ في الواقع ، كان هؤلاء في الجبهة الشعبية الديمقراطية وليس الارض ، وقد توخينا الاستفادة منهم كواجهات لاستقطاب الجماهير التي لم تعتد النضال المباشر بعد والتي لم تكن لتركن الى أسماء غير معروفة وشابة كحبيب قهوجي وصبري جريس مثلا . وقد ادى هؤلاء دورهم المطلوب . فعندما كنا نقيم مؤتمرا مثلا كانت اسماؤهم تظهر على لائحة الخطباء بينما كنا نحن الذين نجند الجماهير ونوزع المنشورات ونصطدم بالسلطة غالبا. **صبري جريس:** اود ان اضيف الى كلام الاخ حبيب ان أسماء العائلات القديمة الكبيرة لم تكن لتعني الشيء الكثير ، اذ أن مجتمع عرب الارض المحتلة تفتت بفضل نكبة عام ١٩٤٨ ثم عاد وتشكل من جديد ، وهذا يجعله مختلفا عن مجتمع ثابت راسخ ، ففي مجتمع كهذا قد لا يكترث اشخاص مثل يني يني او جبور جبور او طاهر الفاهوم بحركة سياسية وطنية ناشئة ، وبالمقابل قد لا يستطيع اشخاص مثلنا لعب دور قيادي الا بعد سنوات . أما في مجتمع الاقلية العربية في فلسطين المحتلة فقد كان بعد النكبة الفراغ . كان هناك كما قال عبد الناصر دور يبحث عمن يتقمصه، ومن هنا ابتدأ عملنا .

ترى هل كان للعوامل الاقتصادية اثرها على مدى اقبال عرب الارض المحتلة على الانخراط في العمل السياسي سواء في الجبهة الشعبية الديمقراطية او الارض ؟

ـ تستخدم سلطات الاحتلال القهر الاقتصادي لتطويع العرب في الارض المحتلة، فاذا كان المناضل عاملا هددته بسحب تصريحه واذا كان موظفا هددته بالفصل من العمل واذا كان تاجرا فرضت عليه ضرائب باهظة لا قبل له بها . وتستطيع السلطات استخدام الرادع الاقتصادي بسهولة كبيرة لسيطرتها على الاقتصاد والبنوك والشركات ومؤسسات التعليم وكل شيء ، وهي الى ذلك تستخدمه بحنكة . ولهذا نجد ان معظم من يستنكفون عن النضال او يتساقطون على دربه لهم مصالح اقتصادية .

هل كان تشكيل الجبهة الديمقراطية ثم الارض اول بوادر التحرك السياسي لعرب الارض المحتلة ام سبقت ذلك محاولات اخرى ؟

ـ **صبري جريس** : كان عرب الارض المحتلة في

السنوات الاولى للنكبة مصابين بالذهول ويعانو
الارتباك . وفي تلك الفترة ، كان المطران حكي
يرفع لواء المعارضة العربية لاسرائيل ، فكا
يكتب في مجلة « الرابطة » مقالات عن هدم القر
وسلب الاراضي العربية وما الى ذلك . وكا
المطران يتعاون مع المحامي الياس كوسا ثم نشـ
بينهما خلاف حاول كوسا على اثره ان يؤسـ
حزبا باسم الحزب العربي ولكن يبدو ان كوسا
يشتغل سوى فترة قصيرة ثم اندثر الحزب .

ـ **حبيب قهوجي** : لقد بدا الحزب العربي نشاطه
اوائل الخمسينات وكان محركه الياس كوسا وك
فيه جورج معمر وشكري الخازن وجورج ابو نادر
أي انه كان تجمع شخصيات ابعد ما تكون
السياسة المناضلة مما جعله يولد ميتا. ولقد كا
اهداف الحزب محلية جدا منها مساواة اللغة العر
بالعبرية ورفع الضرائب التي تثقل كاهل الفلاح
العرب والمحافظة على الوقف الاسلامي والكنائ
والمقابر والمدارس العربية .

**وهل بقي المطران حكيم على معارضته لسلط
الاحتلال ؟**

ـ لم يكن للمطران حكيم سياسة معينة يثابر عل
انتهاجها . فقد حاول في بداية الاحتلال أن ينش
حزبا سياسيا عربيا يجمع فيه حوله بعض الشخصي
المعروفة ليكون صاحب نفوذ في البلد ، ولكن
كان برضى من السلطات ، وكون الحزب الـ
حاول انشاءه عربيا لا ينفي عنه الارتباط بالسل
بشكل او آخر ، فالسلطة احيانا تبارك اشياء ه
ولو كانت تحمل اسماء عربية . وعندما كان المطر
حكيم يهاجم السلطة فانه لم يكن يهاجمها لموقف قو
ولكن لانها لم تلب له او للطائفة هذا الطلب او ذا
اما اذا لبت السلطة طلباته فكان يقف في الن
خطيبا يدعوهم لانتخاب جبرا الداهش والياس ن
مثلا وهما من مرشحي المباي العرب . وظل مو
المطران متأرجحا ، ففي السنوات الاخيرة اش
اسرائيل الى الفاتيكان وكتب ضد الاسرائيليين
لندن واعطى تصريحا منددا بهم لهيئة الاذاع
البريطانية ، ولكن هذا كله كان ايضا لانهم
يستجيبوا لبعض طلباته منهم . وخلال حرب
١٩٦٧ طلب المطران من الناس ان يتبرعوا
لاسرائيل وقال انه فخور لكونه يعيش بين ش
تعداده ثلاثة ملايين يقف في وجه مائة مليون
ان المطران انتمى الى الهستدروت وجعل الق
ينتمون اليه . ولما خرج المطران حكيم الى ا

العربي ، اصبح يتكلم بصوت مرتفع عن حقوق الشعب الفلسطيني ،

صبري جريس : هناك نقطة اود ان اضيفها . لقد كان نشاط المطران مشبوها والدليل على ذلك حادثة قرية اقرط . واقرط هذه قرية كاثوليكية بقي أهلها فيها خلال حرب ١٩٤٨ ، وبعد اسبوعين من قيام اسرائيل طردوا من بيوتهم . رفع الامر الى المحكمة فقضت بعودتهم ، ولكن السلطة أخذت تحاور وتداور ، واهل القرية المفقرون المشردون يرفضون الانصياع لضغط السلطة والقبول بتعويضات تدفع لهم . ولم تحل هذه المشكلة الا عندما تدخل المطران واصبح يرسل الى اهل القرية ويحاول اقناعهم ان يقبلوا التعويضات ، فتمكن من اقناع ٣٠٪ من سكان القرية ، لدرجة أن كتاب الحكومة السنوي عام ١٩٦٤ او ١٩٦٥ اشاد بالمساعي الحميدة التي بذلها المطران في تصفية هذه القضية .

هل تبقى شيء اسمه جماعة النادي الارثوذكسي ؟ وهل كان للجبهة الشعبية الديمقراطية او الارض علاقة بهذه الجماعة او بقاياها ؟

ـ كان هناك في حيفا قبل العام ١٩٤٨ ناد يسمى النادي الارثوذكسي وكانت له سمعة طيبة وبخاصة في المجال الثقافي . ولكن هذا النادي انتهى عام ١٩٤٨ ، وشكل بعض اعضاء الطائفة الارثوذكسية مجلسا اطلقوا عليه اسم مجلس الملة الارثوذكسية وكان بعضهم من بقايا النادي الارثوذكسي ، اذكر منهم سليمان قطران وهو عميل كبير وسمسار وسليم جبران وهو عميل للقسم العربي في المستدروت وجان مجدلاني وهو موظف كبير في الجمارك وبشارة عصفور وهو عنصر وطني مخلص هاجر فيما بعد الى بيروت وحنا نقارة وهو شيوعي.

الملاحظ ان هناك فرقا واضحا بين برنامج الجبهة الشعبية الديمقراطية وبين برنامج « الارض » ، فبرنامج الجبهة محلي جدا يركز على الغاء الحكم العسكري ومساواة العرب باليهود ، بينما نجد ان برنامج الارض مسيس الى حد بعيد فهو يركز على هيمنة حركة القومية العربية على المنطقة واعادة اللاجئين وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره والحياد الايجابي ... الخ. فما هي العوامل التي ادت الى هذا الانتقال النوعي ؟ هل هي عوامل عربية ودولية ام عوامل داخلية في الارض المحتلة، ام ظروف ذاتية خاصة بجماعة الارض ؟

ـ كانت الجبهة الشعبية الديمقراطية تتألف من ثلاث فئات : عناصر عربية وطنية يهمها الدفاع عن مصالح المواطن العربي في اسرائيل ، وعناصر قومية عربية لها أفكارها القومية فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية والقضية العربية ككل ، والحزب الشيوعي الاسرائيلي قبل ان ينشق على نفسه . ولذا كان لا بد من رفع الشعارات التي تتفق عليها هذه الفئات الثلاث ، فكانت الشعارات المحلية الستة. اما العناصر القومية التي شكلت فيما بعد حركة الارض فكانت تؤمن مسبقا بالمبادىء والشعارات التي اعلنتها « الارض » ، ولكنها لو رفعت هذه الشعارات في المرحلة الاولى لخسرت تعاون الحزب الشيوعي والعناصر الوطنية . ولكن عندما اتيحت لنا حرية العمل وحدنا واصدرنا صحيفتنا «الارض»، اعلنا عن مبادئنا واهدافنا ومواقفنا من كافة القضايا محلية وعربية ودولية .

هل كان بينكم وبين تنظيمات سياسية خارج فلسطين علاقات في وقت من الاوقات ؟

ـ في الواقع ، لم يكن لحركة الارض اي علاقة مع اي حزب سياسي أو دولة في العالم العربي . ولكن كان هناك علاقات فكرية ، فما كان يحدث في العالم العربي كان يترك اثرا في حركة الارض في الداخل . وكنا نعتبر انفسنا جزءا من حركة الثورة العربية ولو ان اهتمامنا ينصب على قضايانا الداخلية ، وكان لنا مواقف من مسائلها العامة ، فكنا نؤيد الوحدة شرط ان يكون مضمونها تقدميا فهي في رأينا الطريق الى تحرير فلسطين ، وكنا نعتبر أن الاشتراكية هي الحل لمشاكل الانسان العربي ضمن الوحدة العربية ، فكنا بذلك على انسجام فكري تام مع الحركة الناصرية والى حد كبير مع حركة القوميين العرب . ولقد سمعت في الاونة الاخيرة أن هناك منظمة تسمي نفسها منظمة الارض وتدعي ان اعضاءها في الارض المحتلة كانوا يقومون بنضالات جريئة شتى ، ولكن الحقيقة انه ما من علاقة بيننا وبينهم فنحن نختلف عنهم فكرا وتنظيما وأسلوبا ، وهم يقولون ان للارض تنظيما عسكريا رهيبا في الارض المحتلة ونحن لم ندع ذلك يوما .

في العام ١٩٦٦ ارسلت حركة القوميين العرب دوريتين مسلحتين الى الارض المحتلة عن طريق لبنان ، وكان أحد الاهداف الاساسية من ذلك الاتصال بحركة الارض ، فهل جرى اتصال من هذا النوع ؟

ـ في الحقيقة لم يجر اتصال كهذا في العام ١٩٦٦، ولكنني اعتقد أن منظمة التحرير الفلسطينية أرسلت في العام ١٩٦٤ دورية القي القبض عليها عند

الحدود الشمالية واعترفت انها كانت تبحث عن حبيب تهوجي وصبري جريس ، فدخلنا السجن اثر ذلك بتهمة الاتصال بـ « العدو » .

صبري جريس : خلال اعتقالي في العام ١٩٧٠ في سجن الرملة قابلت معتقلا اخبرني أنه كان من الجماعة التي دخلت عام ١٩٦٤ للاتصال بنا ، ساعتها صدقت الرواية الاسرائيلية عندما استخدموا ذلك كحجة لاعتقالنا .

هل تحدثوننا عن التجمعات اليهودية التي كنتم تتعاونون معها واشكال هذا التعاون ؟

ـ التجمعات اليهودية التي كنا نتعاون معها تجمعات صغيرة ، وهي ان كانت تنطلق من القبول باسرائيل الا انها تعارض اخضاع العرب للحكم العسكري فتطالب بالغائه وتطالب بالكف عن مصادرة أراضي الفلاحين العرب وعودة قسم من اللاجئين . وتقول هذه التجمعات ان سياسة الاحزاب الكبيرة لا تؤدي الى السلام ويعتبرون أنفسهم ورثة العهد القائم ويقولون بضرورة التفاهم مع حركة التحرر العربية ويعتقدون أنهم مؤهلون للعب هذا الدور . فكانوا يميلون الى التعاون معنا ويبررون ذلك للشارع اليهودي بأننا جزء من حركة التحرر العربية وانهم اذا وقفوا الى جانبنا وتفاهموا معنا فمن الممكن ان يساهم ذلك في مد جسر التفاهم بين العالم العربي واسرائيل يوما ما.وتتفاوت مواقف هذه الجماعات ، فهناك مثلا أوري أفنيري الذي يحمل نظرة صهيونية معدلة فهو يريد ان يسكن اليهود شرقي الارض ايضا ليقوم اتحاد سامي بين الشعبين الساميين . وهناك جماعة ايجود وهم نفر من الاساتذة الجامعيين حمل آراء ماغنيس من بعده . فقد كان ماغنيس عميدا للجامعة العبرية وكان يخالف بن جوريون الرأي ، فبن جوريون يقول نقيم الدولة أولا ثم يأتي السلام مع العرب ، اما ماغنيس فيقول السلام أولا ثم الدولة . ويشعر أعضاء هذه الجماعة أن الاقلية العربية مظلومة ومضطهدة وانهم كأساتذة يحملون لواء العلم والثقافة والتحرر لا يستطيعون الوقوف الى جانب الجلادين مع الحكم العسكري المفروض على العرب ومع مصادرة أراضيهم ومع الوجه الاسود لاسرائيل . فكانوا محافظة منهم على الوجهة العلمية الحضارية التي يؤمنون بها يقفون مع الحركات التي تنشأ في الجانب العربي ومنها حركة الارض ، ولكن الى حد لا يتنافى مع وجود الصهيونية ككل .

وقد اتخذ التعاون فيما بيننا أشكالا عدة ، فقبنا بتظاهرة مشتركة ضد الحكم العسكري وأقمنا مؤتمرات مشتركة للمطالبة بالكف عن مصادرة أراضي الفلاحين العرب ، وكدنا نعقد مؤتمرا في وقت مبكر يعود الى العام ١٩٥٨ للمطالبة بعودة اللاجئين العرب لولا أن أحبط الشيوعيون جهدنا باصرارهم على توجيه الدعوة للمؤتمر باسمهم واسم الجبهة الشعبية الديمقراطية فقط بدل ان توجه باسم المشاركين جميعا . وقد اجتمعت هذه الجماعات عام ١٩٥٨ وأصدرت بيانا عنيفا جدا يندد بالحكم العسكري ، وفي عامي ١٩٦١ و١٩٦٢ استطاعت ان تثير ضجة كبيرة حول الحكم العسكري ، تقدمت على اثرها جميع الاحزاب في الكنيست عدا الماباي بمشروع موحد لالغاء الحكم العسكري ولم يفشل المشروع الا بفارق صوت واحد .

عندما ترشحتم للانتخابات اسميتم قائمتكم « قائمة الاشتراكيين » ، فلماذا اخترتم هذا الاسم بالذات ، وهل كان وراءه مضمون فكري معين ؟

ـ لقد تبنت حركة الارض في مرحلة متأخرة الافكار الاشتراكية ، وكان هذا نتيجة نقاش دائم بيننا وبين الشيوعيين . كان يقال لنا ما الفرق بينكم وبين الشيوعيين ، فكنا نقول هم اشتراكيون ونحن اشتراكيون ولكننا نختلف على القضية القومية فهم ينكرون لعروبة فلسطين ويوافقون على التقسيم . ومن الطبيعي ان يكون خلاف بيننا وبين حزب شيوعي كلاسيكي فكيف اذا كان هذا الحزب موجودا في اسرائيل وبقيادة موشيه سنيه الذي كان مرة نائب القائد الاعلى للهاجاناه ومرة كان قائدها ، وكنا نرى أن قيادة الحزب الشيوعي تلجم نضال الحزب وتحد من ثوريته وبالتالي تعطل نضال الجماهير العربية ولا تساعدها . صحيح أننا لم نطرح شعار الاشتراكية في المرحلة الاولى لنشوء حركة الارض ، ذلك اننا كنا نرجو جمع كل العناصر القومية وصهرها في بوتقة الحركة القومية فالصراع ما بيننا وبين الصهيونية ليس صراعا طبقيا ، فكل العناصر الصهيونية من عمال وفلاحين ورأسماليين مستفيدة من الاستيلاء على فلسطين وكل العرب اقطاعيين ورأسماليين وعمالا وفلاحين قد خسروا نتيجة الغزو الصهيوني ، فالصراع اذا صراع قومي يحتم علينا محاولة جمع القدر الاكبر من الوطنيين العرب في حركتنا .

ومتى بدأ التفكير الاشتراكي يأخذ طريقه اليكم ؟

ـ بدأ ذلك في الوقت الذي اصدرنا فيه الصحيفة ، ولكنه أصبح أكثر الحاحا فيما بعد ، وفي أوائل

الستينات تبنينا الاشتراكية العلمية لانها في رأينا الحل الوحيد لمشاكل جماهير الامة العربية ، وان لم تكن كذلك لعرب اسرائيل .

هل تقصد بالاشتراكية العلمية الماركسية ــ اللينينية؟

ــ نعم ، فنحن نعتقد أنه ليست هناك اشتراكية اسلامية واخرى عربية وثالثة روسية . هناك اشتراكية واحدة في العالم ولكن تطبيقها يختلف من بلد لاخر طبقا لظروف البلد المعني التاريخية والاجتماعية والسياسية والفكرية .

هل كانت قيادة الارض جميعها تتبنى الماركسية ــ اللينينية ؟

ــ نعم ، انما القاعدة كانت تتفاوت في فهمها لذلك، اي ان جزءا منها لم يكن يدري ما هي الاشتراكية وما هي الماركسية ــ اللينينية فقد كان يناضل على اساس قومي ، وفي الوقت ذاته كنا نثقفه بقدر ما نستطيع .

هل دار نقاش في الاوساط القيادية حول تبني الماركسية ــ اللينينية ؟ وكيف امكن لهذه النظرية أن تستوعب منطلقات قومية كمنطلقات الارض ؟

ــ لقد دار نقاش كهذا ، وفي النهاية كتب صالح برانسي كتابا عن الاشتراكية رد فيه على الشيوعيين وامتدح بعض جوانب التطبيق الاشتراكي في الجمهورية العربية المتحدة وانتقد البعض الاخر . ونستطيع القول أن هذا الكتاب يمثل فكرنا الاشتراكي .

قلت أن افكار حركة الارض كانت قريبة الى الافكار الناصرية وافكار حركة القوميين العرب . ولكن في الفترة التي صدرت فيها صحيفة الارض ما كان الناصريون يؤمنون بالاشتراكية العلمية بل كانوا يقولون بالاشتراكية العربية ، وما كانت حركة القوميين العرب تتبنى الماركسية اللينينية بل على العكس من ذلك كانت تاخذ منها موقفا مضادا . فهل كنتم تعون هذه الفوارق ؟

ــ كان اكثر ما يستحوذ على وعينا هو الصراع القومي.وكنا نرى في الوحدة الطريق لحل المشكلات العربية ، كما كنا نرى أن الوحدة يجب أن تكون اشتراكية المضمون . وفي معاناتنا للاحتلال كانت الوحدة على رأس اهتماماتنا فكنا نشعر أننا نلتقي بكل من يناضل من اجل الوحدة وضد الاستعمار سواء أكان قوميا عربيا أم بعثيا ، ولم نكن لنرى فرقا ما بين البعث والقوميين العرب ، ونحن لا نرى الان فرقا بين الجبهة الشعبية الديمقراطية والجبهة الشعبية . انني أتألم اسى من خلافات كهذه ليس لها مبرر . فالكل يريد الوحدة العربية والاشتراكية والنضال ضد الاستعمار .

وهناك منظمات لا تتبنى الاشتراكية : فتح مثلا . ولكننا كنا نؤيدها عندما كنا في الارض المحتلة ولا نزال نؤيدها على أساس انها تحمل البنادق وتتوجه بها بفعالية نحو العدو الاسرائيلي وتحاول جمع كل الطاقات الفلسطينية . وعندما نسمع أن منظمة او جبهة فدائية تختلف مع أخرى فاننا نتأثر لذلك ونرى أن هذه الخلافات لا مبرر لها . يجوز انكم هنا تجدون لها مبررات فكرية وتنظيمية ولكننا نحن لا نحس بذلك .

هل يمكن القول ان حركة الارض قد تحولت من مجرد حزب تقليدي الى نوع من الجهاز التنظيمي ؟

ــ صحيح أن حركة الارض ابتدأت بسبعة اشخاص ، ولكنها نمت وانشأت لها تنظيما في كل قرية ومدينة تقريبا . وصحيح أن هذا التنظيم لم يكن تنظيما حديديا ، ولكنه استطاع الوصول الى قطاعات واسعة يمكن القول أنها تمثل الاكثرية الساحقة من الاقلية العربية في الداخل ، لدرجة أن تنظيمات نشأت في بعض الاحيان دون معرفتنا بانتظار أن تسنح لها الفرصة للاتصال بنا . اي أننا استطعنا أن نوحد وراء أهداف حركة الارض القطاع الاوسع من الجماهير العربية من العمال الصناعيين والحرفيين ومن المثقفين والفلاحين .

هناك من يقول أن حركة الارض كفت عن أن تكون فاعلة بعد ان اعتقل قادتها وعدد من اعضائها عام ١٩٦٥ ، هل في هذا شيء من الصحة في رأيكم ؟

ــ لقد انتهت حركة الارض فعلا في العام ١٩٦٥ ولكن قانونيا فقط ، اذ أن اعضاءها بقوا على نشاطهم ، فمن كان في لجنة الغاء الاحكام العسكرية او لجنة الدفاع عن الاراضي العربية أو لجنة الطلبة الجامعيين بقي يعمل في هذه اللجان وينشط من خلالها . صحيح أنه لم يعد يعمل باسم الارض ولكنه ظل يعمل بروحها ويوحي منها وبهديها . وصحيح أنه ظاهريا لم يعد هناك شيء اسمه « الارض » ولكن من كانوا أعضاء في الارض لا يزالون يعتبرون انفسهم كذلك ، ولا تزال السلطات ذاتها تعتبرهم كذلك .

واضح ان عمل « الارض » قد دار ضمن نطاق الشرعية القانونية الاسرائيلية ، الم يكن ممكنا استبدال هذا العمل بالعمل السياسي المباشر المتحدي الذي يستهدف احداث حركة فعل ورد فعل في صفوف الجماهير العربية بدءا من توزيع المنشور

الى التظاهرة الى العصيان المدني وربما الى الكفاح المسلح ؟ على الاقل الم يكن ممكنا ان يسير هذان النوعان من العمل بموازاة بعضهما ؟

— في الواقع كنا نناضل من أجل الحصول على الشرعية حتى نستطيع توطيد اقدامنا ليصبح بمقدورنا التحرك في المستقبل لعمل ما . ولم نكن نستطيع في المرحلة المبكرة عام ١٩٥٩ و١٩٦٠ أن نقيم تنظيما سريا ونعطيه مهمات محددة بفعل الظروف التي كانت سائدة آنذاك . ولو أقمنا مثل هذا التنظيم لكان تنظيما بدون مهام ، ولاعطى هذا العمل الفاشست من الصهيونيين الفرصة لذبح الاقلية العربية ولاعطى السلطة ايضا مبررا وذريعة لضربنا قبل أن نستطيع الوصول الى الجماهير تحريكها وتعبئتها . باختصار يمكن القول أن نضالنا من أجل الشرعية وضمن الشرعية كان تكتيكا يهدف الى الوصول الى تنظيم في المستقبل قد يكون له اهداف اوسع من تلك التي أعلناها ، ولكن الاهداف والشعارات مرهونة بالظروف ولا يجوز الاعلان عن اهداف ورفع شعارات لم يحن الظرف المناسب لها بعد .

من الواضح أن اهداف حركة الارض كانت شبيهة باهداف الحركات القومية العربية وخاصة حركة القوميين العرب ، ولكن ما هو الدور الخاص المحدد الذي كنتم تعدون انفسكم له ؟

— كنا نريد أن نبدأ بداية متواضعة جدا بأن نجعل الثلاثمائة الف عربي في الارض المحتلة يشعرون بكرامتهم وعزتهم القومية وترابطهم القومي ، وذلك في وجه محاولات التفتيت والتشتيت التي كانت تقوم بها السلطات وفي وجه روح العدمية القومية التي كانت تحاول بثها في صفوف العرب . وكنا نتصور نضالنا جزءا من نضال الشعب الفلسطيني الذي هو بدوره جزء من نضال الامة العربية ، وكنا أكثر من ذلك نتصور أن باستطاعة الاقلية العربية في فلسطين ان تلعب دورا تعجز عنه القطاعات العربية الاخرى.

ولماذا لم يحدث ذلك ؟ لقد كانت فعالية حركة الارض بعد الاحتلال الاسرائيلي قليلة بالمقارنة مع الدور الذي كان مؤملا ان تلعبه ؟

— لقد حلت الارض في اواخر العام ١٩٦٤ ، ولكن اعضاءها استمروا ينشطون كأفراد في اللجان والمؤتمرات المختلفة للدفاع عن حقوق الاقلية العربية . وقد حاولنا أن نجد صيغا جديدة للعمل كان ننشىء عناصر اخرى غيرنا حركة بشعارات متواضعة بحيث يسمح لها بالعمل ثم ننضم اليها .

كذلك فكرنا في أن نقنع الحزب الشيوعي المنشق بتغيير بعض مواقفه كي ننضم اليه ، ولكنه كان يخشى أن تحله السلطات . بقينا على هذا الحال الى أن فاجأتنا الحرب ودخل قسم كبير من الاعضاء السجن وقضوا فيه مددا مختلفة ، ومنهم مثلي من خرج من السجن ليطرد خارج الارض المحتلة . غير ان بعض الاعضاء السابقين في حركة الارض قد انضم الى منظمات الكفاح المسلح ، وأنا أعتقد أن المنظمات وقعت في خطأ لانها كانت تتصل بعناصر غير مقررة وتجندها للعمل فتنكشف هذه العناصر بعد ان تقوم بعمل بسيط أو قبل أن تقوم بعمل على الاطلاق ، وقد ساهم في هذا عدم تماسك تنظيم الارض وعدم وضوح موقفها من العمل المسلح مما ادى بالاعضاء أن يتصرفوا تصرفا فرديا . ويوجد الان في السجون الاسرائيلية وتحت الاعتقال الاداري عدد كبير من اعضاء الارض يربو على ثمانين شخصا ، رغم أن حركة الارض في الاساس حركة سياسية قلم يكون أعضاؤها جميعا جيدين سياسيا ولكن مواصفات وشروط الفدائي مختلفة عن شروط ومواصفات المناضل السياسي .

واضح انكم بعد عام ١٩٦٥ لم تعودوا تستطيعون العمل كحركة ، والان يشعر المرء ان ما كانت تمثله « الارض » لم يعد كافيا لاستيعاب الدور الذي يمكن ان يلعبه عرب الارض المحتلة ضمن الظروف الجديدة . اقصد ان الارض قامت في ظل برامج معينة ومفاهيم معينة ولعبت دورها التاريخي وانتهت ، فاذا ساهمت عناصر من حركة الارض في خلق أطر تنظيمية جديدة ببرامج جديدة فان هذه الاطر لن تكون امتدادا لحركة الارض بل ستكون شيئا جديدا مختلفا . اليس كذلك ؟

صبري جريس : أود أن أوضح أننا لم نكن نعمل في دولة عربية ، بل كنا نعمل في قلب اسرائيل ، أي في ظل نظام معاد للعرب ، يقوم على انقاض شعب عربي . وكان لا بد أن نتوجه للاقلية العربية ، ولم يكن أمامنا سوى سبيلين لذلك : الاول أن نقيم خلايا سرية هنا وهناك ، وفي هذه الحالة وضمن الظروف القائمة لم يكن بامكان خلايا كهذه أن تفعل شيئا سوى أن تتحول الى مخابرات لصالح الدول العربية ، والثاني ان نعمل عملا سياسيا ضمن نطاق الشرعية . فاخترنا السبيل الثاني لان الاقلية العربية صغيرة ومفككة ونحن نحاول تعبئتها ولا يمكن لنا ذلك بعمل سري ، اذ لا يمكن ان نصل الى ونخاطبها الا بعمل علني . وأدى اختيارنا سبيل

العمل العلني الى محاولة كسب الصفة الشرعية ، وبالتالي لم نكن نستطيع القول اننا نريد القضاء على اسرائيل ، ففي اللحظة التي نقول فيها شيئا كهذا يكون مصيرنا السجن دون أن نحقق شيئا . ولكننا في الوقت ذاته لم نكن نعلن رأيا في أي من الجوانب الجوهرية لهذه المسألة ، فعندما كان يطلب الينا أن نقول اننا نعترف باسرائيل كنا نجيب ان على اسرائيل ان تعترف بحق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره ، وعندما كان يقال لنا : ما هي حدود الدولة ؟ كان كل منا يجيب اجابة مختلفة فأحدنا يقول حدود التقسيم والاخر يقول دولة مشتركة والثالث يقول دولة ثنائية ، وهكذا لم نكن نلتزم بشيء محدد . استمر عملنا حذرا واستمرت محاولاتنا الدؤوب لكسب الصفة الشرعية الى ان حلت الحركة . عندئذ لم يعد بامكاننا العمل تحت شعار « الارض » لان ذلك هو السخف بعينه، اذ يكفي أن يقال انك تعمل في منظمة غير قانونية ليصفوك ويأمنوا شرك . وبعد حرب ١٩٦٧ تفككنا واصبح كل منا في جهة ، الاخ حبيب معتقل والاخ صالح سجين وانا قيد الاقامة الجبرية وهكذا ، غير ان كادر « الارض » البشري لا يزال موجودا ، ولكن بريق « الارض » خبا في خضم الاحداث ، اذ لم تعد السلطة مهتمة بها وبمشاكلها فعندها فتح والجبهة والمخربون والقنابل الخ .

ولكنكم اقريتم التقسيم في مذكرتكم الى الامم المتحدة، اليس كذلك ؟

ـ لقد وجدت حركة الارض اسرائيل واقعا قائما ، فلم يكن بامكاني مثلا أن الغي ولادتي واقامتي في اسرائيل . اذن انا اقبل البقاء تحت الحكم الاسرائيلي كما يقبل شيوعي انجليزي مثلا البقاء في بلاد الانجليز الرأسمالية . أي أننا لا نوافق على التقسيم ونعتبره خطأ ، وهذا ما نقوله في تثقيفنا للجماهير وفي نقاشنا مع العناصر اليهودية . وكنا نضيف : لكننا هنا موجودون ومضطرون الى حمل الهوية الاسرائيلية والعمل ضمن اطار الشرعية الاسرائيلية لان هذا هو الواقع . ولقد أوضحنا موقفنا حين قلنا ان على اسرائيل ان تعترف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وأن تقطع ما بينها وبين الحركة الصهيونية وأن تكف عن أن تكون رأس جسر للاستعمار وتعترف بأن حركة القومية العربية هي الحركة الوحيدة والمقررة في المنطقة ، وكل هذا يكون نقطة الانطلاق في سبيل سلام مقيم في المنطقة .

وعندما كتبنا للامم المتحدة لم نكن نستطيع أن نقول اننا نطالب بالغاء اسرائيل فالامم المتحدة ذاتها تعترف باسرائيل . كنا نستطيع فقط أن نطالب الامم المتحدة بأقصى ما يمكن أن تفعله ، فقلنا في المذكرة اننا نطالب اسرائيل بتنفيذ قرار الامم المتحدة الخاص بالتقسيم ونطالب بعودة اللاجئين . ولكن هذا لا يعني أن ذلك نهاية المطاف ، فقد قلنا في دستور حركة الارض ان الشعب الفلسطيني هو صاحب الحق الوحيد في تقرير مصيره ضمن نطاق الاماني العليا للامة العربية ، وهذا كلام واضح جدا .

صدر حديثا عن مركز الابحاث

دليل حركة المقاومة الفلسطينية

دليل مفصل عن جميع التنظيمات الفدائية في الساحة الفلسطينية يجمع فيه غازي خورشيد المعلومات والوثائق عن نشوئها وتطورها وايديولوجياتها وشعاراتها واهم مواقفها ، مع جداول مفصلة باهم العمليات التي قامت بها وقائمة بالمنشورات الصادرة عنها .

الكتاب من سلسلة كتب فلسطينية رقم ٣٢ في ٢٨٠ صفحة من الحجم الكبير بسعر ثماني ليرات لبنانية .

اطلبه من المكتبات ومن مركز الابحاث ـ منظمة التحرير الفلسطينية

شارع كولمباني المتفرع من شارع السادات ـ رأس بيروت

بناية الدكتور راجي نصر ـ ص. ب ١٦٩١ ـ بيروت

العلاقات السياسية العربية ـ الاميركية في محتواها الاسرائيلي

الدكتور اميل نخلة

اولا : نظرة عامة :

قال وزير خارجية اميركا وليم روجرز ، في تحديده للمصالح الاميركية في الشرق الاوسط عام ١٩٦٩ ، ان الولايات المتحدة تظل « مهتمة باقامة علاقات جيدة مع كل دول المنطقة ... وتظل على استعداد للتعاون مع الاخرين .. طالما ينشدون باخلاص الهدف الذي تنشده : سلم عادل ودائم ».(١) بعد ذلك بشهرين ، حدد الرئيس نيكسون الوضع الاميركي في الشرق الاوسط من وجهة نظر الحرب الباردة . وقد تحدث نيكسون اكثر عن وجهة نظره هذه في تقريره الى الكونغرس في شباط ١٩٧٠ :(٢)

١ ـ « ان مصالح الدول الكبرى تدخل في صراع القوى المحلية ، لكن للدول الكبرى مصلحة مشتركة في تجنب الصدام المباشر .

٢ ـ « للولايات المتحدة علاقات قديمة وعليها التزامات لعدد من دول المنطقة .

٣ ـ « لكن الولايات المتحدة سوف تنظر الى جهود الاتحاد السوفياتي للسيطرة على الشرق الاوسط كأمر خطير جدا .

٤ ـ « وانا الان أؤكد عزمنا التام على مراقبة ميزان القوى العسكرية وذلك لتزويد اصدقائنا بالسلاح كلما تدعو الحاجة » .

وقد عاد الرئيس نيكسون الى نغمة الحرب الباردة هذه في مقابلة تلفزيونية خاصة في تموز ١٩٧٠ ، ووعد مرة اخرى بحفظ التوازن العسكري لصالح الولايات المتحدة وصالح بعض « الدول الصديقة » في المنطقة . وقد شدد على « ان مصلحة الولايات المتحدة تقضي بحفظ التوازن العسكري بين اسرائيل والدول العربية ، وبالتالي فان الولايات المتحدة سوف تحافظ على ذلك التوازن ».(٣) هذا الرأي شبيه بسياسة الحرب الباردة التي اتبعها وزير الخارجية جون فوستر دالس في عهد ايزنهاور في الخمسينات ، وهو ايضا ارتباط اميركي بحفظ الوضع الراهن الذي تفيد منه اسرائيل أكثر من غيرها . رغم النفي الكثير لانحياز حكومة الولايات المتحدة الى جانب اسرائيل ، فان السياسة الفعلية تشير دائما الى تعاون عسكري وسياسي اوثق ومساندة اكبر من قبل الولايات المتحدة لاسرائيل.(٤) ولا يمكن ان يبرز هذا النمط بوضوح اكثر من الوضوح الذي بدا فيه في القتال الاخير في الاردن . فقد أعدت خطة أميركية ـ اسرائيلية مشتركة للتدخل في الاردن لانقاذ عرش الملك حسين ، وتقضي الخطة بهجوم اسرائيلي تدعمه أميركا.(٥)

ان تحليل العبارات السابقة في ضوء سياسة الولايات المتحدة وتصرفاتها في الشرق الاوسط خلال الخمس وعشرين سنة الماضية ، يظهر بوضوح ان السياسة الاميركية

فشلت فشلا ذريعا في تفهم قوى التغير في المنطقة ، وفي استيعاب أبسط رغبات ومطالب وتطلعات شعوب المنطقة. السبب في هذه السياسة برأي السناتور وليم فولبرايت «ليس خير الولايات المتحدة بل وجود جماعة ضاغطة في الولايات المتحدة تهدف الى زج الصراع العربي ــ الاسرائيلي في السياسة المحلية». (٦) وسنرى كيف يتم ذلك في الاجزاء اللاحقة من هذا المقال .

ثانيا : **سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط : موجز :**

لقد تأثرت العلاقات السياسية بين الولايات المتحدة والشرق الاوسط العربي منذ الحرب العالمية الثانية بثلاث مسائل رئيسية وهي : اسرائيل / فلسطين ، البترول ، والصراع العقائدي الاميركي ــ السوفياتي في الشرق الاوسط. (٧) هذه المسائل الثلاث دفعت الى تورط اميركي كبير في الشرق الاوسط يتصف بالتناقضات، وبسوء الفهم التام، وباحساس مشوه بالاولويات .

الكتابات متوفرة حول موقف الولايات المتحدةمن المسائل الثلاث ورد الفعل الاميركي على التحدي الناتج عن هذه المسائل خلال العقدين الاخيرين. (٨) لكن ، هذا المقال سوف يبحث مسألة العلاقات السياسية العربية ــ الاميركية مــن وجهة نظر مختلفة : تأثير مساندة أميركا السياسية المحلية لاسرائيل على تقرير سياسة أميركا الخارجية . هذا الاسلوب في المعالجة لا يقلل من اهمية عوامل اخرى كالبتــرول العربي والتأثير الروسي في تقرير سياسة اميركا الخارجية . لكنه يهدف الى اظهار عامل اكثر أهمية لكنه مخفي اكثر وهو التأثير المحلي على تخطيط السياسة ودوره في تفسير المصلحــة الوطنية في مكان معين وتحت ظروف معينة . هذا الدور بالذات هو الذي فشل مخططو السياسة العرب في فهمه او معالجته بفعالية . ان التفــاعل الدقيق بين عــامل سياسي محلي ، النشــاط الصهيوني في الولايات المتحدة، وبين عملية تخطيط السياسة الخارجية أمر بالغ الاهمية. رغم ان صانعي السياسة الاميركية خلال الخمس وعشرين سنة الماضية حاولوا وضع اهداف قومية عريضة وبعيدة المدى في الشرق الاوسط ، فانهم غالبا ما فشلوا في تفريق هذه الاهداف عن اهداف الصهيونيين الاميركيين .

كتب الرئيس هاري ترومــان عــام ١٩٤٧ عــن الضغط الذي فرضه عليــه أنصاره الصهيونيون : « لقد اعتقد العديد من اليهود ان سياستنا في فلسطين هي نفس البرنامج الصهيوني لاقامة اسرائيل . . . الحقيقة البسيطة هي ان سياستنا كانت سياسة أميركية ولم تكن سياسة عربية أو يهودية». (٩)

اما عن كثافة ذلك الضغط فقد كتب : « لا أعتقد اني تعرضــ لاية ضغوط ودعاية موجهة نحو البيت الابيض كما في هذه الحالة . ان الحاح عدد صغير مــن الزعماء الصهيونيين المتطرفين ــ وهو الحاح له دوافع سياسية وينضمن تهديدات سياسية ــ قد ازعجني وضايقني». (١٠) ان عبارات ترومان هي احدى نتائج التفاعل بين السياسة **الاميركيــة** والسياسة **الصهيونية** في الشرق الاوسط . مع ان الرئيس ترومان أعطى وصفا لما حصل في هذه المنطقة من خلق لدولة اسرائيل، فان كلماته أتت كالنبوءة لما حدث في البيت الابيض منذ انتهاء ولايته . مع نشوب الحرب الباردة ، استطاع انصار الصهيونية في الولايات المتحدة ان يفرضوا الصراع العربي ــ الاسرائيلــي على الحرب البــاردة بين الشرق والغرب . وستظهر وسائلهم التي استعملوها في الصفحات التالية .

ثالثا : **عوامل تحديد السياسة الخارجية : تحديد نظري :**

يقوم المستنقع الدبلوماسي الدائم للشرق الاوسط علــى ثلاثة عوامل : برنامج سياسي منسق لصالح اسرائيل ، تلاشي دور مجلس الشيوخ كصانع للسياسة الخارجية وبروز المجلس التنفيذي (الحكومة) كمحرك للسياسة العامة ، وأخيرا ظهور العقيدة ــ خاصة في الخمسينات ــ على انها المقياس الرئيسي للسياسة الخارجية . قد تبدو هذه العوامل

مستقلة عن بعضها بعضا لكنها في الواقع متشابهة كثيرا ، خاصة عندما ننظر اليها من زاوية المصلحة الوطنية .

بما ان المصلحة الوطنية هي « المقياس الرئيسي »(١١) و« القوة الدافعة »(١٢) للسياسة الخارجية ، فان مصادر المصلحة الوطنية ، في مكان وزمان معينين ، تصبح ذات اهمية عظمى . تعرف المصلحة الوطنية عادة من خلال عنصرين : العقيدة القومية (« القيم التي تشارك بها الجماهير في السياسة الخارجية والتي تطلب الاكثرية من الحكومة تحقيقها »)(١٣) والتفسير الشخصي الذي تعطيه مجموعة صغيرة من صانعي السياسة ومتخذي القرارات المنغمسين مباشرة في تلك السياسة .

من المتفق عليه ان اي تفسير يعطى للمصلحة القومية في وقت معين يجب ان يعكس على الاقل ثلاث رغبات : المحافظة على النفس ، الامن ، والخير الذاتي. (١٤) ان اي ارتباط تعطيه الولايات المتحدة علنا او سرا لاية دولة يجب أن يخدم مصلحة اساسية وهي أمن ارض ومؤسسات الولايات المتحدة. . . (١٥) وهو مقياس لم يظهر في ارتباط اميركا باسرائيل.

العامل الهام الاخر الذي يحدد السياسة الخارجية في دولة ديمقراطية هو الدور الذي يلعبه الرأي العام واستغلال هذا الرأي من قبل فئة ضاغطة منظمة تنظيما حسنا. وهذه الفئة في الولايات المتحدة هي اللجنة التنفيذية الصهيونية التابعة للوكالة اليهودية . بكلمات ف. او. ي جونيور ، الرأي العام « قد يؤخذ على انه آراء الاشخاص القلائل التي تجد الحكومة ان من الحكمة اتباعها ». (١٦) يمكن ان يصبح الرأي العام كطاقة في النظام السياسي ، قوة هائلة في تقرير منتوج هذه السياسة . وتحدد درجة فاعلية الرأي العام في هذه الحالة بنوع الجمهور الذي يبدي الرأي ، وبكيفية ترجمة الرأي الى طاقة سياسية وعلى اي مستوى داخل النظام السياسي يجري ادخال ذلك الرأي . وقد ميز الاستاذ غبريال الموند بين ثلاثة « جماهير » في الولايات المتحدة : الجمهور العام ، النخبة المختارة التي يصغى اليها ، والنخبة التي تقرر السياسة العامة. (١٧) في رأي الاستاذ الموند ان قطاع النخبة وليس الجمهور العام هو الذي يقرر الرأي العام . قطاع النخبة « مطلع ومهتم بمشاكل السياسة الخارجية ». (١٨) وهكذا فانه الجمهور الوحيد الذي يعني شيئا بالنسبة لعملية رسم السياسة للولايات المتحدة . ان هذا القطاع « يلعب اهم دور في تحديد تفكير الجماهير لانه يفهمها كيف تفكر » . (١٩)

لقد استغلت الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة الرأي العام بنجاح ، وخاصة « الجماهير » و« الاراء » النخبة التي يمكنها أن تؤثر تأثيرا كبيرا على الاقوياء وذوي النفوذ في النظام السياسي الاميركي. لقد قطفت الدعاية الصهيونية ثمار النجاح في أوساط فروع الحكومة الثلاثة تصاغ القوانين وتنفذ . لقد اقام الزعماء الصهيونيون اتصالات فعالة في واشنطون مع مجلس الشيوخ والبيت الابيض ومؤسسات تنفيذية أخرى . وقد دعم هؤلاء الزعماء موقف المحكمة العليا للولايات المتحدة الذي اتخذته عام ١٩٦٧ والقاضي باعطاء حق الجنسية المزدوجة (راسك مقابل افرويم) .

رابعا : **طبيعة واساليب الدعاية الصهيونية :** .

وجهت الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة نحو هدف واحد محدد وهو تأييد اسرائيل. وفي هذا السبيل شن الصهيونيون الاميركيون حملة جريئة ، لا تراجع فيها ، وذات قوة دعائية هائلة . كان لهذه الحملة الدعائية عدة أهداف : كبار المسؤولين في القسم التنفيذي ، مشرعو القوانين في مجلس الشيوخ ، الكنائس ، وسائل الاعلام ، وجمعيات حقوق الانسان .

بما ان اهداف الحملة متنوعة ، فان النقاط التي ركزت عليها الحملة متنوعة أيضا . مثلا، اثارة مبدأ الديمقراطية من قبل الانصار الصهيونيين الذين يطلبون مساندة اسرائيل لانها قلعة الحرية وسط دول عربية شبه اقطاعية وملكية وغير ديمقراطية . كذلك فانهم

بلجأون الى اثارة الروح الاميركية البروتستانتية التي تمجد العمل الجاد ، وذلك بادعائهم ان المستعمرين الصهاينة قد طوروا الارض في فلسطين وهكذا اثبتوا استحقاقهم لملكيتها. وحين يخاطب الصهاينة الفئات المتدينة في اميركا فانهم يشددون على العلاقة الخاصة التي أوجدوها بين اليهود وفلسطين وعلى دور اسرائيل في تطوير « العهد الجديد » من الانجيل . اما في نطاق حقوق الانسان فان الصهاينة يثيرون باستمرار الى قتل ستة ملايين يهودي في المانيا النازية وذلك لاضفاء صفة الشرعية على وجودهم في فلسطين . بناء على هذه النقطة أصبحت تهم اللاسامية والخيانة والغدر سلاحا في يد الصهيونية تستعمله ضد المسؤولين الاميركيين من يهود وغير يهود اذا هم نظروا الى المصالح الاميركية من وجهة نظر تخالف وجهة النظر الصهيونية . من الامثلة على ذلك الحملة الشعواء ضد وزير الدفاع السابق جيمس فورستال واتهامه باللاسامية .(٢٠) يقول الاستاذ صموئيل هالبرن ان الدعاية الصهيونية قد ركزت على تسع نقاط :(٢١)

« ١. الصهيونية هي وسام الشرف اليهودي ... ما يحدث في فلسطين يقوي العزة اليهودية ويزيد احترام الذات عند اليهود .

« ٢. اليهود في كل مكان يؤلفون شعبا واحدا ... اليهودي الذي يهتم بشعبه هو صهيوني لان فلسطين تعتمد عليه .

« ٣. القضية الصهيونية مأساوية لانها تقاتل اعداء الشعب اليهودي وفي الوقت نفسه تعيد بناء الدولة والامة اليهودية .

« ٤. الصهيونية طريقة بناء لحل المشكلة اليهودية ... البلد الوحيد الذي يقبل اللاجئين اليهود هو فلسطين .

« ٥. الصهيونية تحافظ على اليهودية وتمكن اليهود من العيش كشعب مميز وله كيانه الخاص .

« ٦. الصهيونية سوف تقضي على اللاسامية وذلك بقضائها على حالة عدم وجود وطن قومي يهودي ، وهي حالة غير طبيعية .

« ٧. الدولة اليهودية محتملة ــ النبوءة الانجيلية والحاجة العالمية وانجازات يهود فلسطين الرائعة ، كل هذه تتطلب اقامة الدولة اليهودية .

« ٨. المساعدة لفلسطين منسجمة مع الولاء للولايات المتحدة .

« ٩. الحل الصهيوني يقترح عدالة تاريخية ... الدولة اليهودية تعويض عادل عن المذابح التي لا تحصى ، وخاصة الستة ملايين يهودي شهداء النازية والفاشية » .

كما ان عطف الاميركيين التقليدي على الضعفاء والمضطهدين قد استغل مرارا من قبل الصهيونيين لمصلحة اسرائيل ... لكن استغلال هذه النقطة قد خف منذ ١٩٦٧ .

كان الضغط الصهيوني أشد ما يكون على القسم التنفيذي اثناء عهد ترومان . الحقيقة الواضحة هي ان البيت الابيض قد تعرض لضغط صهيوني كبير قبل انشاء دولة اسرائيل. اما الحقيقة الثانية فهي ان الصهيونيين حاولوا دائما توريط الولايات المتحدة في فلسطين. ويمكن تحمل القول بأن الرئيس ترومان ومن خلفه من الرؤساء حاولوا التوفيق بين السياسة الاميركية في الشرق الاوسط والسياسة الاميركية العالمية . لكن الامر المرعب، هو ان الدعم الذي نالته اسرائيل من مؤتمرات الاحزاب الاميركية منذ عام ١٩٤٨، والدعم الذي نالته من مجلس الشيوخ الاميركي ومن البيت الابيض ومن مستويات حكومية أصغر ، يدل على ان **واقع** الارتباط الاميركي باسرائيل كان منسجما مع **واقع** وجود اسرائيل خلال العقدين الماضيين . هذا الارتباط لم يسبق له مثيل في تاريخ أميركا الدبلوماسي ، وهو يخلق مخاطر كبيرة لمستقبل سياسة اميركا العالمية .

يمكن تتبع قتالية militancy الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة منذ عام ١٩٤٣ عندما استلم ابا هليل سلفر ، وهو حاخام من أوهايو وصديق حميم للشيخ روبرت تافت،

رئاسة مجلس الطوارىء الاميركي الصهيوني ، اي جهاز الدعاية في الحركة الصهيونية الاميركية . كان اسلوب سلفر في كسب الدعم للمخططات الصهيونية في فلسطين اسلوبا مباشرا ونشطا وغير متوتر ، بعكس اسلوب الزعماء الصهيونيين الاخرين مثل حاييم وايزمن . فقد اعلن سلفر في رسالة الى وايزمان كتبها في آذار ١٩٤٤ انه يرفض الدبلوماسية الصامتة لانها غير فعالة . وقد شرح الحاخام سلفر قاعدته في النجاح للزعماء الصهيونيين في رسالة عام ١٩٤٤ . كتب يقول « لا تتركوا مستقبل حركتنا في ايدي افراد مهما كانوا محبين ومهما كانوا عظماء ، اتجهوا الى الجماهير ، تحدثوا الى اميركا كلها ، قوموا بدعاية تثقيفية نشيطة في محيط تأثيركم وبين اصدقائكم ومعارفكم . وسوف ينعكس اثرها على الدوائر العليا . »(٢٢) وقد نفذت الدعاية الصهيونية منذ ١٩٤٠ افكار سلفر كلها .

من ناحية تنظيمية ، نظمت الدعاية الصهيونية من خلال الوكالة اليهودية في القدس وذراعها الاميركي ، القسم الاميركي للوكالة اليهودية ، والذي تم تسجيله في وزارة العدلية كممثل للوكالة اليهودية في القدس . سجل الميثاق بين الحكومة الاسرائيلية واللجنة التنفيذية الصهيونية في دائرة العدل الاميركية في تموز ١٩٦٩ ، وبذلك اصبحت اللجنة التنفيذية الصهيونية ممثلا اجنبيا يعمل بتكليف من دولة اسرائيل ولها. المؤسسات الاخرى داخل التنظيم الصهيوني في الولايات المتحدة والتي تلقت عونا ماديا خلال العقدين الاخيرين بطريقة مباشرة او غير مباشرة من الوكالة اليهودية — القسم الاميركي و/أو قنصلية اسرائيل في نيويورك هي لجنة الشؤون الاميركية — الاسرائيلية العامة ، مجلس المعابد اليهودية في اميركا ، ومؤسسة الثقافة العبرية.(٢٣)

استطاع الصهيونيون في اميركا أن يصلوا الى الراي العام الاميركي ويكسبوه الى جانبهم من خلال العمل الدبلوماسي ، ووسائل الاعلام ، واعطاء المنح لمؤسسات التعليم العالي وللجمعيات الدينية . قاد الجهود الدبلوماسية لصالح المجلس الصهيوني الاميركي خلال العقدين الماضيين السيد ا. ل. كنن وهو المدير التنفيذي للجنة الشؤون الاميركية — الاسرائيلية العامة . وقد دفع المجلس الصهيوني الاميركي رسم اشتراك جماعي في مجلة السيد كنن التي تدعى **تقرير الشرق الادنى** ، بحيث يوزعها على اعضاء مجلس الشيوخ الاميركي دون مقابل.(٢٤) المجلة الاخرى التي تنشرها الوكالة اليهودية وتستعمل لبث الدعاية الصهيونية تدعى « **الملخص الاسرائيلي** ».(٢٥)

في حقل التعليم العالي ، كانت الاموال الصهيونية التي تؤخذ من القسم الاميركي للوكالة اليهودية تعطى لجامعات هارفرد وكولومبيا وغيرها بواسطة مؤسسة الثقافة العبرية . وقد اعطت هذه المؤسسة منحا للجامعات والكليات الاميركية «لانشاء كراريس في اللغة العبرية او الدراسات الاسرائيلية او الدراسات اليهودية او الدراسات الشرق — اوسطية ».(٢٦)

اما في مجال الجمعيات الدينية ، فان مجلس المعابد اليهودية الاميركية قد تلقى معونات من القسم الاميركي للوكالة اليهودية وذلك لتحضير وتوزيع « مواد تعليمية وثقافية تتعلق ببناء اسرائيل ، وخاصة ما يتعلق بالعلاقة التاريخية والروحية بين الجاليات اليهودية خارج اسرائيل والارض المقدسة ».(٢٧) لم يقصر مجلس المعابد اليهودية الاميركية نشاطه في النطاق الديني ، بل شن حملة دائمة في واشنطن في سبيل « استمرار الدعم المتبادل لامن اسرائيل ».(٢٨)

بالرجوع الى هذه النقطة ارسل الحاخام مارك تانينباوم ، المدير التنفيذي السابق لمجلس المعابد اليهودية الاميركية، رسالة سرية بتاريخ ٢١ حزيران الى السيد غاتليب هامر ، نائب الرئيس التنفيذي للوكالة اليهودية لاسرائيل في نيويورك، يعلمه فيها بالخدمات التي اداها مجلس المعابد اليهودية الاميركية « نتيجة للمنح السخية »(٢٩) التي تلقاها من خلال

مكاتب الوكالة اليهودية لاسرائيل . ان التقرير المفصل الذي تضمنته الرسالة يدل بوضوح على ان نشاطات مجلس المعابد اليهودية الاميركية تتعدى اعماله الدينية والتعليمية والثقافية . وفيما يلي مقطع من ذلك التقرير :(٣٠)

« نيسان ١٩٥٩ — ادلى ممثلون عن مجلس المعابد اليهودية الاميركية بشهادات أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب وأمام لجان الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ حول الدوافع الاخلاقية وراء برنامج المساعدة الخارجية الاميركية . وقد تكلم حول الموضوع نفسه كل من الحاخام ثيودور آدامز ، رئيس مجلس المعابد في ذلك الوقت ، والقس فلتون شين والقس الدكتور ادوين داهلبرغ ، رئيس المجلس الوطني للكنائس، في مؤتمر البيت الابيض حول المساعدة والتجارة الخارجيتين ، واشترك في البرنامج الرئيس ايزنهاور والرئيس ترومان ووزير الخارجية جون فوستر دالس ، ونائب الرئيس نيكسون ، ودين اتشيسون ، وادلاي ستيفنسون . كانت المساعدات المشتركة لامن اسرائيل مهددة بالتخفيض في ذلك الوقت . **وقد دعا رؤساء مجلس المعابد الدينية بالحاح اثناء القاء شهاداتهم ، الى استمرار العون المشترك لامن اسرائيل** . واعتبر المراقبون دعوة هؤلاء الرؤساء كعامل اساسي في استمرار الدعم لامن اسرائيل على ما هو عليه . »

أظهرت النشاطات الصهيونية تنظيما هائلا في نطاق السياسات الحزبية . كتب الحاخام سلفر عام ١٩٤٤ الى حاييم وايزمان : « أصدقاؤنا الطيبون هنا لن يتحركوا من تلقاء انفسهم أو بوحي من عدالة قضيتنا ... يمكن دفع اصدقائنا للتحرك وللقيام بأعمال محددة بواسطة ضغط خمسة ملايين يهودي في سنة انتخابية حرجة.»(٣١)

أصدرت التعليمات الى اللجان الصهيونية المحلية عام ١٩٤٣ في مذكرة خاصة « للعمل على طرفي الشارع السياسي » . وقد أخبروا انه من الحكمة « كسب الزعيم السياسي المحلي لانه غالبا ما يكون صديقا لشيخ او نائب والذي يمكن حثه على القاء وزنه وقوته السياسيتين خلف قضيتنا.. اذا كان نائبكم الحالي جمهوريا فسوف ينافسه في الانتخابات القادمة ديمقراطي. يجب تأييد المرشح الاخير والاوفر حظا ».(٣٢) مثلا، استغل الحاخام سلفر علاقته الوثيقة بالحزب الجمهوري ، من خلال الشيخين تافت وواغنر ، لمصلحة القضية الصهيونية . وقد فعل ادي جاكوبسون الشيء نفسه حين استغل صداقته للرئيس ترومان لاقناعه بمقابلة حاييم وايزمان عام ١٩٤٨.(٣٣)

لقد لاقى برنامج تأييد المرشحين السياسيين الكبار ثم طلب تأييدهم فيما بعد للقضية الصهيونية نجاحا هائلا . منذ ١٩٤٨ ، اصبحت العادة ان يقوم المرشحان الرئيسيان للرئاسة في اميركا بالتحدث في مؤتمر صهيوني وطني . من الناحية التشريعية ، اظهر مجلس النواب تأييدا صريحا للصهيونية واسرائيل اكثر مما اظهرته اللجنة التنفيذية.(٣٤) ابتداء من عام ١٩٤٨ اعترف الرئيس ترومان بدولة اسرائيل **كامر واقع** « بعد مضي احد عشر دقيقة على اعلان قيام دولة اسرائيل ».(٣٥) لكن اثناء حملة الرئاسة الانتخابية عام ١٩٤٨ اتهم الحزب الجمهوري الرئيس ترومان والحزب الديمقراطي بالتردد في اتخاذ موقف حاسم من قضية فلسطين . دعا الجمهوريون ، رغم معارضتهم الخفية لاستعمال القوة لتطبيق تقسيم فلسطين ، الى الاعتراف الكامل باسرائيل وبحدودها التي حددتها الامم المتحدة ، والى مد يد العون لها لتنمية اقتصادها . لم يذكر اي حزب من الحزبين الاميركيين عرب فلسطين .

في انتخابات ١٩٥٢ ، لم يتضمن برنامج الحزب الجمهوري اي بند حول الشرق الاوسط. لكن برنامج الحزب الديمقراطي تضمن بندا حول الشرق الأوسط هو : « اننا نتعهد بالعون المستمر لاسرائيل لكي تحقق مهمتها الانسانية في تأمين المأوى والامان للاجئين اليهود الذين لا وطن لهم بينما هي منهمكة في تقوية تنميتها الاقتصادية». وقد تبنى الحزب

الديمقراطي بندا مماثلا في انتخابات ١٩٥٦ . كما دعا الديمقراطيون عام ١٩٥٦ الى بيع السلاح لاسرائيل .

اما برنامج الحزب الجمهوري عام ١٩٥٦ فقد تضمن تاييدا مطلقا لاسرائيل : « نحن نعتبر بقاء اسرائيل احد المعتقدات الهامة للسياسة الخارجية الاميركية . نحن مصممون على المحافظة على وحدة دولة اسرائيل المستقلة . اننا سوف ندعم استقلال اسرائيل في وجه اي اعتداء مسلح عليها » . كما ان المواقف التي اتخذها كلا الحزبين في انتخابات ١٩٦٠، ١٩٦٤ ، و١٩٦٨ تدعو الى دعم اسرائيل كما دعت في الخمسينات ... وتركز على ارتباط اميركي واضح ببقاء اسرائيل .

مع انه يمكن فهم موقف الحزبين المؤيد لاسرائيل ضمن نظام السياسة الاميركية ، فمن الواضح ان الارتباط الاميركي باسرائيل على اساس عقائدي او عاطفي او سياسي ، والذي نتج عن الصراع الحزبي اثناء الانتخابات الاميركية الوطنية قد فرض عبئا على الولايات المتحدة وسياستها الخارجية ... وهو عبء يصعب تحمله اذا ترجم الى حقيقة كما حدث في فيتنام . لقد تعثرت سياسة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط نظرا للسياسة الاميركية الداخلية ولقصر النظر العقائدي . عندما ساوى وزير الخارجية السابق سياسته ببحث اسطوري عن الخير لم يستطع أن يستوعب وجود مناطق كئيبة في العالم . لم يقدر ان يحتمل عودة بروز القومية العربية بقيادة الرئيس عبدالناصر لانها كانت تشذ عن الصورة « المانوية » (الصراع بين الظلام والنور) التي رسمها للعالم .

ان المحرمات العقائدية التي حدت من مقدرة جون فوستر دالس على النظر الى السياسة الخارجية من وجهة نظر دولية شاملة ساعدت على ظهور عامل توافق جديد في العلاقات الاميركية ــ الاسرائيلية . وما يزال هذا الوضع قائما حتى الوقت الحاضر . ان ما نراه في الستينات والسبعينات هو مجرد اضافة للرؤية العقائدية التي كانت سائدة في الخمسينات ... رؤية اسطورية مشابهة لكنها جديدة تقول انه يجب حفظ ميزان القوى بين العرب واسرائيل .(٣٦) الوهم الذي تتعلق به حكومة نيكسون هو ان الولايات المتحدة يجب أن تكون الطرف الوحيد الذي يراقب توازن ميزان القوى . هذه الرؤية الملتوية لحقائق القوة الفعلية والرفض المحسوب من قبل أميركا لقبول عامل **فلسطيني** جديد قد وضع السياسة الاميركية في ازمة أسوأ من التي خلقها تصور دالس « المانوي » في الخمسينات . ان بروز العنصر الفلسطيني قد اظهر الافلاس التام لسياسة اميركا التقليدية للحرب الباردة في المشرق العربي .

الجزء التالي من هذا المقال سوف يركز على هذا الفشل وعلى ما يجب عمله الان .

خامسا : **عودة ظهور فلسطين والاسلوب القادم الذي ستتبعه السياسة الاميركية في الشرق الاوسط :**

قال الشيخ مارك هاتفيلد بتاريخ ١٦ حزيران ١٩٧٠ في معرض تعليقه على مستقبل السياسة الاميركية في الشرق الاوسط : « علينا ان نجابه القوة الثالثة الصاعدة في الشرق الاوسط ، الحركة الفلسطينية . يجب فهم القضية الفلسطينية ومعناها بنظر العالم العربي كله . يجب ان تبدي آراؤنا حساسية تجاه الظلم الذي يشعر به الفلسطينيون ، ويجب ان نبني سياساتنا على اساس معالجة هذا الظلم » .(٣٧) يبدو ان على اي سياسة اميركية في الشرق الاوسط أن تأخذ الحقائق بعين الاعتبار لكي تصيب أي قدر من النجاح . ما هي بعض هذه الحقائق ؟

اولا ، لم تتحقق ابدا النتائج التي أراد جون فوستر دالس تحقيقها من وراء سياسة الحرب الباردة في الشرق الاوسط . على العكس ، كانت سياسة دالس السبب غير المباشر في تغلغل السوفيات في المنطقة ، وبالتالي فان التأثير الاميركي والمكانة الاميركية في المشرق العربي هما ادنى مما كانا في اي وقت مضى .(٣٨)

ثانيا ، الصراع في الشرق الاوسط لم يعد اساسا بين اسرائيل والدول العربية بل بين الكيان الصهيوني في فلسطين والشعب الفلسطيني . ان ما يسمى بالصراع العربي — الاسرائيلي الان وفي احسن حالاته ليس سوى اسم تحاول اسرائيل وحلفاؤها الابقاء عليه ، اما في أسوأ حالاته فهو تشويه للحقائق ووضعها في غير اطارها الصحيح . ان جعل الصراع فلسطينيا Palestinization وخاصة منذ عام ١٩٦٧ ، ظاهرة حقيقية في الشرق الاوسط يجب ان يحسب حسابها . ان فكرة هذه الظاهرة بسيطة : لقد خرج الفلسطينيون من بؤس المخيمات وهم مدركون انهم شعب واحد ويرغبون في ازالة الظلم الذي الحقته بهم القوى المحلية والقوى العالمية خلال الجيل الماضي . القضية هي فلسطين ، والفلسطينيون ليسوا الاردن او لبنان او سوريا او مصر او اسرائيل . « الفلسطينيون سوف يقررون مصيرهم » هذا ما قاله البروفسور جون بادو مؤخرا .

ثالثا ، من خلال تبنيهم الكفاح المسلح والتأكيد على هويتهم القومية بالعنف ، اظهر الفلسطينيون — من خلال حركة المقاومة الفلسطينية — افلاس سياسة القانون الدولي التقليدية واظهروا ايضا ان العنف قادر على احداث تغيير سياسي. انهم مقتنعون بفعالية العنف . فقد اعترفت الاطراف المعنية (الحكومات العربية واسرائيل وغيرها) بوجودهم ككيان فلسطيني . للاسف ، تابعت الولايات المتحدة تعلقها بأسطورة محادثات السلام وتجاهلت الحقائق الجديدة . في الواقع ان الولايات المتحدة قالت للفلسطينيين : « سوف نكون مستعدين للتحدث اليكم عندما تصبحون أقوياء كفاية للاخلال بالوضع الراهن »(٣٩) . لم تستفد الولايات المتحدة ، من الدرس الذي تعلمته في فيتنام ، واعترافها بالفيتكونغ **اعترافا واقعيا** ، في تجربتها مع الفلسطينيين .

رابعا ، ان حرب التحرير الشعبية التي يعتقد الفلسطينيون انه لا مفر منها لنجاح ثورتهم، سوف تكون ضربة قاضية للمصالح الاميركية البعيدة المدى في المنطقة . والولايات المتحدة تقبل تدريجيا بصحة هذه النقطة ، وخاصة ازاء التيار الانعزالي الذي يسري بين جمهور النخبة الاميركي . هذا التيار يقطع الطريق على اي تورط اميركي طويل الامد في البلدان الاجنبية . سيذكر الاميركيون درس فيتنام لسنين عديدة ، ومجرد احتمال تورط مماثل سوف يلقى معارضة شديدة ، حتى او كان الامر يتعلق بالعلاقات الاميركية — الاسرائيلية .(٤٠)

في ضوء ما تقدم يجب اثارة سؤال واحد : ما هي السياسة التي يتوجب على الولايات المتحدة اتباعها **ازاء** فلسطين ؟ يقترح البروفسور جون كامبل ان على الولايات المتحدة ان تقيس سياستها القادمة في الشرق الاوسط بعاملين على الاقل : « أن تبقي نصب عينيها الاسس التي سترسو عليها اية تسوية سلمية لازمة الشرق الاوسط ، وان تخفض المستوى العسكري بدلا من تصعيده .»(٤١) وفي سبيل ذلك يجب على صانعي السياسة الاميركية ان يفرقوا بين قضايا السلامة والامن والقضايا التي تتعلق سطحيا فقط بالسلامة والامن . ويجب ان يفعلوا ذلك باعطاء الاولوية لامن اميركا كما يراه صانعو السياسة الاميركية وليس غيرهم .(٤٢) يجب ان تكون سياسة الولايات المتحدة الخارجية سياسة اميركية .

كتبت **التايم** في معرض تعليقها حول ما اذا كانت هناك سياسة يهودية خارجية في الولايات المتحدة : « أن قوة دعم الجالية الاميركية اليهودية لاسرائيل يخلق انطباعا بأن واشنطن تتصرف على اساس خوفها من غضب اليهود وليس على اساس مصلحتها الوطنية.»(٤٣) كما ان مجلة **ذي ناشينال اوبزرفر** قد اثارت سؤالا اكثر خطورة حول نشاطات وكالات الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة والتفاعل بين هذه النشاطات وسياسة اميركا الخارجية . قالت المجلة المذكورة : « النشاط الصهيوني يخلق اهتماما خاصا في اوساط الجالية اليهودية الاميركية واوساط الحكومة الاميركية بالنسبة لليهود الاميركيين ، يخلق

اصرار الصهيونية على الولاء الاول لاسرائيل مصاعب شخصية تنتج عن الولاء المزدوج. اما بالنسبة لواشنطن الرسمية ، فان هنالك قلقا اصيلا حول مقدرة الصهيونيين التي لا شك فيها في التأثير على السياسة الاميركية لصالح اسرائيل ». (٤٤) يبدو ان الحل الوحيد لهذه المشكلة هو «ان يقوم احد رؤساء الولايات المتحدة في أحد الاوقات بمراجعة سياسة أميركا في الشرق الاوسط مراجعة جذرية ، وان يأخذ باعتباره بشكل محدد ما اذا كان ثمن دعم اميركا لاسرائيل يساوي الخسائر الاميركية الاقتصادية والسياسية في العالم العربي ». (٤٥)

فيما يتعلق بفلسطين ، على الولايات المتحدة ان تخلق تأييدا جديدا لسياستها المقبلة ، اذا كانت حقا تريد اقامة سلم عادل وذلك باتخاذ الخطوات التالية :

أ) بحث جدي لامكانية قيام تركيب سياسي جديد في فلسطين حيث يمكن ان يتعايش الفلسطينيون ، يهودا وعربا .

ب) مجهود حقيقي لاقامة حوار مع حركة المقاومة الفلسطينية .

ج) الاعتراف بأن التجربة الصهيونية في فلسطين كحل « للمشكلة اليهودية » التي خلقتها اللاسامية في أوروبا قد فشلت ، لانها بدلا من ان تحل المشكلة اليهودية خلقت مشكلة فلسطينية .

د) دعم قرارات الامم المتحدة العديدة التي أقرت حقوق الفلسطينيين في العودة الى ديارهم وفي تقرير مصيرهم .

هـ) الاعتراف بأنه اذا لم تحل المشكلة الفلسطينية لا يمكن اقامة سلم دائم في الشرق الاوسط .

و) رفض ادعاء بعض صانعي السياسة في الولايات المتحدة بأنه يمكن للولايات المتحدة تحمل حالة دنيا من التوتر في المنطقة ، لانه لا يمكن السيطرة على اية حالة توتر وابقائها عند حد معين بصورة دائمة .

يجب على الولايات المتحدة ان تبذل كل جهد لتحقيق السلام في المنطقة لان حالة التوتر الحالية ، كما يعلمنا التاريخ، ليست سوى عين اعصار نائم له صوت واحد هو الغضب.

المراجع :

1. William P. Rogers, *A. Lasting Peace in the Middle East: An American View* (Washington, D.C.: Department of State, 1969), p. 10.

2. Richard Nixon, *U.S. Foreign Policy for the 1970's: A New Strategy for Peace* (Washington, D.C., 1970), pp. 80-81. A report to the Congress by Richard Nixon, President of the United States, February 1970.

3. Department of State, *A Conversation with the President* (Washington, D.C.: Government Printing Office, July 1970), p. 33. Publication 8545.

4. «It is not in our national interest to be a partisan for Arabs or Israelis, any more for Greeks or Turks over Cyprus. U.S. Policy is thus at one with the United Nations and the interests of the free world.» See Department of State, *Issues, No. 1 — The Middle East* (Washington, D.C., 1968), p. 19.

5. *The New York Times*, October 8, 1970.

6. *Congressional Record*, 86th Congress, 2d Session (April 28, 1960). A Special excerpt of this *Record* was obtained from Senator Fulbright's office.

7. George Lenczowski in Paul Seabury and Aaron Wildavsky, *U.S. Foreign Policy:*

Perspectives and Proposals for the 1970's (New York: McGraw-Hill, 1969), p. 194.

8. The Middle East Institute, *The Middle East: A Selected Bibliography of Recent Works* (Washington, D.C., 1970). See also the bibliography in Fred Khouri, *The Arab-Israeli Dilemma* ((Syracuse, N. Y. : Syracuse University Press, 1968), pp. 413-414.

9. Harry S. Truman, *Memoirs,* Vol. II (Garden City, N.Y.: Doubleday, 1956), p. 157.

10. *Ibid.,* p. 158.

11. Charles O. Lerche, Jr., *Foreign Policy of the American People* (Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice-Hall, 1967), p. 5.

12. *Ibid., loc. cit.*

13. *Ibid.,* p. 6.

14. *Ibid.,* p. 11.

15. Hans J. Morgenthau, *A New Foreign Policy for the United States* (New York: Praeger, 1968), p. 241.

16. V.O. Key, Jr., *Public Opinion and American Democracy* (New Yory: Knopf, 1961), p. 14.

17. Gabriel Almond, *The American People and Foreign Policy* (New York: Harcourt, Brace and World, Inc., 1950), p. 138.

18. *Ibid., loc. cit.*

19. Charles O. Lerche, Jr., *op. cit.,* p. 32.

20. Walter Millis (ed.), *The Forrestal Diaries* (New York: Viking, 1951).

21. Samuel Halperin, *The Political World of American Zionism* (Detroit, Michigan: Wayne State University Press, 1961), pp. 255-256.

22. *Ibid.,* p. 271.

23. Committee on Foreign Relations, Hearings: *Activities of Non-diplomatic Representatives of Foreign Principals in the United States,* Part 12, 88th Congress, 2d Session (Washington, D.C.: Government Printing Office, 1963).

24. *Ibid.,* pp. 1779-1780.

25. *Ibid.,* p. 1754.

26. *Ibid.,* p. 1758 and 1764.

27. *Ibid.,* p. 1765.

28. *Ibid.,* p. 1767.

29. *Ibid., loc. cit.*

30. *Ibid., loc. cit.*

31. Halperin, *op. cit.,* p. 271.

32. *Ibid.,* p. 273.

33. *Memoirs, op. cit.,* p. 160.

34. For a comprehensive report on pro-Zionist Congressional resolutions prior to 1948 see Joseph B. Schechtman, *The United States and the Jewish State Movement* (South Brunswick, New Jersey : Thomas Yoseloff, 1966), pp. 64-92. For complete information on recent pro-Zionist and pro-Israeli resolutions in Congress see Congressional Quarterly, *Congress and the Nation: 1945-1964* (Washington, D.C., 1965) *and Congress and the Nation: 1965-1968* (Washington, D. C., 1969). See also *Legis-*

lation on Foreign Relations With Explanatory Notes, 89th Congress, 2d Session, a Joint Committee Print (Washington, D.C.: Government Printing Office, 1968)

35. *Memoirs, op. cit.,* p. 164.

36. See footnote 3 *supra.*

37. *The New York Times* (June 17, 1970).

38. «U.S. Policy in the Middle East,» *The Near East Conflict: Hearings Before the Subcommittee on the Near East,* 91st Congress, 2d Session ,Washington, D.C.: July 1970), pp. 381-372. Hereafter referred to as *Hearings.*

39. See «Statement of John S. Badeau, Director, Near and Middle East Institute, Columbia University, New York» in *Hearings, Ibid.,* pp. 59-64.

40. «Problems of American Policy-Makers in the Middle East,» *Hearings, Ibid, pp.* 330-361.

41. «The Arab-Israeli Conflict: An American Policy,» *Foreign Affairs,* Vol. 49, no. 1 (October 1970), p. 64.

42. *Ibid., loc. cit.*

43. «Is There a Jewish Foreign Policy?» *Time* (March 16, 1970), p. 15.

44. Lawrence Mosher, «Zionist Role in U S. Raises New Concern,» *The National Observer* (May 18, 1970).

45. Drew Middleton, «The Arab World: U.S. Viewed As Friend of the Enemy, Israel,» *The New York Times* (July 17, 1968).

صدر عن مركز الابحاث

- مقالات في الرأي العام الاميركي وقضية فلسطين ، تحرير ليلى القاضي (٢ ل.ل.)
- عرض للعلاقات الاميركية الاسرائيلية ، بقلم ليلى القاضي (٢ ل.ل.)
- الولايات المتحدة والتسلح العربي-الاسرائيلي ، بقلم احمد الكاشف (٢ ل.ل.)
- المساعدات الاميركية والالمانية الغربية لاسرائيل ، بقلم اسعد عبد الرحمن (١ ل.ل.)

(جميعها باللغة الانجليزية)

اطلبها من المكتبات ومن مركز الابحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية

شارع كولمباني المتفرع من شارع السادات ــ رأس بيروت

بناية الدكتور راجي نصر ــ ص. ب ١٦٩١ ــ بيروت

الفكر العنصرى الاستعمارى وراء "اسرائيليون يردون"

الدكتور نبيل علي شعث

الاعلام الاسرائيلي الموجه الى العرب وهو ما يعرف بالحرب النفسية سلاح قديم استخدمته الصهيونية وكانت وسيلته الاساسية منذ ١٩٤٨ هي اذاعة اسرائيل . وقد جرب العدو استخدام الاعلام المكتوب دون نجاح يذكر في السابق ولكنه بعد حرب ١٩٦٧ قرر اجراء محاولات جديدة فانشأ اجهزة وواجهات جديدة تكتب منشورات أنيقة وبدفع اعلانات امريكا التجارية موجهة اساسا نحو المثقفين او انصاف المثقفين داخل البلاد العربية وخارجها . والواجهتان الاساسيتان لاجهزة مخابرات العدو واعلامه الموجهة نحو العرب هما ما يسمى بجمعية احلال السلام في الارض المقدسة التي اصدرت عدة كتيبات أنيقة مثل « جاران عليهما اتخاذ قرار » و« أربعة حلول للمشكلة الفلسطينية » وجمعية «طلاب اسرائيليين لشؤون الشرق الاوسط» التي تتولى اصدار نشرة مستمرة وان كانت غير دورية اسمها « اسرائيليون يردون » ترسل للبلاد العربية عن طريق ايطاليا وبلاد أوروبية أخرى باللغتين العربية والانجليزية .

وسوف نحاول فيما يلي ان نحلل باختصار الفكر الاعلامي وراء عشرين نشرة من نشرات « اسرائيليون يردون » صدرت في الفترة بين سبتمبر ١٩٦٩ ويونيو ١٩٧٠ ، ووصلت الى بيروت باللغتين العربية والانجليزية، وسنحاول قدر الامكان في هذا التحليل استخدام الجمل الاصلية بحذافيرها مع الاشارة الى العدد الذي اخذت منه .

والتركيز في النشرة كما يوحي به اسمها هو الرد على العرب فيما يقولونه وينشرونه والتصدي لبياناتهم واعلامهم . ولا تهدف هذه المقالة الى الرد على الرد الاسرائيلي ولا الى الاستجابة للدعوة المتكررة من هذه النشرة ، الى فتح حوار بين الفلسطينيين والاسرائيليين . ولكن الى تفهم التفكير العنصري الاسرائيلي ومخططاته والى تحليل أبعاد الحملة الاعلامية الاسرائيلية ، فليس هناك داخل التنظيمات الصهيونية والاجهزة الاسرائيلية فكر مستقل تجاه العرب ونشرة «اسرائيليون يردون» تصدر عن هذه الاجهزة التي ينسق بينها الان الوزير اسرائيل جاليلي .

الفكر الصهيوني وراء هذه النشرة هو ذاته الذي يسير «نيو أوتلوك» و« نيو ميدل ايست» وغيرها من المجلات الدورية والنشرات غير الدورية التي تدعي الاعتدال نحو العرب والتفهم لقضية الفلسطينيين وحقوقهم كما تدعي اليسارية والاشتراكية، وهو نفسه وراء تكوين لجان فلسطين — اسرائيل في اوروبا ، التي قام بتنظيمها « موني القايم » في فرنسا بمساعدة الصحفية الفرنسية الصهيونية كلارا هالتر ..

وهذا « الفكر الجديد » انما يمثل الاتجاه الصهيوني لحل مشاكل ما بعد الـ ١٩٦٧ ، فلقد نتج عن حرب الايام الستة احتلال اسرائيل لرقعة ارض عربية ضخمة يقطنها مليون عربي فلسطيني يصعب استيعابهم في فترة قصيرة كما يصعب اقتلاعهم من جذورهم مرة واحدة . كما نشأت نتيجة للغزوة الصهيونية في الخامس من حزيران يقظة الفلسطينيين وظهور ثورتهم من اجل تقرير مصيرهم وتحرير بلادهم ، مما أدى الى تحول النظرة العالمية للقضية عما كان يصوره الاسرائيليون على انه «المشكلة العربية ــ الاسرائيلية» وقضية اللاجئين الى طرح مشكلة الشعب الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره .

لقد أحس رجال الاعلام الاسرائيليون بردة الفعل المعادية التي واجهت تصريحات جولدا مايير في يونيو ١٩٦٩ بأنه « لا يوجد ثمة شيء اسمه الفلسطينيون » ، وبقولها « لمن نرد الارض المحتلة ؟ اذ لا يوجد شعب فلسطيني يمكننا ان نردها له » . كما احست اسرائيل منذ حرب حزيران ١٩٦٧ بصعوبة استيعاب سكان الارض المحتلة بعد حرب الايام الستة لان استيعابهم في اسرائيل كما قال دايان « سيغير من الشخصية اليهودية لاسرائيل .. فنحن نريد اسرائيل يهودية كما فرنسا فرنسية وانجلترا انجليزية » . ولذلك فان الحل المثالي للمشكلتين الاساسيتين هو طرح شعار «الدولة الفلسطينية» الذي يعطي الفلسطينيين « كيانا » وعلما وحكومة ... تحت السيطرة الاسرائيلية .. ومما يعطي اسرائيل الوقت اللازم لابتلاع الارض المحتلة واستيعابها ، كما يسحب البساط من تحت الثورة الفلسطينية ويقنع الفلسطينيين والعالم عموما بأن حقوق الشعب الفلسطيني قد اعترف بها وأنه قد اصبح للفلسطينيين كيان مستقل وحكومة . وبذلك تزول العقبة الاساسية أمام الاعتراف العربي باسرائيل وانهاء حالة الحرب معها .

والواضح ان هذا الحل يرضي أمريكا ودولا أخرى عديدة ، والاختلاف الرئيسي بين اسرائيل والدول الاخرى هو في حدود الارض التي ستعطى للدولة الفلسطينية المقترحة. فاسرائيل تريد الاحتفاظ في المرحلة الحالية على الاقل بالقدس وقطاع غزة والجولان وشرم الشيخ والتلال المشرفة على نهر الاردن وتلك المطلة على الخليل ، ولذلك فهي تفضل حكما ذاتيا فلسطينيا ــ داخل الدولة الاسرائيلية ــ للارض الباقية ، اما اذا أصر الفلسطينيون على كيان مستقل تماما فاسرائيل ليست على استعداد للانسحاب من الارض المحتلة ، بل على الفلسطينيين في هذه الحالة ان يقيموا كيانهم هذا في « شرق الاردن » او في لبنان او اي مكان آخر من الارض خارج التراب الفلسطيني.

هذا هو الفكر وراء « اسرائيليون يردون » وغيرها من منشورات أجهزة الاعلام والمخابرات الاسرائيلية الموجهة الى العرب والى اصدقائهم في اوروبا .

ولننظر الان بالتحديد الى نشرات «اسرائيليون يردون »لنتابع تطبيق الحملة الاعلامية .

الموضوعات التي تطرقها النشرات

١ ــ خصصت ثلاث نشرات (من العشرين موضع الدراسة) للقضية الفلسطينية بشكل عام وان كانت كلها موضوعة في صورة ردود على الرئيس الراحل عبدالناصر او ابو اياد او احمد بهاءالدين او فتح .. الخ

٢ ــ وخصصت اربع نشرات لمهاجمة فكرة الدولة الديمقراطية الفلسطينية ..

٣ ــ خصصت ثلاث نشرات بالاضافة الى جزء هام من نشرتين أخرتين الى محاولة ابراز كذب البلاغات العربية (المصرية بالذات) والتأكيد، بالمخالفة، على صدق البلاغات والبيانات الاسرائيلية ، وذلك بغرض تحطيم ثقة العرب بالبيانات التي تصدرها حكوماتهم وتنظيماتهم .

٤ ــ وأخيرا خصصت أربع نشرات للهجوم على العرب من خلال استغلال حوادث خاصة مثل مظاهرات الطلبة المصريين في نوفمبر ١٩٦٨ او الصراع بين الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية في ابريل ١٩٦٩ .

كيف ترى النشرة الاسرائيلية المشكلة الفلسطينية

يمكن تحديد معالم هذه الرؤية بالنظر الى العبارات الآتية والمستقاة مباشرة من النشرات:

١ ــ « الاسرائيليون هم اسرائيليون والفلسطينيون هم فلسطينيون والمسالة الرئيسية هي اين يجب ان تكون الحدود بينهم » (العدد ١٣) .

٢ ــ اننا نحن الاسرائيليين لا ننكر حق الفلسطينيين من تعريف انفسهم كما يشاءون **فاذا ادعوا بانهم شعب** فنحن نوافق على قبول ذلك **اخذا بهذا الادعاء** . ولكن الادعـــاء بانهم شعب وفي الوقت نفسه انكار حق الاسرائيليين في ذلك معناه تحويل الميثاق الفلسطيني من برنامج وطني الى مخطط عنصري . (العدد الاول سبتمبر ١٩٦٩) .

٣ ــ لا نستطيع القول ان الفلسطينيين هم أمة اما الاسرائيليون فليسوا بأمـــة .. اذا أصبحت (المساواة) مجزأة كما تريدها فتح أن تكون فستصبح غير انسانية كالفاشية . (العدد ١٤)

٤ ــ المنظمات الفلسطينية تعارض المطالبة بحق الفلسطينيين الذين يكونون اغلبية في **الاردن** من تقرير مصيرهم ، وبدل ذلك تعمل هذه المنظمات مـــن اجـــل تقريـــر مصـــير الاسرائيليين الذين يكونون **أمة اخرى** . (العدد ١٦)

٥ ــ الفلسطينيون يكونون فعلا أغلبية في بلد عربي مستقـــل هو الاردن . ومشاكلهم الاساسية لا تتعدى قضية اللاجئـــين واحتلال اسرائيل للضفـــة الغربية لدولة الاردن واسرائيل ترغب فعلا في مناقشة لتسوية هاتين المشكلتين . (العدد ١٦)

٦ ــ قدمت الجمهورية العربية المتحدة تضحيات جبارة مـــن اجل استمرار الحرب ضد اسرائيل وذلك من اجل ما تدعيه بالمحافظة على حقوق الشعب الفلسطيني . ولكننـــا نتصور ان حقوق الشعب الفلسطيني يمكن المحافظة عليها بشكل افضل اذا أعيد فتح القناة للملاحة وخصصت مصر ايرادها السنوي كله ــ ويقدر بـــ ٢٥٠ مليون دولار في السنة ــ من اجل رفاهية الشعب الفلسطيني ، وكذلك بالمحافظـــة على اتفاقية وقف اطلاق النار في القناة واستمرار النشاط الاقتصادي في منطقـــة القناة وتخصيص كافة أرباحه وعوائده التي تصل الى ٢٠٠ مليـــون دولار في السنة ، لرفع مستوى معيشة الفلسطينيين . وكذلك باعطاء الفلسطينيين ١٠٠٠ مليـــون دولار في السنة عوضا عن تخصيصها لحرب فاشلة ضد اسرائيل . (العدد رقم ١٩) .

وبذلك فان اسرائيل على استعداد للاعتراف للفلسطينيين بما يدعونه بأنهم يكونون شعبا مقابل ان يعترف الفلسطينيون بأن الاسرائيليين هـــم ايضا شعب . علـــى ان اعتراف الفلسطينيين بالاسرائيليين يعطيهم الحق في أرض فلسطين بيد ان اعتراف الاسرائيليين بالفلسطينيين لا يعطيهم الا الحق في حكم الاردن لا فلسطين كما يعطيهم الحق في أموال الجمهورية العربية المتحدة ان هي تصالحت مع اسرائيل واوقفت حالة الحرب معها .

واذا أنكر الفلسطينيون صفة الشعب او الامة على الاسرائيليين أي أنكروهم حقهم في كافة الارض الفلسطينية المغتصبة أصبحوا فاشيين وعنصريين وغير متسامحين .

وتعقد النشرة (العدد ١٦) مقارنة بين الثورة الفلسطينية والثورة الجزائرية تعلن فيها ان الثورة الجزائرية حازت اعجاب الاسرائيليين (كذا) لان الثورة الجزائرية عملت من أجل حصول الجزائريين على حق تقرير مصيرهم وامتنعت عن القول للفرنسيين ما يجب عليهم عمله في فرنسا نفسها !! (اي اسرائيل هنا بالمقارنة) .

والنشرة تفترض أن الكيان الاسرائيلي هو الكيان الدائم والسابق على وجود الفلسطينيين بينما ان الكيان الفلسطيني هو كيان طارىء ومدعى ويحتاج الى الاعتراف به من قبـــل اسرائيل ليقوم .. ويظهر ذلك جليا في مناقشة الميثاق الفلسطيني (العدد رقم ١) :

١ ــ اذا حاول الفلسطينيون ان يفرضوا على الاسرائيليين جنسية فلسطينية فلماذا لا يحاول الاسرائيليون فرض جنسية اسرائيلية على الفلسطينيين ؟ (وماذا عن الفلسطينيين

الذين يعيشون في اسرائيل ؟)

٢ ــ اذا كان القضاء على الكيان الاسرائيلي هو هدف الفلسطينيين فلماذا يجب على الاسرائيليين العمل على الحفاظ على الكيان الفلسطيني (الواضح ان النشرة تتناسى تماما الكيان الفلسطيني الذي دمره الاستعمار الاستيطاني الصهيوني والذي اقتلع سكانه من جذورهم سنة ١٩٤٨) .

٣ ــ اذا كان وجود اسرائيل غير مقبول اساسا من الفلسطينيين فلماذا يقبل الاسرائيليون وجودا فلسطينيا ؟! (أيضا يستمر الخط الاعلامي في وقاحته ، فالمفروض ان الاعلام الاسرائيلي للاجانب يعتمد على انهم نسوا تماما كيف نشأت اسرائيل ويركز على الافتراض بانها كانت في فلسطين منذ بدء التاريخ ، ولكن هذا الخط يقدم الان للفلسطينيين ذاتهم وللعرب عموما دون تعديل !) .

٤ ــ اذا كان الفلسطينيون يعتبرون الحل السلمي استسلاما فلماذا ينسحب الاسرائيليون ولو شبرا واحدا من خطوط وقف اطلاق النار الحالية (وهنا ايضا تستخدم النشرة خطا دعائيا موجها للغرب اساسا وهو أن اسرائيل بلد محب للسلام وانما القضية كلها هي ضمان عدم اعتداء جيرانه عليه وقيام حدود آمنة . والتهديد هنا يرتكز على انه ان لم يغير العرب موقفهم الفكري ، فان اسرائيل لن تنسحب من الحدود الحالية ، والقضية المتنازع عليها هي حدود سنة ١٩٦٧ ، لا حدود سنة ١٩٤٩) .

٥ ــ اذا كانت الصهيونية عنصرية ومتعصبة ونازية (كما يدعي الميثاق الفلسطيني في المادة ٢٢) فما القول اذن عن الميثاق الفلسطيني الذي ينكر على الاسرائيليين حقهم في ان يكونوا أمة كباقي الامم ؟ (تضع النشرة هنا موازنة عجيبة جدا بين العنصرية الاسرائيلية التي تتضح في طرد الفلسطينيين من ارضهم وفي قانون العودة الذي يتيح لليهود فقط حق العودة الى فلسطين والتجنس بالجنسية الاسرائيلية ، وفي معاملة العرب في اسرائيل معاملة مواطن الدرجة الثانية ، وفي الاعتداءات والمذابح المستمرة للانسان الفلسطيني ، وبين العنصرية الفلسطينية التي تتمثل في انكار الميثاق الوطني الفلسطيني قبول استمرار الاحتلال الصهيوني لفلسطين باسم الامة الاسرائيلية او القومية الاسرائيلية !)

وتفترض النشرات ان الكيان الفلسطيني الجديد يجب ان يقوم فيتجه للتفاوض بين الفلسطينيين والاسرائيليين . والمفاوضات يجب أن تنتهي باتفاقية تشبه اتفاقية ايفيان بين الفرنسيين والجزائريين وتنص على تعاون وثيق بين اسرائيل (فرنسا)، والفلسطينيين (الجزائريين) . ولكن على الفلسطينيين ان يدركوا ان اتفاقية ايفيان اعترفت بحاجة فرنسا الى الاحتفاظ بقواعد عسكرية وجوية وبحرية في الجزائر لاغراضها الذاتية (العدد رقم ١٦) ولذلك فلاسرائيل ان تطالب بالشيء ذاته في فلسطين الجديدة . ويبدو ان هذا امر لا تدركه المنظمات الفلسطينية لانها « غير قادرة على الاعتراف بأن اي حل للنزاع يجب ان يأخذ بعين الاعتبار مشاكل اسرائيل الدفاعية » (العدد نفسه) . والنتيجة النهائية لمفاوضات فرنسا مع الثورة الجزائرية كانت حصولها على **« اعتراف فرنسا بها »** وهذا ايضا ما يجب على المنظمات الفلسطينية العمل على تحقيقه بدلا من محاولة القضاء على اسرائيل (العدد نفسه) .

الموقف تجاه الدولة الديمقراطية اللاطائفية في فلسطين

احس الاسرائيليون منذ بدأية عام ١٩٦٩ بأن فكرة الدولة الديمقراطية اللاطائفية في فلسطين تمثل اكبر تحد لكل مخططاتهم الدعائية في العالم ولذلك خصصوا للتصدي لها اربع نشرات ونصف النشرة (اي ٢٢،٥٪ من النشرات المدروسة) . والهجوم الاعلامي الاسرائيلي (كما يتضح ذلك من نشرات اسرائيليون يردون) يركز أساسا :

١) على أن العرب لا يمكن تصديقهم وان ما ينشرونه باللغة الانجليزية للاستهلاك الخارجي يختلف عما يقصدونه حقيقة ويتضح من كتاباتهم باللغة العربية الموجهة للعرب

(الاعداد ١٣ ، ١٤ ، ٢٠) وان ما يريده العرب حقا هو ان تكون فلسطين عربية ، تقوم على هدم جميع اشكال الكيان الاسرائيلي وعلى تعريب الاسرائيليين الباقين، وان معنى ذلك حرمان الاسرائيليين من حق تقرير المصير ، ومن ثقافتهم الوطنية ولغتهم وتاريخهم .. الخ .

٢) على ان تحقيق ذلك غير ممكن لان اسرائيل موجودة وباقية (العدد ١٨) .

٣) على أن اسرائيل هي دولة ديمقراطية علمانية حرة !! وان العرب يريدون انشاء دولة اسلامية في فلسطين وان حواتمه وحبش وعرفات لم يصرحوا ولا مرة واحدة وباللغة العربية بأن هذه الدولةالجديدة لن تكون دولة اسلامية (العدد ١٨) !!

٤) ان على الفلسطينيين — اذا شاءوا — ان ينشئوا مثل هذه الدولة في الاردن حيث تتوفر لهم الاغلبية هناك .

عن ضرورة فتح الحوار بين الاسرائيليين والعرب

نركز كل النشرات تقريبا على ضرورة فتح الحوار بين العرب والاسرائيليين ولكن النشرات لا تدعو الفلسطينيين الى ذلك الان ما لم يستسلموا لوجهة النظر الاسرائيلية. « اذ ليس لاسرائيل جدول أعمال للتفاوض مع الفلسطينيين بالنظر الى انه لا يمكن **لامة** التفاوض مع **شعب** يريد القضاء على وجودها المستقل» (العدد١) ولكن النشرات توجه دعوة لفكري اباظة واخرى للرئيس الراحل عبد الناصر شريطة ان يقبل النصيحة بأن يتصرف كديجول ويخاطر بحياته من أجل عقد السلم مع اسرائيل والاعتراف بأناسرائيل مثلها مثل الجزائر هي ايضا شعب .

على ان النشرة لا تعجبها دعوة رئيس سابق للمنظمة الصهيونية العالمية لزيارة القاهرة (الاشارة الى قضية جولدمان) وتفضل بدلا عنها ان تدعو القاهرة خبراء زراعة القطن الاسرائيليين كي يعلموا المصريين كيف يزرعون القطن ويضاعفون انتاجيته (العودة الى فكرة الامتياز الحضاري والرسالة الاستعمارية التحضيرية) وان اسرائيل لا يمكنها رفض مثل هذه الدعوة الجريئة ، وان الحكومة المصرية قد تحصل من هؤلاء الخبراء — دون ان تتوقع — على مناقشة لامكانية انسحاب القوات الاسرائيلية من بعض المناطق (العدد ١٩) .

على أن النشرة تعود لمطالبة الرئيس الراحل بالتفاوض مع اسرائيل حتى ولو اسمى ذلك استسلاما طالما ان الاستسلام معناه نهاية الصراع وتدعوه لان يقتدي بثلاثة ابطال عالميين . ١ — هيروهيتو امبراطور اليابان لانه استسلم للامريكيين بعد حرب وحشية ، وانه فعل ذلك ضد رغبات ضباطه . ٢ — ديجول الذي خلص فرنسا من حرب وحشية في الجزائر ، ضد رغبات ضباطه . ٣ — بن جوريون الذي وافق على قبول تعويضات من المانيا وانشاء علاقات دبلوماسية معها مما ادى الى رفاهية اسرائيل ، وانه فعل ذلك ضد رغبات الكثير من الاسرائيليين انوطنيين . (العدد ١٩ ايضا .. ولا تعليق).

أساليب الحربالنفسية التقليدية

تمتلىء النشرات بأساليب الحرب النفسية التقليدية من محاولة تحطيم المعنويات والتشكيك في القيادات وبياناتها وفي اهداف القتال ذاتها . والامثلة عديدة .

« فعندما يقتل الجنود المصريون في جبهة السويس هم لا يموتون من اجل استقلال مصر بل يموتون من أجل رفض العرب منح اسرائيل حق البقاء (العدد ١٠) » ، « قام عبد الناصر ببناء صرح من الاكاذيب » (العدد نفسه) . « أستمعنا بأسى الى خطاب عبد الناصر شاعرين بتعب الرجل ويأسه المتصاعد ازاء الظروف التي اقحم نفسه فيها والتي لا يجرؤ على الخروج منها » . « ان اسلوب جنكيز خان ليس من طباع الشعب المصري، فالشعب المصري **مثلنا** خفيف الروح **ويحب الحياة** ، وغريزة الشعب المصري **كغريزتنا** ، ولا بد ان نفهمهم بأن بحرا من الدماء لا يحل شيئا » .

« ان اسرائيل ستصمد في هذه الحرب المستمرة لان هذه الحرب بالنسبة لنا ان هي الا فصل قصير من فصول تاريخ شعبنا الممتد ثلاثة الاف سنة عبر التاريخ .. اننا سنصمد في هذا الكفاح ، أما انتم فلن يكتب لكم النجاح فيه اكثر مما كتب لاعداء الشعب الاسرائيلي في الماضي ، من فرعون الى هتلر » (العدد رقم ٦) — (ويلاحظ ان هذه الجملة وردت على لسان طالب اسرائيلي في رسالة الى احمد بهاء الدين ، ولكن المنشورات عادة تتفادى مثل هذا التهجم الوقح والتبجح الاسرائيلي التقليدي الواضح، ولكن لا مانع من التلميح به حينا والتصريح به حينا اخر ، مستخدمين التهديد والترغيب لتحقيق اهداف الحملة الاعلامية) . وعلى كل فالغرور الصهيوني يقود — بالرغم من المحاولات المستمرة لاستخدام لغة الاعلانات والعلاقات العامة الامريكية — الى التهجم والاسفاف احيانا ، « يجب ان تعلموا انه بالرغم من ادعاءاتكم بأنكم اشتراكيون فان اسرائيل تعتبركم عنصريين لا تستطيعون ابداء اي تسامح تجاه من هو غير مسلم !! » (العدد ٦) « ان عنصريتكم وعدم تسامحكم يخرجانكم عن اطواركم ، الامر الذي ادى الى هذه الحرب الناشبة بينكم وبيننا اليوم » (العدد ٦) .

« لا زلنا نذكر كيف أمر الملك فاروق جيشه بغزو اسرائيل سنة ١٩٤٨ وكيف انه عندما فر جيشه هاربا الى سيناء بعد ستة اشهر لجأ للحكومة البريطانية التي أمرت سلاح الطيران البريطاني بحماية بقايا الحملة المصرية الغازية ، وان نتيجة ذلك كان اسقاط خمس طائرات بريطانية على يد الطيران الاسرائيلي الصغير السن ، وانه نتيجة لذلك اعترفت بريطانيا باسرائيل فورا واقامت معها علاقات دبلوماسية » (العدد ١٩) .

اي ان قوة اسرائيل الجوية الاسطورية (والصغيرة حينذاك) اجبرت بريطانيا على الاعتراف باسرائيل بينما بقيت بريطانيا ثماني سنوات اخرى في مصر قبل انسحابها منها (نفس العدد)وفي ذلك ايحاء طبعا بما ستفعله اسرائيل بالاتحاد السوفياتي الذي « يحمي مصر الان» فتجبره على التسليم لها بينما يبقى محتلا لمصر سنوات عديدة (نفس العدد).

خاتمة

يتضح من التحليل المختصر الذي قدمناه فيما سبق الخط الدعائي الصهيوني تجاه الفلسطينيين والقضية الفلسطينية ، وهو خط لا يختلف كثيرا عن الاتجاه العام للفكر العنصري الصهيوني من هرتسل الى دايان : مع اختلاف في التركيز . فبدلا من المشكلة الاسرائيلية — العربية توجد الان المشكلة الاسرائيلية — الفلسطينية ، وفي الحالتين ليس هناك علاقة مفترضة بين الفلسطينيين والعرب . وما يطرحه الاعلام الصهيوني — من خلال « اسرائيليون يردون » على الفلسطينيين هو الاعتراف بهم كشعب او كأمة اذا لزم الامر شريطة ان يقيموا دولتهم خارج فلسطين ، وفي الاردن بالذات . أي ان يتكرس نفيهم من وطنهم وبعدهم عنه وذلك بمطالبتهم لقاء الاعتراف بأنهم شعب بأن يعترفوا بأن الاسرائيليين هم ايضا شعب وان وطن الاسرائيليين هو اسرائيل (فلسطين) وان جذورهم فيها تعود لالاف السنين وان العلاقات بين دولة الفلسطينيين ودولة اسرائيل يمكن أن تتسم بشكل العلاقة بين الجزائريين وبين فرنسا شريطة ان يشمل ذلك سماح الفلسطينيين لاسرائيل باقامة قواعد بحرية وجوية وبرية لها في دولتهم .

ونلاحظ انه بالرغم من محاولة استخدام اسلوب جديد ومهذب ومعتدل في كتابة النشرات الا ان النزعة التهجمية الاستعلائية تظهر بجلاء في الكثير من العبارات المستخدمة . والظاهر أن اجهزة الدعاية والمخابرات الاسرائيلية قد سلمت بفشل هذه النشرات ، فعدد الذين وصلتهم كان قليلا جدا ، وكان استقبال غالبيتهم العظمى لها باردا مشمئزا ساخرا . ولذلك فان الاعداد التي وصلت البلاد العربية منها بعد العدد العشرين الصادر في مايو ١٩٧٠ اصبحت قليلة جدا ومتقطعة. ولسوف يحاول الاسرائيليون مرة أخرى ، وبطرق جديدة .

شهريات

(١) السياسة الاسرائيلية

أهم ما كان يشغل بال الساسة الاسرائيليين في الشهرين الاخيرين في العام الماضي كان في الحقيقة موضوع العودة لمفاوضات يارنغ . وقد كان هذا الموضوع مثار جدل شديد احتل ليس فقط صدر الصحافة الاسرائيلية وانما جزءا كبيرا من صفحاتها الداخلية أيضا ، وأثار زوابع في جلسات الحكومة وقاعة الاجتماعات العامة في الكنيست ، واعتلى منابر الكثير من المحاضرات والندوات . ويستطيع المرء أن يقول انه لم يبق في الشهرين الاخيرين من العام الماضي زعيم سياسي أو كاتب في حقل السياسة الا وأدلى بدلوه في الموضوع المخاض .

اما أهم حدثين آخرين فقد كانا الانتخابات البلدية في مدينة الناصرة العربية ، ومؤتمر حزب حيروت العاشر . وبرز على المسرح السياسي أيضا حدث افتتاح الدورة الشتوية الجديدة للكنيست السابع، والحملة الانتخابية داخل حزب العمل لانتخاب مندوبين لمؤتمر الحزب ، واستقالة رئيس كتلة « القائمة الرسمية »(١).

العودة لمفاوضات يارنغ : ان النقاش في الشهرين الاخيرين من العام الماضي حول العودة لمفاوضات يارنغ ضمن اطار مبادرة روجرز تبلور في الحقيقة حول تصريحات معينة ادلى بها دايان في نهاية الاسبوع الاول من شهر نوفمبر ١٩٧٠ . ففي يومي ٧ — ١٩٧٠/١١/٨ ، في حيفا وتل أبيب ، القى دايان خطابين هامين بمناسبة الحملة الانتخابية الدائرة آنذاك في صفوف حزب العمل لانتخاب مندوبين لمؤتمر الحزب القريب . وكان من جملة ما قاله دايان : « من الضروري انهاء الحرب ... ليس ثمة طريق لانهاء الحرب سوى الوصول الى اتفاق ، مباحثات ، ترتيبات مع الطرف الاخر . وهذه هي مفاوضات يارنغ . انا أؤيد بشدة ذهابنا الى مفاوضات يارنغ ، رغم معرفتي بأن هناك جبال جليد ضخمة في المياه الباردة التي سنضطر للسباحة فيها . ولكن ليس لنا خيار الا أن نقفز ... »

ان هذه الكلمات التي تبدو مجرد تعبير عن راي شخصي ، كانت في الواقع بمثابة قنبلة تفجرت في الميدان السياسي الاسرائيلي ، وظلت أصداؤها تتردد في أرجائه حتى لحظة موافقة الحكومة الاسرائيلية الاخيرة في ١٩٧٠/١٢/٢٨ على العودة الى المفاوضات . ولم تكن العواصف التي أثارها التفجر آتية من جهة المعارضة المتمثلة بكتلة جاحال وغيرها فحسب ، وانما من جهة الحكومة أيضا ، وان كانت دوافع الفريقين لذلك مختلفة .

ولكي ندرك أسباب التفجر لا بد لنا من رسم الخلفية التي أسقطت فيها هذه التصريحات . عندما اتضح للحكومة الاسرائيلية امر الموافقة الاولى على مبادرة روجرز في اوائل اوغسطس ١٩٧٠ ان صواريخ سام (٢) وسام (٣) قائمة في الخط الامامي من الجبهة المصرية على القنال عقدت الحكومة الاسرائيلية اجتماعا عاجلا لبحث الموضوع ، وكان رأي دايان في ذلك الاجتماع أن الامر يستدعي القيام بعمليات حربية فورية لتدمير قواعد الصواريخ . ولكن الاقتراح المقدم لم يحز الا على موافقة اربعة وزراء ، وبالتالي سقط ، وتقرر بدلا من ذلك تعيين تكواع ممثلا لحكومة اسرائيل في المفاوضات القادمة، وتكليفه باثارة موضوع الصواريخ .

وعندما وصلت الحكومة الاسرائيلية لاحقا الى القناعة بأن مصر ما زالت توالي نقل الصواريخ الى

١ — تشكلت « القائمة الرسمية » قبل انتخابات الكنيست السابعة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٩ . وقد شكلها بن غوريون كبديل لحزب رافي الذي سقط عمليا بانسحاب ابرز عناصره وانضمامهم الى حزب العمل .

الخط الامامي لجبهة القنال عقدت الحكومة اجتماعا حاسما في ٤ سبتمبر ١٩٧٠ لبحث الامر ، وقررت في نهاية الاجتماع الانسحاب من المفاوضات وعدم العودة اليها الا اذا **سحبت مصر كل الصواريخ التي نقلتها الى الوراء** . وقد كانت غولدا مئير هي التي صاغت الجزء الاساسي من نص البيان الذي ألقي في الكنيست بهذا الصدد واصبح يمثل موقف الحكومة الرسمي من موضوع العودة للمفاوضات ، وكان دايان من الاشخاص الذين ضغطوا لكي تعلن اسرائيل سحب الصواريخ كشرط لا بد منه للعودة. وفي وجه معارضة ايغال آلون وايبان وغاليلي لايراد شرط كهذا مستحيل التحقيق هدد دايان تلميحا بالاستقالة...وهكذا أقر البيان وانسحبت اسرائيل من المفاوضات ، واضعة نفسها بذلك ، على حد تعبير آلون في نفس الجلسة ، في « برج عال من الصعب النزول منه » .

ومن فوق هذا « البرج العالي » ، قبل يومين او ثلاثة من خطابي دايان ، ادلت غولدا مئير في لندن بتصريح قالت فيه ان اسرائيل لن تعود مطلقا الى المفاوضات الا اذا سحبت مصر كل الصواريخ من الخط الامامي لجبهة القناة . وكان الضغط الاميركي على اسرائيل للعودة الى المفاوضات آنذاك في ابان ذروته ، وجاءت تصريحات دايان ، المسقطة سحب الصواريخ من حسابها ، لتهز « برج الحكومة » وتبعث الرعدة في اوصال مئير ، لان الاميركيين — كما يقول الصحفي الاسرائيلي المعروف يوسف حريف في معريف (١٩٧٠/١٢/١١) — لديهم قناعة ثابتة بأنه عندما يقول دايان عائدون للمفاوضات ، فمعنى ذلك ان حكومة اسرائيل عائدة .

ان المسألة لم تكن في أن حكومة اسرائيل كانت جازمة في مسألة عدم العودة لسبب بسيط هو انها لا تملك ، عندما تضغط الولايات المتحدة عليها ، الا ان تستجيب . لان الولايات المتحدة بكل بساطة هي مصدر اسرائيل الوحيد تقريبا للسلاح، وهي المصدر الاساسي للاموال التي تحتاجها لدعم اقتصادها المنهك ، وهي التي تملك قوة ردع الاتحاد السوفياتي . ان المسألة هي في أن الحكومة الاسرائيلية كانت تريد قبل ان تتراجع أولا أن تهيىء الرأي العام داخليا للتراجع فتتقي هجمات جاحال وثانيا ان تبتز اكثر ما يمكن ابتزازه من حكومة الولايات المتحدة . وأتت تصريحات دايان قبل الاوان لتطلق هجمة جاحال على سياسات الحكومة، ولتظهر مدى هشاشة قشرة «التصلب الاسرائيلي» تجاه ضغط الولايات المتحدة .

ومن هنا شهدت الجلسة الاولى للحكومة بعد يوم واحد من عودة غولدا مئير من لندن في١٩٧٠/١١/٦ نقاشا عاصفا وعتابا بين دايان ووزراء الحكومة ، اضطر فيه دايان لان يقول بأنه لم يكن يقصد من كلامه الحديث عن الحاضر او المستقبل ، وانما عن الماضي . وانه كان يقصد بكلامه الرد على انتقادات جاحال لقرار الحكومة بالموافقة أصلا على مبادرة روجرز . وان كان أنصار دايان خارج مجلس الوزراء ظلوا يقولون بأن دايان انما أراد بكلامه مساعدة غولدا على النزول من « البرج العالي » وتمهيد الطريق داخليا لذلك . وتعويضا عن الاضعاف الذي نجم بالضرورة عن كلام دايان لموقف الحكومة تجاه الضغط الاميركي ، اعلن هذا بأن اسرائيل وان كانت لم تعد تصر على سحب الصواريخ فانها تصر على ارتكاز عودة اسرائيل المجددة الى مفاوضات يارنغ على اساس جديد لاتفاق وقف اطلاق النار . واقترح أن يكون سحب المدفعية من جانبي القنال وتخفيف عدد القوات من جانب الطرفين الاساس الجديد . ولكن مبادرة مصر الى رفض اقتراح دايان(٢)، واعلانها بأن القنال سيتجدد ليس فقط اذا لم تعد اسرائيل بدون شروط وانما ايضا اذا رفضت الموافقة على جدول زمني بالانسحاب ، جعلت اقتراح دايان الجديد يبدو أقل قيمة من الشرط الاول ، وهو سحب الصواريخ ولكي تتجنب غولدا مئير جدلا داخل مجلس الوزراء مع دايان وانصاره ، اقترحت عليه ان يذهب الى واشنطن ليحاول اقناع الرئيس نيكسون بقبول اقتراحه . وسافر دايان الى الولايات المتحدة في ١٩٧٠/١٢/٩ ، وبحث الموضوع مع الرئيس ويبدو انه لم يخرج بشيء . اما غولدا مئير فقد

---

٢ — ان اقتراح دايان الذي رفضته مصر كان يدعو الى سحب القوات من طرفي القناة واعادة فتحها للملاحة وقد نفى دايان في جلسة مجلس الوزراء ان يكون قدم اقتراحا كهذا ، واعلن ان اقتراحه يدعو فقط لسحب المدفعية وتخفيف المشاة . ولكن أصبح معروفا ان دايان كان فعلا قد سرب اقتراحا بفتح القناة الى الصحافة الغربية .

عمدت الى توجيه رسالة شخصية الى الرئيس نيكسون قدمت فيها للولايات المتحدة مطالب جديدة سياسية وعسكرية واقتصادية كثمن لعودة اسرائيل الى المفاوضات: طالبت بوضع برنامج تسليح يشمل ليس فقط السنة الحالية وانما السنوات الخمس القادمة،وطالبت بأن تعد الولايات المتحدة باستعمال حق الفيتو في مجلس الامن فيما لو لجأت مصر اليه لاستصدار تفسير لقرار مجلس الامن في حالة تعثر المفاوضات ، وطالبت بمزيد من المعونات الاقتصادية ... واضافت مرة اخرى مطلبا كانت قدمته من قبل ، وهو أن تعد الولايات المتحدة بالا تضغط عليها للقبول بما يسمى « بخارطة روجرز » المتضمنة «تعديلات طفيفة» على الحدود «لاعتبارات امنية » ، وهي الخارطة الواردة ضمنيا في مشروع روجرز المشهور الذي قدمه في نهاية عام ١٩٦٩ ، ورفضه العرب في حينه . ويمكن ان يلخص المرء جواب الولايات المتحدة بـ « نعم » للمطالب الاقتصادية والتسليحية و«لا» لاستخدام حق الفيتو وابطال خريطة روجرز .

وفي أعقاب اقرار مجلس الشيوخ الاميركي تخصيص مبلغ (٥٠٠) مليون دولار قروضا ومعونات لاسرائيل ، وفي اعقاب تزويدها بكميات معينة من السلاح ، اعلنت اسرائيل في ١٩٧٠/١٢/٢٨ بأن الظروف ملائمة للعودة الى مفاوضات روجرز ، ووافقت على العودة اليها ، وخف الجدل داخل الحكومة .

هذا من ناحية الحكومة . اما من ناحية جاحال فان تفسير غضبتها لتصريحات دايان أسهل . ان كتلة جاحال عندما تهاجم أي تصريح يشتم منه القبول بالتفاوض تحت اشراف يارنغ ضمن اطار مبادرة روجرز فانما تكون بذلك تؤكد موقفا سابقا اتخذته من المبادرة الاميركية وأدى الى انسحابها من الائتلاف الحكومي في ٤ آب ١٩٧٠ يقوم برنامج كتلة جاحال لانهاء الحرب ، كما يطرحه زعيمها بيجن في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر العاشر لحركة حيروت المنعقد في ١٩٧٠/١١/٨ على البنود التالية : معاهدة سلام ، مفاوضات مباشرة ، منع قيام منظمات تخريب (!) في الدول العربية ، الاقرار بحق شعب اسرائيل التاريخي في أرض اسرائيل (!) اعطاء الافضلية لتكامل تراب الوطن والسيطرة على قواعد العدوان (!) ، الاعتراف بالعرب في ارض اسرائيل الغربية(٣) كأقلية قومية لها حقوق مواطنة (!) .

ومن الواضح ان برنامجا كهذا يتناقض مع مشروع روجرز ومبادرته في بندين أساسيين : الانسحاب والمفاوضات المباشرة . ان مشروع روجرز المطروح في نهاية عام ١٩٦٩ يتضمن انسحاب اسرائيل من معظم المناطق التي احتلتها وهذا ما ترفضه كتلة جاحال رفضا جازما حيث تطالب بعدم التخلي عن شبر واحد من « تراب الوطن » . كما تدعو مبادرة روجرز التي قدمت للدول المعنية في حزيران من العام الماضي الى قيام مفاوضات غير مباشرة باشراف يارنغ لتطبيق قرار مجلس الامن المتضمن الانسحاب ، وهذا ما ترفضه جاحال ايضا . ان جوهر الرفض يكمن في الحقيقة في الاصرار على عدم الانسحاب من المناطق المحتلة بينما تمثل المفاوضات المباشرة ــ غير المقبولة من العرب ــ مجرد غطاء من الاغطية التي تحاول اسرائيل عن طريقها حجب الجوهر البشع ، وان كان بيجن لدى مهاجمة الحكومة على قبولها بمبادرة روجرز يضع المبدأين، عدم الانسحاب والمفاوضات المباشرة ، على صعيد واحد ويتهم الحكومة بالتخلي عنهما . ان بيجن يعدد في الجلسة التي عقدتها جاحال في اوائل آب (اغسطس) ١٩٧٠ لاتخاذ قرار حول الانسحاب من الحكومة ثلاثة اسباب تدعوه وكتلته لمغادرة الحكم: اولا قبول الحكومة الاسرائيلية لقرار مجلس الامن ثانيا قبول الحكومة بمبدأ الانسحاب ثالثا تخلي الحكومة عن مطلب المفاوضات المباشرة. ولذا اذا كان من الطبيعي ان يستقبل بيجن تجميد المبادرة الاميركية الاخيرة بارتياح ، فانه من الطبيعي ايضا ان يستقبل احتمال تجددها باستياء ، وان يبادر لاقتناص الفرصة لابراز موقفه كزعيم للمعارضة ، وموقف كتلته المعارض لسياسات الحكومة تجاه المفاوضات ــ وهكذا كان .

ان بيجن كان في الحقيقة أول المهاجمين لتصريحات دايان المقتبس جزء صغير منها اعلاه. ففي الجلسة الافتتاحية للمؤتمر العاشر لحركة حيروت المنعقد بتاريخ ١٩٧٠/١١/٨ ، اي بعد فترة وجيزة من ظهور تصريحات دايان ، القى بيجن خطابا عنيفا هاجم فيه سياسات الحكومة وافتتحه بهجوم حاد على آراء دايان . ويلمس المرء في هجوم بيجن ليس فقط جانبا عاما نابعا من خلاف على السياسة ، وانما ايضا جانبا شخصيا نابعا من شعور بيجن

---

٣ ــ المقصود عرب الارض المحتلة سابقا والضفة وغزة .

بأن دايان تخلى عنه وعن حركة حيروت وخيب الامال التي علقتها عليه الحركة المذكورة في صدد جهودها لمنع ما يسميه بيجن «باعادة تقسيم ارض اسرائيل». يخاطب بيجن دايان قائلا « اذا كانت [مفاوضات يارنغ] هي الطريق الوحيدة لانهاء الحرب ، ولا بديل لها ، لماذا ، ايها الزميل دايان ، لم تخترها قبل سنتين او اكثر ؟ انك تعرف مثلي انه اكثر من مرة اقترح علينا في الحكومة ان نتعهد بتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر ، واقترح علينا الا نتعنت بشأن المفاوضات المباشرة ومعاهدات السلام واستخدام كلمة « انسحاب ». وكنا نحن الاثنين بين اولئك الذين رفضوا بشدة واصرار نصائحهم هذه ولم نخضع للضغوطات ... انني اجدك الان وصلت الى النتيجة بأن هذه الاقتراحات ، التي تشكل اساس مفاوضات يارنغ، هي الطريق ، بـ «ال» التعريف ، لانهاء الحرب. اذا كان الامر كذلك فعليك الاعتراف بانك كنت على خطأ جسيم .. ان الرجل الذي يدعي ان هناك طريقا وحيدة لانهاء الحرب لا يستطيع القول بأنه لم يخطىء برفضه السير بها زمنا طويلا » .

ومن موافقة دايان الاصلية على قبول مبادرة روجرز الى دعوته الجديدة للعودة الى المفاوضات دون اشتراط سحب الصواريخ المصرية : « ان تهدد بالاستقالة اذا لم يتخذ قرار معين وبعد ذلك تكون اول من يدعو لالغائه — هذا اكثر من اللازم حتى بالنسبة لرجل معتاد على تغيير ارائه ... ان مفاوضات يارنغ هي بديل كاذب للسياسات التي ساهمنا انا [وانت] في بلورتها » .

ان بيجن يقول بأن هناك في اسرائيل الان معسكرين واضحين : حكومة ملتزمة باعادة تقسيم « ارض اسرائيل » ، ومعارضة ملتزمة بالحفاظ على تكاملها . وقد كانت تصريحات دايان المناسبة التي اعاد فيها كل من الفريقين طرح وجهات نظره ، وكان المصلب الذي تروشقت النيران حوله ، كالعادة ، وزير الدفاع. وكانت نهاية الجدل الجديد العودة تحت الضغط لمفاوضات يارنغ .

ولكن هذا ، اذا صح التعبير ، بين المعسكرين داخل اسرائيل ، فماذا عن المعسكر الثالث مقابل الاثنين — العرب. ان عقدة العقد في طريق التسوية السياسية لما يسمى بأزمة الشرق الاوسط ، وهي في الحقيقة ازمة الوجود الاسرائيلي ذاته ، كانت وما تزال كما اتضح هي الانسحاب من المناطق المحتلة . ان معسكر الحكومة داخل اسرائيل ، كما تشير الدلائل ، يطرح على مائدة المفاوضات خريطة لاسرائيل تضم اضافة للارض المغتصبة سابقا الجولان وغزة وشرم الشيخ وممرا اليها وجزءا من الضفة الغربية . وتطرح الدول العربية القابلة لمشروع روجرز ، بالمقابل ، الانسحاب الكامل من جميع الاراضي المحتلة ، وتراقب بلا اكتراث الجدل الدائر بين الحكومة والمعارضة في اسرائيل حول ان تنسحب هذه من بعض المناطق او لا تنسحب من اي شبر — تراقبه بالاكتراث لان كلا الموقفين مرفوض اصلا . ان فريق المعارضة الاسرائيلية يقول : كما تراجعت الحكومة الاسرائيلية عن مواقفها السابقة ستتراجع ايضا تحت الضغط حتى تنتهي الى الانسحاب شبه الكامل . فهل يحدث ذلك حقا ؟

ان الولايات المتحدة تخشى ارتفاع مستوى التدخل السوفياتي في الحرب المنتظرة اذا لم تتم التسوية، وتخشى النتائج المترتبة على مثل هذا التدخل فيما لو وقعت الحرب . وتضغط بالتالي على اسرائيل للوصول الى حل . ان اسرائيل لا تريد الانسحاب ، وتناور لافشال المفاوضات دون ان تخسر تأييد الولايات المتحدة ، وتدخل المفاوضات بنية سيئة الى ابعد الحدود . اما الدول العربية التي قبلت بمشروع روجرز فتتسلح وتتهيأ لاستئناف الحرب اذا لم يتم الانسحاب الكامل ، ويدعمها الاتحاد السوفياتي ضمن الحدود التي تمكنها من الضغط الى أبعد مدى ممكن . وبين هؤلاء الفرقاء يتحرك يارنغ ويبدأ اتصالاته . وفوق هؤلاء جميعا تحلق المقاومة الفلسطينية ، رمز ارادة شعب فلسطين في التحرير وأمله الراهن . فعن اي شيء يتمخض مخاض المستقبل القريب ؟ — من يجرؤ على التنبؤ يكون نبيا .

انتخابات الناصرة : لانتخابات بلدية الناصرة اهمية سياسية قد لا تعادلها انتخابات اية بلدية في العالم . ان الناصرة اكبر مدينة عربية في الارض المحتلة سابقا ، ومركز الثقل السياسي للعرب هناك ، ومجمع قوة راكاح (القائمة الشيوعية الجديدة) التي تمثل المتنفس السياسي لعرب الارض المحتلة ، ومن هنا توليها الحكومة الاسرائيلية عادة اهمية كبرى ، ولا تدخر جهدا او مالا في سبيل ان تجيء نتائجها كما تريد لها أن تكون . وقد تمت الانتخابات في ١٩٧٠/١٢/٨ ، وجاءت نتيجتها كما جاءت نتيجة الانتخابات السابقة ، وظل ميزان القوى السياسية على حاله ، وتنفست الحكومة

الصعداء .

دخلت الانتخابات البلدية في الناصرة ست قوائم :

١ — القائمة المركزية لحزب العمل الحاكم ، برئاسة سيف الدين الزعبي نائب رئيس الكنيست ، ونالت (٢،٩٢٧) صوتا ، وبالتالي (٥) مقاعد في مجلس البلدية المكون من (١٥) مقعدا .

٢ — قائمة العمال الشباب برئاسة حبيب سيباني ، وهي مرتبطة ايضا بحزب العمل . ونالت (٧٥٥) صوتا ، ومقعدا واحدا .

٣ — قائمة ثالثة مرتبطة ايضا بحزب العمل ، ونالت (٨٠٧) أصوات ومقعدا واحدا .

٤ — القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) ، برئاسة الشاعر المعروف توفيق زياد ، ونالت (٤،٩١٩) صوتا ، و(٧) مقاعد .

٥ — الجبهة الموحدة المرتبطة بالحزب الوطني المتدين برئاسة يعقوب سالم ، ونالت (١،٣٧٢) صوتا ومقعدين .

٦ — قائمة حزب المابام ، برئاسة عبد العزيز الزعبي الذي عين مؤخرا نائبا لوزير الزراعة فكان بذلك اول نائب وزير عربي ، ونالت (٧٦٩) صوتا ، ومقعدا واحدا .

وقد كان مجموع عدد الناخبين الذين مارسوا حقهم الانتخابي (١٢،٨٨٧) من أصل (١٥،٩٨٦) لهم حق الانتخاب ، وكانت النسبة المئوية للمنتخبين ٨٥٪ .

ان معنى نتائج كهذه هو ان رئيس بلدية الناصرة لن يكون من القائمة الشيوعية الجديدة ، وانما من الموالين للحكومة ، وسيكون هو الوجه الذي يعكس للداخل والخارج مدينة الناصرة ، ويدعي التعبير عن مشاعر عربها . ولكن هل هذا الوجه في الحقيقة يعكس وجه عرب الناصرة ؟

يقول ايلي آيل في معريف ١٩٧٠/١٢/٤ قبل حدوث الانتخابات : « ان فوز او خسارة راكاح ليس فوزا او خسارة للافكار الماركسية اللينينية وسط عرب الناصرة ، وانما فوز او خسارة للافكار القومية العربية التي تجد متنفسها في حزب رسمي وشرعي . راكاح مقابل كل البقية — هذا ما تدور عليه المعركة في الناصرة ». ممكن — ولكن السؤال ليس هنا ، وانما : هل كان من الممكن ان تفوز راكاح في انتخابات بلدية الناصرة .

ان مجلس البلدية في النهاية هو مجلس بلدية ، اي مجلس مطلوب منه الاهتمام بشق الطرقات ، والانارة ، ومد شبكات المياه وانابيب المجاري ، وبناء المدارس ، وتقديم الخدمات المطلوب من اي مجلس بلدية اخر في العالم ان يقدمها . وبالتالي اذا رفضت الحكومة المركزية ، التي تقرر ميزانية البلدية والمعونات الخاصة لها ، ان تتعاون مع مجلس البلدية المعني ، فان معنى ذلك هو ان تصاب مشاريع البلدية بالشلل . وهذا ما يدركه اي ناخب ، وهذا ما كانت حكومة اسرائيل معنية بايضاحه اثناء الحملة الانتخابية للبلدية ، بشكل مباشر وغير مباشر .

بشكل مباشر في ارسالها بنحاس سابير وزير المالية الحالي وسكرتير حزب العمل السابق بصفته الحزبية الى الناصرة ، ليساهم في الحملة الانتخابية لانجاح قوائم حزب العمل ، وليوضح للناخبين العرب ان حزب العمل الحاكم لن يأتلف ولا بأي شكل من الاشكال مع شيوعيي القائمة الجديدة ، في الناصرة ولا في غيرها .

وبشكل غير مباشر عندما قدمت الحكومة في الاسابيع الثلاثة السابقة للانتخابات قروضا ومعونات خاصة بمقدار (٦٠٠) الف ليرة اسرائيلية لشق (١٥) شارعا جديدا وتحسين الانارة، و(٤٠٠) الف ليرة لبناء مدارس جديدة واجراء تصليحات للقديمة . وسارع سابير للتلميح بأن الحكومة في حالة فوز القائمة الشيوعية الجديدة ستوقف كل المعونات الخاصة التي تقدمها لبلدية الناصرة .

ان راكاح ، مثلها مثل بقية القوائم ، اعلنت انها لا تخلط السياسة بالشؤون المحلية ، وطرحت برنامجا ذا اهداف محلية فقط وحصرت حملتها الانتخابية به ، واعلنت انها مستعدة للدخول في ائتلاف شامل مع كل القوائم في حالة فوزها بالاغلبية . ولكن الحكومة والمراقبين السياسيين رأوا في بيان وزع قبل الانتخاب بيومين ، وحمل تواقيع (١١) محاميا من أصل (١٧) موجودين في مدينة الناصرة، الصوت الحقيقي لراكاح ، ورأوا في الضجة التي ثارت حول البيان في المدينة الاهتمامات الحقيقية لعربها . يقول البيان حول مغزى فوز راكاح او خسارتها : « اذا ضعفت ... قوة الشيوعيين ستمضي السلطات في طمس حقوقنا وكرامتنا وينتشر في اسرائيل والعالم ان العرب في اسرائيل يؤيدون السياسة الداخلية والخارجية للحكومة المعزولة عالميا ... »

ولم تضعف قوة راكاح ، وحافظت على نسبة الـ ٤٠٪ من الاصوات التي نالتها في الانتخابات السابقة ايضا . وكانت محافظتها هذه ، في وجه كل

الضغوطات ، بمعنى ما نصرا لها .

مؤتمر حركة حيروت العاشر : في ١٩٧٠/١١/٨ عقدت حركة حيروت ، الشريكة الكبرى في كتلة جاحال ، الجلسة الافتتاحية لمؤتمرها العاشر ، واستمر المؤتمر عدة أيام . وقد تقاسم الاضواء في المؤتمر مناحيم بيجن (رئيس الحركة والزعيم الارهابي السابق المعروف) ، وعيزر وايزمن (قائد سلاح الطيران سابقا والمرشح فالمنتخب كرئيس لادارة الحركة) . وقد كان الخطابان الاساسيان اللذان القاهما المذكوران مقتصرين تقريبا على ما يسمى في اسرائيل بشؤون الخارجية والامن ، اي السياسة الواجب اتباعها تجاه المجابهة بين اسرائيل والعرب سياسيا وعسكريا .

وكما ركز بيجن في خطابه الذي اشرنا اليه اعلاه هجومه على وزير الدفاع دايان ومنه عبر لذكر البنود الاساسية لما سماه برنامج السلام ، ركز وايزمن ايضا هجومه على آراء دايان دون أن يذكره بالاسم . قال في اشارة واضحة لمياه دايان الباردة : « من انا الصغير لاجرؤ على القفز لمياه سياسات الامن الباردة ؟ » واستطرد منتقدا العودة لمفاوضات يارنغ قائلا : « عندما حرك المصريون (١٢) بطارية صواريخ انسحبوا من المفاوضات ... والان وقد حركت مصر (٥٠) يعودون اليها ... من الصعب فهم هذا .. ان الصواريخ لم تختف من الجانب الغربي من القناة وانما اختفت من حقلنا السياسي » ، لينتقل بعد ذلك الى مهاجمة تخوفات دايان من احتمالات ازدياد التدخل الروسي ، ذاكرا ان اسرائيل اوقفت غارات العمق لما ظهر الطيارون الروس في سماء مصر ليتضح لها فيما بعد انها تستطيع ان تسقط في معركة جوية (٤) طائرات ميغ يقودها طيارون روس ... ولخص رايه في النهاية بأن اسرائيل يجب أن لا تتردد في عبور القناة واحتلال القاهرة وايضا بغداد وعمان اذا اقتضى الامر ذلك، وانها يجب الا تخشى الروس لانه ليس في قدرتهم ارسال العدد الكافي من الجنود لايقاف تقدم الجيش الاسرائيلي . وهي آراء نال عليها وايزمن بعد أقل من اسبوعين من دايان ، بصدد رد الاخير الساخر عليه في اجتماع مغلق ، لقب فيلسوف جاحال الجديد ووزير دفاع حكومة الظل .

ان عيزر وايزمن ، الذي انتخب في ١٩٧٠/١٢/٩ من قبل مركز الحركة كرئيس لادارة حيروت هو النجم الصاعد الان في المسرح السياسي الاسرائيلي ، ومن المتوقع ان يلعب دورا متناميا في الحياة السياسية الاسرائيلية ، وخاصة بعد انتقال كتلة جاحال الى صفوف المعارضة . أن المراقبين السياسيين يرون في انتخاب عيزر وايزمن ، وهو حديث العضوية في الحركة المذكورة ، ما يشبه الانقلاب فيها . فهذه اول مرة في تاريخ الحركة ينتخب فيها عضو لم يرق تدريجيا مراتب الحزب لمثل هذا المركز الحساس الذي يأتي ترتيبه في الاهمية مباشرة بعد مركز الرئاسة الذي يشغله مناحيم بيجن . ويرى المراقبون في انتخابه تعزيزا لما يسمى بكتلة كرمرمان في الحركة ، وهي مجموعة برجماتية تدعو لانتهاج سياسة اكثر واقعية وديناميكية من السياسة التي كانت تتبعها الادارة المذهبية الجامدة السابقة . ويتوقع المراقبون ان يقرب وايزمن اليه الجنرالات المتقاعدين المتواجدين في صفوف الحركة ، وعددا من الاقتصاديين والمنظمين الجديدين ، وان يلائم برامج الحزب لتصبح اكثر انسجاما مع ظروف الواقع الدولي الراهن المختلفة عن ظروف واقع نشأة ونمو الحركة .

كما رأى المراقبون في تألق نجم الجنرال عيزر وايزمن (قائد سلاح الطيران ورئيس شعبة عمليات الجيش سابقا بالتالي) تعبيرا عن ظاهرة باتت ملموسة بشكل واضح في ميدان السياسة الاسرائيلية ، وهي ظاهرة تزايد عدد الجنرالات في صفوف الحزبين السياسيين الكبيرين في البلاد : حزب العمل وحركة حيروت . يعدد موشيه مايلزس في مقال كتبه في معريف (١٩٧٠/١١/٢٣) أسماء ستة جنرالات سابقين مشهورين يحتلون الان مراكز مرموقة في حزب العمل وهم : يوسف افيدر ، عوزي نركيس ، اهرون رمز ، يوسف جبيع ، شلومو لهط ، والعاد بيلد . كما يعدد اسماء عشرة اخرين كانوا يحملون رتبة بريغادير جنرال . ويذكر ان عددا من الضباط الكبار العاملين حاليا في الجيش اتصلوا مؤخرا بحركة حيروت ليبدوا لها المشورة . ويرى المراقبون السياسيون ان الخطر في تزايد الميل لدى الحزبين الرئيسيين لضم الجنرالات الى صفوفهما يكمن في احتمال ان يصبح هؤلاء الجنرالات ، بآرائهم العسكرية الضيقة ، السلطة المقررة لسياسات الاحزاب فيما يتعلق بشؤون الامن .

احزاب اخرى

وفي نفس الوقت الذي كانت خلاله حركة حيروت

تعقد مؤتمرها العاشر كانت الحملة الانتخابية الداخلية في حزب العمل تمهيدا لمؤتمر الحزب في أوجها، وقد أظهرت النقاشات التي دارت في فروع الحزب ان الكتل الثلاث التي يتكون منها حزب العمل (المباي ــ احدوت همعودا ــ رافي) لا تزال قائمة داخله . وقد عبر سكرتير الحزب الجديد ، أرييه (لوبه)الباب خلف سابير، عن رأيه بأن المندوبين الذين سيحضرون المؤتمر سيأتون وفي اعماق كل منهم هويته الحزبية السابقة .

ويبدو أن المسائل التي احتلت مركز الصدارة في مناقشات فروع الحزب ومؤسساته المختلفة كانت مسالة الوراثة ، بمعنى من يكون او يخلف غولدا مئير في رئاسة الوزراء ، ومسالة الموقف من مفاوضات يارنغ ، ومسالة النظام الانتخابي الجديد الذي أقر الحزب رسميا تبنيه بدلا من النظام السابق .

على صعيد الوراثة كان الشخص الذي بذل النشاط الاكبر في الحملة الانتخابية هو موشيه دايان . وقد ابدى الوزير المذكور في اكثر من مناسبة رأيا قال فيه ان انتخابات الحزب الداخلية لا تقل اهمية عنده من انتخابات الكنيست ، ان لم تكن تفوقها في الاهمية . ويبدو انه ، رغم سخرية بيجن وآخرين من هذا القول ، يعتبرها فعلا كذلك . اذ يذكر المراقبون ان الجهد والوقت الذي خصصه دايان للظهور في اجتماعات ومناسبات الحملة الانتخابية فاق بكثير الوقت والجهد الذي خصصه في انتخابات الكنيست التي تمت في نوفمبر ١٩٦٩ . ولم يخف كثير من المراقبين وخصوم دايان السياسيين رأيهم في أن تصريحاته التي أثارت الجدل العاصف المحكي عنه أعلاه كانت نابعة في حقيقتها من رغبته في اظهار نفسه بمظهر الشخص المعتدل الذي يمكن أن يكون زعيما لحزب العمل بمجموعه وليس مجرد زعيم لكتلة «الصقور المتطرفة» المتبلورة حوله .

الا انه رغم ذلك يشير المراقبون الى انه ما زال الوقت باكرا لاعتبار دايان وريثا محتملا لغولدا مئير، او لشغل منصب رئيس الحكومة . واشارت الاستفتاءات التي اجريت داخل مؤسسات الحزب، والمؤشرات الاولية لانتخابات الفروع كما تمت ، الى أن الرجل الاقوى على مستوى الحزب ما يزال بنحاس سابير السكرتير السابق ، وان كان هذا قد اعلن انه لن يرشح نفسه لمنصب رئاسة الحكومة ، وفهم المراقبون من ذلك أنه يفضل أن « يتوج » بدلا من أن يحكم .

وعلى صعيد مفاوضات يارنغ انتهى النقاش حولها كما هو معروف بارتصاص صفوف التيارات جميعها وراء قرار الحكومة بالعودة اليها، والمناورة ضمنها لانتزاع اقصى ما يمكن انتزاعه من مكاسب . واما على صعيد تغيير نظام الانتخابات فنذكر القارىء بأن هذا كان أحد المطالب الاساسية لحزب رافي سابقا، ومثل احدى النقاط الاساسية التي تركز حولها الجدل لما انفصلت مجموعة بن غوريون في عام ١٩٦٥ عن حزب المباي لتكون الحزب الجديد . ان هناك قرارا متخذا من الحزب بتغيير النظام الانتخابي من نظام نسبي الى نظام مناطقي ــ نسبي في آن واحد دون تحديد عدد المناطق وعدد النواب الواجب انتخابهم في كل منطقة ، وبالمقابل عدد النواب الواجب انتخابهم على اساس نسبي . ان النظام الانتخابي الاسرائيلي الحالي يقوم على اساس توزيع مقاعد الكنيست الاسرائيلية على القوائم الانتخابية وفقا للنسبة التي تحوزها كل قائمة من مجموع الاصوات على مستوى البلد ككل. وتغيير نظام الانتخابات من نظام نسبي الى مناطقي يمكن ان يؤدي الى سقوط كثير من الاحزاب الصغيرة ، اذ يصبح من الارجح في هذه الحالة فوز المرشح الاقوى في كل منطقة ، مسقطا بفوزه مرشحي الاحزاب الصغيرة التي تصل الى الكنيست الان بحكم مجموع الاصوات التي تنالها في مختلف انحاء البلاد . وليس سرا ان زمرة قوية في حزب العمل ، لاسباب مختلفة ، ليست متحمسة لتغيير نظام الانتخابات ، وتؤجل بالتالي وضع برنامج اكثر تفصيلا بشأنه ، وان كانت لم تعترض على اجراء اتصالات مع الحزب الليبرالي ، شريك حيروت في كتلة جاحال ، بغية جس النبض للاتفاق على مشروع قانون يطرح في الكنيست لتعديل نظام الانتخابات ، حيث ان الحزب المذكور يدعو ايضا لنفس الفكرة . وفي الوقت الذي يتجه فيه حزب العمل (مباي/ رافي/أحدوت همعودا) وكتلة جاحال (حيروت/ الليبراليون) نحو مزيد من الوحدة ، بدت علائم التفكك تظهر على « القائمة الرسمية » ، وهي القائمة التي شكلها بن غوريون بعد عودة ابرز عناصر رافي (دايان ــ بيرس) الى حزب العمل ، متسببين بذلك في سقوطه كحزب مستقل . فقد قدم عضو الكنيست ، ابيزوهار ، رئيس القائمة والشخص الثاني فيها بعد بن غوريون ، استقالته من رئاسة القائمة في النصف الثاني من نوفمبر ١٩٧٠ ، معلنا ان الخلافات بين اعضائها لا يمكن

التوفيق بينها . واتهم ابيزوهار عضوي القائمة البارزين هوروفيتس وأ.هرئيل بانهما يحاولان فرض آرائهما الشبيهة بآراء بيجن على القائمة باكملها. ان القائمة لم تنشق رسميا بعد ، وقد اجتمعت سكرتاريتها بتاريخ ١٩٧٠/١١/٢٣ واصدرت بيانا عبرت فيه عن استيائها من تصريحات ابيزوهار . ولكن المراقبين السياسيين يتنبؤون لها بالانشقاق بعد فترة ليست بالطويلة ، وبتوزع عناصرها على حزبي العمل وكتلة جاحال . وهي نبوءة كانت قد طرحت كاحتمال بعد اعتزال بن غوريون للحياة السياسية في أيار (مايو) من العام الماضي ، ويبدو ان التطورات داخل القائمة الرسمية تأتي لتعززها.

الدورة الشتوية الجديدة للكنيست السابعة : واثناء غياب غولدا مئير وأبا ايبن عن البلاد لحضور دورة الامم المتحدة افتتحت الكنيست السابعة دورتها الشتوية ، خلافا للعرف المتبع ، بنقاش حول شؤون مالية وقضائية روتينية بحضور سابير وزير المالية وشابيرا وزير العدلية .

وقد افتتح روبين بركات ، رئيس الكنيست ، الدورة بقوله : « خلافا للمألوف والمرغوب ، لا تفتتح الكنيست دورتها هذه المرة بنقاش سياسي ... » معبرا بذلك عن استيائه من خرق الحكومة لهذا العرف ، مبديا عدم اقتناعه بالحجة القائلة بأن السبب في ذلك يرجع الى غياب رئيسة الحكومة ، اذ كان ممكنا ان ينوب عنها ايغال الون او موشيه دايان في ذلك . وربما كان السبب في مخالفة الحكومة لاعراف الكنيست رغبة الحكومة في تحاشي نقاش في الكنيست يمكن ان ينجم عنه احراج لرئيسة الحكومة ووزير الخارجية في المحفل الدولي.

ان قراءة سريعة لتقارير الصحافة عن جلسات الكنيست تظهر ان الدورة المعقودة ظلت طوال الفترة المستعرضة في هذا الباب باهتة وعادية . وابرز جلستين فيها ، من زاوية القارىء العربي، وربما الاسرائيلي ايضا ، كانت اولا جلسة ليل ١٩٧٠/١١/١٧ التي اعلنت فيها غولدا مئير انها لن تعود لمحادثات يارنغ الا اذا وجدت «ظروفا جديدة» تبرر العودة . وقد استمر النقاش في تلك الجلسة (٧) ساعات واعطتها حيويتها هجمات جاحال على سياسات الحكومة بشأن مفاوضات يارنغ . وثانيا جلسة ١٩٧٠/١٢/٢ التي ادلى فيها ايغال الون ببيان حول سير الاستيطان . وقد ذكر الون في بيانه ان الحكومة وافقت مؤخرا على اقامة اربع مستوطنات جديدة ، وبناء مستوطن شبه مديني... وانه تمت مصادرة (١١،٤٠٠) دونم في القدس العربية لبناء مساكن جديدة .

وعقب البيان نهض بيجن ليتهم الحكومة بالتباطؤ ويكرر الدعوة لانشاء مدن يهودية في جميع انحاء المناطق المحتلة . وتساءل : لماذا تسمح الحكومة باستيطان الخليل ولا تسمح باستيطان غيره ؟

وفي معرض رد الون على زعيم المعارضة الاسرائيلية ذكر أنه قد تمت اقامة (٢٨) مستوطنة « ذات اهمية أمنية وقومية من الدرجة الاولى » في المناطق المحتلة منذ حرب حزيران . وانه اضافة للخطوات المذكورة اعلاه شرعت الحكومة باقامة الضاحية اليهودية في الخليل . وأكد ان الحكومة ما زالت عند تعهدها بالاستمرار في الاستيطان المحدود في جميع انحاء المناطق . ولم ينس أن يذكر أن المايام، رغم تحفظه تجاه سياسة الاستيطان ، قد وقع على الخطوط الموجهة لسياسة الحكومة . ويذكر مراسل معريف (١٩٧٠/١٢/٣) انه « رغم حساسية الموضوع جرى النقاش بين الون وبيجن بهدوء ... وتبادل الاثنان الابتسامات أكثر من مرة » .

أ. خ.

---

(٢) الاقتصاد الاسرائيلي

مضى على وقف اطلاق النار بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل والهدوء الذي ساد باقي الجبهات العربية ما يزيد على الستة أشهر . وقد كان من المتوقع ان يترك هذا الوضع الجديد أثره على النشاط الاقتصادي في اسرائيل سواء في القطاع الخاص ام القطاع العام. وخلال هذه الفترة توقعت كثير من الاوساط والهيئات الاقتصادية في اسرائيل ان تظهر بوادر التغيير من خلال الميزانية العامة للحكومة للعام الحالي ١٩٧١/٧٢ والتي ظهرت ملامحها في الصحف الاسرائيلية في منتصف تشرين الثاني عام ١٩٧٠ . ولا شك ان الميزانية الاسرائيلية تعتبر من أهم المؤشرات التي تعكس عملية توزيع

الموارد الاقتصادية في اسرائيل نتيجة للدور الكبير الذي تلعبه الحكومة في التأثير على مستوى النشاط الاقتصادي سواء من جانب النفقات او من جانب الواردات . فالنفقات العسكرية والانشائية هي المحرك الاساسي لمجمل النشاط الاقتصادي وتؤثر تأثيرا كبيرا على مستويات الدخل والاسعار والعمالة كما ان الضرائب والقروض من ناحية الواردات تؤثر على كل من حوافز الانتاج وعلى حجم الدخل المتبقي في حوزة الجمهور .

١ ــ الميزانية العامة للسنة المالية ١٩٧١/٧٢ :

عقدت الحكومة الاسرائيلية اجتماعا استثنائيا في اليوم الاول من كانون الاول ١٩٧٠ لاقرار الميزانية العامة للسنة المالية ١٩٧١/٧٢ . وقد بلغت جملة الميزانية (١٣،٣٠٠) مليون ليرة اسرائيلية اي ما يساوي ٣،٨ بليون دولار . وتمثل هذه الميزانية زيادة قدرها (٢٢٠٠) مليون ليرة اسرائيلية اي ما يوازي ٢٠٪ زيادة عن الموازنة السابقة .

وخلافا لما توقعه الكثير من المراقبين فانه لم يطرأ اي تغيير على حجم موازنة الدفاع اذ بقيت في حدود (٥٤٠٠) مليون ليرة اسرائيلية حيث لا تزال تمثل ٤٠٪ من مجمل الميزانية كما لم يلحظ اي تغيير يذكر على مخصصات الابواب الثابتة مثل الاجور والرواتب والمصاريف الادارية . وفي راي مصادر وزارة المالية الاسرائيلية ان الحكومة راعت خمسة امور في الميزانية الجديدة :

ا ــ الامتناع عن ادخال اي زيادة اضافية على معدل الضريبة بعد ان وصلت الى اعلى مستوى لها منذ عشرين عاما والتي أصبحت تهدد حوافز الانتاج الخاص بأوخم العواقب .

ب ــ محاولة الحفاظ على مستوى ثابت للاسعار حتى لا تمتص الزيادة في مستوى الاسعار اية زيادة حقيقية في الانتاج .

ج ــ اقناع نقابات العمال الممثلة « بالهستدروت » بعدم المطالبة بزيادة في مستوى الاجور حتى لا تفقد الصناعات الاسرائيلية قدرتها على المنافسة في الاسواق العالمية .

د ــ زيادة مخصصات التثمير في قطاعات الزراعة والصناعة والسكن بعد أن هبطت في السنوات الثلاث الاخيرة حتى يستطيع الاقتصاد الاسرائيلي ان يحافظ على معدل مرتفع للنمو الاقتصادي بعد الانخفاض في حجم النفقات العسكرية الفعلية .

هـ ــ الاتجاه نحو مصادر التمويل الداخلي على شكل قروض داخلية من الجمهور والتخفيف قدر الامكان من اللجوء لمصادر التمويل الخارجي لتخفيف العبء على ميزان المدفوعات .

واذا ما استمر الوضع على ما هو عليه حاليا على الجبهات العربية واذا ما تمدد وقف اطلاق النار بعد الخامس من شباط فمن المتوقع ان تحقق الميزانية الاسرائيلية وفرا في مخصصات الدفاع . فالمعروف ان أرقام الميزانية تقديرية وان المؤشر الاكثر اهمية هو المبالغ المنصرفة فعلا على كل بند من بنود الميزانية .

وقد يبدو غريبا ان تبادر الحكومة الاسرائيلية الى تخصيص نفس النسبة من الميزانية لامور التسلح والنفقات العسكرية من الميزانية الجديدة رغم توقف اطلاق النار واحتمال عدم تجدد القتال لمدة اخرى على الجبهات العربية . والواقع ان هذا الاتجاه لم يفاجيء كثيرا من المراقبين .

ان تخصيص نفس النسبة لمخصصات الدفاع في الميزانية الجديدة رغم حالة وقف اطلاق النار يهدف الى تحقيق جملة اغراض سياسية واقتصادية ونفسانية في داخل اسرائيل وخارجها يمكن تلخيصها بما يلي :

اولا : الاستمرار في وضع المواطن الاسرائيلي في حالة تأهب نفسي حتى يظل راضيا عن التضحيات المادية التي لا يزال يتحملها .

ثانيا : اشعار دول المواجهة وخصوصا الجمهورية العربية المتحدة بأن اسرائيل مستعدة لمجابهة عسكرية جديدة اذا اقتضى الامر في حالة عدم تجديد وقف اطلاق النار في ٥ فبراير (شباط) .

ثالثا : الضغط على نقابات العمال في اسرائيل (الهستدروت) لكي تستمر في التقيد باتفاقية الاجور الموقعة بين الحكومة والهستدروت والتي تنص على عدم مطالبة العمال بزيادات جديدة في الاجور . وهذا الاجراء احترازي ويحمي الاقتصاد الاسرائيلي من اية بوادر تضخمية لا يريد تحملها في هذه الظروف .

رابعا : تجنب وقوع الاقتصاد الاسرائيلي في حالة من الركود الاقتصادي المؤقت الذي يرافق عادة تحول الموارد الاقتصادية من تمويل النفقات العسكرية الى تمويل اوجه النشاط الاقتصادي المدني خصوصا وان الصناعات الحربية أصبحت المحرك الرئيسي لقطاع الصناعة في اسرائيل .

خامسا : الاستمرار في جباية الاموال من الجاليات اليهودية في العالم عن طريق استنفارها واقناعها بأن حالة الحرب لا تزال قائمة .

وفي مقابلة اذاعية مع المستشار الاقتصادي لوزارة الدفاع الاسرائيلية أكد «يسحاق زوسمان» ان وقف اطلاق النار لن يؤثر على حجم النفقات العسكرية على اساس تعويض المعدات والذخيرة التي فقدتها اسرائيل اثناء المعارك التي جرت على جبهة قناة السويس في العام الماضي .

٢ ــ الميزان التجاري وميزان المدفوعات : تؤكد التقديرات الاولية ان العجز المرتقب في الميزان التجاري الاسرائيلي سيكون في حدود (١٤٥٠) مليون ليرة اسرائيلية أي ما يوازي ٤١٦ مليون دولار علما بأن العجز الحاصل في ميزان المدفوعات لعام ١٩٧٠ سجل رقما قياسيا لم يبلغه من قبل ، اذ وصل الى ١٣٠٠ مليون دولار . (الميزان التجاري هو حصيلة الفرق بين الواردات والصادرات في حين ان ميزان المدفوعات يشمل بالاضافة الى الميزان التجاري الخدمات وانتقال رؤوس الاموال والمساعدات وغيرها) .

والتقديرات الحالية تشير الى ان حجم الاستيراد سيرتفع من ٧٠٠ مليون دولار الى ٨٢٦ مليون دولار اي بزيادة ١٨٪ ، في حين ان الصادرات سترتفع من ٣٥٠ مليون دولار الى ٤١٠ ملايين دولار اي بزيادة قدرها ١٧٪ .

وقد دعا « سابير » وزير المالية الصناعيين الى زيادة صادراتهم وتنمية الصناعات التقنية وكذلك تنمية الصناعات التي تعمل للجهد الحربي .

ونتيجة للعجز الحاصل في ميزان المدفوعات فقد انخفض احتياطي اسرائيل من العملات الاجنبية الى ٤٢٠ مليون دولار . والمعروف أن ديون اسرائيل الخارجية وصلت الى ٢٨٠٠ مليون دولار وان حجم الفوائد التي ستدفع لهذه القروض سيبلغ ١٨٠ مليون دولار خلال ١٩٧١ .

وفي تصريح للمدير العام لوزارة المالية الاسرائيلية اثناء تقديمه الميزانية الجديدة لرجال الصحافة أعلن ان مستوى الضرائب سيظل على حاله ، والمعروف ان معدلات الضريبة تصل الى ٤٠٪ على دخل الافراد ذوي الشرائح العالية للدخل وان كل اسرة اسرائيلية تدفع سنويا ضرائب تصل في المتوسط الى ٦٨٥٠ جنيها اسرائيليا .

٣ ــ التحديات التي تواجه الاقتصاد الاسرائيلي :
لا تزال مشكلة الارتفاع في مستوى الاجور العقبة في وجه زيادة حقيقية في مستوى الانتاج . وقد طالب محافظ بنك اسرائيل المركزي الوقوف بحزم في وجه زيادة الاجور وقال « ان نجاح سياسة اسرائيل الاقتصادية او فشلها يتوقف على تجميد الاجور على مستواها الحالي » . واضاف « ان احتياطي اسرائيل من النقد الاجنبي لا يعود الى تحسن ميزان مدفوعاتها بل يرجع فقط الى تدفق التبرعات والقروض من الخارج والتي بلغت ٥٠٠ مليون دولار خلال عام ١٩٧٠ » . والمشكلة الثانية هي ارتفاع مستوى الاسعار للسلع الاستهلاكية وهذه المشكلة مرتبطة بارتفاع الاجور على اساس ان ارتفاع اسعار السلع الاستهلاكية يدفع « الهستدروت » الى المطالبة بزيادة الاجور . وبعد ان استطاعت السلطات الاسرائيلية التحكم بمستوى الاسعار مدة ثلاثة أعوام عادت الاسعار الى الارتفاع بشكل ملحوظ خلال عام ١٩٧٠ حيث ارتفعت بنسبة تتراوح بين ١٠ ــ ١٢٪ نتيجة لفرض ضرائب غير مباشرة على كثير من السلع الاستهلاكية والزيادة الكبيرة في حجم الانفاق العام .

وحيث ان الزيادة المتحققة في الناتج الوطني كانت في حدود ٩٪ خلال العام ١٩٧٠ فان ذلك يعني ان الاقتصاد الاسرائيلي لم يحقق اية زيادة حقيقية في حجم الناتج الوطني خلال العام المشار اليه .

والملاحظ في هذا الصدد ان السياسة الاقتصادية الحالية هدفها تعبئة الموارد البشرية من طريق تحقيق مستوى مرتفع للعمالة لكي تتجنب المشاكل الاجتماعية التي تخلقها حالة البطالة .

٤ ــ هل من تخفيض جديد ؟ لا تزال الاوساط الاقتصادية الاسرائيلية تتحدث عن امكانية اضطرار الحكومة الاسرائيلية الى تخفيض قيمة الليرة الاسرائيلية مرة إخرى اذا فشلت الحكومة هذا العام في ضبط العجز في ميزان المدفوعات في نطاق معقول . وتحاول الحكومة الاسرائيلية تجنب هذا الاجراء نظرا للاثار التضخمية التي يتركها التخفيض بالنسبة لارتفاع الاجور واسعار السلع المستوردة من الخارج .

٥ ــ المناطق العربية المحتلة : لا تزال سياسة اسرائيل الاقتصادية بالنسبة للاراضي العربية المحتلة تهدف الى غرضين رئيسيين : الاول اجتذاب المزيد من اليد العاملة للعمل في قطاعي البناء والزراعة للتخفيف من مشكلة النقص في اليد العاملة في اسرائيل نظرا لحالة التعبئة العسكرية ولانخفاض مستوى اجور العمال العرب بالمقارنة للعمال الاسرائيليين . ويتوقف مدى نجاح الخطة الاسرائيلية لزيادة التشميرات الموجهة صوب قطاعي البناء والزراعة على اجتذاب المزيد من اليد العاملة

العربية للعمل في اسرائيل والتي تقدر الان بـ ٤٠ الفا اي ما يساوي ٤ ٪ من مجموع القوى العاملة في اسرائيل .

ثانيا جعل الضفة الغربيـة وغزة مجالا حيويـا للتجهيزات الزراعية والبضائع الاستهلاكية المنتجة في اسرائيل . وتدل آخر الاحصائيات المنشورة في نهاية ديسمبر عام ١٩٧٠ ان ٨٠٪ مـن واردات الضفة الغربية تأتي مـن اسرائيل ، في حين ان المناطق العربية المحتلة لا تصدر الى اسرائيل اكثر من ٤٠٪ من صادراتها .

وتأمل اسرائيل في النهاية ان تكون الاراضي العربية المحتلة الجسر الاقتصادي الذي ستعبر عن طريقه الى الاسواق العربية في البلدان العربية المجاورة.

يوسف شبل

---

(٣) المقاومة الفلسطينية

هل يمكن القول ان معركـة أيلول في الاردن قد انتهت ؟ ان اشد المراقبين تفاؤلا لا يستطيع المغامرة براي من هذا النوع. فمنذ أن أعلن اتفاق القاهرة، ومنذ أن تشكلت اللجنة العربية برئاسة الباهي الادغم ، والاردن يعيش في حـالة غليان ، هي استمرار طبيعي لمعركة أيلول . والمعركة المستمرة هذه، تسير في اتجاهين متناقضين ، اتجاه «داخلي» تعكف فيه حركة المقاومة الفلسطينية ، في مؤسسات الوحدة الوطنية ، وداخل صفوف كل فصيل فدائي، على القيام بعملية مراجعة لكل سياساتها الماضية، للخروج من عملية المراجعة هذه بتصور سياسي وعسكري جديد ، ينسجم مع نتائج معركة أيلول . واتجاه « خارجي » تخوض فيـه حركة المقاومة سلسلة من الصراعـات العسكـرية الصغـيرة والمتلاحقة ، مع النظام الاردني . وفي بعض الاحيان يتداخل الاتجاهان ، حتى يصبح من الصعب على المراقب البعيد أن يفصل بينهما ، فتقع أخطـاء واضحة في التقييم .

وسنحاول هنا ان نبرز اهم التطورات على الصعيدين الداخلي والخارجي اللذين ذكرناهما .

١ ــ الحوار الفلسطيني الداخلي : في بداية الشهر الماضي ، ويوم ٧٠/١٢/٣ بالتحديد ، عقدت اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية اول اجتمـاع رسمي كامل لها منـذ توقف القتال . وكان من المفروض سلفا ان تكون لهذا الاجتماع اهمية خاصة، فهو الاجتماع الذي سيقرر الخط السياسي لحركة المقاومة ، على ضوء نتائج المعركة ، وهو الاجتماع الذي يعقد بعد أن قامت كافة فصائل المقاومة بعقد سلسلة من المؤتمرات الداخلية بلورت فيها وجهات نظرها ، في ظـرف سياسي ، يعتبر من أعقـد الظروف التي واجهت العمل الفدائي حتى الان ، وهو أيضا الاجتماع الذي يعقد بعد أن قام السيد ياسر عرفات بجولة عربية واسعة لاستطلاع وجهات النظر الرسمية .

وقد أعلنت نتيجة لهذا الاجتماع بعض القرارات المتعلقة بالتوحيد العسكري ، ولكن لم ينشر بعد شيء رسمي عـن طبيعة المناقشات التـي دارت واتجاهاتها السياسية ، باستثناء بعض التصريحات الصحفية العامة ، ومع ذلك يمكن رصد بعض الاتجاهات الاساسية التي تفاعلت اثناء المناقشات.

لقد تقدم اكثر من فصيل فدائي ، بمذكرات رسمية لاجتماع اللجنة المركزية، يشرح فيها تحليله لمعركة أيلول ، ويقترح حلولا للعمل الفلسطيني الموحد حتى يكون قادرا على مواجهة الظروف الجديدة ، والمحافظة على بقاء حركة المقاومة واستمرارها . والفصائل التي قدمت مذكرات رسمية هي (الجبهة الشعبية الديمقراطية ــ الجبهة الشعبية ــ جيش التحرير الفلسطيني ــ الجبهة الشعبية : القيادة العامة ــ قوات الانصـار (فصيل مراقب) ــ المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين) بالاضافة الى مذكرتين قدمهما المستقلون في اللجنـة المركزية ، مذكرة قدمها السيد ابراهيم بكر ، ومذكرة اخرى قدمها عبدالخـالق يغمور ، ويحيى حموده رئيس المجلس الوطني الفلسطيني .

ويمكن استخلاص تيارين سياسيين رئيسيين من خلال كل هذه المذكرات :

التيار الاول : يركز اهتمامه على العلاقات الداخلية بين فصائل حركة المقاومة ، داعيا الى الاندفـاع خطوة كبيرة على طريق التوحيد ، وخاصة توحيد القوات العسكرية .

والتيار الثاني : يركز اهتمامه على العلاقات بين الحركة الوطنية الفلسطينية ، وبين الحركة الوطنية الاردنية داعيا الى تعميق التحالف بينهمـا وتبني برنامج عمل اجتماعي مشترك معتبرا ان ذلك هو

المدخل الطبيعي لمواجهة حملة النظام الاردني المستمرة لضرب العمل الفدائي .

وتوضيحا لهذين التيارين في الحوار ، نقتطف بعض النصوص التي وردت في المذكرات المقدمة . فقد جاء في مذكرة جيش التحرير الفلسطيني ، تجسيدا للتيار الاول « ان المرحلة الراهنة التي تواجهها القضية الفلسطينية ، ويتعرض لها الشعب العربي الفلسطيني ، وتمر بها المنطقة العربية بأسرها ، لم تعد تسمح بأي شكل من الاشكال بالابقاء على تعدد المنظمات في ساحة العمل الفلسطيني على النحو القائم حتى الان . وان مرحلة التحرر الوطني التي يعيشها شعبنا لا تجيز استمرار اي تناقضات بين ابناء فلسطين بعد الان . وان جدية الموقف ، وخطورة النتائج ، وامانة العمل ، وتقدير المسؤولية ، تحتم كلها توحيد العمل الفلسطيني توحيدا حقيقيا ، وقيام قيادة جماعية ، تأخذ على عاتقها المضي بالمسيرة الفلسطينية الى هدفها الصحيح » .

وجاء في مذكرة الجبهة الشعبية الديمقراطية ، تجسيدا للتيار الثاني « ان النضال من اجل تحقيق المهام الوطنية المطروحة على شعبنا لا يمكن ان ينفصل عن العمل على بناء للقاعدة الوطنية الصلبة في الضفة الشرقية ، وعن تحقيق افضل الشروط من اجل رفع مستوى معيشة اوسع في قطاعات الشعب، لان الشعب الذي يحرم من ابسط حقوقه الوطنية الديمقراطية، لا يكون بالتالي مستعدا لمجابهة أعداء وطنه » ونتيجة لهذا الفهم دعت الجبهة الى ان « تتشكل في الضفة الشرقية للاردن على امتداد الساحة الفلسطينية ــ الاردنية جبهة لكافة القوى الوطنية المعادية للاستعمار والصهيونية والرجعية، من فصائل المقاومة ، والاحزاب السياسية ، والنقابات والاتحادات المهنية ، والشخصيات الوطنية » .

الاتجاه الاول كانت تدفع باتجاهه حركة فتح ، وجيش التحرير، والمنظمات الصغيرة، والمستقلون. والاتجاه الثاني كانت تدفع باتجاهه الجبهة الديمقراطية ، والجبهة الشعبية ، والصاعقة .

وتفيد المعلومات المتوفرة ، ان أغلب النقاش الذي دار ، تركز حول افكار التيار الثاني الذي تحدثنا عنه ، والذي كان يدعو الى :

أ ــ انشاء جبهة وطنية فلسطينية ــ اردنية واحدة.

ب ــ ان يكون لهذه الجبهة برنامج اجتماعي «وطني ديمقراطي » مشترك .

ومن السهل ان نتصور ــ بناء على خلفية المنظمات الفكرية ــ طبيعة النقاش الذي دار بين اصحاب الموقفين . والذي أسفر عن حل وسط عبر صيغة مشتركة جاءت على الشكل التالي : « التأكيد على وحدة الشعب الفلسطيني الاردني ، ووحدة الساحة الفلسطينية ــ الاردنية ، والعمل على بلورة هذه الوحدة ضمن صيغة عملية تجسد العلاقات بين الحركة الوطنية الاردنية والثورة الفلسطينية ، وتنفيذ مقررات المجلس الوطني الاستثنائي في هذا الخصوص ، وتعزيز وحدة الشعب في الاردن ، ومحاربة كل أشكال التفرقة الاقليمية في الاردن » . ان هذه الصيغة تدعو الى « التحالف » مع الحركة الوطنية الاردنية ، وترفض فكرة الدمج وتشكيل عمل موحد ، وفي نطاق التحالف ، فان طرح برنامج اجتماعي « وطني ديمقراطي » يصبح من مهمة الحركة الوطنية الاردنية فقط .

وحين انتهى النقاش حول هذه النقطة ، برزت الى المقدمة القضية الاخرى الرئيسية ، قضية الوحدة الوطنية ، وخاصة في الاطار العسكري . وهنا نستطيع تسجيل الملاحظات التالية :

١ ــ ان كافة الفصائل الفدائية ، كانت شديدة الحماس لتشكيل وحدة عسكرية كاملة .

٢ ــ ابدت كافة الفصائل استعدادها للالتزام بكل قرارات اللجنة المركزية .

٣ ــ كانت كافة الفصائل متفقة ، على ان تبقى « الحياة الداخلية » لكل تنظيم مستقلة تماما، من حيث التثقيف ، والتوسع التنظيمي ... الخ .

٤ ــ ابدت الموافقة على الالتزام بقرارات اللجنة المركزية ، تلقائيا ، الى الموافقة على توحيد الاعلام المرتبط بكل تنظيم ضمن خطوط اللجنة المركزية .

كانت هذه النقاط تلخص جو الحوار حول موضوع الوحدة الوطنية ، وهي ظاهرة تبرز بهذا الشكل لاول مرة في تاريخ حوار الوحدة الوطنية بين الفصائل الفدائية . ولاول مرة أيضا ، وقف تنظيم فدائي ، لرأيه وزن مرموق ، يطالب بالتمهل في تحقيق الوحدة العسكرية الكاملة ، داعيا ان تتم هذه الوحدة على مراحل . لذلك من المهم هنا أن نقول ان صيغة الوحدة العسكرية التي اتفق عليها، قد ابقت مرحليا على قيادات المنظمات العسكرية.

هنا ... من المهم أن نطرح سؤالا حساسا : لماذا تنحل فجأة عقد الحوار بين المنظمات الفدائية حول الوحدة الوطنية ؟ بعض القوى الفلسطينية تميل لارجاع هذه الظاهرة ، الى الاحساس بالخطر .

ولكن هذا التفسير يبسط الامور أكثر من اللازم ، اذ ان التفسير المنطقي لهذه الظاهرة ، يرجع الر الاسئلة السياسية التي طرحتها معركة أيلول .

ان لكل مرحلة من مراحل العمل الفلسطيني أسئلته السياسية ، وسابقا كان الخلاف الفلسطيني ، والحوار الناشىء عنه ، يتركز حول منهج العمل لتحرير فلسطين : هل هو منهج فلسطيني بحت ، أم هو منهج فلسطيني — عربي . واذا كان للجماهير العربية دور فيه، فهل يتم ذلك من خلال «المساندة» ام على أساس التخطيط والعمل المشترك ضمن نطاق الاوضاع العربية ذات المساس بالقضية الفلسطينية . وكان هذا الحوار يستدعي ، أن يحتفظ كل فصيل باستقلاله الكامل ، حتى يتمكن من نشر وجهات نظره ، وكان اساس كل لقاءات الوحدة الوطنية ، أن يبقى لكل تنظيم هذا الحق . حاليا ، وعلى ضوء معركة أيلول ، طرأ تغير كبير على الاسئلة السياسية المطروحة على العمل الفدائي في الاردن . لم تلغ الاسئلة السابقة ، ولكن أسئلة أخرى برزت الى المقدمة . وهذه الاسئلة هي :

١ — هل من الممكن الاستمرار في التعايش مع النظام الاردني بعد أن قام بمعركة أيلول ، وبعد ان جاء بوصفي النل الى رئاسة الوزارة ، وبعد استمراره بالاجراءات العسكرية في أكثر من منطقة بالاردن ؟

٢ — اذا كان التعايش قد أصبح عملية صعبة ، فكيف نواجه عملية التحدي الجديدة التي يفرضها النظام الاردني على العمل الفلسطيني ؟ هل يكفي تنظيم الجماهير وتسليحها وتوجيهها باتجاه اسرائيل، ام ان مهمة الدفاع عن النفس تستدعي طرح شعارات اخرى أمام الجماهير تجري التعبئة على اساسها ؟.

٣ — اذا أصر النظام الاردني على الاستمرار في عملية التحدي ، هل تكون مواجهته بأسلوب معركة ايلول (الصمود في المواقع الثابتة) أم ان هناك أساليب أخرى في العمل تساعد اكثر في حماية العمل الفدائي ؟

٤ — حين يتابع النظام الاردني عملية التفريق بين الفلسطينيين والاردنيين فهل يكفي شعار «التحرير» للقضاء على هذه التفرقة ، ام أن التعامل بقضايا الجماهير الاردنية اليومية هو السبيل الى ذلك ؟

٥ — اذ كان شعار « التحرير » لا يكفي لمواجهة عملية التفرقة الاقليمية ، فمن هي الجهة التي ستتولى مسؤولية ذلك . هل هي الحركة الوطنية الفلسطينية ، ام الحركة الوطنية الاردنية ؟

٦ — ما هو نمط العلاقات الذي يجب أن يقوم بين الحركتين ، بحيث يكون نمط هذه العلاقات قادرا على مواجهة التحدي القائم ؟

ان هذه الاسئلة السياسية الجديدة ، هي التي دفعت المنظمات — بوعي أو بدون وعي — الى أن توافق على كثير مما كانت تتحفظ عليه في السابق ، مدركة بدرجات متفاوتة من الوعي ، طبيعة التغير الذي طرأ بعد معركة أيلول .

وحين نحاول أن نقيم نتائج اجتماعات اللجنة المركزية ، فان عملية التقييم يجب ان تتم من خلال تقصي نمط الاجابات الذي قدم على الاسئلة المذكورة اعلاه ، دون ان نقع في خطأ التقليل من قيمة التوحيد في اجهزة حركة المقاومة .

ثمة نقطة أخرى هامة برزت في اجتماعات اللجنة المركزية ، واوكل لامانة السر التي تشكلت من تسعة أعضاء مهمة البحث فيها ، وهي النقطة المتعلقة بمؤسسات منظمة التحرير الرئيسية ، أي تركيب المجلس الوطني ، وتركيب اللجنة المركزية. فهناك احساس عام بأن تغييرا جوهريا لا بد أن يطرأ على شكل هاتين المؤسستين وعلى مضمونهما. ومن الطبيعي اذا ما تبلور رأي حول هذا الموضوع أن يطرح للبحث والاقرار في المجلس الوطني الثامن الذي لا بد ان يعقد في فترة قريبة ، حسب ما ينص النظام الداخلي للمجلس (دورة كل ستة أشهر).

٢ — **الاشتباكات العسكرية في الاردن:** منذ أن أعلن اتفاق القاهرة ، وتم وقف اطلاق النار رسميا ، والاردن يواجه حالة مضطربة ، تتوالى فيها حوادث العنف ، والاشتباكات المسلحة . وليس من المهم ازاء موقف من هذا النوع أن نتحرى الجهة المسؤولة عن بدء كل اشتباك على حده ، لان هذا المدخل لبحث الموقف يجر أي مراقب الى دوامة التفاصيل التي لا تنتهي ، والتي لا يمكن بناء عليها الخروج بأية نتيجة . وقد غرقت اللجنة العربية لفترة من الزمن في دوامة التفاصيل هذه ، فكانت تنتقل الى موقع كل اشتباك ، وتحقق فيه ، وتجد نفسها أمام تقارير متناقضة تجعلها عاجزة عن اداء مهمتها بشكل صحيح وفعال ، بحيث شعرت اللجنة العربية نفسها أنها مضطرة للعودة الى المنطلقات الاولى لاتفاقي القاهرة وعمان ، ومناقشة أسسهما مع رجال النظام الاردني وقادة حركة المقاومة . ولذلك فقد حاول السيد الباهي الادغم ، حين عاد

مؤخرا الى عمان ، بناء على طلب من اللجنة المركزية ، أن يركز البحث على هذا الموضوع ، وأن يضع اجابات له في الاتفاق الجديد الذي تم التوصل اليه يوم ٧٠/١٢/١٤ .

والان ... ما هي ظواهر حالة التوتر في الاردن ؟

ان اتفاق القاهرة ينص على مبدأ وجود العمل الفدائي في الاردن ، وعلى حرية تنقل المقاتلين في كافة انحاء الاردن . ومن جهة اخرى فان الاتفاق ينص على حق الحكومة الاردنية في الاشراف على موضوع الامن الداخلي . ولكن الذي يجري لا يعبر عن هذه النصوص ، بقدر ما يعبر عن توازن القوى . فالسلطة الاردنية تتصرف على اساس منع أي تواجد فدائي في المناطق والمدن التي سيطرت عليها كليا اثناء معارك أيلول . كذلك منع أي عودة فدائية اليها . ونذكر على سبيل المثال الوقائع التالية :

١ ــ قامت السلطة الاردنية ، في مدينتي الزرقاء والكرك ، بعملية تمشيط للمدينتين ، بحثا عن سلاح عناصر الميليشيا ، فصادرت السلاح ، واعتقلت اصحابه ، بقصد فرض السيطرة الرسمية عليها نهائيا .

٢ ــ اما في أحياء عمان التي تسيطر عليها السلطة (جبل الحسين ــ جبل اللويبدة ــ جبل عمان) ، فانها تمنع حتى تنقل الفدائيين فيها في ساعات الليل ، وتحتجز كل سيارة فدائية تمر ، بالرغم من اوراق اللجنة المركزية الرسمية التي تحملها .

ان سياسة السلطة الاردنية في هذه المناطق تقوم على الاساس التالي (منع عودة العمل الفدائي لاي منطقة سيطر عليها الجيش اثناء معارك أيلول) . وبسبب ذلك يضم ملف اللجنة العربية ، كثيرا من الشكاوى حول رفض السلطة الاردنية الاعتراف بالوثائق الرسمية الصادرة عن اللجنة المركزية ، رغم ان اتفاقيات عمان تنص على ذلك صراحة .

بالمقابل ترد حركة المقاومة على موقف السلطة الاردنية بالمثل ، في محاولة للضغط من اجل تنفيذ الاتفاقيات بكامل نصوصها، فتحاول جهدها الاحتفاظ بمواقع نفوذها كاملة . ولذلك فهي تمنع دخول السلطة الاردنية الى الاحياء التي تسيطر عليها في مدينة عمان ، (مثل جبل الاشرفية والتاج والجوفة) . وتنفيذا لهذه السياسة أغلقت مخفرا للشرطة اقامته الشرطة الاردنية في حي المريخ الذي يعتبر أحد مداخل جبل الاشرفية ، وهددت بضرب كل مخفر من المخافر الستة التي قررت السلطة انشاءها في جبل الاشرفية .

ظاهريا يمكن القول ــ وهذا ما حدث فعلا ــ أ
حركة المقاومة تعرقل تنفيذ بند من بنود اتفا
القاهرة يعطي للسلطة الاردنية حق الاشراف عل
موضوع الامن . ولكن تحت هذا المنطق الظاهري
قدمت حركة المقاومة ردودا وجيهة . وجاء في هذ
الردود : ان حركة المقاومة لا تعرقل فتح أي مخ
للشرطة ، ولكن ما يجري عمليا هو وضع عدد قلي
من رجال الشرطة داخل المخفر في الايام الاول
لفتحه ، ثم يعزز بعد ذلك بعدد كبير من الجنو
الذين يرتدون لباس الشرطة ، والمزودين بأسلح
ثقيلة لا ضرورة لها لحفظ الامن ، فيصبح كل مخ
في هذه الحالة ثكنة عسكرية ، الهدف من وراء
واضح تماما . كذلك قالت حركة المقاومة ، أ
طوال السنوات الماضية اكتفت السلطة الاردن
بمخفر واحد لجبل الاشرفية، فلماذا تفكر الان بس
مخافر دفعة واحدة ؟

ان هذه الظواهر للاشتباكات العسكرية ، تبق
جزئية ومشتتة . ولكنها في النهاية تندرج ضمن نس
(عسكري ــ سياسي) واحد يهدف الى الاستمر
في تطويق العمل الفدائي تكميلا لمعارك أيلول
وبسبب جزئية الاحداث وتشتتها يصعب احيانا ع
المراقب أن يكتشف الخط العام الذي يجمعها. ول
ما جرى في مدينة جرش يقدم نموذجا أكثر وضو
عن الخط العام الذي تسير ضمنه اجراء
السلطة . لقد تطورت أحداث جرش على الش
التالي :

١ ــ قامت السلطة الاردنية باحتلال (تلة عصفور
التي تشكل المدخل الغربي للمدينة .

٢ ــ احتلت السلطة الاردنية أيضا قرية رح
التي تشكل المدخل الشرقي للمدينة .

٣ ــ وضعت السلطة الاردنية نقطة حراسة مشد
ومعززة على جسر سيل الزرقاء الذي يقع ع
الطريق بين عمان وجرش من جهة الجنوب .

٤ ــ كانت منذ معارك أيلول قد احتلت نقطة تقا
الطرق المؤدية الى المفرق واربد من جهة الشما
وباحتلال هذه المواقع أصبحت مدينة جرش محاص
من كافة جهاتها ، دون ان يقوم العمل الفدائي ب
تعرض لتحركات السلطة . وهنا انتقلت اجراء
السلطة الى داخل المدينة ، حسب نفس التكت
السابق المتعلق بموضوع المخافر . فوضعت عد
قليلا من رجال الشرطة داخل المخفر ، وبعد أ
عززت قوة المخفر بستة عشر جنديا يرتدون لبا

رجال الامن ، وقامت أيضا بتعزيز الحراسات عند مبنى المقاطعة الذي يضم دوائر الحكومة ، ويشكل مبنى المخفر بالاضافة الى مبنى المقاطعة مواقع عسكريين يمكن منهما السيطرة على كثير من أحياء المدينة . هنا تدخلت حركة المقاومة وقامت باحتلال المخفر ، واخراج رجال الشرطة والجيش منه . فتحركت قوات السلطة من كافة مداخل المدينة وقامت باحتلالها ، بحجة الدفاع عن المخفر ، بينما هي في الواقع تستعد لهذا الهجوم منذ أن بدأت باحتلال المواقع التي ذكرناها. والامر الذي يؤسف له أن كثيرا من الصحف العربية ، أبرزت الموضوع، على انه موضوع مخفر المدينة فقط ، فنقلت بذلك صورة جزئية جدا أخفت معالم الموضوع الحقيقية .

بعد جرش بدأت حركة المقاومة تتوقع هجوما اردنيا آخر باتجاه اربد ، خاصة وان اجراءات مماثلة جرى اتخاذها حول المدينة (ضرب القواعد المحيطة باربد بالمدفعية ، نشر لواء اردني على الحدود الفاصلة بين الاردن وسوريا) . ولكن قدوم الباهي الادغم ، ورد الفعل العربي (رسالة السادات — تصريحات القذافي) أوجد وضعا سياسيا يصعب معه الاستمرار في نفس السياسة . ولكن معطيات الامور تشير الى أن هذا التوقف مرهون بالوقت فقط ، ومن المتوقع جدا أن تبدأ معركة جديدة حول اربد ، حين تنتهي حدة المراقبة العربية للوضع .

هذه الحالة من التوتر المستمر ، ولدت — كما قلنا — لدى اللجنة العربية ، احساسا بضرورة التوجه لوضع أسس لتنفيذ اتفاقيتي القاهرة وعمان ، بعيدا عن الغرق في تفاصيل كل حادث . وقد قاد هذا الاسلوب في التفكير الى عقد اتفاقية جديدة ، وابرز ما في هذه الاتفاقية :

١ — جمع أسلحة الميليشيا ، وتخصيص أماكن معينة لها ، تتمتع بحصانة تامة .

٢ — جمع اسلحة المقاومة الشعبية التابعة للجيش بنفس الطريقة .

٣ — ازالة الصبغة العسكرية عن جميع مخافر الامن .

٤ — سحب لواء الامن من عمان (وهو اللواء الذي يستعمل كقوة عسكرية تحت ستار رجال الشرطة).

٥ — الغاء نقط التفتيش داخل العاصمة .

ونلاحظ ان موافقة الحكومة الاردنية على هذه النقاط تتضمن اعترافا واضحا بأنها كانت تنفذ فعلا التكتيك الذي شرحناه قبل قليل . وتطبيقا لذلك تم في اليوم التالي لتوقيع الاتفاق اغلاق مخفر في جبل الاشرفية وتم سحب افراد لواء الامن الذين يشغلونه ، وتم ايضا ابدال افراد لواء الامن الذين يشغلون مخفرا آخر في جبل الهاشمي بافراد شرطة عاديين .

ان هذه الاجراءات لا تعني انهاء الاشتباكات (والوقائع كل يوم تؤكد ذلك) ولكنها تعطي صورة واقعية عن نمط العلاقات القائمة بين النظام والمقاومة ، وتعطي ايضا صورة عن وضع اللجنة العربية ، وعن أسلوب عملها ، في مهمة تكاد تبدو مستحيلة ، مهمة التوفيق بين النظام الاردني وبين حركة المقاومة بعد معارك أيلول .

تبقى قضية هامة في هذا السياق لا بد من الوقوف عندها ، قضية سحب سلاح الميليشيا ووضعه في اماكن تتمتع بالحصانة . لقد أثارت هذه القضية ، ولا زالت تثير جدلا واسعا في أوساط حركة المقاومة، ذلك ان بقاء السلاح في أيدي عناصر الميليشيا ، هو الرمز المفهوم جماهيريا ، لبقاء المقاومة وقدرتها على حماية نفسها . ونظرا لحساسية القرار فقد عقدت أمانة سر اللجنة المركزية اجتماعا خاصة مع قيادة الميليشيا لشرح الخطوة لاعضائها واقناعهم بها ، ويبدو أن مهمة أمانة السر لم تكن سهلة ، لذلك دأبت امانة السر على القول أكثر من مرة ، ان السلاح لم ينزع من الميليشيا ، وان كل ما حصل هو تجميع هذا السلاح في مراكز معينة، وأن توزيعه على الجميع حين يقتضي الامر ذلك سهل وميسور. وان الهدف الاساسي من وراء ذلك هو التحكم بهذا السلاح ، حتى لا يكون استعماله عرضة للمواقف والتصرفات الفردية .

والجدير بالذكر ان موضوع الميليشيا كان قد طرح في مؤتمر القمة الذي عقد اثناء حوادث أيلول ، ولطلب الملك حسين سحب هذا السلاح،ولكن الوفد الفلسطيني برئاسة السيد ياسر عرفات رفض ذلك مؤكدا أن السلطة الاردنية تملك «المقاومةالشعبية» ولا يمكن سحب سلاح الميليشيا مع وجود المقاومة الشعبية . ويفسر هذا الموقف لماذا اشتملت الاتفاقية الاخيرة على بندين ، بند يتعلق بالميليشيا ، وبند اخر يتعلق بالمقاومة الشعبية .

٣ — العمل الفدائي في لبنان : عقب معركة أيلول مباشرة ، ترددت آراء في أوساط جماهيرية ، تتوقع احداثا في لبنان على غرار أحداث الاردن . أما الاوساط القيادية الفلسطينية ، فلم تكن ميالة لهذه الاراء ، لانها لم تشهد وقائع من شأنها أن تدعمها. وقد بدا لفترة من الزمن ، أن ثمة شواهد على

امكان انفجار الوضع في لبنان ، لو أن القيادة الفلسطينية انساقت وراء هذه الشواهد ، و تحاول أن تواجهها وأن تضعها في نطاقها الصحيح، وتتلخص هذه الشواهد في موضوعين :

الاول : حدوث سلسلة عمليات اغتيال في لبنان ، رافقتها شائعات قوية تحاول أن تلصق هذه الاحداث بالعمل الفدائي . كنوع من التغطية عن الفاعلين الاصليين .

والثاني : تدوم عدد من عناصر المخابرات الاردنية الى بيروت ، وفسر قدومهم على انه محاولة لاقناع المسؤولين اللبنانيين (وخاصة الجهات المعادية لمبدأ وجود العمل الفدائي) بضرورة متابعة معركة الاردن في لبنان ، مع استعدادهم لوضع خبراتهم تحت تصرف من يطلب ذلك . بينما قالت معلومات أخرى ان هذه العناصر جاءت الى لبنان لتنفيذ عمليات اغتيال لبعض القادة الفلسطينيين .

وقد أجرت اللجنة السياسية العليا لشؤون الفلسطينيين في لبنان ، اتصالات على مستوى عال مع المسؤولين اللبنانيين ، وطرحت هذه القضايا معهم بوضوح في محاولة جادة لتخطيها . ويبدو أنها قد نجحت في مهمتها .

وبالاضافة الى هذه الاتصالات ، قامت بنشاط اعلامي يهدف تنبيه الجماهير الفلسطينية وقواعد المنظمات ، حتى لا تبقى نهبا للشائعات ، وجاء في بيان صادر عن اللجنة السياسية ان «رد القوى المعادية للثورة بدأت في الاسابيع القليلة الماضية محاولات متعددة لمد نشاطها الى الساحة اللبنانية، كما تأكدت من وصول عدد من العناصر العميلة والمعروفة باتصالاتها الوطيدة بالدوائر الاستعمارية الى العاصمة اللبنانية ، وذلك تمهيدا لتحريك الاجواء المتوترة ، وخلق مناخ مضاد للثورة » .

ولاحظت اللجنة السياسية أن هناك محاولات «لخلق جو من التوتر بين فصائل المقاومة عن طريق شائعات خبيثةتستهدف هز الثقة العميقة بين هذه الفصائل». ودعت اللجنة السياسية الى تكريس «شعار التآخي الوثيق بين الشعب اللبناني والشعب الفلسطيني » ولكنها نبهت الى وجود جهات لبنانية تحاول الاساءة للعمل الفدائي .

وردا على شائعات ربط الاغتيالات التي حدثت بالعمل الفدائي ، اصدرت اللجنة السياسية بيانا آخر اعلنت فيه « استنكارها ورفضها لاساليب الاغتيالات والتصفيات الجسدية التي لوحظ تكرارها في الفترة الاخيرة ، والتي تستهدف القاء الشكوك حول الحركات النضالية وتشويه سمعتها على حساب المرتكبين الحقيقيين لهذه الجرائم » .

اما على صعيد الوضع الداخلي الفلسطيني في لبنان ، فقد حدثت بعض المشاكل التي طوقت بسرعة ، وعولجت بطريقة تؤدي الى تلافي بعض الاخطاء القائمة .

فقد حدثت اولا أزمة صغيرة بين جبهة النضال الشعبي وبين قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني ، حين قامت عناصر من جبهة النضال يوم ٧٠/١١/٢٦ بتطويق مبنى الكفاح المسلح بقصد اخراج عناصر من الجبهة كانت قد اعتقلت لارتكابها أخطاءادارية. وقد ادانت اللجنة السياسية هذا الموقف ، وجمدت عضوية الجبهة في لبنان ، وشكلت لجنة تحقيق للبت نهائيا بالامر . ثم عقد اجتماع آخر الغي فيه قرار التجميد بعد ان تعهد السيد بهجت أبو غربيه المسؤول الاول في جبهة النضال اتخاذ اجراءات كفيلة بمنع وقوع حوادث من هذا النوع .

وحدثت ثانيا ازمة اخرى بين الهيئة العاملة لتحرير فلسطين وقيادة الكفاح المسلح ، حين قامت عناصر من الهيئة العاملة بقتل فدائي من منظمة فتح يوم ١٩٧٠/١٢/٣١ . وخطورة هذا الحادث ان يكون قد تم بقرار من قيادة الهيئة العاملة ، ولكن مجرى التحقيق يشير الى ان الحادث فردي، وليست وراءه بالتالي أية عقلية تدعو لحل اي خلاف بين المنظمات عن طريق العنف .

وحدث ثالثا اعلان فتح اغلاق مكاتبها في مخيمات لبنان يوم ٣ ك٢ ١٩٧٠ وهو الاعلان الذي ابرزته الصحافة اللبنانية بشكل ملحوظ . والواقع ان هناك سابقتين لهذا القرار . السابقة الاولى تمت حين اعلنت اللجنة السياسية في اجتماعترأسه السيد ياسر عرفات في بيروت ، اختصار مكاتب المنظمات في العاصمة اللبنانية الى مكتب واحد فقط . والسابقة الثانية تمت في الاردن علىمرحلتين. في المرحلة الاولى وافقت اللجنة المركزية في مفاوضاتها مع اللجنة العربية، ان تفتح المكاتب في الاردن باسم اللجنة المركزية فقط ، وان لا تكون هناك مكاتب مستقلة للمنظمات . وفي المرحلة الثانية أقرتاللجنة المركزية انيجري تنفيذ القرارات التي تتخذ في عمان على كافة المناطق التي يتواجد فيها العمل الفدائي (سوريا — لبنان) . ولذلك فان موقف فتح هذا هو تطبيق لقرارات اللجنة المركزية التي ووفق عليها بالاجماع . ومن المقرر ان تصل قريبا الى بيروت لجنة خاصة من أمانة سر

اللجنة المركزية للاشراف على تنفيذ القرارات التي اتخذتها . وسيدخل ضمن ذلك ، تنظيم توزيع سلاح المليشيا على غرار ما تم في الاردن .

٤ ــ النشاط الفدائي العسكري : من الواضح أن المشاكل الكبيرة التي واجهتها حركة المقاومة الفلسطينية في الفترة الماضية قد انعكست على نشاطها العسكري ضد اسرائيل بشكل ملحوظ . وهذا أمر طبيعي جدا فرضته الظروف التي دعت حركة المقاومة الى حشد كل قواتها العسكرية للدفاع عن وجودها في الاردن . وبما أن معركة ايلول وذيولها لا زالت قائمة حتى الان ، فمن الطبيعي كذلك ان تستمر حالة الهدوء العسكري على الحدود مع اسرائيل .

وقد حاولت حركة المقاومة جهدها أن يستمر العمل العسكري على نفس المنوال في الجولان وفي الجليل الاعلى ، وذلك بالرغم من ان جزءا كبيرا من القوات المتواجدة في هاتين المنطقتين نقل الى الاردن اثناء الاشتباكات . كذلك حاولت حركة المقاومة أن تزيد من نشاط خلاياها داخل الاراضي المحتلة .

واذا أخذنا فترة الشهر الواقعة بين الخامس من كانون الاول ، والخامس من كانون الثاني كمثال ، فاننا نجد هدوءا ملحوظا في منطقة الاغوار فقد تمت في هذه الفترة عمليتان فقط ، بينما نجد أن حوالي ٢٠ عملية تم تنفيذها في منطقتي الجليل الاعلى والجولان . وقد أدت هذه العمليات الى رد فعل اسرائيلي شديد ، اذ شنت اعتداءين كبيرين على لبنان في ٢٨ و٣٠ كانون الاول .

أما داخل الاراضي المحتلة فقد جرت اكثر من ١٥ عملية ، قامت بجزء بارز منها حركة فتح. وقد لوحظ ان فتح قامت بتنفيذ عمليات مدروسة في الذكرى السادسة لانطلاقتها (٦٥/١/١) .

اما في قطاع غزة فان ظواهر هامة وملفتة للنظر برزت في الاونة الاخيرة . فبالرغم من جو الارهاب القاسي الذي تفرضه السلطات الاسرائيلية ، لا تكتفي حركة المقاومة بالتعبير عن نفسها بالعمليات العسكرية التي تنظم بالخفاء ، بل هي تحاول تغذية النضال الجماهيري ، على غرار المظاهرة المسلحة التي قامت اثناء تشييع جنازة احد المسؤولين العسكريين في الجبهة الشعبية ، كذلك حالة التوتر الجماهيري التي سادت بعد اقالة رئيس بلدية غزة السيد راغب العلمي بسبب « سلوكه المعادي ومشله في التعاون مع الحكومة العسكرية» كما قال مسؤول اسرائيلي ، والتي اسفرت عن عدد من الهجمات العسكرية ، وعن محاولات لتنظيم مظاهرات قمعت بالقوة . وقد عبر تدوم « شلومو هليل » وزير الشرطة الى غزة لمراقبة الوضع ، عن حدة حالة التوتر ، وعن اهتمام المسؤولين الاسرائيليين بها .

ب٠ ح٠

---

(٤) القضية الفلسطينية عربيا

يوم الخامس من كانون الثاني اعلن يو ثانت رسميا عودة مبعوثه الشخصي « غونار يارينغ » لاستئناف مهمته في الشرق الاوسط . وقد تقررت هذه العودة في جو سياسي حالك ، تكتنفه المناورات السياسية من كل جانب ، وتسيطر عليه ضغوط متبادلة تقوم بها الدول الكبرى ، في محاولات للتأثير على مجرى هذه المرحلة من المباحثات . وطابع التشدد الذي يرافق هذه المرحلة من مهمة يارينغ يبدو في الظاهر وكأنه يعود بالمحادثات الى بداياتها الاولى . ولكن كثيرا من المراقبين يميلون الى القول بأن كل هذا الذي يجري هو جزء من لعبة المفاوضات ، سواء من زاوية التشدد حتى يمكن الوصول الى نقطة التراجع المقررة سلفا ، او من زاوية اتعاب الخصم حتى يصل الى مرحلة الادراك بأن لعبة شد الحبل قد انتهت .

وقد لا يكون هذا التبسيط مناسبا بالنسبة لقضية معقدة ومتشابكة مثل القضية الفلسطينية ، اذ نجد الى جانب التعارض العربي ــ الاسرائيلي في المواقف تعارضا دوليا آخر يجعل الصراع المحلي جزءا من صراع الدول الكبرى يذكر الى حد بعيد بأجواء سياسة الحرب الباردة . فهل يستطيع « غونار يارينغ » أن يكتشف الخط الفاصل بين الحرب الباردة والحرب الحارة، بين الموقف المناور والموقف الحقيقي ، لينفذ من خلال كل ذلك الى نقطة الالتقاء حول تفسيرات قرار مجلس الامن ، التي كاد القرار نفسه يضيع تحت انقاضها ؟. ان الاجابة على هذا السؤال تقتضي وقفة أمام وجهات نظر الاطراف الاساسية الموافقة على القرار، في محاولة

لاستكشاف ابعادها ، ونقاط التعارض فيما بينها .

١ ــ موقف المتحدة : « لن نجدد فترة وقف اطلاق النار مرة اخرى : الا اذا لمسنا جدية في الاتصالات لتنفيذ قرار مجلس الامن كاملا بكل بنوده واولها الانسحاب » . بهذا القرار السياسي افتتح العهد الجديد في الجمهورية العربية المتحدة نشاطه حول قضيته الاساسية الكبرى . وعلى الفور بدأ النظام حملة شاملة ومتعددة الجوانب ، لوضع هذا القرار موضع التنفيذ . والذي يراقب تحركات النظام المصري الان يشهد تحركا دؤوبا على كافة الجبهات ، وسط صراع دقيق مع الزمن ، وهذا التحرك المصري يدور على أربع جبهات .

الجبهة الاولى : هي جبهة الموقف السياسي الجديد الذي أشرنا اليه ، والذي أكده السيد انور السادات بشكل جازم ، ولا زال يؤكده يوميا في لقاءاته المتصلة مع ابناء المحافظات ، ومع رجالات الفكر والاعلام والقضاء . وقد شرح السادات أكثر من مرة مبررات موقفه هذا ، وهي تدور حول الفكرة القائلة بأن هدف واستراتيجية اميركا واسرائيل عام ١٩٧١ يتمثلان في أمرين :

الاول : عدم تنفيذ قرار مجلس الامن .

والثاني : جعل وقف اطلاق النار وقفا دائما لان هذا هو أنسب وضع يمكن أن تعيش فيه اميركا واسرائيل لتدخلا القضية في الحرب الباردة ، ونبقى عشرين سنة اخرى حيث يكون العدو موجودا في الضفة الشرقية ، ومن ثم يفقد العالم اهتمامه بالقضية .

وردا على هذا الفهم لاستراتيجية اميركا واسرائيل يحدد السادات موقف المتحدة على الشكل التالي : ان استراتيجيتنا في عام ١٩٧١ ، او في الستة اشهر الاولى من هذا العام ، هي الا نسمح على الاطلاق بأن يكون وقف اطلاق النار وقفا دائما ، ما لم تكن هناك جدية في مفاوضات السلام . وتتمثل هذه الجدية ، بالاتفاق على جدول زمني للانسحاب وتنفيذ قرار مجلس الامن .

وقد اكد السادات أن « الاشهر الستة الاولى من عام ١٩٧١ مصيرية بالنسبة الينا ، ومن ٥ شباط سنواجه اول موقف حاسم في المرحلة الحالية » . وهذا التأكيد على رفض تجديد وقف اطلاق النار تقابله نقطة توازن تقول « اننا نسعى الى الحل السلمي بكل قوانا ، في الوقت الذي ندعم قواتنا المسلحة بكل ما نستطيع » . بهذا التوضيح ، لا يعود هناك مجال للقول بأن تغيرا طرأ على الاستراتيجية المصرية ، ولكن هناك تغيرا واضحا في التكتيك ، ينقل الديبلوماسية المصرية الى موقف الضاغط والمهاجم . والانتقال الى موقف الضاغط والمهاجم ، يفرضه فهم المسؤولين المصريين للموقف الاسرائيلي ، على أنه موقف مناور . فتعليقا على قرار اسرائيل العودة الى محادثات يارينغ قال السادات « ان القرار مناورة هدفها تجنب لوم محتمل من مجلس الامن ، وفي الوقت نفسه الحصول على تمديد جديد لوقف اطلاق النار ، لكننا لن نسمح لهذه المناورة ان تنجح » .

وحين ثار جدل واسع حول معنى رفض المتحدة لتجديد وقف اطلاق النار ، وبدأت الصحف الغربية تقول ان مصر ستعلن الحرب على اسرائيل ، قطع السيد انور السادات الجدل حول هذا الموضوع حين قال في جامعة اسيوط « يقولون اني سأعلن الحرب في ٥ شباط . الذي قلته هو أنني لن أكون ملزما بوقف اطلاق النار في ٥ شباط ، ولن أجدد وقف اطلاق النار ، وهذا شيء يختلف تماما عن اعلان الحرب » .

الجبهة الثانية التي يدور فوقها التحرك المصري هي الجبهة الداخلية . وقد شهدت اروقة الاتحاد الاشتراكي في الشهرين الماضيين نشاطا ملحوظا ، في اجتماعات صغيرة وموسعة ، استهدفت وضع كافة الاجهزة في حالة تعبئة كاملة . ففي اجتماع موسع في الاتحاد الاشتراكي من ٢٩ ك ١ اكد السادات ضرورة وضع الشعب بأكمله في جو المعركة ، واعلن عن تأليف لجان المواطنين من اجل المعركة على مستوى الجمهورية لمواجهة اي احتمال قد تقوم به اسرائيل قبل ٥ شباط او بعده. كما أعلن ضرورة أن يكون كل مسؤول في خط المواجهة مع الجبهة الداخلية ، وان يتصرف كل مسؤول كأنه قائد لهذه المعركة ، وجندي مسؤول عن قطاع من قطاعاتها . وهذا يستدعي « انتهاء كل مسؤول من التكليفات المحددة له » . واكد انه لن يتسامح او يقبل عذرا من اي من المسؤولين مهما تكن الاسباب « فلا بد من تعاون كامل بين كل الاجهزة السياسية والتنفيذية والتشريعية » . وعرض السادات في هذا الاجتماع ضرورة توزيع المسؤوليات والواجبات توزيعا سليما في كل محافظة ، بحيث تصبح كل محافظة وحدة متكاملة قائمة بذاتها لها مسؤولياتها المباشرة ، وان تقوم كل محافظة بتصريف الامور التي تستدعيها المعركة، وتعمل على تأليف لجان المواطنين حتى مستوى

القرية .

واثناء المناقشة التي دارت بعد ذلك اكد السادات « أننا لن نقبل باية مبررات لعدم الاستعداد ، لاننا لن نسمح بانصاف الحلول ، ولن نسمح بتقاعس من احد » .

ان هذه الاجراءات ، تبدو من الناحية النظرية هامة جدا ، تلغي من اذهان الجماهير الفكرة السطحية عن الحرب ، على انها حرب الجيش على الجبهة ، مكرسة دور كل مواطن في هذه الحرب . ولكن لا بد من مراقبة اسلوب التنفيذ للتأكد من امرين. اولا فعالية سريان نشاط الاعداد الجماهيري من القمة الى القاعدة ، وهنا تتقرر النتائج الى حد بعيد حسب متانة تنظيمات الاتحاد الاشتراكي . وثانيا مراقبة ما اذا كان الاشراك الجماهيري في المعركة سيعني التعبئة النفسية فقط، او القيام بالاضافة الى ذلك بتسليح الشعب ، وضبط عملية التسليح بحيث تؤدي دورها المطلوب، مضيفة الى قوة الجيش ، قوة عسكرية محتشدة في كل مكان .

ان هذه التعبئة الداخلية ، شبيهة الى حد ما ، بالتعبئة التي سبقت حرب حزيران ، ولكنها حسب تعليقات المراقبين ، تتم في جو اكثر هدوءا ، واقل استعراضية ، ويسيطر عليها احساس اكبر بالخطورة والاهمية .

الجبهة الثالثة التي يدور فوقها التحرك المصري هي الجبهة الدبلوماسية. ففي بداية شهر كانون الاول اعلن انه قد تم وضع خطة للتحرك السياسي على الصعيدين الدولي والعربي ، تستهدف شرح موقف مصر بطريقة كاملة قبل ان ينتهي الاجل المحدد لوقف اطلاق النار المؤقت . وقالت صحيفة الاهرام « ان مصر تريد ان تعرف كل الاطراف انها ليست على استعداد لقبول المناورات الاسرائيلية ... التي تستهدف اللعب حول المقصود بقرار وقف اطلاق النار المؤقت . والمقصود الحقيقي منه هو تنفيذ قرار مجلس الامن ، لكن اسرائيل تناور لتحويله الى ترتيب دائم يتجدد كل ثلاثة اشهر ويضمن لها على اقساط الموقف الراهن كما هو بدون تغيير » .

وقد ترجمت خطة التحرك هذه بثمانية وفود على مستوى عال توزعت على كافة انحاء العالم ، ستة منها كانت مهمتها شرح الموقف المصري ، ووفدان اكتسبت مهمتهما طابعا اخر ، هما وفد الاتحاد السوفياتي برئاسة السيد علي صبري نائب رئيس الجمهورية ، ووفد دول اوربا الغربية برئاسة محمود رياض نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية .

بالنسبة للوفد الذي زار الاتحاد السوفياتي ، فقد برزت اهميته من طبيعة تشكيله اذ ضم وزير الصناعة ، ووزير الحربية ، ووزير الخارجية . كذلك تعمد الاتحاد السوفياتي ان يضفي على المحادثات مظهرا اخر من مظاهر الاهمية ، فشارك قادة الكرملين الثلاثة (بودجورني وبريجنيف وكوسيغين) في الاجتماعات . اما من حيث مضمون المحادثات فهي لم تقتصر على الجانب السياسي فقط ، بل شملت الجوانب الاقتصادية والعسكرية، وخاصة فيما يتعلق بالاجهزة الالكترونية .

ويقول مراقبون مطلعون ، ان الوفد المصري عرض في بداية المباحثات فكرة هامة تتناول وضع تخطيط لنمو العلاقات بين مصر والاتحاد السوفياتي، بحيث لا تعود هناك ضرورة لابحاث خاصة ، تجري في أوقات الازمات .

أما بالنسبة لمحادثات السيد محمود رياض وخاصة في باريس ولندن ، فهي بالاضافة الى شرح الموقف السياسي ، تتناول فكرة تشكيل قوة دولية ترابط على جانبي الحدود بين العرب واسرائيل ، ويحاول محمود رياض اقناع العاصمتين الاوروبيتين بالفكرة، كجزء من اجراءات تسوية أزمة الشرق الاوسط ، ومن هنا اهميتها الخاصة ، من ضمن سلسلة الزيارات التي تقوم بها الدبلوماسية المصرية . فهذا الجزء من المهمة وثيق الصلة بمحادثات يارينغ، ووثيق الصلة ايضا بالرد على التحرك الاسرائيلي، اذ تحاول الخارجية المصرية اقناع الاطراف الدولية المعنية ، باهمية « فرض » الحل على اسرائيل ، كوسيلة وحيدة لتنفيذ قرار مجلس الامن ، ازاء رفضها المتكرر . ولذلك اعلن الرئيس السادات في مقابلة مع تلفزيون كولومبيا يوم ٨ ك ٢ انه يوافق على وضع مراقبين وقوات عسكرية من الدول الاربع الكبرى على جانبي الحدود .

الجبهة الرابعة التي يدور فوقها التحرك المصري، هي جبهة الاستعداد العسكري ، وذلك على مستويين ، الاول الاستعداد لاحتمالات تجدد اطلاق النار على القناة بعد ٥ شباط ، والثاني حيازة أنواع جديدة من الاسلحة تكون في مستوى السلاح الاسرائيلي الجديد الذي ستحصل عليه من الولايات المتحدة ، بعد ان وافق مجلس الشيوخ على تقديم مساعدات عسكرية لاسرائيل بقيمة ٥٠٠ مليون

دولار . وطبيعي ان تكون المعلومات حول هذا الموضوع ضئيلة جدا . والمتوفر منها يشير الى ان مصر قد انهت يوم ١٢ ك ١ مناورات كبيرة، اشتركت فيها كافة الاسلحة ، وخاصة القوات المنقولة جوا بطائرات الهيلكوبتر . وفي ٢٢ ك ١ قالت انباء صحفية ان الوفد المصري طلب في مفاوضات موسكو انواعا من الاسلحة وعد السوفيات بتقديمها قبل ٥ شباط اذا لاحظوا ان التسوية السياسية لن تنفذ. أما في كانون الثاني فقد أعلن الرئيس السادات قدرة القوات المصرية ، على مواجهة الحرب الالكترونية ، واي احتمال قد تقوم به اسرائيل قبل او بعد ٥ شباط . وشرح ان لدى مصر قادة لكل فروع الحرب الحديثة بما فيها الحرب الالكترونية ، وبين ان القوات المصرية قامت باكثر من مناورة بالاسلحة الالكترونية ، وكانت صحف القاهرة قد قالت قبل ذلك ان تقارير قادة الجيش المصري تؤكد ان القوات العسكرية اتمت بنجاح تنفيذ الخطط الموضوعة لها .

هذه هي الجبهات الاربع التي تحركت فوقها السياسة المصرية بنشاط ملحوظ خلال الشهرين الماضيين ، ولاستكمال جوانب الموقف ، لا بد من الاشارة الى ثلاث قضايا متفاوتة في اهميتها :

القضية الاولى : وجود تنسيق في الموقف السياسي الدولي بين المتحدة والاردن . فقد ذكرت الاهرام يوم ٥ كانون الاول ان السادات اوضح للملك حسين انه يستطيع ابلاغ موقف مصر للرئيس الاميركي نيكسون حين يجتمع به . وفي نفس اليوم كان الملك حسين يعلن في لندن انه سيتحدث باسم الاردن ومصر عندما يجتمع الى الرئيس نيكسون ليبحث معه اوضاع الشرق الاوسط .

والقضية الثانية ان المتحدة تعتبر الولايات المتحدة مسؤولة تماما عن الموقف الاسرائيلي المتصلب ، وانها هي التي تشجع اسرائيل بشكل صريح على تسويف مهمة يارينغ . وقد ابرزت الصحف المصرية بوضوح هذا الموقف من سياسة الولايات المتحدة، بعد ان عقد الرئيس نيكسون مؤتمرا صحفيا يوم١١ ك ١ اعلن فيه وجوب استمرار وقف اطلاق النار، واعتبر ان الحدود التي ستنسحب اليها اسرائيل موضوعا خاضعا للتفاوض ، بينما كان مشروع روجرز ينص على « تغييرات طفيفة » فقط في الحدود . ويهدف هذا الموقف الامريكي الجديد للضغط على الجمهورية العربية المتحدة ، حتى تخفف من تصلبها في رفض تجديد وقف اطلاق النار .

أما القضية الثالثة فتتعلق بالحوار الذي يدور مع يارينغ ، والذي يعكس اختلاف وجهات النظر بين الموقف العربي والموقف الاسرائيلي حول تفسيرات قرار مجلس الامن . فقد اكدت المتحدة (والاردن) استعدادها لـ :

١ ــ تنفيذ قرار مجلس الامن .

٢ ــ انهاء حالة الحرب .

٣ ــ يوضع التعهد موضع التنفيذ « لدى انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل نتيجة عدوانها في ٥ حزيران ١٩٦٧ » .

وردا على سؤال ليارينغ حول ما اذا كانت مصر (والاردن) « تقبل بمثابة اتفاق نهائي حول كل النصوص ، وثيقة دولية يوقعها اطراف عدة وتتضمن الشروط المتفق عليها لسلام عادل ودائم» قالت المتحدة (والاردن) ان الوثائق التي تلزمهما بتنفيذ الالتزامات المنبثقة عن قرار مجلس الامن . على اسرائيل ان توقع كذلك وتوجه وثيقة تلزمها بتنفيذ الالتزامات المنبثقة من قرار جلس الامن . وستشكل مصادقة المجلس على هذه الوثائق اجراء اتفاق نهائي متعدد الاطراف .

٢ ــ **موقف اسرائيل** : في الوقت الذي تصر فيه الجمهورية العربية المتحدة على استئناف مهمة يارينغ ، وتنشيط هذه المهمة بوضع جدول زمني لتنفيذ قرار مجلس الامن ، وترفض تجديد وقف اطلاق النار الا اذا تم ذلك ، وتدعم ضغطها الديبلوماسي باعداد عسكري وجماهيري واسع ، نجد ان الموقف الاسرائيلي يماطل ويناور ليس من قاعدة رفض قرار مجلس الامن ، بل من قاعدة اخرى ذات شقين :

الشق الاول : المماطلة في موعد بدء المفاوضات. ومحاولة تطويل هذه المفاوضات عن طريق اقتراح قضايا معقدة لبدء البحث بها . والشق الثاني : وضع شروط متعددة الجوانب تشكل حصيلتها نصرا كاملا لاسرائيل على كافة المستويات .

فيما يتعلق بالشق الاول قالت غولدا مئير في ١٨ كانون الاول انحكومتها لا تزال مترددة في الاشتراك مجددا في محادثات السلام ، واضافت « كيف يمكن اتخاذ قرار نهائي قبل التأكد من ضمان امن اسرائيل (!) ومن درس وسائل ضمان هذا الامن بعناية فائقة » . وفي نفس اليوم لاحظ معلق اذاعة

اسرائيل ان اتخاذ قرار بالعودة الى المحادثات لن يعني أن هذه المحادثات ستبدأ على الفور .وقال ان المحادثات الفعلية متوقفة على عقد اتفاقات مع مصر تضمن استمرار العمل بوقف اطلاق النار .

وحتى بعد أن اعلنت اسرائيل يوم ٢٨ كانون الاول ، عودتها رسميا للمحادثات ، اعلن ايبان يوم ٢ كانون الثاني اننا غير متحمسين للمحادثات لكننا اضطررنا الى استئنافها نظرا الى علاقاتنا مع الولايات المتحدة ، ولاننا نعتقد انها لا تنطوي على أمل وان يكن ضئيلا في احلال السلام .

وكان «جوزيف تكواه» اكثر صراحة في موقف المماطلة حين قال يوم ٤ كانون الثاني في مطار اللد ان ثلاثة اشهر اخرى قد تنقضي قبل أن تستقيم محادثات السلام في الشرق الاوسط ، واشار الى ان الجولة الاولى من المحادثات مع يارينغ ستكون اجرائية بصورة رئيسية .

وقد دعمت اسرائيل سياسة المماطلة هذه ، باقتراحات محددة تؤدي الى نفس الغرض ، وهي اقتراحات تتعلق بالفلسطينيين . فمن جهة دعا ايبان الى اشراك الفلسطينيين في المحادثات (مع ان الموقف الفلسطيني الرافض لمبدأ المحادثات معروف جدا) قائلا « من الطبيعي ان يشرك الاردن الفلسطينيين الذين يشكلون اكثرية سكانه في مفاوضات يارينغ » . اما في الرسالة التي بعث بها ايبان الى يارينغ بتاريخ ٢٨ كانون الاول ١٩٧٠ فقد تطرق الى مشكلة اللاجئين فاقترح عقد مؤتمر لدول الشرق الاوسط لاعداد خطة خمسية لحل المشكلة « وفق اطار سلام دائم ودمج اللاجئين في حياة منتجة » . بل انه دعا الى ان يعقد هذا المؤتمر قبل استئناف محادثات يارينغ . وبعد هذه الرسالة بفترة وجيزة تحدثت صحيفة « ها آرتس » يوم ٧ كانون الثاني « عن بادرة اسرائيلية جديدة تقضي باعطاء الاولوية في محادثات السلام لقضية اللاجئين الفلسطينيين » وقالت ان ايبان بحث في هذه النقطة مع السفير الامريكي في اسرائيل .

أما فيما يتعلق بالشق الثاني فقد وضعت اسرائيل جدولا طويلا من الشروط لقبول عودتها الى المحادثات ، محاولة ان تكون عودتها على أساس اكبر فائدة عسكرية وسياسية ممكنة .

جدول الشروط الاول كان بين اسرائيل والولايات المتحدة . ففي بداية كانون الاول اعلن في اسرائيل ان جولدا مئير تنتظر ردا من نيكسون على رسالة بعثت بها اليه ، تتناول الشروط السياسية والاقتصادية والعسكرية التي ترى اسرائيل انها حيوية لتمكينها من استئناف المحادثات . وفي يوم ٧ كانون الاول كشف « اسحق رفائيل » رئيس « الحزب الديني القومي » شروط اسرائيل للعودة الى الاشتراك في محادثات السلام وهي :

١ — القرار الوحيد الذي يبقى صالحا هو قرار مجلس الامن (دون اي تفسير من جانب الجمعية العمومية يكون لصالح العرب) .

٢ — ضمان تزويد اسرائيل بالاسلحة الاميركية حتى عام ١٩٧٢ على الاقل .

٣ — اقدام الولايات المتحدة على سحب مشروع روجرز الذي يدعو اسرائيل الى الانسحاب من الاراضي المحتلة مع « تعديلات طفيفة بالحدود ».

٤ — تعهد الولايات المتحدة باستخدام حق الفيتو في مجلس الامن في حال السعي الى اقرار عقوبات ضد اسرائيل اذا توقفت المحادثات .

٥ — الوصول الى اتفاق جديد مع مصر حول وقف اطلاق النار .

وقد دعمت هذه الطلبات برحلة خاصة قام بها دايان الى الولايات المتحدة ، حاول فيها اثناء مقابلته لنيكسون « الوصول الى تفاهم حول المدى الذي ستذهب اليه الولايات المتحدة في تأييدهم فيما لو استأنفت مصر القتال » .

ومن الواضح تماما ان هذه الاتصالات قد ادت الى تفاهم اسرائيلي — امريكي كامل ، تبنت فيه الولايات المتحدة موقف اسرائيل كليا . ففي رده على رسالة غولدا مئير عرض نيكسون ، حسب رواية وزير الزراعة الاسرائيلي حاييم غفاتي يوم ١٢ كانون الاول موقف الولايات المتحدة على الشكل التالي :

١ — قدم تأكيدات بتوجيه تحذير الى الاتحاد السوفياتي ضد تورط مباشر في النزاع .

٢ — استمرار المساعدات العسكرية والاقتصادية لاسرائيل .

٣ — تصميم الولايات المتحدة على منع صدور قرار الى مجلس الامن ضد اسرائيل .

٤ — ان الولايات المتحدة لن تضغط على اسرائيل بشأن مسألة حدودها . اذ أن هذه المحادثات يجب ان تقررها محادثات بين الدول المتحاربة .

٥ — يجب أن لا يغادر جندي اسرائيلي واحد خطوط وقف اطلاق النار الى ان يتم الوصول الى سلام دائم .

وفي نفس اليوم الذي أعلن فيه وزير الزراعة مضمون رسالة نيكسون كانت لجنة الاعتمادات في مجلس الشيوخ الامريكي تعلن موافقتها على تقديم معونة عسكرية لاسرائيل مقدارها ٥٠٠ مليون دولار.

وفي نفس اليوم أيضا كان نيكسون يعقد مؤتمره الذي أشرنا اليه من قبل ، والذي اعلن فيه نوعا من التخلي عن مشروع روجرز . حين قال بأن الحدود أمر قابل للتفاوض ، بينما يدعو مشروع روجرز الى « تغييرات طفيفة » في الحدود .

جدول الشروط الثاني عرضته غولدا مئير امام الكنيست ، وهو يتعلق بفهمها لطبيعة التسوية السياسية التي تريدها ، والتي تعود بمحادثات يارينغ الى بداياتها الاولى ، وتتلخص هذه الشروط بما يلي :

١ ــ حدود آمنة ومعترف بها .

٢ ــ بقاء القدس عاصمة موحدة .

٣ ــ المحافظة على خطوط وقف اطلاق النار حتى يتحقق سلام تعاقدي يربط الاطراف المعنية .

٤ ــ توقيع التعهدات التي يتضمنها الاتفاق التعاقدي وتطبيقها .

٥ ــ لا يتحقق السلام بدون مفاوضات مباشرة .

ان هذه النقاط تشتمل على كل قضايا الخلاف الرئيسية بين وجهتي النظر العربية والاسرائيلية حول قرار مجلس الامن . وصياغتها بهذا الشكل تكاد تلغي كل الجهود التي بذلها يارينغ في السنوات الثلاث الماضية ، وهي تنسجم تماما مع سياسة المماطلة التي تتبعها اسرائيل ازاء مهمة يارينغ .

جدول الشروط الثالث قدمته اسرائيل ليارينغ . فحين اجتمع يارينغ مع غولدا مئير في القدس ابلغته ثلاث نقاط اساسية :

١ ــ أن يكون وقف اطلاق النار غير محدود خلال المحادثات .

٢ ــ تفضل اسرائيل اجراء المحادثات في مكان قريب (قبرص او جنيف) بدلا من الامم المتحدة .

٣ ــ ان تمثل الدول في المحادثات بوزراء الخارجية .

لقد قدمت هذه الشروط الثلاثة نفسها قبل ان تبدأ مرحلة المفاوضات التي جاءت بعد مبادرة روجرز. وانتهى الجدل حولها في ذلك الوقت الى اعتماد وقف اطلاق نار مؤقت ، والى اجراء المحادثات في الامم المتحدة ، وعلى مستوى رؤساء الوفود . والعودة الى طرح هذه النقاط من جديد ، هو مرة اخرى تكريس لسياسة المماطلة ، التي عبرت عنها اروقة الامم المتحدة ، بأن ما يجري حاليا هو « محادثات حول المحادثات » .

ان هذه الجداول الثلاثة من الشروط تعكس تماما طبيعة الفهم الاسرائيلي لقرار مجلس الامن ، ولمهمة يارينغ . وهو الفهم الذي يريد أن يكسب على كل الجبهات دون أن يقدم تنازلا واحدا . فهو يريد من الولايات المتحدة ان تقدم كل الدعم والحماية اللازمين . ويريد في نفس الوقت أن لا يتنازل عن أي مكسب من مكاسب حرب حزيران ، ويزيد على ذلك شروطا حول طبيعة المفاوضات ، تقترب من صيغة الاعتراف الرسمي ، تمهيدا لمرحلة من المفاوضات المباشرة .

ويوضح هذا الهدف تماما نمط الاجابة الذي قدمته اسرائيل على سؤال يارينغ فيما اذا كانت «تقبل بمثابة اتفاق نهائي حول كل النصوص، وثيقة دولية يوقعها اطراف عدة ... » فقد قالت اسرائيل « ان السلام يجب ان يكون معبرا عنه قانونيا ومحددا تعاقديا . وملزما بصورة متبادلة ... وبناء عليه فان موقف اسرائيل هو أن السلام يجب ان تتضمنه معاهدات سلام ثنائية بين اسرائيل وكل دولة عربية » .

عند هذه النقطة من الموقف الاسرائيلي، نستطيع ان نتوقف لنقارن بين الفهم المصري ، والفهم الاسرائيلي لقرار مجلس الامن ، لنكتشف بسرعة ان هناك خلافا حول كل النقاط التي يثيرها القرار ، ونقطة الاتفاق الوحيدة هي الموافقة على القرار نفسه ، وازاء هذا الموقف الاسرائيلي يبدو موقف مصر الرافض لتجديد وقف اطلاق النار ما لم يوضع جدول زمني للتنفيذ ، موقفا منطقيا جدا . اذ من المؤكد ان الضغط العسكري هو احد الشروط الاساسية لتنفيذ قرار مجلس الامن . فما هو موقف اسرائيل من هذه القضية ؟

لقد أعلنت رفضها لفكرة الجدول الزمني ، فقال ايبان يوم ٢ كانون الثاني « ان هناك ترتيبات يجب اتباعها بموجب نظام الاولوية ، فهناك اولا المفاوضات ، ثم الوصول الى اتفاق وتوقيعه ، ثم تنفيذ بنوده . ولا يمكن وضع المرحلة الاخيرة من هذه الترتيبات قبل المرحلة الاولى » .

وابدت اهتماما ملحوظا باحتمالات تجدد اطلاق النار ، برز في اشارات دائمة الى اهمية استمرار وقف اطلاق النار . ولكن التحرك العملي في سبيل ذلك كان الاجتماع الذي عقده دايان يوم ١٦ كانون

الاول مع الجنرال « انزيو سيلازيو » كبير مراقبي الامم المتحدة ، طالبا منه أن يسافر الى القاهرة للعمل على تعزيز تمديد وقف اطلاق النار . ويعتبر هذا الاجتماع اول خطوة اسرائيلية لجعل الامم المتحدة تضمن ترتيبا لوقف اطلاق النار على قناة السويس ، وبينما كان دايان يبذل هذه المحاولة، كان « حاييم بارليف » رئيس الاركان الاسرائيلي، يتحدث باتجاه اخر ، عن ضرورة استعداد القوات الاسرائيلية لاحتمالات تجدد القتال بعد ٥ شباط، او ربما قبل ذلك . وفي الوقت الذي يسعى فيه دايان لاشراك الامم المتحدة في العمل لوقف اطلاق النار ، يرفض مظهرا اخر من مظاهر تدخل الامم المتحدة ، من خلال مرابطة قوات دولية من الدول الاربع الكبرى على جانبي الحدود .

٣ ــ رحلة الملك حسين : ابرز ما في نشاط الاردن السياسي في الشهرين الماضيين ، الرحلة التي قام بها الملك حسين الى اوربا والولايات المتحدة . وحتى نفهم هذه الزيارة على حقيقتها ، لا بد من الاشارة الى الامور التالية :

١ ــ ان موعد الزيارة جاء بعد معارك ايلول ، التي كان من اهدافها الاساسية اظهار السلطة الاردنية ، على انها السلطة المتحكمة والمتمكنة من الوضع في الاردن ، وان القوة الفدائية الفلسطينية ضعيفة ازاءها . وذلك بعد أن بدا الرأي العام العالمي يرى انه لا يمكن تجاهل رأي الفلسطينيين في أي حل مقترح لشؤون الشرق الاوسط .

٢ ــ ابتدأ الملك رحلته بزيارة القاهرة ، وذلك من ضمن تخطيط الاردن الدائم منذ حرب حزيران، في اظهار نفسه عن انه منسجم تماما مع سياسة القاهرة . وكذلك من اجل دعم رحلته على الصعيد الدولي . وقد جاء البيان المشترك الذي صدر بعد الزيارة ملبيا لرغبة الملك هذه . فقد ذكر البيان ان الرئيس انور السادات اعرب عن تأييده لجهود الملك وتمنياته لها بالنجاح ضمن اطار اهداف الدولتين الشقيقتين ... وتم الاتفاق على وجوب استمرار التنسيق الكامل بين الدولتين الشقيقتين في كل المجالات وعلى مختلف المستويات . وقد استغل الملك هذا الموضوع استغلالا كاملا حين أعلن انه سيتحدث بأسم الاردن ومصر ، وحين أعلن انه سينقل وجهات نظر مصر الى بريطانيا والولايات المتحدة .

٣ ــ من الاهداف الاساسية لرحلة الملك الحصول على تأكيد امريكي ــ بريطاني ، بالتخلي عن فكرة انشاء دولة فلسطينية مستقلة . وذلك بعد أن كثر الحديث في الاوساط الدولية والعربية عن مشروع من هذا النوع . وتناقلت وكالات الانباء يوم ١٠ كانون الاول معلومات تقول ان الملك حسين طلب رسميا ان لا تؤيد الولايات المتحدة انشاء دولة فلسطينية .

ان هذه الامور الثلاثة هي التي تضع رحلة الملك حسين ضمن نطاقها الصحيح ، كاشفة عن اهدافها الاساسية . ويبدو أن رحلة الملك كانت ناجحة ، ويرجع ذلك اقدام السلطة الاردنية على متابعة معاركها ضد العمل الفدائي يوم ٨ كانون الثاني . وبالاضافة الى ذلك برز أثناء هذه الرحلة ، ان الاردن يرغب في ان يستأنف يارينغ مهمته، والسبب الاساسي وراء ذلك هو ان مصر لا تبدو مستعدة لقبول تجديد وقف اطلاق النار .

أما المواقف السياسية البارزة في رحلة الملك فهي تتلخص في الامور التالية :

اولا : رفضه لفكرة التفاوض المنفصل مع اسرائيل .

ثانيا : حصوله على وعود امريكية بتقديم أسلحة للاردن ، بالاضافة الى مساعدات مالية قيمتها ٣٠ مليون دولار .

ثالثا : اعلانه في واشنطن يوم ١٣ كانون الاول انه يؤيد فكرة انشاء قوة دولية للمحافظة على السلام « كأفضل وسيلة لوضع حد للقتال في الشرق الاوسط بشكل نهائي » وقال « ان الاوضاع الحاضرة ترجح انشاء مثل هذه القوة التي تعمل فيها قوات امريكية وسوفياتية جنبا الى جنب » . هذه الفكرة التي اعلنت الولايات المتحدة أنها ترحب بها ، وايدتها المتحدة ، بينما رفضتها اسرائيل .

رابعا : ابرز الملك حسين في رحلته ، وعبر اكثر من تصريح صحفي أنه دعا الزعماء العرب الى مؤتمر قمة يعقد في مطلع العام الجديد للبحث في القضية الفلسطينية . وهذا يضعنا أمام قضية سياسية هامة ، لا تنفصل كما قلنا عن اهداف رحلة الملك حسين ، وهي قضية الدولة الفلسطينية . والحديث فيها يلقي اضواء كاشفة على هموم الديبلوماسية الاردنية .

٤ ــ الدولة الفلسطينية : في اواخر شهر تشرين الثاني وجه الملك حسين رسالة الى الحكام العرب تعتبر بمثابة تفسير لاقدامه على دعوتهم لعقد مؤتمر قمة ، وتضيف الى ذلك اقتراحات محددة للبحث.

وتتناول الرسالة ، حسب المعلومات التي نشرت عنها في الصحف (الحرية ــ الحوادث) الامور التالية :

١ ــ حديث عن سبب انشاء امارة شرقي الاردن، والقول ان هذه الامارة انشئت حتى لا تدخل اراضيها ضمن نطاق وعد بلفور .

٢ ــ حديث عن انشاء المملكة الاردنية الهاشمية، ودورها التاريخي في الحفاظ على ما تبقى من الارض الفلسطينية .

٣ ــ توضيح ان بعض الدول الكبرى فاتحت بعض الدول العربية بموضوع تشكيل دولة فلسطينية من الضفتين والقطاع وان هذه الدول العربية وافقت على المشروع .

٤ ــ القول ان المقاومة الفلسطينية فوجئت ايضا بمشروع الدولة .

٥ ــ ثم تقترح الرسالة عقد مؤتمر قمة لبحث الصيغة التي يمكن ان يشارك بها الشعب الفلسطيني في التسوية السياسية (!) . وتقترح الرسالة صيغة انشاء كيان فلسطيني او جبهة تحرير فلسطينية ، تنطق باسم الفلسطينيين . ثم يتم اعتراف الدول العربية بهذا الكيان او بهذه الجبهة ، وبعد ذلك يشارك ممثلو الكيان في محادثات التسوية ، والنقطة الاهم ان ممثلي الكيان يضعون صيغة العلاقة مع شرقي الاردن .

ان هذه الرسالة مليئة بالافخاخ .. فهي تسعى الى ترويض الموقف الفلسطيني ليصبح شريكا في التسوية السياسية ، رغم رفضه الواضح لها . وهي تقترح انشاء كيان فلسطيني « ينطق باسم الفلسطينيين » . اي انها ترفض الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وبالعمل الفدائي ، ناطقا باسم شعب فلسطين . وحين تقترح ان يضع ممثلو الكيان الفلسطيني صيغة العلاقة مع شرقي الاردن، فهي تريد ان يدور البحث كله في اطار السلطة الاردنية القائمة .

الا ان هذه الصياغة الديبلوماسية التي تخفي نواياها بين الكلمات عبرت عن نفسها بوضوح في بيان الوزارة الاردنية يوم ٢ كانون الثاني ، وصف البيان مشروع الدولة الفلسطينية بانه خطوة على طريق تصفية القضية الفلسطينية . وقال ان الحكومة لن تكتفي برفض ذلك المشروع واستنكاره، انما هي تعمل بكل قوة لاحباط ذلك المشروع المؤامرة بكل ما تملك من وسائل .

قبل ذلك ويوم ١٤ كانون الاول كان السيد ياسر عرفات يقول في مقابلة مع مجلة « التايم » ردا على اقتراح اتحاد فلسطيني ــ اردني « ان هناك شيئا يجري اعداده في المطبخ الدولي . الا اننا لن نكون وجبة طعام سهلة . لن يعطونا اتحادا ثم يقولون ان المشكلة الفلسطينية قد حلت ، ثم ينسون امرنا » .

ان هذين الموقفين يلتقيان عند رفض فكرة الدولة الفلسطينية ، فهل يعني ذلك انهما يسيران في نسق واحد ؟ هناك فارق كبير وهام جدا بين الموقفين ، ولا بد من توضيحه .

ان فكرة انشاء الدولة الفلسطينية ، تأتي كجزء مكمل للتسوية السياسية القائمة على أساس قرار مجلس الامن . النظام الاردني ، يرفض هذا الجزء المكمل مبقيا على تمسكه بالاصل . اما حركة المقاومة ، فهي انطلاقا من رفضها لقرار مجلس الامن ، ترفض كل أشكال التسوية المنبثقة عنه .

السلطة الاردنية ، تريد تطويع الحل السياسي ليكون في خدمة الطبقة الحاكمة . وحركة المقاومة ترفض نتيجة من نتائج الحل السياسي لتصل الى رفض الحل نفسه . لذلك فان مظهر اللقاء بين الموقفين يجب ان لا يكون خادعا لاحد ، فمن ورائه تقف خلفيات متناقضة لا يمكن التوفيق فيما بينها .

ولكن هناك جانبا اخر للموضوع جدير بالملاحظة . فالاجواء الدولية ميالة للقبول بالقناعة القائلة بانه لا يمكن تسوية ازمة الشرق الاوسط دون ارضاء الشعب الفلسطيني ، وبسبب ذلك وافقت الامم المتحدة في دورتها الاخيرة على قرار يقضي بالاعتراف بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين (وروديسيا)، وهذه القناعة هي التي ولدت فكرة الدولة الفلسطينية ، التي تتناقض مع مصالح السلطة الاردنية . ان السلطة الاردنية مطلعة تماما على هذه الاجواء الدولية ، وهي مدركة تماما لمصالحها ومن المهم جدا بالنسبة لها ، ان تخرج بحل ينسجم مع هذه المعطيات . وقد خرجت بهذا الحل فعلا وبنته على الاسس التالية :

١ ــ ضرب العمل الفدائي في الاردن ، لتبهيت مكانة حركة المقاومة على الصعيد الدولي ، وابراز السلطة الاردنية على أنها الجهة الوحيدة التي يجب التخاطب معها في ترتيب شؤون المنطقة .

٢ ــ تشجيع فكرة دولة فلسطينية ــ اردنية يقوم بين جزئيها نوع من الاتحاد الفدرالي .

٣ ــ تشجيع نمو قيادة فلسطينية جديدة ، تنسج

مع عقلية السلطة الاردنية وتكون مستعدة للانضواء تحت « خيمتها » ، بحيث يعود نفوذ السلطة الاردنية ، الى نفس حالته السابقة بعد التسوية السياسية ، مع تغييرات شكلية ليس غير .

وهذا الفهم للامور تؤكده تصريحات رسمية . ففي ٦ كانون الاول اعلن الملك حسين في لندن انه لا يستبعد احتمال فصل الضفة الغربية المحتلة من الاردن عن الضفة الشرقية كجزء من تسوية سلمية شاملة . واضاف « ان مستقبل الضفة الغربية والفلسطينيين **يحدد بعد وليس قبل تسوية عامة** للنزاع وفقا لقرار مجلس الامن » .

وفي ١٠ كانون الاول قال الملك في واشنطن ان قضية انشاء دولة منفصلة للفلسطينيين هي « الان قيد الدرس على أعلى المستويات في العالم العربي » لكنه اضاف ان مثل هذا الامر غير وارد في هذه المرحلة لان « موقفنا الاساسي هو انه يجب اولا الوصول الى حل ، وبعد ذلك يمكننا ان نرى ماذا يريد الجميع ان يفعلوا في المستقبل ، ضمن **نطاق الاسرة الاردنية** » .

ولاستكمال الصورة حول هذا الموضوع تجدر الاشارة الى النشاطات المختلفة الدائرة حوله . فقد نشرت صحيفة « الصنداي تلغراف » يوم ٣ كانون الثاني تعليقا يقول ان انشاء دولة فلسطينية منفصلة بات الان موضوع نقاش للمرة الاولى خلال البحث عن سلام في الشرق الاوسط ... فالمدن والاراضي التي يرفض الفرقاء الحاليون في النزاع التنازل عنها ، قد يوافقون على تركها لدولة صغيرة جديدة يجري خلقها في المنطقة . وحين زار الرئيس الروماني « نيكولاي تشاوشسكو » المغرب اعلن يوم ٧ كانون الاول تأييد رومانيا لانشاء دولة فلسطينية مستقلة .

أما داخل الضفة الغربية فقد نقلت وكالات الانباء يوم ٧ كانون الاول مقتطفات من مقال كتبه السيد حمدي كنعان الرئيس السابق لبلدية نابلس في جريدة القدس قال فيه « اننا نرفض وحدة الضفتين على أساس الضم ونرغب في وحدة عادلة بين الضفتين » وقال انه بدلا من أن توجه السلطات الاردنية التهديدات وتهم الخيانة الى الذين ينادون بالكيان الفلسطيني ، فان على هذه السلطات ان تسهل قيام هذا الاتحاد بين الضفتين . وعلى صعيد اخر مختلف ذكرت صحيفة فتح يوم ١٣ كانون الاول ان اجتماعا حضره عرب من المناطق المحتلة وزعماء اسرائيليون عقد حديثا في « نتانيا » للبحث في اقامة دولة فلسطينية .

وبهذا نرى ان حديث الدولة الفلسطينية ، لم يعد حديث همس بين الجدران ، وهو بالاضافة الى علنيته اصبح جزءا بارزا من الحسابات السياسية في المنطقة ، وخاصة فيما يتعلق بحسابات السياسة الاردنية .

ب.ح.

---

(٥) القضية الفلسطينية دوليا

لا شك أن الضربة القوية التي تم توجيهها الى حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة في الاردن في شهر ايلول ١٩٧٠ قد تركت اثرها الواضح والمتميز على تطورات القضية الفلسطينية على الصعيد الدولي في الشهرين الاخيرين . واول ما يلفت نظر المتتبع للاحداث هو انحسار اهتمام الاوساط الدولية والصحافة العالمية بحركة المقاومة ومطالبها ، واسقاطها الى حد بعيد من حساباتهم كقوة ثورية تفعل في المنطقة وتقرر مصير الاحداث ومجراها . يضاف الى ذلك احساس الاوساط الدولية المعنية بالاطمئنان النسبي في هذه الفترة باعتبار ان حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة قد اعيدت الى « حجمها » المطلوب على الصعيد العربي الرسمي بعد أن تم ادخالها كليا تحت وصاية الحكومات العربية ووضعها تحت رحمة السياسات العربية الرسمية المحلية والدولية ، من هنا الاطمئنان الدولي الاستعماري بأن حركة المقاومة لم تعد تشكل الخطر الذي كانوا يظنون انها تشكله على المشاريع الاستعمارية المرسومة للمنطقة العربية بما في ذلك تصفية قضية شعب فلسطين نهائيا .

ومن جهة اخرى يتبين ايضا لمتتبع التطورات الدولية للقضية الفلسطينية في المرحلة الاخيرة ان اهم ما يميز هذه الفترة هي التحركات النشيطة في السياسات الداخلية والخارجية من قبل كافة الاطراف المعنية باتجاه الحل السلمي للنزاع العربي الاسرائيلي ، مع الاخذ بعين الاعتبار ان كل طرف من هذه الاطراف يدفع باتجاه الحل

السلمي وفقا لتفسيره الخاص لنصوص قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ .

لذلك يصبح المدخل الطبيعي لمراجعة تطورات القضية الفلسطينية على الصعيد العالمي في الشهرين الاخيرين وتتبعها هو النشاط الدبلوماسي ، المتعدد الوجوه والصادر عن كل الفرقاء المعنيين ، الذي جرى في هيئة الامم المتحدة ان كان ذلك علانية او وراء الكواليس .

مع اقتراب انتهاء فترة وقف اطلاق النار الاولى (٥ نوفمبر ١٩٧٠) على جبهة السويس تحركت الدول العربية في هيئة الامم المتحدة بقيادة ج ع م لادراج قضية الشرق الاوسط على جدول اعمال الجمعية العامة لهيئة الامم وتركزت جهود الجمهورية العربية المتحدة وبعض الدول العربية الاخرى على محاولة انتزاع قرار من الجمعية العامة يدعو الطرفين المعنيين الى تمديد فترة وقف اطلاق النار لفترة ٩٠ يوما جديدة وحثهما على العودة الى الاشتراك في المحادثات المرجوة تحت اشراف السفير يارينغ .

لقد حاولت القوى العربية في هيئة الامم الحصول على قرار من الجمعية العامة يتناسب ، بقدر الامكان ، مع وجهات نظرها وسياساتها وتفسيرها لقرار مجلس الامن المشهور . بينما حاولت القوى المضادة جعل القرار اقرب ما يمكن لوجهة النظر الاسرائيلية الاميركية . وبرزت ثلاثة اتجاهات متباينة من خلال المناقشات والمباحثات حول الموضوع في هيئة الامم تبلور كل منها بمشروع قرار قدم الى الجمعية العامة للتصويت عليه . اولا ، مشروع القرار الامريكي الذي دعا الى تمديد وقف اطلاق النار ثلاثة اشهر اخرى كما دعا الى العودة الى محادثات يارينغ ولكن على اساس مشروط « باعادة الثقة » التي فقدت بين الطرفين المعنيين ، اي نوه مشروع القرار الامريكي بادعاء اسرائيل بأن مصر قد خرقت اتفاقية وقف اطلاق النار بادخالها صواريخ سام ٢ وسام ٣ الى المنطقة الحرام في جبهة القنال . بعبارة اخرى جاء مشروع القرار الامريكي مؤيدا تأييدا واضحا وصارخا للموقف الاسرائيلي ، لذلك كانت احتمالات اقراره في الجمعية العامة ضعيفة بسبب موقف الكتلة الافرو — اسيوية الاكثر اتزانا واعتدالا ، هذا بالاضافة الى المعارضة العربية والسوفياتية المعنية . ثانيا ، مشروع القرار الذي قدمته حكومات دول امريكا اللاتينية ، وكما هو معروف هذه الدول خاضعة للنفوذ الامريكي وتابعة لتأثيراته في اروقة الامم المتحدة . طالب مشروع القرار هذا بتمديد وقف اطلاق النار والعودة الى محادثات يارينغ ولكنه تجاهل تجاهلا تاما كل ذكر للمطالب العربية عامة ولكل ما يمت بصلة الى حقوق شعب فلسطين ، اي ان المشروع الامريكي اللاتيني لم يرتفع حتى الى مستوى مشروع روجرز من حيث التنويه ، لو بصورة ما ، بما هو مناسب لوجهة النظر العربية الرسمية ، ولحقوق الشعب الفلسطيني .

ثالثا ، مشروع القرار الافرو — اسيوي الذي قدم كبديل لمشروع دول امريكا اللاتينية وهو قرار وسطي يرضي الى حد ما مطالب السياسات العربية الرسمية القائمة على قبول مشروع روجرز كما انه لا يزعج كثيرا امريكا واسرائيل ، باعتبار ان القرار سيبقى ، في التحليل الاخير ، حبرا على ورق بسبب فقدان اية قوة (عربية او غيرها) تعطيه شيئا من الفعالية التنفيذية . مع ذلك ، وبالرغم عن ميوعة المشروع الافرو — اسيوي ووسطيته وعمومياته فقد كان اكثر مما تحتمله اسرائيل وامريكا في نصه الاصلي ، لذلك قامت فرنسا بادخال تعديلات عليه كي لا تحاربه امريكا بشراسة وتفشله . ووافقت بعض الدول العربية بقيادة الجمهورية العربية على هذه التعديلات التي كانت غايتها تخفيف المعارضة الامريكية الاسرائيلية لمشروع القرار . وقد دعمت كل من فرنسا والاتحاد السوفياتي مشروع القرار المعدل ووافقت الجمعية العمومية عليه باكثرية ٢٥ صوتا. اما النقاط الرئيسية التي تضمنها القرار فهي كما يلي :

التأكيد من جديد على عدم شرعية ضم اية اراض بالقوة ، مما يعني انه على اسرائيل اعادة اراض احتلتها من العرب في حرب عام ١٩٦٧ وذلك عن طريق الانسحاب الى وراء حدود « آمنة ومعترف بها » وانهاء حالة العداء في المنطقة . الاقرار بأن احترام حقوق الفلسطينيين هو عنصر لا غنى عنه في تحقيق سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

الحث على التنفيذ السريع لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٧٠ . دعوة الدول المعنية (اي مصر واسرائيل) لاصدار تعليمات الى ممثليها كي تعود الى الاتصال بالممثل الخاص ليوثانت (اي يارينغ) ليتمكن من القيام بمهمته في

تنفيذ قرار مجلس الامن في اقرب فرصة ممكنة مع المطالبة بتمديد فترة وقف اطلاق النار . مطالبة يوثانت بتقديم تقرير الى مجلس الامن خلال مدة شهرين حول جهود السفير يارينغ ومساعيه . مطالبة مجلس الامن النظر في امكانية اتخاذ اجراءات، اذا دعت الحاجة الى ذلك، لضمان تنفيذ قرار مجلس الامن وذلك وفقا للبنود المعنية من ميثاق هيئة الامم المتحدة .

هنا لا بد من تسجيل الملاحظات التالية على قرار الجمعية العامة الذي نحن بصدده باعتبار ان بعض الدول العربية قد اعتبرته انتصارا كبيرا لدبلوماسيتها وجهودها السياسية . أ) كان هدف التعديلات الفرنسية التي ادخلت على مشروع القرار تخفيف كل اشارة في القرار الى حقوق الشعب الفلسطيني وتمييعها وصياغتها بالعموميات التي تعني كل شيء ولا تعني اي شيء بالتحديد لجعل مشروع القرار مقبولا . اي ان الثمن الذي يتم دفعه دوما هو التلاعب بحقوق شعب فلسطين وتمييعها كي تحصل الدبلوماسية العربية على قرار من هذا النوع لا يسمن ولا يغني عن جوع اصلا ، علما بأن موضوع المعركة مع اسرائيل ونحوى الصراع القائم في المنطقة العربية وجوهره هي حقوق شعب فلسطين في ارضه ووطنه وفي تقرير مصيره بنفسه . ب) اشار القرار الى الانسحاب من اراض احتلتها اسرائيل وليس من كل الاراضي العربية المحتلة كما تقول السياسة العربية الرسمية حتى الان . ج) اصر القرار على انهاء حالة العداء العربي ضد دولة اسرائيل مما يعني انهاء كل مقاومة ضد دولة اسرائيل في المستقبل . د) لم تشترك الدول العربية التالية في التصويت على مشروع القرار : الجزائر ، سوريا ، العراق ، الكويت ، العربية السعودية، الجمهورية العربية اليمنية ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية — ذلك لان القرار اهمل الفلسطينيين ولان اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية قد رفضت هذا القرار وكل قرار مشابه له باعتباره معاد لمصالح حركة المقاومة واهدافها في التحرير الكامل لفلسطين من الصهيونية . هـ) قبل التصويت النهائي على مشروع القرار الذي نحن بصدده اتخذت الجمعية العمومية قرارا اجرائيا بالاكثرية نحواه تصنيف مشروع القرار الامر — اسيوي المعدل على انه « موضوع غير مهم » not an important question مما يعني ان اقراره لا يتطلب اكثرية ثلثي الاصوات في الجمعية العامة . وما كان مشروع القرار ليحظى بمثل هذه الاكثرية لو تم تصنيفه « كموضوع مهم ». بالرغم من ذلك لم يحرز القرار الا اكثرية ٢٥ صوتا فقط . بعبارة اخرى حتى الجمعية العامة لهيئة الامم التي تبنت القرار اعلنت ان قرارها « غير مهم » . و) جاء الرد الاسرائيلي الرسمي على لسان ابا ايبان برفض القرار كلية مشفوعا بالايضاح القائل بأن اسرائيل لا تعتبر انه من واجبها حمل هذا القرار محمل الجد لانه توصية من الجمعية العامة لا اكثر ، وهي توصية صنفتها الجمعية العامة نفسها بانها « غير مهمة » . هذا واقع ما سمي بالانتصار الدبلوماسي العربي في هيئة الامم وهذه حقيقته وحدوده .

لم يقتصر النشاط الدبلوماسي في هيئة الامم في الشهرين الاخرين على هذا القرار فحسب بل تعدى ذلك الى تأكيد موقفين جديدين يمكن اعتبارهما من صالح القضية العربية عامة . في الاسبوع الاول من شهر ديسمبر ١٩٧٠ اقرت اللجنة السياسية الخاصة في الامم المتحدة قرارات تطلب فيه من الجمعية العامة ان تعتبر ان مأساة اللاجئين ما تزال قائمة بسبب رفض اسرائيل السماح بعودتهم الى ديارهم كما اشارت اللجنة السياسية في قراراتها الى ضرورة الاحترام الكامل للحقوق الاساسية للفلسطينيين باعتبارها عنصر لا يستغنى عنه في اقامة سلم دائم وعادل في الشرق الاوسط ، كما اكدت ايضا ان الشعب الفلسطيني يتمتع بحقوق متساوية وبحق تقرير المصير وفقا لميثاق هيئة الامم المتحدة .

يضاف الى ذلك ان اللجنة السياسية اتخذت قرارا مدعوما من قبل الدول العربية والاشتراكية يطالب اسرائيل بتطبيق وتنفيذ توصيات لجنة هيئة الامم الموكلة ببحث موضوع خرق حقوق الانسان العربي في المناطق المحتلة من قبل اسرائيل . وجدير بالذكر ان اسرائيل كانت قد رفضت السماح لهذه اللجنة بزيارة المناطق المحتلة . غير ان اللجنة تمكنت من القيام بعملها وكانت نتيجة مشاوراتها اتهام اسرائيل بخرق حقوق الانسان في معاملتها للعرب في الاراضي المحتلة . وقد مدد القرار الذي اتخذته اللجنة السياسية صلاحيات اللجنة المعنية وطالب اسرائيل بالسماح لها بالذهاب الى الاراضي المحتلة كما طالبها بالتعاون مع اللجنة وتسهيل اعمالها ومهمتها . وقد شملت قرارات اللجنة السياسية

توصية بتعيين دول محايدة للاشراف على ضمان حقوق الانسان للعرب وحمايتها في الاراضي المحتلة، كما دعا القرار اسرائيل للتخلي عن سياسات مثل الانتقام الجماعي ، فرض حظر التجول واساءة معاملة المساجين ، وطالبها بالسماح للمنفيين والمبعدين بالعودة الى منازلهم ، كما أوصت اللجنة بمطالبة اسرائيل الرجوع عن كافة الاجراءات التي من شأنها تبديل معالم القدس كما كانت قبل الاحتلال .

وغني عن القول ان كل هذه القرارات ، مهما كانت لصالح العرب ، تبقى عديمة الفاعلية طالما ان الدول العربية تتعامل في هيئة الامم من موقف الضعف والهزيمة والمطالبة بمنقذ من ازمة النزاع في الشرق الاوسط . يضاف الى ان كافة هذه القرارات لا ترى في الشعب الفلسطيني الا كومة من اللاجئين يحب انصافهم ليس الا .

هنا لا بد من ملاحظة ظاهرة على جانب من الاهمية برزت في هيئة الامم اثناء مناقشة موضوع ازمة الشرق الاوسط . تتلخص الظاهرة في أن فرنسا وقفت مع القرارات التي اتخذتها الجمعية العامة بهذا الصدد بينما امتنعت بريطانيا عن التصويت ، في حين صوتت أمريكا ضد القرارات كلها وعارضتها . بعبارة اخرى يبدو ان هناك موقفا اوروبيا متميزا عن الموقف الامريكي بدأ يتبلور في الفترة الاخيرة حيال ما يسمى بازمة الشرق الاوسط. وتعود جذور هذا الموقف الاوروبي الجديد الى تعارض جزئي بين المصالح الاوروبية الخالصة والمصالح الامريكية في الشرق الاوسط والى مدى تأثر كل من هاتين المجموعتين من المصالح بتأثيرات سلبية ناجمة عن استمرار النزاع العربي الاسرائيلي على حاله . لذلك يصبح من الضروري الاشارة الى بعض العوامل التي يبدو انها كامنة خلف الموقف الاوروبي المتميز الذي لم تعد ترضى عنه اسرائيل كليا .

اصبح من المعروف جيدا ان الطلب على البترول في اوروبا قد ازداد اخيرا زيادة كبيرة وغير متوقعة. من اسباب هذا التصاعد تزايد استخدام المحروقات لاجل التدفئة والنقليات والتصاعد في استخدام المواد البتروكيماوية ومشتقاتها. كما انه من المتوقع ان يزداد هذا التصاعد بسرعة كبيرة تتعدى كل التوقعات السابقة. في الواقع تفاقم هذا الوضع في اوروبا الى درجة بدأ معها بالتأثير حتى على الولايات المتحدة واليابان بالاضافة الى الاتحاد السوفياتي واوروبا الشرقية . من ناحية اخرى لقد تناقصت كميات بترول الشرق الاوسط المتوفرة في السنتين الاخيرتين بسبب اغلاق قناة السويس والعطب الذي طرأ على انبوب التابلاين في سوريا . يضاف الى ذلك تخفيض الانتاج البترولي الذي فرضته حكومة ليبيا على الشركات وارتفاع اجور نقل البترول من الشرق الاوسط والخليج الى اماكن تكريره واستهلاكه الرئيسية . ان هذا الفارق بين العرض والطلب على الصعيد الاوروبي قد ولد ضغوطا كبيرة في أوروبا تطالب باعادة فتح قناة السويس والدخول في مفاوضات مع سوريا لاصلاح خط التابلاين الخ ... بعبارة اخرى يوجد ضغط بريطاني فرنسي مدعوم من قبل الاتحاد السوفياتي للوصول بأسرع ما يمكن الى تسوية سلمية للنزاع في الشرق الاوسط وتثبيت الهدوء الاستعماري والسلام الامبريالي في المنطقة . ويبدو ان هذه الضغوط تكمن الى حد كبير خلف المشاريع التي طرحها موسى دايان مؤخرا حول ترتيب مؤقت مع مصر قائم على انسحاب عربي اسرائيلي جزئي من على ضفتي القنال لتمكين اعادة فتحها ، على الا يكون هذا الترتيب بديلا عن الوصول الى سلام دائم بين الدولتين على المدى البعيد ومن خلال المفاوضات . كذلك تفسر الضغوط المذكورة الاهتمام الاوروبي الشديد والملح في الفترة الاخيرة للوصول الى حل سلمي للنزاع مع ميل واضح الى الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني وحقوقه بمعنى من المعاني . وقد ادى هذا الوضع الى بروز فكرة الكيان الفلسطيني والاهتمام بالدولة الفلسطينية على الصعيد العالمي بصورة ملفتة للانتباه باعتبارها مخرجا من المأزق الحالي في المنطقة . على سبيل المثال قالت صحيفة « الفاينانشال تايمز » بكل وضوح «نحن نعتمد على السلام في الشرق الاوسط» (نوفمبر ١٧ ، ١٩٧٠) . والاعتماد المعني هو الاعتماد البترولي والاقتصادي . وأخذت الصحيفة نفسها تتكلم عن « ضرورة ايجاد وطن قومي للفلسطينيين » واضافت قائلة في تعبيرها عن الموقف الاوروبي المستقل والمتميز نوعا ما : « ليس من المحتمل ان تؤدي محادثات يارينغ الى تسوية ، كما ان اية مفاوضات تجري بين اسرائيل والدول العربية لن تؤدي الى تسوية ايضا . الارجح هو ان هذه التسوية لن تأتي الا اذا فرضت من الخارج . ان اعادة رسم الخريطة في الشرق الاوسط بحيث توجد هناك اسرائيل وفلسطين مع ضمان امكان وصول

كل منهما الى البحر لا يمكن ان يتم الا على يد الدول الكبرى . » (نوفمبر ١٧ ، ١٩٧٠) . ومن الاقتراحات التي تم تداولها دوليا لتحقيق هذا الكيان الفلسطيني اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة .

كما برز اقتراح اخر يقول باقامة هذه الدولة على ارض المملكة الاردنية بكاملها . وجدير بالانتباه ان هذا التداول بموضوع الكيان الفلسطيني هو من النوع الذكي الذي يأخذ بعين الاعتبار انه اذا كانت الدولة الفلسطينية المعنية ستكون مجرد تابع مفضوح لاسرائيل فان ذلك لن يؤدي الى النتائج المطلوبة وهي استقرار المنطقة على المدى البعيد : اي ابقاء الستاتيكو الامبريالي على حاله . وعكست صحيفة « الفاينانشال تايمز » هذه الاتجاهات في الاوساط الدولية بقولها ان من حسنات هذا الحل انه يعطي لكل من الطرفين المتخاصمين كل ما يريده تقريبا ، كما يتم الاعتراف بهاتين القوميتين المتنافستين ، القومية الاسرائيلية والقومية الفلسطينية ، وتحقيق العدالة بالنسبة للشعبين . (المصدر السابق) وادعت الصحيفة ان هذه الافكار منتشرة في الشرق الاوسط وفي الغرب معا . من ناحية اخرى اشارت صحيفة « الهيرالد تريبيون »، بهذا الصدد ، الى تصريحات روجرز اثناء زيارة الملك حسين الاخيرة للولايات المتحدة التي لم يرفض فيها امكانية حل النزاع في المنطقة عن طريق اقامة الكيان الفلسطيني او الدولة الفلسطينية ، بل على العكس من ذلك اكدت الصحيفة ان مناقشات بهذا المعنى قد جرت على اعلى المستويات، حول الكيان الفلسطيني (ديسمبر ١١ ، ١٩٧٠) . ومن المرجح ان ميل امريكا للاهتمام بموضوع الدولة الفلسطينية بصورة ما قد جاء استجابة لضغوط وحاجات اوروبية مر ذكرها معنا .

ظاهرة اخرى تعزز ما ذكرناه عن هذا الاتجاه الاوروبي المستقل نسبيا والمهتم بتحقيق الدولة الفلسطينية اجتماع مجلس اتحاد اوروبا الغربية المنعقد في باريس في ٢٠ نوفمبر ١٩٧٠ الذي وافق بالاجماع على قرار متعلق بالنزاع العربي الاسرائيلي يدعو الى ما يلي : الشروع بمشاورات على مستوى الوزراء (الاوروبيين) لتحديد موقف اوروبي خالص نحو الوضع في الشرق الاوسط . بذل الجهود المطلوبة لفتح مفاوضات جزئية بين العرب واسرائيل ، وضع مشروع اتفاق يمنع كافة الدول من تقديم المساعدات العسكرية للدول المتحاربة في الشرق الاوسط . بذل جهود وتقديم مساعدات هدفها اعادة انعاش اللاجئين الفلسطينيين اجتماعيا واقتصاديا . دراسة الطرق المؤدية الى تخفيف حدة التوتر في منطقة الشرق الاوسط وانهاء المقاطعة العربية للمتعاملين مع اسرائيل ، وفتح قناة السويس والبحث عن طرق لصالح التعايش السلمي في المنطقة .

بدأ هذا الموقف الاوروبي في اكتساب الطابع الرسمي عندما اشار رئيس وزراء بريطانيا الجديد الى ضرورة ايجاد فرصة « لوضع علاقاتنا مع العالم العربي على أسس جديدة واكثر واقعية ». وبعد هذه الاشارة بفترة قصيرة القى وزير الخارجية البريطاني (السير اليك دوغلاس هيوم) خطابا فصل فيه معنى تصريح رئيس الوزراء وكان ذلك في اجتماع لحزب المحافظين عقد في اوائل نوفمبر ١٩٧٠ . كانت محتويات الخطاب اول تعبير رسمي عن الخطوط العريضة، لسياسة حكومة المحافظين ازاء ما يسمى بأزمة الشرق الاوسط . اكد وزير الخارجية في هذا الخطاب ان سياسة بريطانيا ما تزال قائمة على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وتطبيقه ، كما دعا الى الانسحاب الاسرائيلي من أراض احتلتها عام ١٩٦٧ مع ادخال تعديلات طفيفة على الحدود بين الطرفين المتنازعين . كذلك ذكر ان اي تسوية لا بد وان تأخذ بعين الاعتبار ما اسماه بالامال المشروعة للشعب الفلسطيني. وجدير بالاشارة هنا الى ان هذه التصريحات صدرت قبل زيارة غولدا مائير لبريطانيا ببضعة ايام مما اثار ضجة في الاوساط الدولية والمؤيدة لاسرائيل التي اعتبرت سياسة حكومة المحافظين ممالئة للعرب ومتعارضة مع مصالح اسرائيل . بالرغم عن الترحيب العربي الرسمي الكبير بخطاب وزير الخارجية البريطاني والمعارضة الصهيونية له لم يحتو الخطاب على اي شيء جديد يتعدى ما جاء في مشروع روجرز الذي كانت قد رفضته القوى الفلسطينية الثورية .

ويمكننا تلخيص الاسس التي تقترحها السياسة البريطانية لحل النزاع العربي الاسرائيلي وتحديدها بالنقاط التالية : أ ــ التأكيد على عدم جواز ضم اراض عن طريق الحرب . ب ــ الحاجة الى سلام دائم في الشرق الاوسط على أساس انسحاب اسرائيل من أراضي محتلة مع انهاء حالة العداء بين الدول المعنية . ج ــ تأمين ترتيب خاص لمدينة القدس بحيث تبقى موحدة مع تقديم الخيار للاجئين

الفلسطينيين بالعودة او التعويض . د ـ معارضة حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة واهدافها وسياساتها لان غايتها هي ازالة دولة اسرائيل الصهيونية . ويبدو لنا ان هذا الموقف البريطاني (والاوروبي الى حد كبير) يعني على صعيد التطبيق العملي العودة الى حدود ما قبل حرب ١٩٦٧ بين مصر واسرائيل مع تأمين ترتيبات خاصة بالنسبة لقطاع غزة ، العودة الى خط الهدنة كما كان قائما بين اسرائيل والاردن قبل الحرب مع ادخال بعض التعديلات الهامة على الحدود بالاضافة الى اتفاقية خاصة بالقدس الموحدة تضمن حقوق كل الطوائف في اماكنها المقدسة ، الرجوع الى الحدود القديمة بين اسرائيل وسوريا بعد أن توافق سوريا على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ على ان يتم ادخال تعديلات على الحدود (مناطق مجردة من السلاح. الخ..) ، السماح لعدد رمزي من النازحين بالعودة الى اسرائيل والتعويض على البقية مما سيصفي قضية الشعب الفلسطيني نهائيا وفقا لما تتصوره الدوائر الاستعمارية .

ومما يذكر هنا ان خطاب وزير الخارجية المشار اليه لم يأت على ذكر قضية حرية الملاحة في ما يسمى « بالممرات المائية الدولية » في منطقتنا . وكما نوهنا سابقا لقي خطاب الوزير ترحيبا عربيا كبيرا كما واجه نقدا شديدا من جانب الصهيونية وحلفائها ، علما بأن الصحافة الاوروبية عامة قد دافعت بحرارة عن الوزير وخطابه وسياساته مما يؤكد الموقف الاوروبي المتميز الذي حاولنا التقاط ملامحه ودوافعه . ويضاف بهذا الصدد ان مندوب بريطانيا في هيئة الامم المتحدة عاد الى التأكيد على هذه السياسة في خطابه الرئيسي اثناء مناقشة الجمعية العامة لقضية الشرق الاوسط حيث جاء على ذكر مسألة حرية الملاحة في العقبة وممرات تيران وقناة السويس ولكن بدون تسميتها «بالممرات المائية الدولية » . كما قام مندوب فرنسا ، في خطابه الرئيسي ايضا ، بمهاجمة الولايات المتحدة الامريكية لارتكابها خطأ اساسيا ، على حد قوله ، بابقائها هيئة الامم والدول الاربع الكبرى ومجلس الامن خارج نطاق ما يجري من ترتيبات لوقف اطلاق النار في الشرق الاوسط . قال ان قيمة وقف اطلاق النار كانت ستكون مختلفة تماما لو حدث وقف اطلاق النار على اساس ضمانات من قبل الدول الاربع الكبرى . مرة اخرى الموقف الاوروبي متخوف الى حد ما من تسوية ما يسمى بأزمة الشرق الاوسط على اساس صفقة منفردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بحيث تبقى الدول الاوروبية المهمة خارج اطارها وعاجزة عن التأثير المباشر عليها وعلى نتائجها .

بعد تمديد وقف اطلاق النار في اوائل نوفمبر ١٩٧٠ انصبت تطورات القضية الفلسطينية على الصعيد العالمي باتجاه احياء محادثات يارينغ التي كانت قد نسفتها اسرائيل في مرحلة سابقة . على الجانب العربي اعلن الرئيس انور السادات ، على اثر تمديد وقف اطلاق النار ، بأن مصر لن تقبل بأي حال من الاحوال تمديدا اخر بعد ٥ شباط ١٩٧١ . غير ان بعض التعديلات طرأت على هذا الموقف فيما بعد حيث اعلن الرئيس السادات من جديد ان تمديد فترة وقف اطلاق النار مرهون باحراز تقدم ملموس في محادثات يارينغ ، كما اعلن ايضا ان التمديد مرهون بوضع جدول زمني للانسحاب الاسرائيلي تحت اشراف يارينغ .

بطبيعة الحال رفضت اسرائيل الموقف المصري رفضا باتا ثم استخدمت سياسة ذكية وحاذقة جدا في معالجة موضوع عودتها الى محادثات يارينغ. وقبل الدخول في تعرجات هذه السياسة لا بد من الاشارة الى كيف فهم موسى دايان تمديد وقف اطلاق النار. قال دايان معلقا على ذلك « ان وقف اطلاق النار الذي بدأ اليوم يختلف ، من عدة نواح ، اختلافا كليا عن وقف اطلاق النار السابق . لم يأت وقف اطلاق النار الجديد نتيجة لمبادرة امريكية ، كما ان مصر لم تتلق اية وعود ، واسرائيل غير ملزمة هذه المرة بما وافقت عليه بالنسبة لوقف اطلاق النار السابق . كذلك ان الولايات المتحدة لم تتطلب من اسرائيل هذه المرة ان تأخذ على عاتقها اية التزامات . وبالاضافة الى ذلك لم تقدم امريكا ، هذه المرة ، اية وعود الى مصر بعدم تزويد اسرائيل بالاسلحة ، كما انه ليس لدى مصر اي أمل بأن تضغط امريكا على اسرائيل كي توافق على مشروع روجرز » (« الفاينانشال تايمز » ، ٧ نوفمبر ١٩٧٠) .

استخدمت اسرائيل منطق الترغيب والتهديد في آن واحد : الترغيب عن طريق اعلان نيتها بالعودة الى المحادثات عندما تتحقق الشروط المناسبة لذلك على حد زعمها ، والتهديد بعدم العودة اليها لفترة طويلة بغية الحصول على مكاسب مهمة منها الظهور بمظهر من قدم تنازلات كبيرة بمجرد قبوله الرجوع الى مائدة المفاوضات تحت اشراف يارينغ . كانت

اسرائيل تماطل وتؤجل وتقدم الوعود بالرجوع الى المحادثات ثم تضع شروطا تعجيزية وتطرح مشاريع بديلة بغية بلبلة الموقف وتمييعه . وفيما يلي امثلة عن السلوك الاسرائيلي هذا : ١ ــ بعد ان كان موسى دايان ، وزير الدفاع ، هو المسؤول الرئيسي عن انسحاب اسرائيل من محادثات يارينغ في السابق ، عاد هو بنفسه ليعلن في نهاية الاسبوع الاول من شهر نوفمبر ١٩٧٠ بأنه ينبغي على اسرائيل أن تنهي مقاطعتها لمحادثات السلام تحت اشراف يارينغ . قال : « ان اسرائيل ليس لها مصلحة في الاستمرار بالحرب او في المكاسب الاقليمية . ان مصلحتها هي في انهاء الحرب فقط». كذلك أعلن ان الولايات المتحدة الامريكية هي الصديق الوحيد لاسرائيل (بسبب الموقف الاوروبي المتميز). وفي اليوم التالي اعلنت مصادر اسرائيلية مأذونة بأن قرارا بالرجوع الى محادثات السلام سيتخذ في الاجتماع الاسبوعي المقبل للوزارة الاسرائيلية . غير ان اجتماع مجلس الوزراء خرج بنتيجة هي تأجيل اتخاذ القرار الى وقت لاحق .

٢ ــ كان يفترض ان تعلن غولدا مائير قرار العودة الى محادثات يارينغ في خطاب هام ستلقيه امام الكنيست في ١٦ نوفمبر ١٩٧٠ وذلك وفقا لمصادر الاعلام الاسرائيلية ، غير ان خطابها اقتصر على مجرد الدعوة الى « خلق ظروف مؤاتية تمكن اسرائيل من العودة الى المحادثات » وبينت مائير ان هذه الظروف غير متوفرة في الوقت الحاضر كما انها تجنبت تحديد ما تعنيه « بالظروف المواتية ».

٣ ــ في هذه الفترة شاعت اخبار ، مصدرها اسرائيل ، عن اجتماعات تمت بين الملك حسين وبيغال آلون ، ومما زاد الوضع بلبلة طرح موسى دايان لمشروع جديد يضاف الى اللغط الدائر حول عودة اسرائيل الى محادثات يارينغ . يدعو مشروع دايان الى الانسحاب المتبادل من قبل مصر واسرائيل الى مسافة معينة بعيدا عن ضفتي القنال وعقد اتفاقية وقف اطلاق نار جديدة بين الطرفين . ثم اعلنت مصادر اسرائيلية وزارية عن استعداد اسرائيل للدخول في مفاوضات فورية مع الاردن ولبنان كل على حدة . وبطبيعة الحال رفضت الدول العربية كل هذه المناورات والمماطلات .

٤ ــ عادت اسرائيل الى التهديد من جديد بعدم العودة الى محادثات يارينغ كما جاء في تصريح لآلون في منتصف شهر نوفمبر قال فيه «يتعذر علينا العودة الى المحادثات طالما ان الشروط المناسبة لذلك لم تتحقق ولا ارى كيف ستتحقق هذه الشروط بدون حل مشكلة الصواريخ على الطرف المصري من خط وقف اطلاق النار » ، . وفي ٢١ نوفمبر ١٩٧٠ اكد احد الوزراء هذا الموقف المتمنع من جديد بقوله « ان مشاركة اسرائيل في المحادثات غير واردة حاليا ».

٥ ــ عادت اسرائيل بعدها الى تكتيك الاعلان المسبق بأن مجلس الوزراء سوف يتخذ قرارا بالعودة الى المحادثات في اجتماعه المقبل وكان كل اجتماع مقبل يؤجل اتخاذ القرار الى الاجتماع الذي يليه واستمرت الحال على هذا المنوال حتى آخر شهر ديسمبر ١٩٧٠ . لذلك اعلن موسى دايان على اعقاب زيارته للولايات المتحدة في الاسبوع الاول من شهر ديسمبر ١٩٧٠ (حيث قابل الرئيس نيكسون) بأن الشروط المناسبة لعودة اسرائيل الى محادثات يارينغ لم تنضج بعد ، ولكن اسرائيل ستعمل ما في وسعها لانضاجها .

من نافلة القول ان هذه المناورات الاسرائيلية على الصعيد الدولي كان لها اهداف محددة ومرسومة لانه في الفترة التي استغرقتها المناورات كانت مشاورات هامة جدا تجري بين اسرائيل وحكومة الولايات المتحدة الامريكية . في ١٨ نوفمبر ١٩٧٠ طالب الرئيس نيكسون الكونغرس الامريكي بمبلغ بليون دولار اضافي في برنامج المساعدات الخارجية الامريكية على ان يتم تخصيص نصف المبلغ لاسرائيل ومساعداتها . طلب نيكسون مبلغ ٥٠٠ مليون دولار لمساعدة اسرائيل على شراء اعتدة ضرورية « للمحافظة على قدرتها الدفاعية » ، و« للتخفيف من حدة الضغط الاقتصادي المتولد من اتساع التزاماتها العسكرية » .

اما النصف الاخر من المبلغ فقد تم توزيعه بين كامبوديا وكوريا الجنوبية وفيتنام الجنوبية . وكان نصيب الاردن ٣٠ مليون دولار ونصيب لبنان ٥ ملايين لا اكثر . اما مجمل المساعدات الامريكية التي اخذتها اسرائيل وستأخذها على مدى الثلاث سنوات هذه فتقدر بمبلغ بليون و٣٠٠ مليون دولار وفقا لحسابات صحيفة « الفاينانشال تايمز » (نوفمبر ١٨ ، ١٩٧٠) . وفي ١٥ ديسمبر ١٩٧٠ حاول بعض اعضاء مجلس الشيوخ الامريكي عرض مشروع قرار على المجلس يحظر على الرئيس نيكسون ارسال اية قوات امريكية او اي مدربين ومشرفين امريكيين الى اسرائيل كجزء من موافقة المجلس على مطالب نيكسون المالية (اسوة بما حدث بالنسبة للمساعدات التي طلبها نيكسون

سابقا لاجل حملة كمبوديا) . غير أن مشروع القرار سقط في التصويت مما يترك مجال التدخل الامريكي المباشر مفتوحا حتى على الصعيد الثانوي المحض. وتضم المساعدات التي حصلت عليها اسرائيل طائرات فانتوم وعددا كبيرا من السكاي هوك و٢٠٠ دبابة من احدث طراز ، كل ذلك بحجة المحافظة على ميزان التسلح في المنطقة ومواجهة صواريخ سام ٢ و٣ على الطرف الاخر من قناة السويس . لقد اتضح فيما بعد ، كما بينت الصحافة الدولية ، ان الذريعة التي استخدمتها كل من اسرائيل وامريكا لتبرير كل هذه المساعدات كانت كاذبة تماما. زعمت كل من امريكا واسرائيل ان المساعدات المالية والعسكرية كانت ضرورية للرد على انشاء مصر لشبكات الصواريخ سام ٢ و٣ على جبهة القنال اثناء فترة وقف اطلاق النار . غير انه تبين ان اتفاقية الـ ٥٠٠ مليون دولار كانت قد تمت بين امريكا واسرائيل في شهر حزيران ١٩٧٠ اي حوالي ٧ اسابيع قبل اتفاقية وقف اطلاق النار . ذكرت صحيفة « الهيرالد تريبيون » بأن المسؤولين الامريكيين قد اعترفوا بأن امريكا قررت تقديم كل هذه المساعدات الى اسرائيل في الوقت الذي كان روجرز يعرض مشروعه للسلام على اسرائيل والعرب (١٦ نوفمبر ١٩٧٠) . اي ان اسرائيل لم توافق على مشروع روجرز بسبب الضغط الامريكي كما قيل يومها بل لانها حصلت على كل ما تريده ان لم يكن اكثر بكثير . اتضحت هذه الحقيقة بالرغم عن ان الحكومة الامريكية حاولت ان تظهر المساعدات والصفقات والاسلحة المرسلة الى اسرائيل على انها تعويض لها بسبب اقامة مصر للصواريخ الدفاعية على ضفة القنال اثناء فترة وقف اطلاق النار .

كذلك شملت المشاورات الامريكية الاسرائيلية في هذه الفترة مسألة الضمانات الامريكية الاساسية التي ستقدم لاسرائيل حتى تعود الى محادثات يارينغ . وتتلخص الضمانات التي تريدها اسرائيل من امريكا بالنقاط التالية : أ ــ استمرار المساعدات الامريكية الاقتصادية والعسكرية (في مستوى الـ ٥٠٠ مليون) حتى عام ١٩٧٢ .

ب ــ ضمان امريكي بردع الاتحاد السوفياتي كي لا يتورط اكثر فاكثر في نزاع الشرق الاوسط .

ج ــ استخدام حق الفيتو في مجلس الامن لمنع أية تعديلات تطالب بادخالها مصر والاتحاد السوفياتي على قرار مجلس الامن بغية جعله اكثر تحديدا وقابلية للتنفيذ . د ــ ضمانات بأن امريكا لن تضغط على اسرائيل كي تنسحب من أراض عربية محتلة على اساس مشروع روجرز الذي يدعو الى اجراء مجرد تعديلات طفيفة في الحدود لا اكثر لان التعديلات التي تريدها اسرائيل لا يمكن وصفها « بالطفيفة » في اي حال من الاحوال . هـ ــ تمديد وقف اطلاق النار الى ما بعد ٥ شباط ١٩٧١ على اساس اتفاقية جديدة تحت اشراف الولايات المتحدة الامريكية . و ــ اذا توقفت محادثات يارينغ من جديد ، او وصلت الى مأزق ، او فشلت نهائيا فان الولايات المتحدة لن توقف شحنات الاسلحة الى اسرائيل كما انها لن تضغط عليها كي تقدم تنازلات للاستمرار في المفاوضات .

اما الرد الامريكي فقد تلخص باعلام اسرائيل بنية الرئيس نيكسون التشدد في قراره حول المحافظة على ميزان التسلح في الشرق الاوسط وعدم التدخل في سير المفاوضات تحت اشراف يارينغ بعد ان تبدأ .

وقد اعلن عن القسم الاكبر من هذه الضمانات بصورة رسمية على لسان احد الوزراء الاسرائيليين (في ديسمبر ١٦ ، ١٩٧٠) حيث وردت مطالب اسرائيلية واضحة مثل : المطالبة بقبول قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بدون اي تفسير معين من قبل الجمعية العامة لهيئة الامم ، سحب مشروع روجرز من قبل الولايات المتحدة لانه يدعو لانسحاب اسرائيل من اراض عربية محتلة باستثناء تعديلات طفيفة في الحدود ، وان تستخدم الولايات المتحدة حق الفيتو في حال وجود اتجاه في مجلس الامن لفرض عقوبات على اسرائيل اذا فشلت محادثات يارينغ .

وقد عبر مسؤولون امريكيون في بلجيكا في ٤ ديسمبر ١٩٧٠ عن اطمئنان امريكا لهذا الاتجاه في سياستها ولعودة محادثات يارينغ الى مجراها . كان ذلك عقب اجتماع مجلس الحلف الاطلسي في بروكسل حيث بين المسؤولون الامريكيون ان الاتصالات الامريكية بالعرب والاسرائيليين اظهرت رغبة مشتركة لدى الطرفين في تقديم تنازلات ، وان احتمالات الحل السلمي في الشرق الاوسط لم تكن في حال احسن من الحال التي هي عليه الان . اما الاسباب التي ساقها هؤلاء لتبرير تفاؤلهم فقد تلخصت في نجاح المساعي المبذولة لتمديد وقف اطلاق النار ، سيطرة الملك حسين على الوضع في الاردن تماما (أي ضرب حركة المقاومة) ، اهتمام مصر المتزايد بالقضايا

الداخلية والمشاكل المحلية ، انضمام سوريا الى الاتحاد الثلاثي العربي مما يعني قبولها الضمني بقرار مجلس الامن وما يترتب عليه من نتائج مثل مشروع روجرز ومحادثات يارينغ ، تصريح روجرز بأن الولايات المتحدة تعمل جاهدة باتجاه خلق ظروف مواتية لاستمرار محادثات يارينغ . مما لا شك فيه ان كافة هذه القضايا كانت موضع مشاورات بين موسى دايان والرئيس نيكسون وغيره من المسؤولين الامريكيين الكبار اثناء زيارة دايان الاخيرة الى امريكا في النصف الاول من شهر ديسمبر ١٩٧٠ . كما يحق لدايان ان يشعر بأن كل هذه المساعدات والضمانات والاسلحة الامريكية قد بدأت بخلق الشروط المواتيةللعودة الى محادثات يارينغ في نيويورك .

على صعيد آخر لا بد من ذكر رحلة الملك حسين الى العواصم الغربية الرئيسية كجزء من التطورات الدولية بالنسبة للقضية الفلسطينية : في اواخر شهر ديسمبر ١٩٧٠ قام الملك حسين بزيارة القاهرة والرياض في طريقه الى لندن حيث اجرى محادثات مع رئيس الوزراء ادوارد هيث هدفها التشديد على ضرورة المبادرة بتحركات ايجابية على صعيد العودة الى المفاوضات تحت اشراف يارينغ بغية الوصول الى تسوية سلمية للنزاع في الشرق الاوسط . وقد شدد الملك انه ما لم تتحقق هذه المساعي فان وضعا خطيرا جدا سينشأ في المنطقة ولكنه لم يحدد طبيعة الخطر الذي عناه . كذلك امتدح الملك حسين خطاب وزير الخارجية البريطاني المشار اليه سابقا ووصفه بأنه يعبر عن موقف « عادل وسليم » كما ابلغ بريطانيا بالرغبة العربية في قيام علاقات اكثر ودية بينها وبين العالم العربي. وحاول الملك حسين التأكيد للانكليز وغيرهم انه اصبح يسيطر تماما على الوضع الداخلي في الاردن . كما تبين بأنه يتكلم ليس باسمه فحسب وانما باسم الرئيس انور السادات ايضا ، ونفى ما تردد حول اجتماعاته بآلون كما نفى ما تردد حول بحث الملك لموضوع اقامة دولة فلسطينية مستقلة على الضفة الغربية من نهر الاردن .

هذا على الصعيد السياسي ، اما على الصعيد العسكري فقد طلب الملك حسين من حكومة بريطانيا تزويده بمعدات عسكرية تضاف الى الاسلحة التي وعدت بتزويدها الولايات المتحدة وذلك لاجل تعويض دبابات السنتوريون الانكليزيةالصنع التي تم تدميرها اثناء معركة ايلول مع الفدائيين . اما في واشنطن فقد قابل الملك حسين الرئيس نيكسون وتردد انه اصر على صيغة مشروع روجرز الذي يدعو الى ادخال تعديلات طفيفةعلى الحدود العربيةالاسرائيلية اثناء الانسحاب الاسرائيلي بغية ضمان الامن المتبادل لكل من الدول العربية واسرائيل كما طالب بمساعدات جديدة تضاف الى مبلغ ٣٠ مليون دولار الذي وعده نيكسون به بعد معركة ايلول مباشرة. كذلك ترددت اخبار مؤكدة بأنه طالب بما قيمته ١٢٥ مليون دولار من المعدات الحربية تسلم على امتداد السنوات الخمس القادمة على ان تشمل دبابات م٦٠ وهي احدث واقوى دبابة انتجتها التكنولوجيا الحربية الامريكية بالاضافة الى المزيد من طائرات ف ١٠٤ ستار فايتر وغيرها من المعدات بما في ذلك شبكات الرادار .

اعلن الملك حسين في واشنطن تأييده لادخال قوة سلام دولية تضم قوات سوفياتية وامريكية الى المنطقة العربية باعتبارها افضل وسيلة لوقف القتال كما اعلن بهذا الصدد ان مفتاح السلام في المنطقة هو في يد امريكا . وقد اشار المسؤولون الامريكيون الى رغبتهم في النظر في امكانية تشكيل مثل هذه القوة . وكذلك اعلن روجرز في ٢٣ ديسمبر ١٩٧٠ ان الولايات المتحدةمستعدة لان تقوم بدور«البوليس» Policing في اية تسوية سلمية في الشرق الاوسط ، وهي تترك احتمالات مشاركتها في قوة سلام دولية تابعة لهيئة الامم مفتوحة . اما فيباريس فقد اعلن الرئيس بومبيدو امام الملك حسين بأن فرنسا ستفعل كل ما في وسعها لاحلال السلام ضمن اطار محادثات الدول الكبرى ، كما اعلن الملك حسين انه يريد « اعطاء الفلسطينيين فرصة تقرير مستقبلهم » . وواضح ان المساعدات الامريكية والبريطانية الى الاردن مرهونة الى حد بعيد بمشروع روجرز وبتنفيذ الحل السلمي في المنطقة وتصفية القضية الفلسطينية لذلك لن يكون لهذه الاسلحة الضخمة الا وظيفة واحدة هي الاستخدام الداخلي لحماية النظام ليس الا .

اخيرا لا بد من الاشارة الى التحرك الدبلوماسي العالمي الذي قامت به الجمهورية العربية المتحدة في النصف الثاني من شهر ديسمبر ١٩٧٠ لشرح وجهة نظرها حول تمديد فترة وقف اطلاق النار وضرورة العودة الى محادثات يارينغ . وكان اهم ما في هذا التحرك زيارة علي صبري لموسكو على رأس وفد عربي على مستوى رفيع . ويبدو ان مهمة الوفد كانت التباحث مع القيادة السوفياتية في

التطورات العسكرية التي طرأت على النزاع بعد ان قررت امريكا تزويد اسرائيل بالمساعدات المالية والعسكرية الضخمة التي مر ذكرها . يضاف الى ذلك التباحث في مسالة تمديد فترة وقف اطلاق النار بعد ٥ شباط ١٩٧١ . وفي خطاب القاه كوسيغين بحضور علي صبري اعلن ان المساعدات السوفياتية بشتى انواعها سوف تستمر بالوصول الى مصر لاجل « احباط مخططات المعتدين الاسرائيليين في الشرق الاوسط » ، كما وجه انذار الى اسرائيل بانه لن يسمح لها بتوسيع رقعتها المنطقة عن طريق الغزو . كما انذر المتطرب الاسرائيليين بانه لن يكون باستطاعتهم انتزاع ا ثمن على الاطلاق مقابل موافقتهم على التسو السلمية في المنطقة لانه لا احد يطلب من اسرائ واسيادها الامبرياليين السلام بأي ثمن .

الدكتور صادق جلال العظم

المفكرة الفلسطينية

(باللغة الانجليزية)

جزآن . ٩٠٠ صفحة من القطع الكبير ٤٠ ل.ل.

عرض موثوق للقضية الفلسطينية ، بتسلسلها التاريخي ، منذ بدء الاطماع الصهيونية حتى سقوط فلسطين ١٩٤٨ ، يقدم التفاصيل الكاملة لاحداث القضية وتطوراتها ليشكل واحدا من افضل واكمل المراجع العلمية في الموضوع . وهو ، حسب كلمات الاستاذ الشهير ارنيلد توينبي الذي وضع مقدمة الكتاب « لا يوجد كتاب آخر ضم الوثائق ذات العلاقة بالموضوع مثل هذا الكتاب » . وبكلمات المرحوم نبيه فارس « انه اكمل مرجع موثوق للمسالة الفلسطينية ، وهو يسد فراغا خطيرا في تاريخ هذه المعضلة الدولية الفريدة . انه يزود القارىء بالحقائق المجردة الاساسية ليكون رأيه بنفسه » .

بقلم

روبرت جون و سامي هداوي

استاذ للقانون ، بريطاني ، عمل لاستقلال الجزائر وقبرص والمستعمرات الاوروبية في افريقية ، وعارض حكومته في ازمة السويس عام ١٩٥٦ .

باحث ومحاضر اعلامي في القضية الفلسطينية، فلسطيني ، له عدة مؤلفات بينها « ملف القضية الفلسطينية » و« احصائيات الاراضي والملكية في فلسطين » و« الحصاد المر » .

نشر :

مركز الابحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية

مراجعات

Search for Peace, Friends and International Relations Committee, and Friends Service Council, Friends House, Euton Rd., London, N. W. I. (1970).

سوف أبدأ بذكر ثلاث خطايا في الكتاب ثم أنتقل الى بحث النقاط الرئيسية التي أود طرحها بنفسي .

الخطيئة الاولى هي ان للكتاب موقفا ميكانيكيا او آليا من الجدال . يعدد الكتاب ثلاث نقاط (حجج) عربية هنا ، ثم ثلاث نقاط (حجج) صهيونية هناك، وهكذا يقرر ان لكلا الموقفين بعض الصلة بالحقيقة. انا اعتقد ان هذه غلطة مميتة ، وخطيئة مميتة ، وانه ليس من الضروري ان تكون الحقيقة بين الموقفين . من الصحيح انه في الحياة الانسانية **غالبا** ما يكون لطرفي النزاع في أية قضية بعض الحق ، لكن هذا ليس بالضرورة حال جميع القضايا . وانا اعتقد ان الذين كتبوا هذا الكتاب حاولوا دائما ان يوردوا نفس العدد من الحجج لكلا الطرفين ، وذلك نتيجة لخوفهم من ردود الفعل الصهيونية .

ثانيا ، هناك بعض الاخطاء حول الحقائق . مثلا ، ان القول ان الفلسطينيين قدموا الى فلسطين مع الفتوحات العربية هو خطأ كبير . ان هناك في الانجيل نفسه ٧٤ اشارة الى الفلسطينيين . من هم الفلسطينيون الذين قاتلهم العبريون في فلسطين؟ انهم اجدادي . جاء العرب فيما بعد الى فلسطين ، لكن قبل ذلك التاريخ بآلاف السنين كان هناك فلسطينيون في فلسطين . لذلك ، اذا كنا سنعيد ترتيب خارطة العالم على أساس من كان هناك ومتى، فان لنا حق افضل من حق الصهيونيين في فلسطين.

ثالثا ، هناك اشارة الى دخول الجيوش العربية الى فلسطين عند انتهاء الانتداب . اعتقد انه كان يتوجب على الكتاب ذكر حقيقة ان معظم فلسطين، التي اعطيت للعرب في قرار التقسيم الصادر في تشرين ثاني ١٩٤٧، كانت محتلة من قبل الصهيونيين قبل ان يدخل اول جندي عربي ارض فلسطين ، وانه في تلك اللحظة كان الصهيونيون قد طردوا ٣٥٠،٠٠٠ فلسطيني . هذه الحقيقة تجعل الامور مختلفة تماما ، واعتقد انه كان يجب بحثها في الكتاب .

يكفي ما قلته عن التفاصيل وعن التقرير نفسه . والان اود ان اتطرق الى القضايا الاكثر اهمية .

احب ان اقول فورا ان هذا الكتيب ونحن الفلسطينيين نتكلم لغتين مختلفتين كما اننا نستعمل مفردات مختلفة تماما . ينطلق تقرير « الكويكرز » من موقف ان اسرائيل موجودة لتبقى ، ولذلك فان التقرير يكتفي بتعديلات طفيفة واصلاحات جانبية. اذا وجدت اسرائيل لتبقى فان هذا التقرير يهتم بالسؤال التالي : كيف يمكننا ان نجعل هذا القرص المر اقل مرارة ؟ كيف يمكننا ان نجعل العرب والفلسطينيين يجدونه حلو المذاق ؟ ان هذا السؤال حتما هو احد الوسائل ، لكنه لا يمس المسألة الحقيقية . بالنسبة لنا ، المسألة الاساسية هي ان وجود اسرائيل هو تبلور طويل الامد لعملية استعمارية وحشية ودائمة تهدف ليس الى اغتصاب الارض فقط ، بل الى الاقتلاع السكاني والطرد . هذه نقطة اساسية يجب ان نذكرها جيدا . اذا تعاملنا عن هذه النقطة وبدأنا من النقطة الحالية فمن المنطقي ان نصل الى نفس استنتاجات هذا الكتاب . لكن ، من الناحية الاخرى ، اذا تذكرتم اننا ضحايا عدوان استعماري تدعمه الامبريالية الغربية ، فانكم ستصلون الى استنتاج ، لن اقول ما هو ، لكن ستصلون الى استنتاج مختلف . سوف اترك الاثارة جانبا لحظة .

بما اننا ضحايا الاستعمار ، وبما ان الصهيونية حركة استعمارية،لذلك لا يمكنها ان تترك لضحاياها حرية تقرير المصير . لدي ، في الواقع ، بعض الاقوال الجميلة حول هذا الامر . دعونا نعود الى هرتزل . قال في مذكراته ، من بين ما قاله : « سوف نحاول ان ندفع السكان الفقراء (احيانا اخرى يدعونا « الاهالي ») عبر الحدود بتدبير العمل لهم في البلدان المجاورة (سوريا ، لبنان الخ ..) بينما نمنع عنهم اي عمل في بلادنا » . كان هذا عام ١٨٩٧ . ويقول المؤتمر الامريكي

اليهودي عام ١٩١٨ : « سوف تقوم في فلسطين اوضاع سياسية وادارية واقتصادية تضمن تحول فلسطين الى دولة يهودية » . وحديثا ، اراد حاييم وايزمان في اوائل العشرينات (١٩٢٠) أن تصبح فلسطين «يهودية كما هي انجلترا انجليزية». وبعد ذلك بسنة قال الدكتور « أدر » رئيس البعثة الصهيونية في فلسطين : « يمكن ان يكون هناك وطن قومي واحد في فلسطين وهو الوطن اليهودي، **ولن تكون هناك مساواة** ، في الشراكة بين العرب واليهود ، بل تفوق يهودي (متى ؟) **عندما تسمح زيادة اعداد عنصرنا بذلك** ». ثم فيما بعد ، عام ١٩٤٢ ، دعا برنامج بلتيمور ، الذي اعدته منظمة امريكا الصهيونية ، الى جعل فلسطين دولة يهودية والى الهجرة اليهودية غير المحدودة والاستيطان في فلسطين ، (تحت سيطرة من ؟) تحت سيطرة الوكالة اليهودية . لكن بعد ذلك بقليل قام الجنرال « باترِيك هرلي » مندوب الرئيس روزفلت في الشرق الاوسط ، بتقديم تقرير في ٣ ايار ١٩٤٣ يقول فيه: « من جهتها ، اشارت المنظمة الصهيونية في فلسطين الى ارتباطها ببرنامج موسع لـ : ١ ــ دولة يهودية ذات سيادة تشمل فلسطين وربما شرق الاردن . ٢ ــ نقل السكان العرب من فلسطين الى العراق. ٣ ــ زعامة يهودية للشرق الاوسط كله في حقول التنمية والسيطرة الاقتصادية » . وهذا الذي تكلم ليس موظفا في منظمة التحرير الفلسطينية بل مستشارا شخصيا للرئيس روزفلت عام ١٩٤٣ . وبعد ذلك بوقت قصير ، في ٢٢ أيار ١٩٤٥ ، طلبت الوكالة اليهودية من الحكومة البريطانية اعلان قرار فوري بجعل فلسطين يهودية « غير قابلة للتقسيم ولا للانتقاص » . وبعد شهور قليلة ، عام ١٩٤٦ ، حضرت انا شخصيا جلسات بعثة تقصي الحقائق الانجليزية ــ الاميركية . وقد أدلى حاييم وايزمان بشهادته في هذه الجلسات (كنت عضو الفريق العربي ــ وكنت شابا صغيرا عام ١٩٤٦) ، وقد سأله رئيس اللجنة : « دكتور وايزمان ، انك ما تفتأ تتحدث عن ضرورة اقامة دولة يهودية في فلسطين ، الا تعتقد ان ذلك سوف يخلق بعض الصعوبات للعرب ؟ » واجابه الدكتور وايزمان : « سيدي ، لا يمكن ان تعمل عجة دون ان تكسر البيض ». عند انتهاء شهادة الدكتور وايزمان وقفت البعثة كلها ــ البعثة الانجليزية الاميركية ــ وصفقت له تعبيرا عن احترامها واعجابها .

هذه هي اسرائيل التي ينصحوننا بقبول رحمتها والتعايش مع ما تشفق علينا به . هذا ليس تخريفا فلسطينيا، بل حقيقة لها عواقبها الماضية والحاضرة والمستقبلة المشؤومة . ومن وجهة النظر هذه ، **فان الاستنتاج الوحيد الممكن** هو طبعا التحرير . لا تسوية بل تحرير . ان الوضع مغاير لخلاف على الحدود، ولارض متنازع عليها بين دولتين متجاورتين، ولاقتسام مياه نهر يمر بين دولتين. ان الوضع أخطر بكثير . الوضع في الواقع هو أن نكون او لا نكون مجتمعا قوميا له حقوق سياسية ومدنية في وطنه ، ليس في السعودية ولا في الجزائر مع انها بلاد عربية ، بل في موطنه . القضية هي ايضا ان نقبل او لا نقبل مصير التشرد في انحاء الارض الاربعة . والقضية اخيرا هي هل نقبل ان نكون دون البشر بقبولنا المصير الذي رسمته لنا اسرائيل ، والذي تبنته ، لسوء الحظ ، حكومة الولايات المتحدة الاميركية .

أود هنا ان اتطرق الى مسألة الخير . يتحدث التقرير عن العذاب والالم المتعلق بمتابعة النضال. هذا صحيح تماما . لكن اعتقد ان المسألة الاهم التي يجب ان تثار هي المقارنة بين حالتين من الخير، الخير الذي سينتج عن قبولنا بقرار نوفمبر وهو تذويبنا الى دولة صغيرة عميلة لاسرائيل في جزء من الضفة الغربية . المقارنة بين الخير الذي سيؤول الينا كفلسطينيين والذي سيؤول لاسرائيل مجتمعين معا ، مقابل الخير الذي سينتج اذا قبلتم الحل الفلسطيني ــ الذي سأتحدث عنه بعد قليل . اننا نقر أن كمية الخير كمية صغيرة للفلسطينيين وانها مؤقتة بالنسبة للاسرائيليين مع انها قد تبدو مصدر خير كثير لهم . اعتقد ان خير اسرائيل مؤقت وان الربح العظيم ، بالطبع ، هو للاستعمار والامبريالية التي تتراجع في اماكن اخرى من العالم . وبالتالي رفضنا لقرار نوفمبر . أود أن أعطيكم باقتضاب خمسة أو ستة أسباب لرفضنا لقرار نوفمبر ، ورفضنا ادعاءه بأنه حل للمشكلة :

١ ــ يتجاهل القرار تماما احتلال عام ١٩٤٨ ويركز على احتلال ١٩٦٧ . اذا كان الاحتلال سيئا فان احتلال ١٩٦٧ سيء واحتلال ١٩٤٨ سيء . اذا كان الاحتلال جيدا عام ١٩٤٨ يجب ان يكون احتلال ١٩٦٧ جيدا ايضا . اما ان يكون الاحتلال سيئا في كلا الحالتين او جيدا في كلتيهما . وحسب معرفتي لا يتحسن الاحتلال مع مضي الوقت كتحسن النبيذ

او القيثارة .

٢ ــ يعطي قرار نوفمبر شرعية لوجود اسرائيل ، ولا يمكننا قبول هذا لان اسرائيل دولة مغتصبة : انها دولة استعمارية اقتلعتنا وشردتنا .

٣ ــ يتجاهل قرار نوفمبر اننا أمة كما يتجاهل سيادتنا . بينما يجعل القرار اسرائيل شرعية . انه يتجاهل سيادتنا وامتنا .

٤ ــ يعالج القرار موضوع غزة والضفة الغربية ، ولا يعرف معظم الناس ــ سألت طلابي حديثا ولم يعرفوا ــ ان الضفة الغربية وغزة معا تؤلفان ٢٢٪ فقط من مساحة فلسطين . ماذا يحدث للمساحة المتبقية . تلك يجب ان تبقى في أيدي اسرائيل . هذا طبعا ، اذا اخذنا افضل تفسير لقرار نوفمبر، اي الانسحاب من كل الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ .

٥ ــ قرار نوفمبر يسقط نصف الفلسطينيين من الصفقة . انه يعني في افضل حالاته عودة اللاجئين الذين اضطروا الى ترك الضفة الغربية سنة ١٩٦٧ . ماذا عني ؟ انا من طبريا . ماذا عن كثيرين آخرين من غزة او من يافا ؟ ماذا عن كل هؤلاء الناس ؟ هل يبقون خارج بلادهم ؟ ولماذا ؟ لا جواب في قرار نوفمبر .

٦ ــ القرار لا يرضي الفئة المعنية بالامر اساسا ، اي الفلسطينيين .

٧ ــ اخيرا ، القرار يصفي قضيتنا . لقد قال بعض الناس لنا ، غالبا اصدقاؤنا البريطانيون والاميركيون ، وقال لنا الانجلو ــ اميركيون العمليون : لا تكونوا سخفاء ، اقبلوا ما يعرض عليكم الان وانقضوه بعد خمس سنوات . تذكروا كيف قبلت المانيا معاهدة فرساي وكيف ثارت عليها. اولا ، نحن لسنا المانيا مقابل اسرائيل . العكس هو الصحيح : اسرائيل هي المانيا مقابل فرنسا . ثانيا ، اذا تخلينا عن حقوقنا بارادتنا كفلسطينيين، وبموافقة الدول العربية ، وتوقيع الدول الكبرى ، وتوقيع الامم المتحدة ، يمكننا أن نؤكد لكم ، اننا سنحتاج الى اكثر من معجزة من العهد القديم لنتمكن من نقض الاتفاقية .

وهكذا بينما يبدو قرار نوفمبر افضل قليلا من **السلام العبري** الذي تريدنا اسرائيل ان نعيش في ظله ، اي سيطرة اسرائيل على كل الشرق الاوسط بحيث تكون منطقة منه جزءا من الامبراطورية (فلسطين، وبعض سوريا ، وبعض لبنان ، وبعض الاردن) وما تبقى منطقة نفوذ بحيث لا يمكن تأليف وزارة في المغرب الا اذا قبلت تل ابيب بها . ذلك هو السلام العبري الذي علينا ان نعيش في ظله ، وهذا ليس تخيلا في اذهاننا . فقد أرسل الدكتور شارل مالك (آب ١٩٤٩) وثيقة الى حكومته وقد جرى نشرها حديثا يقول فيها : « انني أرى الدلائل اكثر واكثر على انه عندما يقدم طلب قرض الى الولايات المتحدة ، لن يبت بشأن هذا الطلب قبل معرفة راي اسرائيل فيه » . هذا عام ١٩٤٩ ، فكيف ستكون الحالة عام ١٩٧٩ وعام ١٩٨٩! اذا عشنا في ظل **السلام العبري** ؟

هذا هو الوضع . قرار نوفمبر افضل من **السلام العبري** لكن ليس بكثير . ماذا علينا ان نقدم في المقابل ؟ كبديل ، اننا نفكر بفلسطين في ايام الانتداب حيث يمكن لليهودي والمسيحي والمسلم ان يعيشوا فيها وان يخلقوا مغامرة جديدة في مجتمع جديد . وانا اتصور أن المجتمع الجديد يستهوي « الكويكرز » اكثر مما يستهوي اية فئة اخرى . ولنقارن الان السلام الذي نعرضه مع السلام الاسرائيلي . سلامنا يتسع للعرب الفلسطينيين واليهود الفلسطينيين ، وسلامهم لا مكان للعرب فيه . سلامنا لا يميز بين اناس ، وسلامهم عنصري. سلامنا يقوم على التسوية والتعايش المشترك ؛ وسلامهم في الاساس سلام تمليه ارادة المستعمر (المنتصر ؟؟) سلامنا يؤكد حقوقا ويفرض واجبات على العرب واليهود على حد سواء ، وسلامهم ينكر ليس حقوقنا فقط بل وجودنا ايضا . سلامنا يحرر العرب واليهود على حد سواء من الانطواء على انفسهم ، وسلامهم يقوم على هذا الانطواء . سلامنا مغامرة ثورية مشتركة في بناء مجتمع جديد في فلسطين كلها ، وسلامهم ملكية منفردة منطوية على مفارقة تاريخية ، امتلاك منفرد ، لانها حين تطردنا يمكنها اقامة مجتمع ــ استيطان على ملكية مغتصبة . بما ان سلامهم ، بتعريفه ، استعماري فانه لا يمكن ان يكون ديمقراطيا وتقدميا .

شكرا للكويكرز لانهم وضعوا فكرتنا حول فلسطين الديمقراطية موضع الاختبار . هناك اربعة اختبارات للفكرة :

١ ــ نفعها . لمنفعة من هذه الفكرة ؟ نحن نعتقد ان فكرتنا هي لمصلحة العرب واليهود على حد سواء . يصبح بامكان اليهودي لاول مرة ، اذا تحققت فكرتنا ، ليس فقط ان يعيش هنا لكن ان يشعر انه مقبول حيث هو . للان ، بعد سبعين

سنة ، في عصر النضال هذا ، وقبل ذلك ببضع سنوات ، على الاقل بعد مضي ٥٢ سنة على وعد بلفور يحاول اليهود فرض انفسهم بالقوة على فلسطين . لقد حققوا النصر العسكري لكنهم فشلوا سياسيا . وسبب فشلهم بالذات هو استعمالهم القوة . اذا قبلهم العرب فقط يمكنهم ان يبقوا . ان حلنا المقترح يوفر القاعدة لقبولهم وانتمائهم .

٢ ــ عدالة الفكرة ، باستثناء عدالتها للفلسطينيين العرب . يكفي ان نقول في هذا الصدد ان اقتراحنا سوف يؤمن العيش في فلسطين لكل اليهود الذين يختارون العيش في سلام وكرامة مع العرب ، رغم ان معظمهم قد دخلوا فلسطين بغير ارادتنا . مع ذلك نحن مستعدون لتناسي ذلك الامر اذا كان اليهود الفلسطينيون راغبين في تحرير انفسهم من الصهيونية والمستعمرة واذا كانوا راغبين في بناء فلسطين جديدة . هذا سيمكنهم لاول مرة منذ ١٩١٧ من التفاعل ثقافيا واقتصاديا مع عرب فلسطين ومع كل العرب. يجب مقارنة هذا التفاعل مع حالة المقاطعة التي يعيش وسطها الاسرائيليون حاليا .

٣ ــ افق الحل البعيد المدى . لهذا الحل فائدة كبيرة وهي ديمومته . لن نقبل اي حل سواه ، لان اي حل آخر لن يوفر لنا اقل مطالبنا القومية ولن يضمن لنا اقل مصالحنا الوطنية . لذلك فان اي حل اخر سيكون حلا قصير المدى . لكن ، هل يستحق اي حل غير الحل الطويل المدى جهودنا ونضالنا ؟

٤ ــ واقعية الفكرة : قد يبدو لاول وهلة انه اذا كان الفلسطينيون واقعيين عليهم ان يقبلوا اي عرض تقدمه اسرائيل لهم لان حرب حزيران اظهرت الفارق العسكري الكبير بين اسرائيل والعرب . لكن نظرة أدق تظهر لنا العكس وهو ان الاسرائيليين غير واقعيين ولديهم قصر نظر لان نشوتهم بالقوة ستؤدي الى هزيمتهم في المدى الطويل . الامر الذي يجب تقديره ليس فقط قوة الجانبين النسبية اليوم ، لكن حجم هذه القوة بعد عشر او خمس عشرة او حتى ثلاثين سنة .

هناك ثلاثة افتراضات منطقية تؤيد قولنا بأن الواقعية الطويلة الامد سوف تدعم موقفنا .

الافتراض المنطقي الاولي هو التقدم الاجتماعي والاقتصادي والتكنولوجي الذي يحصل في العالم العربي كله ويشارك فيه الفلسطينيون مشاركة تامة. الشخص العنصري فقط يمكنه انكار ذلك التقدم والقول بأن العرب لا يملكون القدرات الذاتية للتقدم مثل الايطاليين او البريطانيين .

الافتراض المنطقي الثاني هو التأثير الصاعق الذي يحدثه العدوان والتوسع الاسرائيليان على العرب عامة . يزداد الوعي بأن تفوق اسرائيل العسكري وما نتج عنه لن يبقى في حدوده الحالية من حيث الارهاب والاحتلال . سوف يقتل اطفال اكثر وتدمر مصانع اكثر . وسوف يكون هناك ضغط اسرائيلي اكبر للسيطرة على العالم العربي كله . لقد بدأ التأثير الصاعق يظهر في العالم العربي بطرق عديدة. يكفي ذكر التقييم الذاتي والنقد الذاتي الذي ظهر في مقالات ومسرحيات وافتتاحيات عديدة وفي الاحاديث العامة . هناك تململ من اوضاع العرب الحالية في مختلف حقول الفكر والعمل ومحاولة ايجاد حلول لها .

الافتراض المنطقي الثالث هو قيام الثورة الفلسطينية وتأثيرها على الفلسطينيين انفسهم من سكان مخيمات ورجال اعمال ناجحين على حد سواء ، وكذلك تأثيرها على العرب كلهم .

ان معركتنا ليست معركة سنتين او ثلاث سنوات او خمس سنوات ، يمكننا ان ننتظر عشرين سنة . يبدو الامر صلبا وقاسيا . انا اعرف واتوقع نوع السؤال الذي سيسألني اياه الكويكرز . انهم يهتمون بالسلام . انا مهتم بالسلام ايضا ، لكن عندما يكون ذلك السلام على حساب شعبي ، وعندما يعني السلام تفكيك شعبي ومجتمعي ، وبعد ذلك اجد نفسي في المغرب وابناء عمي في الجزائر وغيرهم في كندا ، فذلك ليس سلاما انه استسلام غير مشروط لن نقبله . يمكننا ان ننتظر ، يمكننا ان ننتظر ، يمكننا ان ننتظر . ان طاقاتنا اكبر بكثير من طاقات الاسرائيليين . تفكر حكومة الولايات المتحدة بمنح اسرائيل مبلغ ٥٠٠ مليون دولار ، حسنا ، ان عائداتنا من البترول في العام الماضي قد بلغت ٤٠٧٢ مليون دولار ، وببعض التدبير الحسن يمكننا ان نحصل على اكثر من ٥٠٠ مليون دولار التي تمنحها الولايات المتحدة لاسرائيل هذا العام . لقد سمح باقامة اسرائيل في منتصف القرن العشرين. لقد اجتمع التواطؤ والغباء ، والجهل والنوايا الطيبة لتحقيق ذلك . وانا واثق من ان نهاية القرن الحالي سيشهد نهاية دولة اسرائيل ، لكن الجالية اليهودية ستتحقق بشكل اكمل .

الدكتور يوسف صايغ

جلال العظم ، صادق (دكتور) ، دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية (بيروت، دار الطليعة ، ١٩٧٠)

(١)

يكتسب كتاب صادق جلال العظم أهميته الاساسية من خلال قدرته للتصدي النقدي لمجموعة من المنطلقات والمعايير الفكرية الخاطئة ، التي تسود اليوم نمط معالجتنا الفكرية والسياسية . هذه المنطلقات والمعايير التي برهنت هزيمة حزيران على فسادها وتهافتها . ولكنها ، مع ذلك ، ما زالت تهيمن على حياتنا السياسية . ذلك لان القوى الاجتماعية التي افرزت هذه الاساليب والمنطلقات **ما زالت تمارس دورها السياسي المتخلف رغم تخاذلها وسقوطها التاريخي المعروف** . ويعود سبب استمرار هذه القوى ، في الدرجة الاولى ، الى تفكك وضعف القوى الوطنية الجديدة التي ما زالت في طور التكوين الجنيني .

ونحن نستطيع ، مع التجاوز ، ان ننظر الى كتاب العظم ، باعتباره يعبر ، من زاوية معينة ، عن مستوى القوى الاجتماعية الصاعدة (بكل ما يحمله هذا المستوى من حماسة وايجابية وقصور) في تصديها للقوى الاجتماعية السائدة في الواقع العربي وصراعها معها على الجبهة الايديولوجية . ومن هنا يكتسب هذا الكتاب اهميته النقدية والسياسية .

يرى العظم في مقاله « كيف نفهم تاريخ الشعب اليهودي ؟ » بأن نمط العقلية التي ما زالت تسيطر على الحياة العربية « محافظة اكثر منها ثورية » في كافة مستوياتها . وتشكل النظرة الشائعة الى تاريخ الشعب اليهودي افضل نموذج لنمط العقلية العربية المحافظة الشوفينية . فهو يحدد لنا عناصر هذه النظرة بأنها « خيالية ناتجة عن تراكم مجموعة من الاساطير الدينية والقصص المتداولة ، والانطباعات الفجة والاسقاطات الذاتية والنفسية عن الواقع الخارجي . وبعد ان اعطيت طابع الشمول والرصانة ... » (دراسات يسارية ص ١٠) . وبعد ان يستعرض العظم بعض النماذج التطبيقية لهذه النظرة اللاتاريخية السائدة عند الخربوطلي ودروزة وغيرهم من الكتاب العرب يلخص لنا في النهاية محتوياتها في نقطتين رئيسيتين :

١ ــ « يشكل اليهود ، منذ البداية حتى اليوم ، جماعة بشرية متجانسة تماما تتصف بخصائص جوهرية ثابتة » . ويجد العظم ان هناك عنصرا مشتركا يوحد بين تصور النظرة الشوفينية العربية الرجعية وبين النظرة الصهيونية العنصرية الى التاريخ اليهودي في هذه النقطة بالذات .

٢ ــ نعت العقلية العربية السائدة لاسطورة الطبيعة اليهودية الثابتة بمجموعة خصائص وخصال اخلاقية شائنة لا تتغير ولا تتحول . اما النتيجة المنطقية لمثل هذا التصور المثالي فهو « النزوع نحو الحل الفاشستي او الهتلري للمسألة اليهودية». ذلك لانه ، تبعا لهذه النظرة ، اذا كان الشعب اليهودي بجوهره الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل « شرير وشاذ ومفسد .. في كل مكان وزمان .. يغدو الامل في اصلاح هذا الواقع في حكم المستحيل .. » . ويضع لنا الكاتب مقابل هذه النظرة الشوفينية اللاتاريخية ، التفسير المادي التاريخي لفهم المسألة اليهودية كما أوردها ماركس في كتابه عنها . وقد لخص الكاتب تفسير ماركس لها بالنقاط التالية :

١ ــ رفض التفسير المثالي الذي « يرد بقاء الشعب اليهودي المشتت الى الروح الجماعية اليهودية.. او عقيدة شعب الله المختار .. » .

٢ ــ لتفسير التاريخ اليهودي « ينبغي الا نبدأ بالدين او غيره من اجزاء التركيب الفوقي بل بالوظيفة الاقتصادية والاجتماعية التي كان يقوم بها اليهودي في حياة مجتمعات تاريخية معينة » .

٣ ــ حل المسألة اليهودية حلا جذريا لا يتأتى الا « عبر التحرر الكامل للانسان اليهودي وغير اليهودي على حد سواء من النظام الرأسمالي الطبقي القائم بطبيعته على الاستغلال والقهر » .

ويستطرد الكاتب للبرهنة على تفاعل اليهود في مختلف البيئات التي كانوا يعيشون فيها ، مستعينا في ذلك باستشهادات تاريخية تطبيقية من كتاب ابراهيم ليون « المفهوم المادي للمسألة اليهودية » وسواه من الكتاب . وذلك بهدف دحض فكرة العزلة **المطلقة** التي عاشها اليهود . فهو يرى ، مثلا ، ان هذه العزلة التي عاشها اليهود في المجتمعات الاقطاعية اللامركزية كانت سمة عامة و« جوهرية من سمات التنظيم الاجتماعي المعمول به في تلك المجتمعات والاوقات (حارة الاكراد ، حارة النصارى ، حارة اليهود ، جبل الدروز ، جبل العلويين الخ..) ». وبناء على هذه النظرة التاريخية العلمية يمكننا ان

ننظر الى تاريخ الشعب اليهودي كما ننظر الى غيره من المجتمعات البشرية فقد « كان اليهود خاضعين باستمرار لعمليات انصهار وفرز دائمة في مراحل تطورهم التاريخية . عمليات فرز انتجت اليهودي التاجر الغريب المرابي ، وعمليات دمج مستمرة ايضا انتجت اليهودي المزارع والحرفي والبورجوازي الصغير والراسمالي المنسجم مع عصره وبيئته ». (دراسات .. ص ٣٤) .

اما دراسة العظم «الصهيونية كظاهرة استعمارية» فهي تعتبر تطويرا لدراسته الجيدة في كتابه « النقد الذاتي بعد الهزيمة » عن نوع العلاقة التي تربط بين الاستعمار والصهيونية . الا انه لم يتتبع هنا تاريخ تطور العلاقة بينهما في كل مراحلها ، بل اقتصر على ملاحظة نوع العلاقة التي نشأت بينهما، بعد الحرب العالمية الثانية . وهذا يعني ان المنهج التاريخي الذي يدعو اليه الكاتب كان يستخدم ، احيانا ، بطريقة استشهادية متقطعة للبرهنة على صحة المنطلقات العقلية . اي انه لم يعتمد عليه كمنهج للتحليل بصورة متماسكة .

وربما تكون طبيعة الكتاب ، المكون من مجموعة من المقالات التي لا يربط بينها نفس الرباط المتنامي الذي يميز كتابا متماسك الموضوع ، قد حالت دون اعطاء هذه المعالجة بعدها التاريخي المطلوب . ومن ناحية اخرى ، نستنتج ان **مستوى المنهج التاريخي ، الذي يتبناه الكاتب ، كان يتذبذب ، في بعض الاحيان ، بين التحليل المادي التاريخي وبين المعالجة المقلانية المجردة** . واعتقد كذلك ان تطبيق المنهج التاريخي لم يكن متماسكا وجليا في عدد من القضايا والمنطلقات الاخرى ، وعلى سبيل المثال ، ذلك التصور القائل بأن البورجوازية الصغيرة المعادية للاستعمار تسيطر على السلطة السياسية في بعض البلدان العربية ! كما انه بامكاننا أن نناقش الكاتب حول تصوره لتحرير فلسطين . ولكن يجب ان نسجل اولا باننا نوافقه على كثير من المنطلقات المبدأية الاساسية مثل : ان التحرير لا يعني رمي اليهود في البحر كما كان يروج التفكير الشوفيني القومي، وهو كذلك ليس معركة الجيوش النظامية فقط كما تدعي بعض الانظمة ، بل هو « معركة تشمل الشعب العربي بأسره وبكل طاقاته ضد قوى امبريالية عاتية » . (دراسات .. ص ٥٥) . وهذه المعركة لا تتحقق، بالتالي ، عن طريق الخطب والاماني بل عن طريق الكفاح الشعبي المسلح واستراتيجية الحرب الطويلة الامد بهدف انشاء الدولة الديموقراطية الشعبية في فلسطين .

الا اننا لا نوافق الكاتب على ان وجود مثل هذه الدولة الديموقراطية في فلسطين مرهون بتكامل النضال في مختلف اجزاء الوطن العربي ! والواقع ان الخطأ الذي انزلق اليه قد استمده أساسا من تصور الجبهة الشعبية والجبهة الديموقراطية لهذه المسألة . (وكما قلنا سابقا ان كتاب العظم يعبر عن تنامي القوى الوطنية الجديدة الصاعدة بكل ما تحمله هذه القوى من ايجابية وقصور) . ونحن، بالطبع ، نرفض مع العظم ، اقليمية الدولة الديموقراطية في فلسطين او تحولها الى كيان لا ثوري . ولكن ذلك لا يعني ، بالمقابل ، رهن وجودها بتكامل نضج النضال العربي المعادي للامبريالية في الوطن العربي ككل . يقول الكاتب : « لا يمكن تحرير فلسطين بدون القضاء على الوجود الامبريالي وتفرعاته في المنطقة .. » أو قوله : « ان الحل الثوري الجذري للمشكلة القومية لا يمكن أن يتأتى الا على نطاق الوطن العربي بأسره » ! ان النتيجة المنطقية لمثل هذا التصور هو التعجيز المطلق .. يضاف الى ذلك خطأ هذا التصور ، من الناحية التاريخية والسياسية . فنحن نعرف ، انطلاقا من المفهوم المادي التاريخي ، ان مستويات النضال تتعدد وتتفاوت من قطر الى آخر .

ان تكوين دولة ديموقراطية في فلسطين مرهون ، بالدرجة الاولى، بتنامي النضال الفلسطيني والعربي الوطني في المنطقة المحيطة باسرائيل اولا . أما في المستقبل البعيد ، فمما لا جدال فيه ، ان مثل هذه الدولة ستكون جزءا من الدولة الشعبية الممتدة على نطاق الوطن العربي . وذلك عندما يتطور النضال المتفاوت في تلك الاقطار الى المستوى الذي سبقته اليه الاقطار الاخرى .

وننتقل الان الى دراسة الكاتب « نحو فهم افضل للفكرة الصهيونية » التي يمكن اعتبارها أهم فصول الكتاب من الناحية المنهجية. فبعد ان يرفض الكاتب الاساليب العربية الشائعة في دراسة الصهيونية مثل : (١) الاسلوب الاخلاقي ـ الخطابي (٢) واسلوب « التفسيرات التآمرية » ، (٣) أسلوب التفسير الاعلامي الحقوقي (٤) والاسلوب الديني الغيبي الشائع ، الذي يؤدي الى نوع من المنطق السحري ، ينطلق لتفسير الظاهرة الصهيونية على اساس تاريخي كما نشأت

في اوروبا في القرن التاسع عشر موضحا بذلك الطبيعة البورجوازية الخاصةللصهيونية كبورجوازية مرتبطة بمصالح وتطور النظام الرأسمالي الى نظام عالمي وداحضا بالتالي التصورات العربية الخاطئة التي تحاول ان تشيع اسطورة الخصائص الفريدة والمزايا الخالدة والخاصة جدا للحركة الصهيونية متناسية ان هذه الحركة تحمل من حيث طابعها العام نفس خصائص وسمات المرحلة التاريخية التي نشأت ضمنها في اوروبا في العصر الحديث .

ونعتقد لو ان الكاتب حاول ان يطور هذه الدراسة وينظم معلوماته وتحليلاته انطلاقا منها لقدم لنا كتابا اكثر تماسكا من هذا الشتيت من المقالات الهامة ولكنها الغير قادرة على النمو ككتابمتماسك.

اما في مقاله « المقاومة المسلحة والمواقف الهيكلية » فان الكاتب يرفض عن حق كل التصورات والمحاولات التي تحاول ان تقلص دور العمل الفدائي وترمي الى احتوائه بمصالحته مع الاطر والنظم التي رفضتها الهزيمة ، والتي ما تزال تجهد في تحويله الى ورقة ضاغطة من اجل التسوية السلمية .

وفي مقال « خمس ملاحظات حول ثورة ٢٣ يوليو » يتابع الكاتب تأييده للخط الوطني الجديد الذي يفرضه وجود المقاومة . الا ان المقال يحتوي على عدد من المغالطات التاريخية مثل القول بأن الطبقة التي تسود في مصر هي البورجوازية الصغيرة الصاعدة . او اعتبار التحليل الطبقي « مقولة جذرية في فهم الواقع الاجتماعي فهما علميا ، واداة رئيسية من ادوات تحليله والتحكم به » ، وليس منهجا للتحليل التاريخي ، ونستطيع أن ننظر الى المقال الاخير في كتاب العظم « ملاحظات حول المقاومة والواقع العربي » باعتباره استمرارا وتأكيدا على الارتباط بما تطرحه حركة المقاومة من افاق سياسية جديدة تختلف كل الاختلاف عن الاطر السياسية السائدة . ففي هذا المقال يؤكد الكاتب على ان الهزائم « هي نتائج ومؤشرات وليست مقدمات او اسبابا . » (دراسات ص ٢٠١) كما يذهب مطاع صفدي وغيره من المفكرين العرب .

نعتقد ان اهم ما عالجه الكاتب في هذا المقال هو معالجته للعلاقة العدائية التي قابلت بها الانظمة ظهور العمل الفدائي عام ١٩٦٥ الى درجة ان الكثير من شهداء الثورة الفسطينية قد استشهدوا برصاص الانظمة العربية . ثم يتعرض في النهاية الى محاولات الانظمة الملحة اما لاحتواء العمل الفدائي او تصفيته بما يمثله من افاق سياسيه جديدة تتعارض تعارضا جذريا مع ما يخطط حاليا من تسويات مشبوهة ومشاريع استسلامية .

هاني مقدس

(٢)

يتضمن كتاب « دراسات يسارية حول القضية الفلسطينية » دراستين هما : « العرب والنظرة الماركسية الى المسألة اليهودية » و« نحو فهم افضل للفكرة الصهيونية » . كما يتضمن ثلاث مقالات :هي « المقاومة المسلحة والمواقف الهيكلية» و« خمس ملاحظات حول ثورة ٢٣ يوليو »و«ملاحظات حول المقاومة والواقع العربي » . واذا كانت الدراستان الاوليان تسعيان لتعريف القارىء العربي بالمسألة اليهودية والحركة الصهيونية من خلال « استخدام المنهج المادي التاريخي » ، فان المقالات الثلاث تحاول من خلال استخدام المنهج نفسه ان تناقش موقف ثورة ٢٣ يوليو خصوصا والموقف العربي عموما من المقاومة .

ويستطيع قارىء الكتاب ان يلمس الفرق بين الدراستين الاوليين والمقالات الثلاث التالية من القراءة الاولى . ذلك ان الدراستين الاوليين تكتمل فيهما عناصر الدراسة العلمية اما المقالات الثلاث الباقية ، على تفاوت بينها ، فلا تعدو كونها تعليقات وتعقيبات . وهذا هو الغرض الذي كتبت من أجله . ولهذا فاننا نستطيع القول بأن الدراستين الاوليين تضيفان الى معلومات القارىء علما ، اما المقالات الثلاث فلا تأتي بجديد ، انها تؤكد افكارا عامة ومكررة ومعروفة ، وان كان هنالك كثيرون ممن لا يتبنونها .

وبعد هذا ، فان الكتاب غير متكامل . هكذا يبدو ، وما ذلك الا لانه مجموعة من المقالات . ولهذا فاننا لا نستطيع ان نسأل المؤلف عن عدم معالجة قضايا كثيرة هامة واساسية كانت تستحق ان توضح وتبين ، غير نظرتنا للحركة الصهيونية ونظرتنا « للمواقف الهيكلية». ومن هذه القضايا : المقاومة الفلسطينية نفسها : واقعها ، وامكاناتها وعلاقاتها الخ . وبما انه ليس عمليا ان نخوض في مراجعة نقدية كهذه

في مناقشة كل التفاصيل الجزئية ، فسنكتفي هنا بتقديم ملاحظات عامة عن الكتاب : وهذه الملاحظات هي :

أولا : على الرغم من ان المؤلف قدم لنا دراساته على اساس انها « محاولات لاستخدام المنهج المادي التاريخي » ، فانه كثيرا ما يلجأ الى التعميم ، والى تبني الافكار الشائعة كما سنبينه فيما بعد . وهذا يجعل المؤلف ينساق احيانا وراء اخطاء شائعة ، وتجعله في احيان اخرى يحاول ان يفرض علينا الافكار والاشاعات المتداولة ، وكأنها حقائق علمية . كما أنه في احيان اخرى ، ونتيجة التسرع في رفض بعض الاراء ، او تبنيها ، ينساق الى ارتكاب اخطاء كبيرة .

ثانيا : ان اول ما يمكن ان يوجه الى المؤلف ، هو أنه اراد ان يؤكد على حقيقة علمية ، فارتكب خطأ علميا . انه اراد ان يؤكد على أن المسألة اليهودية هي بنت المجتمع البرجوازي ، وان المسألة اليهودية ليست مشكلة اليهودي المجرد بل مشكلة اليهودي الواقعي ، الكائن الحي الذي مارس الربا لان الربا كان حاجة اجتماعية ، ولانه كان مؤهلا لممارسة هذا الدور ضمن الظروف الاجتماعية القائمة ، ولقد اضطهد نتيجة صراع برجوازيتين : برجوازية يهودية وبرجوازية وطنية صاعدة في بلدان اوروبا الغربية ثم الشرقية الخ ... ولقد أورد الدكتور العظم مجمل الافكار التي اوردها ماركس وابراهيم ليون خاصة ، وغيرهم من المفكرين الماركسيين الكبار . وانا لا اخالفه فيما ذهب اليه اساسا . ولكني اعتقد ان صادقا تجاهل حقيقتين :

الاولى : انه تجاهل دور البنى الفوقية في مشكلة اليهودية . صحيح ان البنى الفوقية ، هي بنت الواقع ، انعكاس له ، ولكنها بعد ان توجد وتتكون تصبح جزءا من الواقع ، وبالتالي تصبح من العوامل المؤثرة فيه . وهذا ما يؤكده ماركس وانجلز ولينين. وقد حاول انجلز ان يفسر هذا الاهتمام بالبناء التحتي في رسالة الى بلوخ عام ١٨٩٠ جاء فيها : « ماركس وانا نحمل جزئيا مسؤولية كون الشباب يعطون الجانب الاقتصادي وزنا اكبر مما يجب . ففي مواجهتنا لخصومنا كان علينا أن نؤكد المبدأ الاساسي الذي ينكرونه . وفي هذه الحال لم نجد دائما الوقت والموضع والظرف الذي يتيح لنا اعطاء العوامل الاخرى التي تشترك في الفعل المتبادل مكانها . ولكن ما ان كان يجب علينا ان نقدم قطعة تاريخ حية (او شرحة تاريخ) أي أن ننتقل الى التطبيق العملي ، حتى كان الامر يتبدل ولا يبقى مجال للخطأ». (راجع : Marx, Engels: Selected Correspondence, Progren Publishers, Moscow, p. 417-418.

ويؤكد انجلز : « ان الوضع الاقتصادي هو القاعدة ولكن العناصر الاخرى من البنى — الفوقية — الاشكال السياسية من النضال الطبقي ونتائجها ، تمارس ايضا تأثيرها على مجرى الكفاح التاريخي وفي كثير من الحالات « ترجح في تقرير نمطه » ، ويذكر انجلز الدين من بين هذه البنى وما لم يتحدث عنه ماركس وانجلز ولينين وابراهيم ليون — فيما نعلم — هو دور البنى الفوقية اليهودية في المسألة اليهودية . ولقد جاء صادق وتجاهل هذه الناحية اطلاقا . هل يجد صادق لنفسه عذرا في ذلك انه يرد على نظرة « مثالية » ، وانه بحاجة لان يؤكد الاساس المادي للقضية ؟ ربما كان ذلك هو السبب ، ولكنه لا يعفي صادقا من تجاهل جانب اساسي من القضية : البنى الفوقية لليهود واليهودية . ذلك اننا ان لم نبحث هذا الجانب فسوف نقف حائرين امام العديد من الظواهر المعاصرة ، فيما يتعلق ببقاء اليهودية وانحلالها العالم الاشتراكي والعالم الرأسمالي .

الثانية : ان صادق تجاهل ايضا دور الشتات وحياة المدن ، ومن ثم الغيتو ، في خلق الشخصية اليهودية . ان اليهودي انسان ، مثل كل الناس وهو يخضع عموما للظروف التي يعيشها مجتمعه ولكنه بالاضافة الى ذلك « مهاجر » . والمهاجرون عادة ينزلون المدن ، ويقيمون في احياء خاصة بهم هذا ما يفعله العرب في اوروبا وامريكا والهند والباكستان ، وما يفعله الهنود في اوروبا والصينيون في مهاجرهم . انه قانون عام .

ولا يعرف التاريخ جماعة هاجرت هجرة اليهود وتنقلت كما تنقلوا . وفي المهاجر كانوا يخلقون احياءهم المغلقة . وهذه الاحياء المغلقة لم توجد لهم الشعوب التي نزلوا بين ظهرانيها . لقد اوجدتها ظروفهم كمهاجزين من « نحلة » خاصة ثم جاء دور الشعوب والحكام والاديان التي حدت بين ظهرانيها . وكان هنالك تفاعل بين هذه الظاهرتين . ان هذه الظاهرة لا يجوز تجاهلها بالطبع هناك أسباب لهجرتهم ، ولكنها ليست عائدة الى انحلال النظام الاقطاعي فقط . فلقد عرف التاريخ هجرات يهودية قبل ذلك . (راجع ليون

ابراهام : الاساس المادي للمسالة اليهودية) . ان المسالة اليهودية بحاجة الى مزيد من الدراسة، شريطة ان تؤخذ كل العوامل بعين الاعتبار . والتفسير العلمي صحيح عندما يؤكد ان المسالة اليهودية هي بنت التاريخ ، ولكن التاريخ في المفهوم العلمي عملية مركبة وليس عملية بسيطة . تفاعل بنى تحتية وبنى فوقية ، وليس انعكاسا ميكانيكيا لقوي تحتية فقط .

ثالثا : يناقش المؤلف فكرة رودنسون بان « اسرائيل » حتى لو تحولت الى دولة اشتراكية « فان ذلك لن ينزع عنها الطابع الكولونيالي » . وواضح ما يعنيه رودنسون من ذلك . وهذه الفكرة من اكثر افكار رودنسون الاصلاحية ثورية . ذلك ان رودنسون يناقش الذين يزعمون بأن دولة الاحتلال سوف تتحول الى دولة اشتراكية مؤكدا لهم بأن هذه الدولة الكولونيالية حتى لو تحولت الى دولة اشتراكية فان طابعها يظل كولونياليا . لماذا ؟ لان الاشتراكية لا تنهي قضية الاحتلال الصهيوني ولا تلغي قضية تشريد الشعب الفلسطيني . ولكن صادق يتساءل : ماذا يعني تحول اسرائيل الى دولة اشتراكية ؟ انه في رايه وعلى ضوء شروحه التي وردت « يعني امرين هامين على اقل تعديل : ا ــ ان تقوم على أرض فلسطين دولة ديمقراطية شعبية تجمع الشعب العربي الفلسطيني والشعب اليهودي في نظام سياسي شبيه بيوغسلافيا ــ مثلا التي تضم خمس قوميات متباينة ... ب ــ بحكم تكوين هذه الدولة على الاسس الاشتراكية العلمية ، وعن طريق الكفاح المسلح ستكون الدولة في موقع الصدام المستمر مع بقايا الاستعمار في المنطقة ... » . ثم يضيف صادق ان كان هذا هو المراد « بتحويل اسرائيل الى دولة اشتراكية » فانه « ينزع عن اسرائيل طابعها الكولونيالي بهذا المعنى » . ولكن رودنسون لا يتحدث عن هذا : انه يتحدث عن فرضية يطرحها صهيونيون متبركسون امثال حزب موشي سينيه وحزب المبام وغيرهما ولا يتحدث عن هذه الفرضية « العظمية » . لقد اراد رودنسون ان يؤكد بأن تحول اسرائيل الاقتصادي من الرأسمالية الى الاشتراكية شيء وواقعها الكولونيالي شيء اخر . تحول النظام الاقتصادي لا يعني تغيير الطابع الكولونيالي . ورد عليه صادق بأن تغيير طبيعة النظام السياسي في اسرائيل ينهي طابعها الكولونيالي . فبماذا نفسر هذه « الشطحة » .

رابعا : يتحدث صادق في دراساته عن « حل اشتراكي » للمسالة . ويذكر الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا كما يتحدث عن حل ضمن الوحدة العربية . ونحن نعلم ان النظام السوفياتي او اليوغسلافي او التشيكي نظام اتحادي. وفي الاتحاد السوفياتي هنالك جمهوريات ، وهنالك مناطق ذات حكم ذاتي ، ولكنا نعلم أن هذه الاتحادات تقوم بين شعوب متجاورة منذ مدة ليست بالقصيرة ، وليس هنالك شعب منها يحتل اراضي الشعب الاخر ، فهل مشكلة اليهود في فلسطين هي نفس مشكلة القرغيز في روسيا السوفياتية مثلا ؟ وهل اليهود في فلسطين سيكون وضعهم مثل وضع الاكراد في دولة الوحدة . وهل ستقوم دولتان في فلسطين احداهما يهودية والاخرى عربية ام دولة واحدة « ديمقراطية شعبية » كما يقول صادق ؟ انه يقول دولة ، ولكنه يعود عندما يتحدث عن الماتزبن فيقول بأن هذه المنظمة « تقوم بالدعوة الى حل النزاع حلا اشتراكيا ثوريا ، وبصورة تشبه وجهات النظر التي تدعو اليها بعض الفصائل اليسارية من حركة المقاومة المسلحة ، وخاصة حول الدولة الديمقراطية الشعبية على ارض فلسطين » ثم يضيف : « اي أن الحل الاشتراكي الثوري يعني ، كما يقولون ، ان تأخذ الاقلية اليهودية مكانها ، كقومية معترف بها ، الى جانب القوميات الاخرى في مجتمع عربي موحد على أسس الاشتراكية العلمية » . فهل هي دولة ام دولتان، ولماذا وكيف ؟ ان الحل الاشتراكي المقترح يبدو غائما متناقضا وملتبسا . و « الاصل الكولونيالي لاسرائيل » الذي يطالبنا صادق بألا نعتبره «واقعة سكونية لا تحول ولا تزول » يزول عندما تزول اسرائيل فقط : اسرائيل دولة الاحتلال ، وحتى تزول يبقى هاما واساسيا لا يجوز نسيانه او تجاهله .

خامسا : هنالك بعض الامور التي تحتاج الى مناقشة او ايضاح او تصحيح منها :

ا ــ يؤكد المؤلف في اكثر من مكان على قضية الحلول الشتيرية ، وعلى قضية الالقاء في البحر والتذبيح الخ ونحن بالطبع نرفض الحلول الشتيرية والتقتيل والتذبيح ولكني أسأل صادق اذا كان قد قرأ خطابات الشتيري ، ووجد فيها ما تذهب

اليه الاشاعة . ان هنالك ما يؤكد ان خطاب الشقيري المشار اليه خال من أية اشارة للتقتيل والتذبيح وهذه الاشاعة هي الاشاعة التي برر بها العدو حرب حزيران .

ب ـ يذكر صادق عند حديثه على ثورة سنة ١٩٣٦ الهيئة العربية العليا (ص ٤٣من الكتاب)، مع العلم بأن الهيئة شكلت سنة ١٩٤٦ ، ولم يكن هنالك هيئة عربية عليا قبل ذلك . كان هنالك اللجنة العربية العليا التي كونت في اواخر نيسان سنة ١٩٣٦ . ومع ان ليس هنالك فرق كبير بين اللجنة والهيئة الا ان الاسماء لها قيمتها في الدراسات العلمية .

وهنالك قضية اخرى جديرة بالنقاش ، وهي قضية البرجوازية الصغيرة وبرنامجها وما هو الدور الذي تستطيع ان تلعبه ولكن قضية البرجوازية الصغيرة لا يتسع لها نقد كتاب .

ناجي علوش

Peter Snow and David Phillips, *Leila's Hijack War* (London, Pan Books, 1970).

مثل كثيرين غيرهم من الذين يحاولون تقديم قضية فلسطين ، او بالاحرى « قضية الشرق الاوسط » كما يسميها اغلبهم ، الى الرأي العام في الدول الغربية ، يقع مؤلفا الكتاب اسيري النظرة الذاتية عند معالجتهم لاي جانب من جوانب القضية موضع الحديث . ورغم محاولة اعطاء الكتاب اهمية ما ، من خلال القول بانه نتيجة جهد عدد من الاشخاص والمراسلين الصحفيين ، فان الجهد المبذول يبدو الى حد بعيد جهدا يفتقر الى النظرة الجدية للوقائع ، ناهيك عن تحليلها وعرضها ضمن اطارها السليم .

بالنسبة للقارىء الغربي ، لا شك بأن الكتاب مشوق ويدفع المرء الى تتبع مختلف الوقائع بامتداداتها الجغرافية، سواء في الاردن او اوروبا، وبحيث يجد المرء نفسه مضطرا لقراءة الكتاب في جلسة واحدة . الحوادث معروضة بتجزيء « توقيتي » يمكن الكاتبين من اغفال قضايا وتفاصيل هامة وضرورية لاعطاء صورة متكاملة عن قضية الطائرات ومجزرة ايلول في الاردن .

بشكل اساسي ، تنقسم الملاحظات حول الكتاب الى بنود اربعة :

١ ـ يظن المرء لاول وهلة ان تسمية الكتاب بـ « حرب ليلى الخطف » يحصر الحديث بقضية الطائرات باعتبار ليلى خالد تمثل الرمز المعبر عن هذه العمليات . الا ان الواقع ان الامر المعطى اكثر اهمية من قضية الطائرات في الكتاب ككل ، هو محاولة اثبات نظرية انتشرت في بعض الاوساط في الفترة التي اعقبت ايلول والقائلة بأن قضية الطائرات هي التي فجرت الازمة في الاردن . والكتاب يركز على هذه القضية تركيزا شديدا ، تجلى ايضا من خلال الفقرات القصيرة على غلاف الكتاب الخارجي . ان محاولة تصوير مجزرة الاردن وكأنها جاءت نتيجة لعملية خطف الطائرات انما هي محاولة تفسير الاسباب تفسيرا سطحيا يبعد كل البعد عن حقيقة الدوافع . وواضح ان مثل هذا التفسير يمكن ان يؤدي بنا الى الاستنتاج بأنه « لو أن قضية الطائرات لم تتم في الوقت وبالشكل الذين تمت بهما لما وقعت المجازر ». يبدو مثل هذا الاستنتاج ، وعلى ضوء كافة الوقائع والمعلومات المتوفرة عن فترة ما قبل ايلول ، مجحفا بحق قوى الثورة الفلسطينية ، مما يضع اصحاب الاستنتاج في موقف من يعطي غطاء للنظام الرجعي المكشوف ليتستر به . هناك قضيتان مختلفتان ، لا ننفي ان يكون لاولهما (وهي قضية الطائرات) اثرا على القضية الثانية . ربما ساهمت قضية الطائرات في « التعجيل » بمواجهة ايلول . ولكن تبقى القضيتان قضيتين لا قضية واحدة مترابطة .

٢ ـ وخطورة مثل هذا الاستنتاج، لا سيما بالنسبة للقارىء الاوروبي غير المطلع عن كثب على تطورات العمل الفلسطيني في الاردن خلال السنوات الثلاث الماضية ، ان القارىء يجد نفسه بدون مقدمات تعطيه فكرة اولية عن الاوضاع قبل وقوع قضية الطائرات وبالتالي فهو في وضع «مثالي» من وجهة نظر الكاتبين ، « ليبلع » كل ما يريده الكاتبان ان يبلعه من خط عام وتفاصيل . قضية الطائرات لم تأت من الهواء ، بل كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بكل ما يجري في المنطقة من تحركات واستعدادات بدات تعبر عن نفسها منذ فترة طويلة في الاردن (وما احداث شباط / فبراير ١٩٧٠ وحزيران ١٩٧٠ الا « بروفات » لعملية الصدام التي جاءت في اواخر آب / اغسطس ايلول / سبتمبر ١٩٧٠) .

٣ ـ ويحاول الكاتبان ، تسوير الاختلاف في مواقف بعض فصائل المقاومة الفلسطينية وكأنه

خلاف بين مجموعة المتطرفين واخرى من المعتدلين، بل انهما يذهبان الى اكثر من ذلك عندما يقرران، وكانه امر حقيقي اكثر وواقع ، بوجود خلاف بارز بين مجموعة من « المعتدلين » من قيادة الجبهة الشعبية في عمان ، وبين مجموعة « المتطرفين » في مطار الثورة الذين تصرفوا دون الرجوع الى القيادة عندما قاموا بتفجير الطائرات . يبدو من تكرار هذا الاستنتاج ان الكاتبين لا يوافقان السلطات البريطانية رأيها في وفد الجبهة المفاوض مع الصليب الاحمر ويميلان اكثر الى الرأي الاميركي الذي اعتبر انه عن طريق الضغط ، يمكن افشال « تهديد » الجبهة . المراقب القريب من اوساط الجبهة يدرك تماما أن ما نفذ بالنسبة للطائرات قد تم بقرار من قيادة الجبهة وعلى ضوء تصور كامل وضع قبل تنفيذ عملية الخطف بفترة . قد تكون وقعت بعض اختلافات بالنسبة لقضايا صغيرة محددة ، وهي في تقديري ما اعتبرته النظرة الذاتية الضيقة للكاتبين ، أو من بذل جهدا معهما في « جمع المعلومات » دلائل على وجود الخلاف .

٤ — الملاحظة الرابعة هي في الحقيقة ملاحظتان :

أ) العرض الوحيد — الجانب بالنسبة لبعض الوقائع (لا سيما ما وقع على الطائرة الاسرائيلية او مطار الثورة او في الوحدات) رغم ان بعض من شارك في جمع المعلومات او كتبها قد التقى وتحدث مع عناصر عديدة ممن كانوا شهود عيان لكثير من الاحداث . نجد عرضا لقضايا لم تقع شبيهة برواية « الطفل الاميركي » الذي ولد في المطار والتي اتضح انها مختلقة — معظمها روي على لسان بعض الرهائن ، هذا في الوقت الذي اغفلت فيه تصريحات اخرى تبدو اكثر ايجابية تجاه الفلسطينيين ومعاملتهم للرهائن وتفهم بعض الرهائن لدوافع العمليات . هناك تركيز على تصوير الحالة « السيئة » التي عاشها الرهائن في المطار وفي الاماكن التي وضعوا فيها دون ما ذكر حقيقي للظروف التي عاشها الفلسطينيون في مخيماتهم ، وبشكل خاص ايام المجزرة . لم يتذكر الكاتبان أن القوات الاردنية التي «حررت» الرهائن الاوروبيين من محتجزيهم هي نفس القوات التي قتلت النساء والاطفال والشيوخ بقنابلها المحرقة .

ب) لعل السبب في هذه النظرة ، من قبل الكاتبين ، منشأها الشعور بالفارق بين قيمة الانسان الاوروبي — ومن ضمنه الانسان الاسرائيلي — وبين انسان « العالم الثالث » . وهذا الامر يبدو واضحا في تصوير الشخصيات المختلفة . وهنا تبرز صورة شلومو فيدر (الاسرائيلي) والكاتبين البريطانيين ومندوب الصليب الاحمر الدولي مقابل صورة ليلى خالد الاسيرة في السجن او احد قادة الجبهة المفاوضين او المقاتل الذي كان يحرس المكان الذي احتجز فيه الرهائن .

هذه الملاحظات لم تدخل في نطاقها التفاصيل الخاطئة الواردة في الكتاب وذلك لكثرتها ولكونها اذا ما قيست بالملاحظات الاساسية تبدو اساسا يستند اليها الكاتبان في تحقيق الصورة التي يريد تحقيقها لدى القارىء .

الكتاب بمجمله يمكن النظر اليه كقصة فيها الكثير من الخيال . وبدون ذلك لن يجد الكتاب سوقا رائجة له . وانطلاقا من هذا الامر فان الكاتبين عملا على تسوية قضية شعب وعذاب وألم ومقتل المئات من الناس لتحقيق كسب مادي خاص لهما ولدار النشر التي طبعت الكتاب .

ليلى خالد

Per Gahrton, *Kampen on Palestina* (Stockholm, 1970).

نشرت في السويد خلال السنتين الماضيتين عدة كتب حول المشكلة الفلسطينية كتبها كتاب تحرريون . يمكن القول أن هذه الكتب نوع من رد الفعل التحرري على كتاب ستفان بكمان « فلسطين واسرائيل » والذي اثار جدالا حاميا في الصحف السويدية منذ سنتين . موقف الكتاب التحرريين (الليبراليين) عامة مؤيد لاسرائيل . كتاب « معركة فلسطين » لبرغارتون هو الاستثناء الوحيد . بعد ان قرأت كتاب غارتون شعرت بالارتياح لانني قرأت قبله كتاب « اسرائيل المكروهة » لاحد التحرريين وهو كتاب تقليدي يتضمن الكلام المعروف حول الصحراء المزهرة واسرائيل الصغيرة المحبة للسلام، والعرب البغيضين .

بعد رحلة الى مصر عام ١٩٦٤ ، كتب غارتون عدة مقالات عن النزاع في فلسطين. وبما انه أراد عرض وجهة النظر العربية لم يتمكن من نشر تلك المقالات. لكن الامر اصبح اسهل بعد حرب ١٩٦٧ ، حتى ان محطتي الراديو والتلفزيون طلبتاه للتحدث عن ذلك

الصراع . وقد اتهم بالطبع بأنه « يناصر العرب » والتي يمكن ترجمتها الى انه « معاد لاسرائيل » او « لاسامي » .

فرر غارتون تأليف كتاب « يحتوي كل شيء او على الاقل قدر الامكان — ابعـاد القضية وحدودهـا ومشاكلها » كما ذكر في مقدمة الكتاب . وقد توصل الى الاتفاق مع تاشر في خريف ١٩٦٨ ، بعد زيارات عديدة قام بها الـى مصر والاراضي المحتلـة . بعد ذلك بأشهر تم انتخابه رئيس حركة الشباب التابعة لحزب الاحرار . لذلك نراه يشدد على ان محتويات الكتاب تعبر عن رأيه الشخصي وموقفه من النزاع الفلسطيني. وهو يقر في مقدمة كتابه انه «لم يلتق بقادة حركة المقاومة ولم يقم بزيارة مخيمات اللاجئين في صحراء الاردن » . لذلك توجد في الكتاب عدة نقاط ضعف . لكن من وجهة نظر تاريخية اعتبر الكتاب من افضل ما قرأت .

يحتوي الكتاب على ١٢٠ مرجعا لكتب ومقالات صحفية لكتاب وسياسيين من الدول العربية والغربية وليهود بعضهم يناصر الصهيونية وبعضهم يعاديها داخل وخارج اسرائيـل . وقد ساعـده مواطن اسرائيلي يعيش في السويد منذ ١٩٦٧ على ترجمة المواد العبرية . الكتاب موضوعي بمعنى ان غارتون عرض النزاع من كل جوانبه عبر أقوال وتصريحات لقادة عرب واسرائيليين مسؤولين (وغير مسؤولين) ولقادة الدول الكبرى . عرضت في الكتاب تصريحات وافعال كـل اطراف النزاع منذ بداية الحركـة الصهيونية الى اليوم .

مشروع الامم المتحـدة لتقسيم فلسطين واللاجئين العرب: كتب غارتون صفحة ٩٨: «يشجب المعديدون سلبية العرب تجاه قرار تقسيم فلسطين ، لكن من ناحية اخرى يشعر المرء ان العرب قـد اظهروا صبرا كبيرا وكانوا على استعداد لقبول الحقيقة الواقعة التي قاوموها مدة طويلة . لم ينادِ العرب بطرد اي يهودي فلسطيني او بحرمان اليهود من الارض التي اشتروها قانونيا . بالعكس ، فقد اصروا على ان يصبح اليهود مواطنين متساوين وان تكون لهم حقوقهم كجماعة . شدد وزير الخارجية البريطانية بيفن علـى ان العرب كانوا يشعرون بالمسؤولية اكثر من اليهود بكثير » .

فيما يتعلق بهجر العرب لمدنهم وقراهم فقد اشار غارتون الى « خطة دالت » وكتب عن دير ياسين بالتفصيل . كما ذكر بحث وليد الخالدي وارسكين تشايلدرز حول الهروب من حيفا . اعتقد ان ت
قراء كتاب غارتون ، باستثناء المرتبطين باسرائ
والحركة الصهيونية ، سوف يتعرفون بسهولة عا
الظلم الذي لحق بالشعب الفلسطيني ويعرفون
المسؤول عن تردي الاوضاع في غرب آسيا .
يعتبر غارتون من افضل محاوري السويد . لذ
يمكنه اكثر من اي كاتب يساري فتح عيون «الاكثر
الصامتة » على النزاع الفلسطيني ويمكنه ع
الاقل تحييدهـا في النزاع . وقـد تلقت الصح
السويدية المؤيدة لاسرائيل كتاب غارتون بغضب
لكن كما قال ناقد سويدي يساري « هذا الغض
يضمن كون الكتاب صادقا كثيرا » . بشكل عام
كان وقع الكتاب جيدا على الصحافة السويدية
كما ان الكتاب يتضمن معلومات كثيرة حول الع
في اسرائيـل : قوانين الطوارىء العسكـرية
الاحتلال ، المقاومة المدنيـة ، التعذيب ، ن
البيوت وغيرها .
نقطة ضعف الكتاب هي عدم تناوله حركة المقا
الفلسطينية . لا يرجع ذلك الى نية سيئة من ج
المؤلف لكن الى نقص في التفهـم وفي العلا
الشخصية .

اهمية حركة المقاومة الفلسطينيـة : غارتون
ثوريا — وهو يثبت ذلك بوضوح في الجزء الاخي
كتابه . لكنه يؤيد الثورة في العالم الثالث ت
محدودا . ومع ذلك فهو يكتب : « هدف الد
الاسرائيلية هو تصوير حركة المقاومة الفلسـ
كحركة قتلة وارهابيين هدفها الوحيد تدمير اس
بواسطة الاغتيالات العمياء . هذا أمر غير ص
لمعظم المنظمات الفدائية هدف واضح وهو «
الصهيونية » . وهي في ذلك مثل حركة الم
في جنوب افريقيا التي تريد تدمير سياسة ال
العنصرية ومثل المقاومـة الفرنسية التي أ
« تدمير النازية » . حركة المقـاومة الفلسـ
تحارب عدوا احتل بلادهـا بالقوة العسكر
وسيبقى هذا الامر المحور الرئيسي للنزاع ا
— الاسرائيلي » .
يقول غارتون ان حركة المقاومة الفلسطينية
في : (١) اضعاف المعنويات داخـل اسرا
(٢) تنظيم العرب في الاراضي المحتلة . (٣
الوعي الوطني الفلسطيني عند اللاجئين. (٤)
الدول العربية عـلى التضامن الفعال مع ا
الفلسطيني . وهو يضيف « انه بينما تؤدي نش

المقاومة الفلسطينية السياسية والعسكرية الى تثوير البنيان العربي الداخلي فهي تؤدي في الوقت نفسه الى زيادة النشاط القومي المتطرف في اسرائيل . تطور الامور في المدى البعيد يشكل ربحا هاما للمنظمات الفلسطينية . النزاع يتحول الى نزاع بين حركة مقاومة عربية ثورية تؤيدها الدول العربية الاشتراكية وقومية اسرائيلية رجعية » .

حل غارتون الزائف : الجزء الاكبر من كتاب غارتون ممتاز . لكن عندما يحاول في الجزء الاخير من كتابه « حل » النزاع بمساعدة الدول الكبرى فانه يقترف الغلطة التقليدية التي يقترفها اي تحرري غربي : رغم الحقيقة التي يبرهنها شخصيا ، اي طبيعة اسرائيل الاستعمارية وطبيعة حركة المقاومة التحررية الوطنية ، يحاول المؤلف الوصول الى صيغة تسوية . وحله يشبه كثيرا حل يوري افنيري. يقول غارتون ان الحل الوحيد الممكن هو ازالة الصفة الصهيونية عن اسرائيل ، لكن يجب ان يحدث ذلك من داخل اسرائيل وليس عن طريق حركة المقاومة الفلسطينية . ثم يضيف ان ازالة الصفة الصهيونية عن اسرائيل من الداخل غير ممكنة حاليا نظرا لضعف الحركة المعادية للصهيونية في اسرائيل. وهو يؤمن انه اذا امكن اضعاف المتطرفين العرب والاسرائيليين (الصهيونيون المتطرفون وحركة المقاومة الفلسطينية) يمكن للدول الكبرى ان تفرض قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ .

بعد ذلك يصبح بالامكان خلق كيان فلسطيني — في الضفة الغربية وغزة — حيث يكون الفلسطينيون المعتدلون اقوى من الفلسطينيين المتطرفين : «للكيان الفلسطيني عدة فوائد : يمكن توجيه الشعور القومي الفلسطيني واشراك حركة المقاومة في عمل بناء في المجتمع الجديد . بعد ذلك يمكن ازالة الصفة الصهيونية عن اسرائيل واقامة « اتحاد سامي » او مجتمع اسرائيلي عربي واحد في المستقبل » . لا ينادي غارتون بتحرير فلسطين وهو في الواقع يدعو الى تصفية حركة المقاومة سياسيا .

ان تحرريا كغارتون مرتبط ، ولو ارتباطا بسيطا ، بموقف حزبه الرسمي ، لا يمكنه الا ان يحاول «حل» المشكلة باعطاء الاولوية لدور الدول الكبرى (وهذه فكرة استعمارية اصلا) ثم تليها تسويات : هذه التسويات لا تنحصر فقط بالوضع الجغرافي للدول المختلفة ، بل تتعداه الى اسماء الاشياء — كأن نسمي الناس ساميين بدلا من عرب لان تسميتهم بالعرب تخرب حله المصطنع .

عندما يدرك كاتب كغارتون ان القضية الفلسطينية هي قضية حركة تحرير وطنية تحارب موجة استعمارية ، فان الحل الوحيد يجب ان يكون التحرير . لكن اذا قال غارتون ذلك فانه لا يبقى ليبراليا ، وهذا أمر لا يريد ان يضحي به . ولذلك نجد عدة تناقضات في كتابه .

آني كنفاني

رشيد ، الدكتور محمد ، نحو فلسطين ديموقراطية . (بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ١٩٧٠) .

شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية اللاطائفية ، والتي يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود بمساواة ليس شعارا جديدا ، فقد طرح هذا الشعار ، قديما ، اي منذ احتدام الصراع العربي الفلسطيني ضد الغزو الصهيوني (مثلا راجع التقرير المقدم للجنة قبل عام ١٩٣٧) . حقا كان مضمون هذا الشعار وحدوده يختلفان من مرحلة الى أخرى، ومن حركة سياسية الى أخرى . اذ كان التأكيد باستمرار من قبل أوساط واسعة جدا من عرب فلسطين ومن الامة العربية ، اننا لسنا ضد اليهود كبشر يدينون بدين معين ، وانما نحن ضد الصهيونية كحركة سياسية تستهدف احتلال فلسطين واقامة وطن قومي لليهود عليها وطرد سكانها العرب الاصليين ، تمهيدا لاحتلال مناطق عربية اخرى واحكام السيطرة الامبريالية — الصهيونية على منطقة الشرق الاوسط . ولكن الاعلام الصهيوني والغربي تلقف بعض الاصوات النشاز التي نادت في لحظات بدء الصراع الحامي بشعارات تنادي بالقاء اليهود في البحر ، فمددت الى نشرها على نطاق واسع جدا في محاولة لجعلها الشعار الذي يمثل الموقف العام لكل الجماهير والحركات الوطنية في فلسطين والعالم العربي ، وفي محاولة لطمس شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية طمسا كاملا . وقد ساعد على تحقيق هذا الهدف الاسباب التالية :

اولا : كان العدو في حالة انتصار عسكري واعلامي بينما كانت الحركات الوطنية الفلسطينية والعربية واعلاميا في حالة تراجع وانحسار .

ثانيا : اسباب ذاتية تتعلق بتخلف القيادة الوطنية

للشعب العربي الفلسطيني سواء من ناحية الوعي او التنظيم او الاهلية في مواجهة مثل اولئك الاعداء الاقوياء .

ثالثا : كان من الطبيعي ان ينحسر شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية مع انحسار النضال الفلسطيني لمدى عشرين عاما تقريبا بعد عام١٩٤٧. ومن هنا كان رفع شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية مجددا ، من قبل الثورة الفلسطينية ، بعد حرب حزيران ١٩٦٧ : يحتاج الى جراة كبيرة لان رفع هذا الشعار يعني بدء الهجوم المضاد من قبل الثورة الفلسطينية على الكيان الصهيوني وعلى مختلف الاتجاهات الشوفينية والمتخلفة : عربيا وعالميا .. وهو يعني وضع الامور في نصابها من جديد بحيث يبرز الى المقدمة ليس الكفاح ضد الاحتلال الصهيوني والنفوذ الامبريالي فحسب ، وانما ايضا ، تقديم حل انساني عادل ، اي البديل الثوري الذي هو نفي ديالكتيكي لكل ما هو عنصري ورجعي وامبريالي .

لقد جنت بهذه المقدمة لاحدد الدور التاريخي الهام الذي لعبه رفع شعار « الدولة الفلسطينية الديمقراطية التقدمية » مجددا ، من قبل حركة فتح، في مرحلة الانعطاف التاريخي الذي نقل الحركة الوطنية الفلسطينية الى مواقع الهجوم والمبادرة ، بعد ان طمس ، لسنوات طويلة ، الوجه الوطني التقدمي لنضال الشعب العربي الفلسطيني .

ومن هنا جاءت الاهمية الخاصة لمساهمة الدكتور محمد رشيد في تناول هذا الموضوع ، على شكل دراسة تحليلية جادة ، كانت الدراسة الاولى من نوعها ، ولم تزل الدراسة الوحيدة التي تناولت شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية ، تناولا جادا ومسؤولا ، وفي بحث تفصيلي : يتكشف عن شعور حقيقي لدى الدكتور محمد رشيد بالمسؤولية الوطنية والعلمية في آن واحد . واذا اخذنا كل ما كتب حول هذا الموضوع ، عدا دراسة الدكتور محمد رشيد في كراسته « نحو فلسطين ديمقراطية » فلن نجده يتعدى التصريحات السريعة او التعليقات الارتجالية . وهذا ينطبق ايضا ما نشرته بهذا الخصوص الجبهة الشعبية الديمقراطية، كتصريحات لنايف حواتمه ، او ما نشرته الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الكراسة الصادرة باللغة الانكليزية تحت عنوان « فلسطين : نحو حل ديمقراطي » وهي عبارة عن تجميع لقرار مؤتمر شباط ١٩٦٩ بهذا الخصوص ولحوار اجرته جريدة الانوار اللبنانية حول الدولة الديمقراطية ، ولتصريحات الدكتور جورج حبش لجريدة الاحرار اللبنانية ، ولمقابلة اجرتها « بغداد اوبزرفر » مع احد مسؤولي الجبهة . ولكن هذه كلها لا ترقى الى مستوى الدراسة الجادة لمثل هذا الموضوع الخطير .

عندما نأخذ هذا الواقع بعين الاعتبار ندرك اهمية المحاولة التي قام بها الدكتور محمد رشيد في تناوله لشعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية بدراسة مفصلة جادة استهدفت طرح الموضوع من اجل « بدء حوار مفتوح يرتكز الى الدرس الجدي لعناصر الموضوع » ولتخليص هذه القضية من تناولها على شكل تعليقات سريعة مرتجلة ، لكي تتحول في نهاية المطاف الى موضوع نظرية ثورية وعلمية .

كان بودي أن أقدم بعض الملحوظات حول القسمين الاول والثاني من كراسة « نحو فلسطين ديمقراطية »، اللذين يتناولان على التوالي موضوع « الثورة الفلسطينية واليهود » وموضوع « موقف اليهود من الفلسطينيين » وخاصة ، عندما يتحدث الدكتور رشيد عن « الصورة الجديدة » للانسان الفلسطيني في نهاية القسم الثاني ، حيث اعتقد بأن الدكتور رشيد لم يوف هذين الموضوعين حقهما، وهما بحاجة الى دراسة تحليلية : اكثر من القفز الى استنتاجات مبالغ فيها ، فيما يتعلق « بالصورة الجديدة » واكثر من التبسيطية التي أجاب بها الدكتور رشيد على سؤال « هل سيغير اليهود مواقفهم ؟ » ، ولكن لن اتوقف ، الان ، عند هاتين النقطتين ، بصورة خاصة ، وعند القسمين الاول والثاني ، بصورة عامة ، وذلك لضيق المكان هنا لمثل هذا النقد التفصيلي ، ولهذا سأحصر بحثي في القسم الثالث : « نحو فلسطين ديمقراطية » .

يبدأ الدكتور رشيد هذا القسم بالفقرة التالية : « انه لمن الصعب ، وينطوي على مجازفة، اصدار تصريح واضح ومحدد الصيغة في هذه المرحلة المبكرة من الثورة عن فلسطين الجديدة والمحررة. فالواقعية، وليست احلام اليقظة الرومانسية ، يجب ان تؤلف المنحى الثوري الاساسي ونحن لا نعتقد بأن النصر على قاب قوسين او ادنى . فالثورة لا تقلل من شأن العدو او حلفائه الامبرياليين . وليس من السهل التنبؤ مسبقا بما سيحدث خلال سنوات الكفاح القاسي في سبيل التحرير . هل سيزداد موقف اليهود الفلسطينيين تصلبا ام انه سيصبح

اكثر مرونة وتقبلا للتغير ! »

يعتبر الدكتور رشيد في هذه الفقرة ان اصدار تصريح واضح ومحدد الصيغة ، في هذه المرحلة المبكرة من الثورة الفلسطينية عن فلسطين الجديدة والمحررة هو أمر **صعب ، وينطوي على مجازفة** لانه يربط بين اي تحديد لهذا المستقبل وبين موقف اليهود سلبا او ايجابا . ولكن قبل أن ينهي هذه المقدمة يقول : « ينبغي التفكير بالاجوبة والعثور على اجوبة لشتى الاسئلة المتعلقة بهذا المستقبل . وحتى لو كانت هذه الاجوبة مؤقتة وغير نهائية ، فانها سوف تبدأ حوارا يؤمن الطريق نحو النضج والتحقيق » .

وهنا ، علينا أن نلاحظ ان الدكتور يكون قد نفى الفقرة الاولى بنفسه حين طالب بضرورة **التفكير بالاجوبة ، والعثور على اجابة لشتى الاسئلة** المتعلقة بهذا المستقبل . اذن نحن هنا حيال مستقبل لا بد من ان نعثر على اجوبة لشتى الاسئلة المتعلقة به ، وحتى لو كانت هذه الاجوبة مؤقتة وغير نهائية . وعندما يتناول الحديث مستقبل التحرر الوطني الديمقراطي في فلسطين ، لا يجوز ان يربط بموقف اليهود منه سلبا او ايجابا . لاننا لا نناضل في سبيل فلسطين متحررة ديمقراطية بسبب وجود اليهود فيها كمستوطنين اقاموا دولة فقط ، اذ ان مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي هي مرحلة تاريخية لا بد من تحقيقها بالنسبة لكل شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية لانها مرحلة الانتقال من المجتمع شبه الاقطاعي — شبه الاستعماري — الكومبرادوري (راجع بهذا الخصوص كتاب ماوتسي تونغ — « الديمقراطية الجديدة ») .

حقا ان موقف اليهود سلبا او ايجابا من مسألة التحرر الوطني الديمقراطي في فلسطين ، يلعب دورا في تبطيء او تعجيل الانتصار .. وهو لا يؤثر على الخطوط العريضة وجوهر الديمقراطية في فلسطين وانما على تفصيلات تشريعية تتعلق بتنظيم الوضع القانوني والدستوري للدولة الفلسطينية الديمقراطية مثل قضايا الهجرة والاقامة الخ . وهذه القضايا التفصيلية الجزئية هي فعلا من نوع القضايا التي لا يمكن بحثها في هذه المرحلة المبكرة من الثورة الفلسطينية ، ولكن هذا لا ينطبق على وضع الملامح الرئيسية والمحتوى الاساسي لفلسطين الديمقراطية التقدمية . والغريب في هذا المجال ان الدكتور رشيد يدخل في تفصيلات تشريعية ، في حين يتجنب بحث المحتوى الاساسي لمفهوم الديمقراطية بالنسبة لمرحلة التحرر الوطني الديمقراطي في فلسطين ، فمثلا يقول : « ان حق المواطن في حرية الحركة والتنقل داخل البلاد وخارجها سوف يكون مضمونا والهجرة سوف تبقى مقيدة خلال الفترة الانتقالية بعودةجميع الفلسطينيين المشردين الذين يرغبون في العودة ، اما تحت ظل الدولة الدائمة والسوية فان الهجرة سوف تكون مفتوحة بدون تمييز ، شرط أن تخضع للانظمة المتفق عليها ، وان تنسجم مع القدرة الاستيعابية للبلاد . كما ان حرية الوصول والزيارات والحج لفترة طويلة والسياحة سوف تكون مضمونة — بعد خضوعها بالطبع للانظمة المعتادة » . (ص ٤٤ — ٤٥) . الا يلاحظ هنا ان الدكتور رشيد قد دخل بتفصيلات ، رغم موافقتي عليها من حيث الجوهر ، الا انها تبقى من الامور التشريعية التي لا يمكن البت فيها الا في حينه ، لان بالنسبة لمثل هذه القضايا يلعب التخطيط الاقتصادي والوضع الاقتصادي ، خاصة في البلدان المتخلفة ، دورا اساسيا في تقرير اتجاهها وحدودها الخ.. ناهيك عن الوضع السياسي والامن ونوع المؤامرات الخارجية والداخلية التي يمكن أن تتعرض لها فلسطين المتحررة الديمقراطية .

وهنا نتوصل الى النقد الاساسي الذي يمكن ان يوجه الى هذه الدراسة وهو ان المؤلف لم يحدد مفهوما للديمقراطية وابقى استعمالها بصورة مطاطة متأرجحة ، وسيبين لنا هذا بصورة اوضح اذا ما انطلقنا من النظر الى الدراسة من حيث محتواها الاقتصادي الذي يحرر لنا هذه الديمقراطية اي لاية طبقات وضد اية طبقات، وبكلمات ابسط ، هل هي ديمقراطية من الطراز البرجوازي التقليدي ام هي ديمقراطية من الطراز الاشتراكي ؟ ام هي ديمقراطية من طراز الديمقراطية الجديدة التي نظر لها ماوتسي تونغ ؟ تلكم هي المسألة الرئيسية في بحث موضوع الديمقراطية وعلى الجواب يتوقف كل شيء بما في ذلك مدى عدالة الحل المقترح ، ومدى تقدميته ، ومدى انسانيته وثوريته . وكذلك تتوقف على الجواب نفسه ، كل القضايا التشريعية والدستورية . كما تحل مسألة الايديولوجية التي سنناقشها عند تناول موضوع الايديولوجية في هذه الدراسة نفسها .

كان الدكتور رشيد يستطيع ان يحدد محتوى

الديمقراطية من خلال مسألتين :

اولا : اذا ربطنا الهدف الرئيسي للثورة الفلسطينية، ولحركة فتح بالذات ، بشعار الدولة الديمقراطية، واعتبرناهما كلا متكاملا لا شعارين منفصلين مستقلين عن بعضهما البعض فسنجد ان الثورة الفلسطينية قد حددت ، سواء عن وعي او بلا وعي ، المحتوى الاقتصادي والطبقي للدولة الفلسطينية الديمقراطية؛ اي لشعار الديمقراطية اعني بذلك الهدف الرئيسي الشعار التالي : « تستهدف الثورة الفلسطينية تصفية الكيان الصهيوني بكل مؤسساته العسكرية والسياسية **والاقتصادية** والثقافية.» ، واذا وقفنا لتفسير ما هو المقصود بالتصفية الاقتصادية ، فسنجد انفسنا أمام مصادرة الملكية الصهيونية والامبريالية في فلسطين ، واذا اخذنا بعين الاعتبار ان فروع الصناعة والتجارة والزراعة والخدمات في الكيان الصهيوني ذات طابع متطور ، فسنجد ان مصادرة تلك الملكية لا يمكن ان تكون الا لحساب الدولة الفلسطينية اي لحساب كل الفلسطينيين ، اذ ان مثل ذلك الاقتصاد لا يمكن ان يستمر في العمل والانتاج الا على يد الدولة .. وبهذا تكون الديمقراطية في فلسطين تعني مصادرة الملكية الصهيونية والامبريالية. تماما كما كانت الديمقراطية في مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي في الصين تعني « الاصلاح الزراعي ومصادرة ملكية الكومبرادور والشركات الامبريالية » . (راجع ماوتسي تونغ « الديمقراطية الجديدة ») .

ثانيا : بالنسبة للارض الفلسطينية ، فعلينا ان نلاحظ ما يلي : أ ــ قسم كبير من الاراضي التي كان يمتلكها افراد عرب فلسطينيون قد امحت حدودها نتيجة اقتصاد الكبوتس والموشاف كما اصبحت خاضعة لنظام خاص في الري والزراعة والتسويق ، لا يمكن ان يحل محله الا التعاونيات الزراعية الحكومية والفلاحية اذا اردنا للانتاج ان يستمر ويعمل باقصى طاقته ، وهذا يعني « اصلاح زراعي » .

ب ــ اعادة ملكية الارض الفلسطينية للملاك السابقين سيعني تجزيئها بين الجيل الثالث او الرابع من الورثة بشكل سينتت الملكية الزراعية والعقارية بشكل كبير جدا (كما يحدث للوقف الذري بعد اربعين او خمسين سنة) . وربما كان انسب حل لهذا الوضع هو التعويض على ورثتها ، واعادة توزيعها على الفلاحين الفقراء (اصلاح زراعي ايضا) ، طبعا يعوض فقط على الذين يسهمون ، بشكل او بآخر ، في تأييد الثورة ودعمها ، اما الذين يتعاونون مع العدو او القوى المضادة ضد الثورة فهؤلاء تصادر ملكيتهم بلا ادنى جدال .

امام هذه الحقائق يكون من الواضح ان محتوى الديمقراطية في فلسطين (اقتصاديا وطبقيا) هو من طراز محتوى الديمقراطية الجديدة كما حدده ماوتسي تونغ ، اي ديمقراطية العمال والفلاحين الفقراء والصغار والمتوسطين والبرجوازية الصغيرة والوطنية ضد الصهيونية والامبريالية والكومبرادور.

وفي الحق ، ان الدكتور رشيد كان سيصل الى هذا التحليل نفسه لو انه قدم الفقرة الواردة في بحثه عن الايديولوجية بطريقة تحليلية بدل تقديمها على صورة نص في دستور ، اعني بتلك الفقرة ما يلي : « غير ان فلسطين الديمقراطية والتقدمية ترفض عن طريق الطرح والاسقاط اي شكل للحكم يتصف بالثيوقراطية والاقطاعية او الارستقراطية والسلطانية ، ويتميز بالعنصرية والشوفينية. سوف تؤلف فلسطين بلدا يمنع اضطهاد فئة او استغلالها على يد فئة اخرى ، وذلك يصدق على الافراد في مجتمعها ايضا . وسوف تكون فلسطين دولة تتيح الفرص المتكافئة لمواطنيها سواء كان ذلك في مجال العمل او العبادة » الخ . (ص ٤١) .

وفي الواقع ان الدكتور رشيد ذهب بهذه الفقرة الى ابعد من حدود الدولة الديمقراطية الجديدة بحيث طالب بانتفاء استغلال الانسان لاخيه الانسان سواء كفئات او طبقات او افراد . اي انه تخطى مرحلة الديمقراطية الجديدة ، الى مرحلة الاشتراكية ، لان في مرحلة الديمقراطية الجديدة ، كما عبر عنها ماوتسي تونغ ، لا ينتفي استغلال الانسان لاخيه الانسان انتفاء كليا ، لان الملكية الخاصة تظل قائمة الى جانب الملكية العامة لوسائل الانتاج في مجتمع الديمقراطية الجديدة . اما خطوة الغاء استغلال الانسان لاخيه الانسان لا تتم الا في المرحلة التالية اي في مرحلة الاشتراكية .

وهنا علينا ان نتوقف عند كراسة الجبهة الشعبية بعنوان « فلسطين : نحو حل ديمقراطي » حيث نجد ممثلي الجبهة الشعبية ، قد حاولوا تحديد الديمقراطية من خلال محتواها الطبقي ، ولكنهم بقوا في عموميات التعريف الماركسي للديمقراطية ولم يقدموا اي دراسة خاصة بفلسطين، فيما يتعلق بظروفها الخاصة وبطبيعة المرحلة التاريخية التي

تواجهها الثورة الفلسطينية باستثناء ممثل الجبهة في الحوار الذي أجرته جريدة الانوار اللبنانية ، حيث حاول ان يقدم تحليلا جادا عن اوضاع البروليتاريا اليهودية ، ولكنه لم يقدم شيئا بالنسبة لاوضاع الجماهير الفلسطينية والمرحلة التاريخية التي تمر بها الثورة الفلسطينية . وان كان قد أضاف على بحث الدكتور رشيد نقطة هامة وهي ان الحل الديمقراطي الثوري للمسألة الفلسطينية هو حل بالنسبة للبروليتاريا اليهودية ايضا بمعنى انه سيحرر البروليتاريا اليهودية من الايديولوجية الصهيونية ومن الاستغلال الراسمالي الصهيوني لها (الصفحات ١٣ — ٢١) . ولكن ممثل الجبهة في هذا الحوار، كما يبدو لي من طريقة بحثه ، يطرح القضية على طريقة اليسار الماركسي الاوروبي دون ان يأخذ بعين الاعتبار المحتوى الجديد للديمقراطية في مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي في بلدان اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . ويأتي ممثل الجبهة في حوار « بغداد اوبزرفر » فيحدد مفهوم الديمقراطية في فلسطين على انه من الطراز الاشتراكي ، وان الدولة الفلسطينية القادمة هي دولة الطبقة العاملة حيث يقول : « ان وجهة نظر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حول تأسيس دولة الطبقة العاملة تلقي ضوءا على محتوى المجتمع المتحرر الذي تناضل الجبهة لتاسيسه ». (ص ٢٧)

ان هذا الطرح يبتعد عن مفهوم الديمقراطية في مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي ، بقدر ما يبتعد عنه المفهوم الذي لا يتناول المحتوى الاقتصادي والطبقي للديمقراطية .

نعود الان لنقطة اخيرة في مراجعتنا لكراسة الدكتور محمد رشيد « نحو فلسطين ديمقراطية » وهي موضوع الايديولوجية ، وهنا نجد الدكتور رشيد يستعمل كلمة ايديولوجية دون ان يعطيها تحديدا ، وان كان اعطى سمات متفرقة لما أسماه بالايديولوجية ، ولكن لم يتنبه الدكتور رشيد الى ان النقاط التي تناولها ذلك الموضوع هي حديث عن الثقافة في مرحلة التحرر الوطني وليس بحثا في الايديولوجية . اي ثقافة وطنية جماهيرية علمية ديمقراطية ترفض الايديولوجية الصهيونية وتكون نفيا للثقافة العنصرية والرجعية والاستعمارية والوهمية الخ، اي ثقافة الديمقراطية الجديدة (راجع ماوتسي تونغ — المصدر السابق) .

واخيرا لا بد من ازجاء التحية للدكتور محمد رشيد لمحاولته الجادة في طرح شعار «فلسطين ديمقراطية» لانه سيبقى أساسا لبحث هذه الفكرة وتطويرها وتعميقها واغنائها وتناولها من كل جوانبها لانها ، اي « فكرة الدولة الديمقراطية » كما قال الدكتور رشيد « تمثل منطلقا نضاليا للقضية الفلسطينية لا شعارا سياسيا استسلاميا فهي لا يمكن ان تنشأ الا بالتحرير ونتيجة للتحرير لا بديلا عنه » .

منير شفيق (ابو فادي)

Arurl, Nasser & Ghareeb, Edmund (eds.), *Enemy of the Sun: Poetry of Palestine Resistance*. (Washington & Dar Es Salam, Drum & Spear Press, 1970).

ليس هذا الكتاب على حد علمي اول كتاب عن شعر المقاومة الفلسطينية يظهر مترجما الى الانكليزية فحسب ، بل هو أيضا اول كتاب بالانكليزية يضم مقتطفات ادبية مختارة من الشعر العربي المعاصر . ولذلك ، مهما بلغت العثرات، يجب أن نقر بالجميل للمحررين اللذين قاما بمعظم الترجمات بنفسيهما ولدار النشر التي مولت الكتاب .

يبدأ الكتاب بتصدير للاستاذ الجامعي صموئيل الن. ومن المؤسف انه كتب بلغة خاصة تصل احيانا حد الابهام ، مما لا يضيف شيئا يمكن القارىء الاجنبي من تذوق القصائد ان من ناحية الظروف التي كتبت فيها او من الناحية الشعرية . وهذا في الحقيقة يقدم منظارا خاطئا تماما في نظر صاحب هذه المراجعة . فنحن نمر على تعليقات مثل « دون الخضوع لكليشيهات الصحراء والمسجد والسلطان فان القارىء يسمع ايضا رجع حب الهلال الخصيب في هذا الشعر ، » او « ربما يكون صحيحا ان القاسم وقباني ودرويش وحسين وطوقان يتمردون على التقاليد الشهوانية لاسلافهم شعراء الحقب السابقة العظماء . ولكن على الرغم من أن الموضوع الذي يجمعهم هو التحرير فان القارىء يسمع احيانا البلاغة التخيلية لمنتصرة جديد . »

ما الذي يحاول ان يقوله الاستاذ الن ؟ اي تقاليد شهوانية ؟ كان معظم الشعر العربي لا يعالج

موضوعات متعددة المظاهر والانواع بعيدة كل البعد عن الشهوانية . والاستاذ الن يقحم اسم نـزار قباني بين اسماء شعراء المقاومة هؤلاء مما يجعل ممكنا افتراض جهله حقيقة انه ليس فلسطينيا ولا طبعا شاعر مقاومة في الاصل على الاقل ، ولا من النوع الذي نحن في معرض الحديث عنه هنـا . ويمكن ان يسأل احدنا المحررين اتفاقا ، لمـاذا لم يضمنا كتابهما قصائد لشعراء غير فلسطينيين كتبوا عن المقاومة الفلسطينية وقد تضمن كتابهمـا شعرا لنزار قباني ؟

يظن الاستاذ الن ان المقاومة الفلسطينية حركـة اسلامية . ويشير بصواب تام الى أن الاميركي (وفي الواقع ، الغربي عموما) كان متأثرا ومنفعلا بعمق شديد لانه شهد الاحداث اللا انسانية فـي المانيا النازية . وهكذا فانه يصف كيفُ احتفـل واصدقاؤه اليهود بولادة دولة اسرائيل عام ١٩٤٨. ويواصل وصفه بأن « الشرق الاوسط كان بعيدا. المسلمون وخاصة العرب كانوا قليلين في اميركا». ومنذ ذلك الحين فصاعدا يصف النضال الفلسطيني كحركة اسلامية ويسعى ليطابق بينه وبين نضـال الزنوج في الولايات المتحدة . يقول « ليس هناك من ينكر التاريخ الطويل والشريف لانهماك اليهود في نضال الانسان الاسود في اميركا » . وبينما يسلم بعدئذ بأن « الادعاءات المتنافسة بما يكتنفها من الامور التاريخية المعقدة حول المسألة الفلسطينية هي بدون شك بعيدة عن حل مرض تماما . وعلاقتها بنضال الانسان الاسود هنا سطحية ضئيلة ، »ومع ذلك فان ما تبقى من التصدير كرسه لمحاولة الربط بين الاثنين . ويشير الى ان مالكولم اكسُ تحول الى الاسلام ، وان رسالة قانون الثورية قـد صيغت في لهيب كفاح الجزائر المسلحة ، وانه في منتصف القرن التاسع عشر اثار المهاجر الزنجي ادوارد بلايدن افضلية الاسلام علـى المسيحيـة بالنسبة للزنوج . وبينما يهدف الاستاذ الن في تصدير الكتاب الى جعل النضال الفلسطيني دون شك مفهوما ومقبولا للرأي العام الاميركي واكثر تحديدا سكان اميركا السود كما يفترض احدنا ، فان فرضيته ان النضال الفلسطيني اسلامي كليا مغلوطة وخطيرة . ان النضال الفلسطيني طبعا نضال يخوضه الفلسطينيون، المسيحيون والمسلمون والملحدون ، وهو ثانيا نضال يخوضه كل العرب مهما كان معتقدهم ، وثالثا هو نضال يخوضـه المسلمون عموما لمجرد أن معظم العرب مسلمون بالمصادفة تماما . ان العالم العربي يحمد الله لانه خلو من التحامل الديني . وان كانت نية الاستاذ الن حسنة فانه يسيء للحركة بطرحه موضوعـه هذا . وبالاضافة الى ذلك ، فان المسائل القائمة بالنسبة للانسان الاسود في الولايات المتحدة او في جنوب افريقيا تختلف جذريـا عـن مشاكـل الفلسطيني تجاه فلسطين . ان السعي للمقارنة بين الاثنين يخفي فرقا اساسيا عن الانظار : ان الفلسطيني لا يسعى لاوضاع افضل وعدالـة اجتماعية في بلده . انه يسعى وراء بلده ، ويجب ان لا ننسى ان عدد الفلسطينيين الذين يعيشون خارج ارضهم يساوي عدد اولئك الذين يعيشون عليها .

قبل أن انتقل الى النظر في القصائد ذاتها دعني اتخلص من الاعتراضات الاخرى على الكتاب . على الرغم من أن هناك فهرسا فان القصائد غير منظمة تحت أسماء المؤلفين وانما تنتشر بشكـل عشوائي . فاسم المؤلف لا يوجد في رأس الصفحة او في أول كل قصيدة مما يضطر القارىء العودة الى الفهرس باستمرار لمعرفة من كتب قصيدة معينة. ان الترتيب العشوائي يصعب تقييم عمل الشعراء الذين يضمهم الكتاب . ولا توجد ايضـا محاولة للتعريف بكل شاعر بمفرده او اضافة نقاط عن حياة كل شاعر بحيث يصبح الكتاب اكثر متعـة للقارىء الغربي .

وتظهر الاسماء العربية في الكتاب بأشكال مختلفة دونما ضرورة لذلك . فتح تكتب بما لا يقل عـن ثلاثة أشكال ، كما هي الحال بالنسبة لبيسان ، بينما الجليل تظهر بشكلها الانكليـزي في بعـض القصائد وبشكلها العربي في قصائد اخرى وكأنهما مكانين مختلفين . وفي هذه القصائد فان القارىء الانكليزي يقف امام منطقة غريبة وجديدة ، ومن المحزن ان نجعلها تبدو اكثر صعوبة بهذه الهفوات. وقد ادخلت ملاحظات حول القصائد ولكنها نادرا ما تكون مفيدة . واحدة منها تعـرف كلمـة « المتصوفين » (Sufis) بأنهم « جماعة اسلامية من الزهاد في العصور الوسطى » ، بينما أقـل القواميس الانكليزية حجما يعطي لهذه الكلمة تعريفا افضل . ومن ناحية ثانية فان كلمة زعتر(Zaatar) قد قدمت ببساطة على أنها (Zatar) من دون ايراد اية ملاحظة حولها بالرغم من أنه يوجد في

الانكليزية كلمة تطابقها تماما ومستعملة بشكل عام. و« حمار جحا » لا يعني شيئا للقارىء الاجنبي . ويمكن ان نحكم على القصائد التي يضعها الكتاب، واكثر من نصفها لمحمود درويش وسميح القاسم، من ناحيتين : اولا كشعر وثانيا كتعبير عن مشاعر الفلسطينيين نحو وطن مفقود ، اي كنقاش واقناع سياسيين . واذا كانت القصائد ناجحة في أي من هاتين الفئتين فان هذا يجب ان يقرر بالضرورة احتمال نجاحها في الفئتين نفسهما في الترجمة، وأظن ان من الواجب الاعتراف بأن القليل من هذه القصائد يمكن مقارنتها بالفعل كمجرد شعر مع أجمل ما قاله بدر شاكر السياب على سبيل المثال . وبالنسبة للجزء الاكبر من هذه القصائد فان الصور تعوزها الاصالة والاستقلالية وينقصها تركيز المعاني واستقلالية التعبير الذي يصنع الشعر العظيم .

ومن ناحية اخرى فان اهم ميزات هذه القصائد العذوبة والاخلاص والعاطفة والمباشرة التي تروقنا في الحال — والتي قد حاول المترجمون مرارا ان ينقلوها . ويحدث في بعض الاحيان ان تكون بساطة الاصل غامضة والمترجم يبدو أحيانا وكأنه غير راغب في تكرار بعض العبارات . ونشهد في الترجمة حذف العبارات واختصارها وهذا ملاحظ في كثير من القصائد ، كما نرى في قصيدة محمود درويش « رسالة من المنفى » . والكثير من القصائد قد حصل فيها ابتعاد عن الاصل دون اداء اكثر حيوية في الانكليزية واحيانا قليلة كانت الترجمة حرفية بحيث تبعث القارىء على التعجب من اي شخص يمكنه فهم الترجمة من غير معرفة الاصل . وفي قصائد اخرى نجد تصرفا غير مسموح به بكل تاكيد . وعلى سبيل المثال ، ففي قصيدة سميح القاسم « مفكرة ايوب » المؤرخة في ١٩٦٧/٥/٥ بيتان في النص الاصلي تشير اليهما ملحوظة تقول « هذا السطر وما بعد تاليه ، لا معنى لهما على الاغلب ، ليسا من اللغة العبرية كما افاد بذلك المختصون . وهذان البيتان استبدلا بأبيات من قصيدة لويس كارول السخيفة» . وفي النص الاصلي من المفروض بالابيات التافهة ان تكون على لسان ليفي اشكول والملك حسين ، وباستبدالهما بأبيات لويس كارول (التي لها معنى بالصدفة) غير مناسب .

انني أشعر ان مراجعتي للكتاب لم تكن نقدية بالضرورة ، واي شخص حاول ان يترجم الشعر العربي ، وقليلون لديهم الجراة لمحاولة ذلك ، يعرف الصعاب الكثيرة التي تعترضه . ومع ذلك فان كثيرا من القصائد وعلى الخصوص بعض القصائد القصيرة لها من المباشرة والاقتصاد ما يجعلها مؤثرة بشكل مدهش .

والدراسة التمهيدية التي كتبها المحرران ، وهي بعكس التصدير ، تعالج هذه القصائد من الزاوية المناسبة ، وهناك استشهاد بقول لديان عند قراءة قصيدة لفدوى طوقان ، ان تلك القصيدة تساوي عشرين فدائيا . هذا ونأمل ان يكون لهذه القصائد تأثير عظيم خارج العالم العربي .

دنس جونسون دافز

دويتشر ، اسحق ، دراسات في المسالة اليهودية (بيروت ، دار الحقيقة ، ١٩٧١) .

حين نشرت مجلة الاداب ، بعد حرب حزيران ، مقابلة مع المفكر اسحق دويتشر ، أحس كثير من القراء العرب ، بأنهم كسبوا مفكرا كبيرا الى جانبهم . ولقد قرأت انا تلك المقالة باهتمام ، وأعجبني نفس دويتشر المعادي للعدوان ، ولكن دعوته ، في المقابلة عينها ، الى قيام اتحاد شرق اوسطي اشتراكي يضم اسرائيل طرح أمامي الكثير من الاسئلة . وصدر سنة ١٩٦٨ كتاب دويتشر : اليهودي غير اليهودي. وكان نص المقابلة المذكورة، من بين النصوص المنشورة فيه. ولقد قرأت الكتاب بنهم ، محاولا أن اكتشف كيف يعالج الماركسيون الاوروبيون المحدثون المسالة اليهودية ، وكيف ينظرون الى الحركة الصهيونية . ولا أكتم القارىء أن كتاب دويتشر صدمني لسببين :

اولهما : لانني لم اكن اتوقع ان يتبنى دويتشر بوعيه وعلمه دولة اسرائيل . وثانيهما : لانني لم اكن اتوقع منه ان يلجأ ، وهو رجل العلم الواسع الاطلاع، الى مثل المبررات الواهية التي لجأ اليها. ولقد مضى على صدور كتاب دويتشر حوالي الثلاث سنين دون ان تناقشه مجلاتنا وصحفنا ، ولكن صدوره مؤخرا بالعربية عن دار الحقيقة ، يجعل من الضروري ان يناقش ، وان يهيأ ذهن القارىء العربي لكتاب يطرح قضيتنا وقضية عدونا .

وأول ما يجب ان يشار اليه هو ان دويتشر يؤمن

بأن « ماركس قد اصاب قلب المشكلة عندما قال بأن اليهودية استمرت حية « ليس برغم التاريخ ، ولكن في التاريخ ، ومن خلاله » . وهو لهذا يحاول ان يحلل مشكلة اليهودي واليهودية والحركة الصهيونية من خلال مجمل ظروف اليهود، والشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها. ولانه يحلل ويستقصي، فانه يكتشف اثر الشتات في اليهودي ، ويشير الى ذلك موضحا فرادة القضية اليهودية وهو ما ينساه ويتجاهله كثيرون . ولكن دويتشر المفكر الماركسي ينسى ما هو اهم واخطر . انه ينسى شعب فلسطين . الا انه لا ينسى اليهود ابدا . وهو ، وان كان يؤمن بأن تحرير اليهود لا يأتي بقيام دولة يهودية بل « بالتحرير الانساني الشامل » فانه يعطي مبررات مختلفة لقيام دولة يهودية اهمها ما يلي :

١ — « أن الدولة اليهودية قد اصبحت بالنسبة لبقايا اليهودية الاوروبية ضرورة تاريخية ، وهي ايضا حقيقية حية » ، ولا يفوته أن يتساءل في النص ذاته : « أهي بالنسبة لهم فقط » .

٢ — « ان العالم اضطر اليهود الى اعتناق فكرة الدولة — الامة ، وان يجعل منها كبرياءه وامله ، في الوقت الذي لم يبق فيه شيء من الامل او قليل منه » .

٣ — والانسان لا يستطيع أن يلوم اليهود على ما حدث بالعرب في فلسطين « فالناس الذين يطاردهم وحش ، وهم يركضون لانقاذ حياتهم لا يستطيعون الا أن يؤذوا هؤلاء الذين في الطريق، ولا يستطيعون الا ان يدوسوا ممتلكاتهم » .

والحل بالنسبة لدويتشر هو : ايجاد لغة تفاهم مشتركة بين اليهود ومن حولهم وقيام فيدرالية شرق اوسطية اشتراكية عربية — يهودية . ولكن هل هذا الحل ممكن ؟ وهل تسمح به طبيعة تكوين اسرائيل ؟ وكيف يمكن ان يتحقق ؟ ان دويتشر الذي يشرح لنا في صفحات طويلة كيف لم يستطع النظام البلشفي ان يحل المسالة اليهودية عنده ، يقترح علينا بسرعة وبساطة هذا الحل .

ودويتشر لا يكتفي بتبرير قيام دولة يهودية ، بل يعلن ندمه على مهاجمة الصهيونية قائلا : « لو انني ، بدلا من المجادلة ضد الصهيونية في العشرينات والثلاثينات حثثت اليهود الاوروبيين على الهجرة الى فلسطين ، فلربما كنت قد ساعدت على انقاذ بعض حيوات اطفئت في غرف الغاز الهتلرية » .

والكتاب ، وهو مجموعة مقالات كتبت في اوقات مختلفة ، يقدم الكثير من التفصيلات والشروح عن حياة اليهود ومشاكلهم ، ولكنه ، في نظري ، لا يقدم حلا لقضية فلسطين . والحل الذي يقترحه لا يقوم على أسس . وأخطر ما يمكن ان يزرعه في اذهاننا مثل هذا الكتاب ذو النفس التقدمي ، وذو النزعة العلمية في التحليل فكرتان :

الاولى : ان الصهيونيين اضطروا الى الهجرة الى فلسطين ، واضطروا الى اقامة دولتهم فيها ، وان دويتشر مثلنا ضد هذه الدولة ولكنه لا يملك الا يعتبر وجودها « ضرورة تاريخية » بسبب عداء « عالم الاغيار » لليهود . الثانية : ان دولة الاحتلال « أمر واقع » ، وأن كل ما يجب أن نرجوه ونتمناه هو ان تتحول الى دولة اشتراكية ، وان تحيل العداء بيننا وبينها الى « حسن جوار » .

ن. ع.

Kishtainy, Khalid, *Whither Israel ?* A Study of Zionist Expansionism. Beirut: P. L. O. Research Center, 1970.

يدور الكتاب حول فكرة اساسية هي أن التوسع صفة جوهرية من صفات الصهيونية، ويقدم الكاتب عددا كبيرا من الادلة المستندة الى الوثائق والمدعمة بعشرين خريطة مما يعطي للكتاب اثرا قويا .

تبحث الفصول الاولى من الكتاب معنى «فلسطين» و« أرض اسرائيل » من الناحية الجغرافية والتاريخية ويتبع ذلك بحث للاطماع الاساسية التي تقوم عليها القومية اليهودية وبعد ذلك يقدم المؤلف تحليلا لاعمال المنظمة الصهيونية العالمية وعددا من الفصول التي تبحث في أساليب التوسع — الصراخ حول « الضغط السكاني » ، استعمال القوة والطرد و« الامر الواقع » والثأر . ويلفت الكاتب الانتباه ايضا الى الدور الذي لعبه اليهود في الخارج ضمن الخطة العامة للصهيونية . واخيرا هناك عدد من الفصول التي تروي قصة التسلل الصهيوني الى فلسطين والاستيلاء عليها .

لا شك ان الكتاب لن يستطيع ان يحول معتنقي الصهيونية الى موقف مضاد ولكنه يثير تساؤلات في اذهان من يؤيدون او يعطفون على الصهيونية

واسرائيل بشكل عام . ولقد كان الكتاب اهم ما اصدره مركز الابحاث من منشورات .

هناك فصلان في الكتاب يصدمان المراقب المعاصر بشكل خاص وهما اللذان يبحثان في موضوع سلاح الضغط السكاني واساليب الامر الواقع . ومن الواضح ان تكون جهود الصهيونية لاثارة سخط العالم ضد « اللاسامية » المزعومة في الاتحاد السوفيتي شيئا جديرا باهتمام العرب . وبالنسبة لسياسة الامر الواقع — سياسة الفعل اولا ثم التبرير فيما بعد ان كان ضروريا — فان عدوان ١٩٦٧ كان اكبر مثال على ذلك ولكن الشيء المهم فيما يرويه الاستاذ قشطيني هو أن هذه الكلمات كانت على لسان الصهيونيين منذ فترة بعيدة . فعندما طلب هرتزل من قيصر المانية ان يعطيه وعدا مؤيدا للصهيونيين نصحه بأن افضل ما يمكن مواجهة العالم به هو الامر الواقع . وفي احد الاجتماعات عام ١٩١٩ وقف وايزمن ليقول بأن « تحديد سياسة واضحة واعلان الامر الواقع سيكون مقبولا على الاقل لدى ٧٥ بالمئة من الشعب العربي» . وفي الوقت الحاضر فان التوسع الصهيوني الرئيسي الذي حصل عام ١٩٦٧ يدعم الان من خلال ايجاد حقائق صغيرة ومتعددة في الضفة الغربية ومرتفعات الجولان على شكل مستعمرات صهيونية جديدة . وكما يقول المؤلف فان « الشيء المعتاد الذي يقال للعرب هو أن لا بأس الحق بجانبكم ولكن اليهود موجودون هنا الان فماذا تنوون ان تفعلوا ؟ » .

وبغض النظر عن حسنات الكتاب فانه، كالكتب الاخرى من ذات النوع ، يظل عرضة للنقد . فالمراقب يصاب برد فعل سلبي وهو يقرأ المقالة التي تحاول اظهار التواطؤ بين اسرائيل والولايات المتحدة في حرب ١٩٦٧ . ونظرا لعدم وجود أدلة على ذلك فان الكاتب يلجأ الى التلميح والتخمين مما يجعل هذا الجزء من الكتاب اقل قيمة من الاجزاء الاخرى . والمرء لا يستطيع الا ان يعتقد بأنه اذا كان هناك شيء يسيطر على ذهن الاستاذ قشطيني فهو ان الولايات المتحدة في أي وقت وفي كل الظروف هي معادية للعرب مئة بالمئة . ليس هناك من حاجة ، رغم كل شيء ، للافتراض او اختراع موضوع التواطؤ الاميركي — الاسرائيلي لتفسير احداث ١٩٦٧ والمؤلف نفسه يذكر حقيقة اساسية عندما يقول « بأن اسرائيل كانت تقول منذ فترة طويلة بأنها ستخوض الحرب اذا ما مست حقوقها في الملاحة في مضائق تيران وان اغلاق عبد الناصر للمضائق قد اعطاها المبرر المثالي لخوض الحرب » . هذه هي كلمات الاستاذ قشطيني ومن الصعب على المرء ان يفهم وجه الغرابة في أن اسرائيل لم تترك الفرصة المواتية لمزيد من التوسع .

وهناك مقطع اخر في الكتاب وثيق الصلة بهذا الموضوع . فبعد أن يعرض القول المنتشر في العالم العربي بأنه منقوش على جدران الكنيست عبارة عن حدود اسرائيل من النيل الى الفرات ، يخرج المؤلف بأن اسرائيل والمنظمة الصهيونية لا تنفذان خطة واحدة مرسومة . ويتساءل « هل توجد هناك مثل هذه الخطة ، ان المسألة تكون ابسط لو كان هناك حدود للطمع الصهيوني . فليس هناك من غاز امبريالي قد وضع خطة دقيقة لما سيحققه . ان القاعدة الاساسية والمقبولة لايةدولة توسعية هي أن تتوسع وتسيطر على أكبر قسم من أراضي الغير بحسب الظروف والامكانيات المتوفرة » .

دافد متشل

Mohy I. Quandour, *The Skyjack Affair* (New York, Williams Press, 1970).

يمكن ان تكون المثيرات السياسية سلاحا دعائيا فعالا اذا وضعت بمهارة . ورغم ان كتب ليونل دافيدسون ، مثلا ، تدعو دائما للخط الصهيوني المتطرف الا انها مليئة بالاثارة بحيث يقع القارىء اسيرا لها . لم يتمكن السيد قواندور من اسداء الخدمة نفسها ، رغم انه صهيوني ايضا .

يبدو لي ، مما استطعت استخلاصه ، ان الحبكة تعتمد على فيلم مصغر « يحتوي معلومات عن خطة شيوعية للاستيلاء على اغنى مصادر الزيت في العالم ... مما قد يدمر الاقتصاد الاميركي واقتصاد عدة دول غربية اخرى . » لسوء حظ الولايات المتحدة ، يقوم الفدائيون بخطف الطائرة التي يسافر عليها « عميل حكومي سري » يحمل هذه الوثيقة الهامة . لكن البطل مورغان ، الذي لا يتحلى بأية موهبة ، يحصل على الوثيقة بطريق الصدفة وهكذا ينقذ العالم الغربي مرة ثانية . على اي حال ، اعتقد ان هذه هي الحبكة ، لانني كدت افقد خيط الرواية بين المافيا، والشيوخ الغيورين، والاردنيين

المتآمرين، والمهربات الجميلات ، والاطباء الصينيين الشريرين في بيروت ، واليونانيين القتلة . الشعب الوحيد الذي لم يجر ذكره سياسيا هو الشعب الفلسطيني ، رغم ورود بعض التعليقات المعقولة حول الوضع في الاردن . الشيء المؤسف هو ان السيد قواندور يعرف موضوعه معرفة اكثر مما يوحي الكتاب . وهو يخطىء في انه يغطي الحالة بطبقة من كوزموبوليتانية (عالمية متحررة من الاحقاد القومية) مزيفة — لوائح باسماء اصناف بضائع واماكن والفتيات المثيرات — لا يشعر بها القارىء اذا قورنت بالشخصيات الطيبة في الرواية كالاميركي الذي يملك مرآب للسيارات وطبيب السفينة. بطل الرواية غير بارع وسخيف وعالق بشكل كوميدي في كل موقف حتى يكاد يصبح محببا الينا في النهاية. **مغامرة في الجو** نشر بسرعة لكسب اهتمام الجمهور، لكن يبدو ان الناشر والمحرر لم يعتنيا به كثيرا . عدد الاخطاء المطبعية مدهش حتى في عصر الكتب الفورية ، والاسلوب خاص جدا ، خاصة عندما يتعلق الامر بصيغ الافعال وبوضع الفواصل والنقاط .

جمانة سعد

- اقل من ١٠٪ من سياسيي اسرائيل نساء .
- ٨٥٪ من سياسيي اسرائيل هاجروا الى فلسطين من الخارج .
- معدل سن السياسي الاسرائيلي اول ما وصل فلسطين من الخارج كان ٢٤ سنة .
- معدل عمر السياسي الاسرائيلي ٤٨ سنة .
- نصف سياسيي اسرائيل درسوا في الجامعات ومعهم ب.ع. أو شهادات اعلى .
- في اسرائيل نائب استوزر ١٧ مرة . وآخر ١٥ مرة . وآخر ١٤ مرة . وآخر ١٣ مرة . وآخر تراس عشر وزارات .
- ثلاثة ارباع السياسيين من الاشكنازيم (أي يهود الغرب ، وهم أقل من ٤٠ ٪ من السكان) والربع فقط من السفارديم (أي يهود الشرق ، وهم ٦٠٪ من السكان) .

تجد هذه المعلومات وغيرها في كتاب

رجال السياسة الاسرائيليون

تحرير : أنيس صايغ

اعداد : غازي دانيال

اول كتاب تفصيلي عن اعضاء المجالس النيابية السبعة في اسرائيل وعددهم ٣١٨ نائبا بأهم المعلومات الاساسية عن كل نائب (تاريخ عضويته للكنيست وللوزارة ، وجنسه ، وعمره ، وجنسيته الاصلية ، وانتماؤه ومسؤولياته الحزبية ، ودراسته ، ومهنته ، ومؤلفاته، وعلاقته بالجيش ونشاطاته الاخرى). مع جداول اضافية بالنسب المستخلصة من الدراسة .

من منشورات مركز الابحاث — منظمة التحرير الفلسطينية ٤ ل.ل.

فلسطينيات

الجمعية العامة للامم المتحدة : تطبيق احكام اسرى الحرب على افراد المقاومة

في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ ، اصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة ، استنادا الى توصية احدى لجانها ، خمسة قرارات تستهدف حماية حقوق الانسان اثناء الاشتباكات المسلحة . واسترعى القرار الثاني منها انتباه الباحثين لانه سجل انتصارا ـ وان يكن معنويا ـ لكل المطالبين بعدم التمييز (من حيث المعاملة في الاسر على الاقل) بين المقاتلين النظاميين واعضاء حركات المقاومة . وهذا القرار الذي اتخذ باغلبية ٧٧ صوتا ضد ٣ (من بينها اسرائيل) ، وامتناع ٣٦ عن التصويت ، يحث جميع الدول ـ من اجل ضمان حقوق الانسان بشكل فعال ـ على تركيز الجهود لتلافي اندلاع حروب العدوان والاشتباكات المسلحة . وهو يطالب كذلك بوجوب معاملة اعضاء حركات المقاومة ، والمناضلين من اجل الحرية في جنوب افريقية والاقاليم المستعمرة ، كاسرى حرب ، في حالة القبض عليهم .

واول سؤال يتبادر الى الذهن لدى الاطلاع على هذا القرار هو : ما مدى اهميته بالنسبة الى رجال المقاومة الفلسطينية ؟ واذا كان القرار كسبا لهم ، فهل بامكانهم ، عمليا ، الاستفادة منه؟ ان القرار يضفي ، في الحقيقة ، صفة جديدة على اعضاء المقومة فيدخلهم في فئة المحاربين. فمن هو المحارب في القانون الدولي التقليدي ؟ واذا كان المحارب هو الذي يحق له ان يعامل كأسير حرب ، عند القاء القبض عليه ، فما هو النظام الخاص بأسرى الحرب ؟ وهل تتقيد اسرائيل به ؟ وهل لقرار الجمعية العامة نتائج ايجابية او الزامية ؟

١ ـ من هو المحارب في القانون الدولي التقليدي؟

انه الجندي او المقاتل الذي يكون له دور ايجابي ومباشر في العمليات الحربية . وما هو وضع الثوار والمناضلين الذين يلجأون الى العنف للتخلص من بعض الانظمة او لطرد المحتل والمغتصب؟ ان القانون الدولي التقليدي لا يعترف الا بشكل واحد من اشكال الحروب الداخلية: الحرب الاهلية، ولا يمنح لاطراف هذه الحرب حقوق المحاربين الا بعد تثبته من توافر شروط معينة ، منها احتلال الثوار لجزء من اقليم الدولة وادارته ادارة منظمة. ولكن العالم عرف ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، انواعا مختلفة من الاشتباكات والحروب الداخلية التي لا تتوافر فيها تلك الشروط ، وخصوصا شرط الاستيلاء على جزء من اقليم الدولة . وفي عام ١٩٤٩ ، حاولت اتفاقات جنيف ان تتجاوب مع رغبات الشعوب وتواكب التطورات العالمية المستجدة فسعت الى تدارك بعض العيوب في القوانين الوضعية التقليدية عن طريق التوسع في تعريف اسير الحرب ، فقد نصت المادة الرابعة من الاتفاقية الثالثة الخاصة بمعاملة اسرى الحرب على ان هؤلاء يشملون ، ضمن فئات اخرى : « افراد الميليشيا الاخرى وافراد الوحدات المتطوعة الاخرى ، بما في ذلك الذين يقومون بحركات مقاومة نظامية ويتبعون احد اطراف النزاع ويعملون داخل او خارج اراضيهم ، حتى لو كانت هذه الاراضي محتلة ، بشرط ان تتوافر في هذه الميليشيا او الوحدات المتطوعة ، بما فيها تلك المقاومة المنظمة ، الشروط الاتية : أ ـ ان تكون تحت قيادة شخص مسؤول عن مرؤوسيه. ب ـ ان تكون لها علامة مميزة معينة ، يمكن تمييزها عن بعد . جـ ـ ان تحمل اسلحتها بصورة ظاهرة . د ـ ان تقوم بعملياتها طبقا لقوانين الحرب واعرافها » .

فهذه المادة تنص او تقتصر فقط على افراد المقاومة النظامية الذين يشكلون جيشا خلف خطوط العدو. وهم وحدهم الذين يحق لهم ان يتمتعوا بحقوق

المحاربين وان يعاملوا كأسرى حرب في حالة القبض عليهم او استسلامهم . ولكن ما هو وضع افراد المقاومة السرية غير النظامية عند وقوعهم في الاسر ؟ ان الشروط المذكورة لا تتوافر غالبا في الثوار والمقاومين الذين يفضلون اللجوء الى عنصري السرية والمفاجأة . وهذه الشروط لم تتوافر فعلا في حركات المقاومة في اوروبة خلال الحربين العالميتين. ومع ذلك فقد اعترفت حكومات الدول الحليفة ومحاكمها بالصفة الحربية ، وبالتالي بحقوق المحاربين ، لتلك الحركات التي كافحت ضد الحكومات القائمة .

وجاء اليوم قرار الجمعيةالعامة يكرس هذا الواقع ويمنح الصفة الحربية لاعضاء حركات المقاومة ، ولكل المناضلين من اجل الحرية في الاقاليم الخاضعة للاستعمار او في الدول الخاضعة للتمييز العنصري . وقد اصبح من حق هؤلاء الثوار ، عند وقوعهم في ايدي اعدائهم ، ان يطالبوا بمعاملتهم معاملة اسرى الحرب .

٢ ـ فما هو النظام الخاص او القواعد الخاصة بحماية اسرى الحرب ؟ انها تتلخص بالامور المهمة التالية :

* خضوع الاسرى لسلطة الدولة التي تنتمي اليها القوات التي اسرتهم . * ابعاد الظلم والهوان والتدابير الانتقامية عنهم ، وعدم الضغط عليهم لانتزاع بعض المعلومات منهم ، اي معاملتهم معاملة تتفق ومبادىء الانسانية . * وضعهم في اماكن بعيدة عن ميادين القتال لابعاد الخطر عنهم . * تزويدهم بما يلزمهم من مأكل وملبس وعناية طبية . * صرف مرتبات شهرية لهم تتفاوت بتفاوت رتبهم .

٣ ـ وهل تتقيد اسرائيل بهذه القواعد بالنسبة الى مساجينها من المقاومين الفلسطينيين ؟ ان كل التقارير التي رفعت الى المنظمات والجمعيات الدولية ، وكل القرارات الصادرة عنها ، تثبت العكس ، فقد درجت اسرائيل ، منذ قيامها ، على احالة كل مقاوم او فدائي يقع في قبضتها الى محاكمها العسكرية ، وادانته بارتكاب جرائم عادية او جرائم الاخلال بالامن ، ثم الحكم عليه بالسجن لمدة طويلة . ورغم الشكاوى والاحتجاجات التي رفعت الى اللجان والفروع المختصة في الامم المتحدة ، فان هذه المنظمةالعالمية قد اكتفت حتى الان باصدار القرارات والادانات او توجيه اللوم والتحذير .

٤ ـ وما اهمية قرار الجمعية العامة ؟ وهل سيتمكن من تغيير هذا الوضع السيىء ؟ اي هل سيؤدي الى الزام اسرائيل باعتبار المقاومين اسرى حرب ، ومعاملتهم على هذا الاساس ، عند القبض عليهم ؟

ان قرار الجمعية العامة ـ على الرغم من تسميته قرارا ـ ليس قرارا ملزما . ويبدو ان القاموس الاصطلاحي للتنظيم الدولي لا يزال يفتقر الى الالفاظ الدقيقة الواضحة التي تعبر بامانة عن حدود الصلاحيات التي تملكها المنظمات . وقد اسفر هذا النقص عن قيام حالات من اللبس والغموض ، ومنها حالة الخلط بين القرار والتوصية واستعمالهما بشكل يوحي بترادف الكلمتين . انللكلمتين معنيين مختلفين ، فالتوصية هي مجرد ابداء نصيحة او رغبة او دعوة يمكن ان تقبل وان ترفض . والدول غير ملزمة باتباع التوصيات الصادرة عن المنظمات الدولية ، لان التوصية لا تتضمن ـ قانونا ـ قوة الالزام ولا تترتب على مخالفتها اية مسؤولية قانونية . اما القرار فهو امر يتضمن قوة الالزام ولا يختلف من حيث القوة عن اي قانون تصدره السلطة المختصة في داخل دولة من الدول .

ورغم وضوح الفارق بينهما فان ميثاق الامم المتحدة يستعمل هذه اللفظة او تلك دون تدقيق او تمييز. واوضح مثل على ذلك هو انه يستعمل لفظة قرار لوصف التوصيات الصادرة عن الجمعية العامة. فقرار الجمعيةالعامة الذي نعالجه هو اذن مجرد توصية . وان كان له من وزن فعلى الصعيد المعنوي فقط . ومن المؤكد ان اسرائيل ، كعادتها ، لن تأبه له ولن توافق على العمل به . ومن الثابت ـ بعد ان تكرر ذلك عشرات المرات ـ ان الجمعية العامة ستعمد في كل مناسبة الى ذكر هذا القرار او التذكير به والى مناشدة الدول الاعضاء مراعاته والتقيد به ، دون ان يغير كل ذلك من واقع الحال شيئا . ان الامم المتحدة تفتقر الى الحزم . وبدون الحزم ستبقى قراراتها حبرا على ورق ، وستستمر اسرائيل في استهتارها بكل القوانين والاعراف والمبادىء الدولية .

الدكتور محمد المجذوب

المؤتمر الدولي للدين والسلام في اليابان

عقد المؤتمر في ١٦-١٠/٢٢/١٩٧٠ بدعوة من لجنة كبار الشخصيات الدينية والفكرية في العالم التي تمثل جميع الاديان الكبرى في الشرق والغرب ، وكانت الغاية من تأليف اللجنة وعقد المؤتمر هي تنظيم تعاون بين مختلف الاديان في عملها في سبيل السلام الدولي. ومع ان اللجنة اميركية التكوين وغربية النزعة ، كان الاتحاد السوفياتي ممثلا بوفد قوي يضم رجال الدين مسيحيين ومسلمين . وكانت مشاركتهم في المؤتمر فعالة على جميع المستويات . وكانت الصين الشيوعية هي الغائب الاول عن المؤتمر . واذا استثنينا لبنان كان العالم العربي الغائب الثاني . فلم يكن يمثله كمندوب في المؤتمر سوى الدكتور حسن صعب استاذ علم السياسة في الجامعة اللبنانية .وحضر مدير مكتب الجامعة العربية وقنصل الجمهورية العربية في طوكيو كمراقبين .

انقسمت ابحاث المؤتمر الى موضوعات عامة عولجت في الجمعية العامة من قبل خطباء يمثلون مختلف الاديان الكبرى المسيحية واليهودية والبوذية والهندوكية والاسلام ، تناول كل منهم موقف ديانته من السلام الدولي. وكان الشخصية اللامعة بين هؤلاء « الحبر البرازيلي الاحمر » كاميرارا الذي تحدث عن السلام والعدالة والذي طالب المؤتمر بمنحه جائزة نوبل للسلام . ولم يكن في خطابه اي جديد يلفت النظر ولكن حضوره اضفى على المؤتمر معنى تقدميا كان منظمو المؤتمر في امس الحاجة اليه . واما القسم الثاني من الابحاث فقد جرى في لجان المؤتمر التي انقسمت الى ثلاث لجان : لجنة الانماء ، ونزع السلاح ، وحقوق الانسان . وكانت الروح التي سادت هذه الابحاث روح استنكار العنف والتخلف والتمييز البشري بجميع صوره . فسجل بذلك المؤتمر للاديان الكبرى موقفا« سلاميا انمائيا انسانيا»، تتخذه في هذا المؤتمر لاول مرة مشتركة مع بعضها البعض .

وكان على المندوب العربي في المؤتمر ان يقدم مساهمته على مستويات ثلاثة : أ ـ المستوى الفكري الانساني العام ، ب ـ المستوى الاسلامي ، ج ـ المستوى العربي . فكان العمل على المستوى العام يقتضي التوعية ، في مختلف اللجان ، وفي مقدمتها لجنة الانماء ، بحقائق الوضع الحضاري الانساني ، وبوجوب التبصر والتمرس بالمفاهيم والمناهج العلمية التجريبية للحضارة الحديثة ، وتفادي التعويل على « تفوق الشرق الروحي » كبديل للتفوق المادي ، وتثوير القيم الروحية تثويرا يبرز طاقة الانسان الخلاقة . فكان تجاوب المفكرين « الشرقيين » بما فيهم رجال الدين مع هذا التوجيه تجاوبا حماسيا رائعا .

واما العمل على المستوى الاسلامي ، فكان يقتضي تعاون الاعضاء المسلمين الذين بلغ عددهم حوالي الخمسين في الدعوة الى « السلام مع التغيير »، و « السلام مع العدالة » و « السلام مع الحرية » و « السلام مع التقدم » ، وذلك لئلا يفسر اشتراكنا في المؤتمر بانه قبول بالسلام لتثبيت الوضع الراهن . فكان التعاون كاملا بينهم في اشاعة هذه الافكار في المؤتمر .

واما العمل عى المستوى العربي فقد تجلى في تقديم الاقتراح التالي حول ازمة الشرق الاوسط : « ان المؤتمر يعبر عن قلقه العميق للحالة في الشرق الاوسط ويدعو لتحقيق تسوية سلمية فورية للازمة بقيام جميع الفرقاءالمعنيين بتنفيذ مقررات الامم المتحدة ». وصدق الاقتراح بالاجماع ، وادخلت تعديلات على توصيات اللجان اقرت كلها بالاكثرية بعد صراع شاق تناولت حفظ حق الشعب في مقاومة الاحتلال الاجنبي بالعنف، ووجوب انهاء الاحتلال الاجنبي العسكري فيجميع البلاد ، ووقف المساعدات العسكرية للدول المعتدية ، وتحويل اعتمادات جميع المساعدات العسكرية للتثمير في الموارد الانسانية ، والتنديد بالتمييز الذي تمارسه اسرائيل ضد العرب . وكان الاقتراح الاخير مثار مشادة طويلة استخدم فيها الاسرائيليون واصدقاؤهم جميع الطرق الاجرائية والتهويلية لحمل الجمعية العامة للمؤتمر للعدول عن قرارها . فأعيد التصويت ثلاث مرات كانت النتيجة فيها في كل مرة وقوف الاكثرية الى جانب الاقتراح العربي . فجاءت هذه التجربة دليلا جديدا على واجب المشاركة في المؤتمرات الدولية ، لتحقيق مكاسب معنوية جديدة للحق العربي ، ولابراز وجه العرب الحقيقي كمشاركين في حركة التعاون الانساني في سبيل السلام الحقيقي القائم على التقدم والحرية والعدل .

الدكتور حسن صعب

انطباعات عامة حول جولة في الولايات المتحدة

١ ـ بدات القضية الى حد ما تقسم الاميركيين حولها وبقدر ما يصبح هذا الانقسام حول القضية الفلسطينية حادا وعميقا ومحوريا في الحياة الاميركية ، تكون قضيتنا قد خطت في الولايات المتحدة . ويكاد يكون المعيار في قياس موقف اي امريكي على الصعيد السياسي ، الان، هو قضية فيتنام . قل لي اين تقف من فيتنام اقل لك من انت (على الصعيد السياسي) وعندما تصبح قضية فلسطين بنفس الوضع تكون قد بلغت شاطىء السلامة . كما بدات الان فئات قليلة نسبيا من الاميركيين تعتمد هذا المقياس . تقيس تقدمية بعضها البعض بمدى التزامهما بتأييد قضية فلسطين وقضية الكفاح المسلح بنوع خاص . وحتى الان ما يزال هذا الامر داخل دائرة الفئات المتسيسة الشديدة التسيس من الطلاب والشباب . ولكن احيانا يتعدى الوضع ذلك . فقد صدف لي ان ذهبت مع حسن عبدالله ممثل مكتب الجامعة في شيكاغو الى مدرسة ثانوية حيث كان مدعوا لالقاء محاضرة عن فلسطين . وكانت مفاجاة كبيرة لي ان ارى طلابا اميركيين في مدرسة ثانوية يهتمون بالقضية الفلسطينية بل ينقسمون فيما بينهم على اساسها . وقلت في نفسي اذا لقد انقضى العهد الذي كان الطالب الاميركي لا يعرف فيه شيئا عن قضية فلسطين الا من خلال التوراة .

٢ ـ شيء ايجابي اخر ، هو انتهاء المرحلة التي كان فيها النشاط العربي مقتصرا على الموظفين في السفارات وفي جامعة الدول العربية ومكاتب الاعلام الرسمية البحتة والدبلوماسية ، وبدات مرحلة اخرى هي مرحلة النشاط السياسي والايديولوجي الممثل بنشاط الشباب العرب من خريجين وطلبة . هذه المرحلة الجديدة مرحلة متقدمة عن سابقتها ، فالاعلام والدبلوماسية ليسا بقادرين وحدهما مهما بلغا من الجودة ، على تشكيل تيار اميركي شعبي ملتزم بتأييد قضية التحرير الفلسطيني ولا بد من نشاط سياسي عقائدي عربي لتحقيق هذه الغاية . وهذا ما بداه الشباب في اميركا اليوم .

قد يقال ان الفئات التي تتجاوب مع العرب سياسيا وايديولوجيا في نشاط من هذا النوع، هي فئات ضيقة ومحصورة . هذا صحيح ، ولكن هذه الفئات ، على ضيقها ومحدوديتها ، تستطيع ان تطلق شعارات وافكارا وتخلق اتجاهات في دوائر اوسع منها بكثير . ان هذه الفئات نفسها كانت كافية مثلا ان تخلق انعطافا كبيرا داخل الشعب الاميركي في قضية فيتنام مثلا . وهل نستطيع ان ننسى اثر هذه الفئات في منع جونسون نفسه من التجديد ؟ وهل نستطيع ان ننكر اثرها في ابعاد شخص مثل جولدووتر عن مركز الرئاسة ؟ ان هذه الفئات قد تكون بعيدة جدا عن تسلم الحكم في الولايات المتحدة ، ولكن هذا لا يعني ان هذه الفئات عاجزة عن ايصال اي سياسي الى البيت الابيض.

٣ ـ هذا على الصعيد الايجابي اما على الصعيد السلبي فهناك ملاحظة هامة وهي : ان كثيرا من الجهد السياسي العقائدي الذي يطبع المرحلة الجديدة من النشاط العربي في الولايات المتحدة يتخذ ، مع الاسف ، طابعا انقساميا . فقضيتنا في فلسطين لا تطرح على الرأي العام الاميركي ولا على الفئات التقدمية الاميركية كقضية تحرر وطني ويؤخذ لها التأييد على هذا الاساس . بل انها كثيرا ما تطرح على انها قضية هذه المنظمة من منظمات العمل الفدائي او تلك فبعض الطلاب العرب يغالون في ابراز فروق الراي والاتجاهات والمنطلقات بين المنظمات بشكل يحرف نظرة الاميركي نحو قضيتنا ويضيع اللب والشيء الجوهري في دقائق الخلافات . وهكذا كثيرا ما يكون الصديق الاميركي للقضية ليس الا الشخص الاكثر علما من غيره بمثالب الفئات العربية المختلفة وزلات هذه او تلك من المنظمات ، بل ان صداقة العرب لا تفي احيانا الا التفرغ لاحصاء هفوات المقاومة الفلسطينية والعمل الفلسطيني بنوع عام . وهذا الامر لا ينطبق لا كله ولا بعضه ، على قضية نصرة فيتنام مثلا حيث القضية مطروحة على الاميركيين من تقدميين وليبراليين على اساس انها حركة تحرر وطني ولا شيء غير ذلك مما حفظ لها حرمة وجاذبية في عين القريب والبعيد . واذا علمنا اي انقسامية يعيشها اليسار الاميركي فيما بينه ، ادركنا خطر الطرح الانقسامي لقضية فلسطين ، اذ يصبح الموضوع في حالة تدرر متصاعد . فالانقسامية داخل اليسار الاميركي تغذى

الانقسامية داخل العمل الفلسطيني. والانقسامية داخل العمل الفدائي تفذي الانقسامية داخل اليسار الاميركي فيصيب التردي الجهتين معا والقضية نفسها .

انطباعات عامة عن مؤتمر الخريجين العرب الذي عقد في شيكاغو : لقد كان انعقاد المؤتمر بذاته نجاحا ولا يلغي فائدته ودوره ، ان أغلب اعضائه او المشتركين فيه من ذوي الميول المحافظة في نظرتهم السياسية . فما دام الخط العام كان خطا وطنيا : وما دامت الاقلية التقدمية فيه لم تكن مخنوقة الصوت ، فمعنى ذلك ان المؤتمر بمجمله ، كان حسن المردود وقد لمسنا ، والحق يقال حرص الهيئة الداعية وعلى الاخص امين السر الدكتور ابراهيم ابو لغد ، على ان يكون المؤتمر مؤتمر الجميع لا مؤتمر المحافظين من المشتركين وحدهم . وقد اعجبني بين الكلمات التي القيت في الاحتفال الختامي كلمة الدكتور ادوار سعيد الاستاذ في جامعة كولومبيا الذي طرح قضية العمل الفدائي من ضمن اطار حركة التحرر العربي كلها .

ولا بد لي من التنويه بالجهود التي بذل بعض الاميركيين انفسهم في انجاح المؤتمر ويحضرني بهذه المناسبة البحث الذي قدمته السيدة جانيس تارى حول موقف اجهزة الاعلام الاميركية من قضية فلسطين فقد اثبتت الباحثة ان الاعلام الاميركي يصبح اكثر موضوعية واكثر علمية عندما يكون الامر متعلقا بالعمل الفدائي . ومعنى ذلك ان اميركا تصبح اكثر استعدادا لسماع الراي العربي عندما تجابه بالقوة والاسلوب الثوري الصحيح . **وهذا على عكس الراي العربي التقليدي القائل بانه لكي نكسب الاذن الاميركية والقناعة الاميركية ، فما عليك الا ان تكون وديا تجاه المصالح الاميركية** . على ان هذا المؤتمر وغيره من المؤتمرات لا يمكن ان يكون شيئا مفيدا حقا الا اذا اصبح اطارا للعمل بالنسبة للتقدميين ذوي النفس الوطني الطويل . فخير ما يثيره حضور هذا المؤتمر هو في الحقيقة الشعور بسعة الطاقات العربية وغير العربية القابلة للتوظيف في خدمة قضيتنا . وشر ما يثيره الشعور بفداحة التقصير العربي عن توظيف هذه الطاقات .

منح الصلح

حديث مع كريستيان بيلون

كريستيان بيلون هو الشاب الفرنسي الذي خطف طائرة الى بيروت ١٩٧٠ لدعم العمل الفدائي . وهو مهندس الكتروني . ولا ينتمي الى اي تنظيم سياسي او حزبي في فرنسه « لان ليس من الضروري ان يكون الانسان عضوا في منظمة سياسية معينة حتى يؤيد الفلسطينيين في كفاحهم ... ان هناك اعضاء في الحزب الشيوعي الفرنسي لا يزالون لا يؤيدون الشعب الفلسطيني»، كما قال .

سألته كيف اخذ هو يؤيد العرب بالرغم من ان الاتجاه العام معاد للعرب في فرنسه . فحدثني عن مشاعر البغض والعداء والخوف من العرب ، وخاصة من الشمال افريقيين الموجودين في فرنسة « ان أغلبية الشعب الفرنسي ، وخاصة الطبقة الوسطى ، يحقدون على العرب . فقط بعض الاجهزة الرسمية ، بفضل ديغول ، اخذت تتخلص نسبيا وتدريجيا من هذا الحقد . وقد بلغ هذا التدرج حدا فاصلا عندما حظرت الحكومة بيع الاسلحة الى اسرائيل ». وعلل ذلك الموقف بانه « لاسباب اقتصادية . ففرنسه تجد السوق العربي اوسع من السوق الاسرائيلي ، سواء لشراء السلاح الفرنسي او امام التجارة العادية وبيع السلع والاليات المصنعة ولفتح المصارف » . اما الصحافة الفرنسية فان معظمها « ينمي الشعور المعادي للعرب لدى الشعب الفرنسي ، بتأثير النفوذ الصهيوني في الصحافة . ان الصحف الصهيونية الميول تستغل ابسط الحوادث التي تقع بين الجزائريين والفرنسيين وتضخمها لتثير غضب رجل الشارع على العرب » .

« ان معظم الطبقة الوسطى من الشعب الفرنسي تعاني من عقدة اللاسامية ، تكره اليهود لانهم يسيطرون على معظم النشاط التجاري في فرنسة وعلى عدد من الصناعات الكبيرة . يكره التاجر الفرنسي الصغير جاره اليهودي لانه يملك متجرا اكبر من دكانه . ولهذا فان من اماني الشعب الفرنسي ان يحل اليهود عنهم ويذهبوا الى اسرائيل ، ومن هنا جاء تأييد الكثيرين من غير اليهود للصهيونية» . ويفسر بيلون هذه اللاسامية بانها نتيجة دوافع اقتصادية وطبقية . ولكنه يضيف الى اسباب تحامل الفرنسيين على العرب تقصير العرب اعلاميا . « انتم العرب منغلقون

على الغرب ومنعزلون عن العالم اعلاميا . تسيطر المصالح الامبريالية والصهيونية على الصحف فتسير الصهيونية المواطنين وانتم غير موجودين اطلاقا » .

وروى لي نمو مشاعره تجاه شعب فلسطين : «كنت في الثامنة عشرة حينما كان الجزائريون يكافحون ضد شعبي ، سواء حربا في الجزائر ضد الجيش الفرنسي المحتل او انتفاضات واغتيالات وتظاهرات في شوارع باريس . فاعجبني هذا الكفاح وآمنت به . وبواسطته تعرفت على كفاح عربي اخر ، كفاح شعب عربي آخر مضطهد . وحينما خطفت ليلى خالد طائرة البوينج الى مطار دمشق ، وحينما نجحت في استبدال ثلاثة عشر مسجونا عربيا في اسرائيل بركاب الطائرة الاسرائيليين ، شعرت ان علي ان افعل شيئا لمساعدة الشعب الفلسطيني ، بالفعل وليس بالكلام . لقد فتح خطف الطائرة صفحة جديدة في حياتي » .

المستقبل ؟ رفض ان يتحدث عن المستقبل ، لكنه لن يستقر في فرنسه « سأتابع السير على الطريق التي اخترتها في دعم الكفاح الفلسطيني والعربي . وقد ابقى بين العرب . ان معاملة العرب لي جيدا جدا . حتى وانا في السجن في لبنان شعرت نفسي موضع تكريم الجميع » .

وسألته عن اثر خطف الطائرات على الرأي الفرنسي العام . « ان الشعب الفرنسي لا يعرف عموما اين تقع فلسطين . ولا يعرف ان هناك شعبا فلسطينيا يناضل من اجل استرداد بلده وكرامته وحقة . ولذلك كانت الصحف في بدء النشاط الفدائي تكتفي بنشر الخبر في سطر او سطرين . ولكن حينما خطفت اول طائرة الى الجزائر تبدل الحال . جاء الخبر في عدة صفحات في بعض الصحف . فقد اعتبر تهديدا لامن وراحة المواطن في الغرب . واجمعت الصحف على ادانة العمل واعتبرته وحشيا ولا انسانيا وارهابيا ، ومع هذا كله اضطرت ان تتكلم عن المقاومة الفلسطينية . وهكذا فرض الثوار الفلسطينيون انفسهم على الصحف رغم انف محرريها الصهيونيين . وبالتالي تعرف المواطن العادي على بعض حقائق القضية ولو تحت عناوين العداء للثورة الفلسطينية » .

وهو ضد الحل السلمي لان اسرائيل « لا تريد السلام ولا تؤمن بالامم المتحدة ولا بمباحثات الدول الاربع ، كل ما تسعى اليه هو تزويد جيشها باحدث الاسلحة لتتابع فرض وجودها على العرب وتتوسع اكثر » . ولكنه يرى ، من جهة اخرى ، ان مشروع روجرز يعطي مصر فرصة لاعادة بناء قوتها على القنال . وهو متفائل ، «لن تبقى اسرائيل . مصيرها هو مصير كل كائن استعماري سيزيلها الشعب الفلسطيني بمساعدة العرب واحرار العالم » بل انه يعتبر مجزرة ايلول حافزا للثورة الفلسطينية لتنمو وتنطلق . « وكلما ازدادت متاعب المقاومة ازدادت مناعتها » .

سألته اخيرا عمن هو مثله الاعلى ، بين رجال العالم ، في النضال ، فسمى ديغول وعبد الناصر . ثم طلب ان احذف اسم ديغول . « اني احترم ديغول واقدر جهاده في مقاومة الاحتلال النازي ثم في منحه الجزائر استقلالها ثم في صداقته لشعبي الاتحاد السوفياتي والصين . لكني لا اوافق على مطالبته بالانفصال في كندا . اما ناصر فقد احيا الشعب العربي . انه بطل الكفاح ضد اسرائيل . انه شهيد فلسطين » .

مارلين ابو شديد

صدر حديثا

واجبات الاطراف الثالثة في الحروب المعاصرة

ملحق خاص حول الوضع القانوني للدول الاخرى في الحرب الفلسطينية

للدكتور منذر عنبتاوي

(بالعربية ٣ ل.ل.)

نشر :

مركز الابحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية

محمود درويش وجائزة اللوتس

قبل ثلاث وعشرين سنة كان الصبي محمود درويش يعاني ليلا امر واطول من ليل امريء القيس ، وهو يزحف مع اهالي البروة ، تاركين سهول فلسطين وبياراتها ، يطوون الجبال والانجاد وعيونهم تنحر صدر الجبال السوداء الوحيدة ، تبحث عن لبنان . ان احدا من قافلة المشردين تلك ، لم يدر بخلده بان هذا الصبي الناحل ، الذي يبدو وكأن السماء قبلته بعينيه ، سيحمل يوما ما صليب فلسطين ، وتصبح شفتاه قيثارة لاعذب الالحان الفلسطينية واشجاها .

لقد كانت سنواته الست يومذاك اعجز من ان تفهم لماذا وكيف يترك الانسان بيته وملاعب صباه واشياءه الجميلة ، وهكذا بلا سبب وبتر تعسفي يضيع الحلم من يديه الصغيرتين لتتقيدا بهموم التفكير والتأمل الذي خلق لراس اكبر من راسه . وكانت هذه الاحداث اول وسم في نفس الفتى ترك اخاديد عميقة في حياته انعكست في شعره .

ويعود محمود من لبنان متسللا كما خرج هاربا يلوذ باكناف الظلام ، ورغم وعورة الطريق ، تغمر فرحة العودة الى مرابع الصبا قلبه الصغير. ولكنه سرعان ما يجد نفسه في دير الاسد ، تطل البروة عليه او يطل عليها صباح مساء ولا يستطيع الخطو على ترابها ، « حرام على بلابله الدوح » ، ويبقى محمود في وطنه حاضرا غائبا ، بموجب القانون ، الذي لا يزال يحاصره حتى الان ويمنع عنه الحصول على الجنسية ، حتى انه قبل سنتين عندما دعاه المفكر الفرنسي رودنسون الى باريس ، منعته السلطات الفرنسية من دخولها بسبب عدم اكتمال قانونية اوراقه . فنام ليله في المطار واقتيد في الصباح مخفورا الى اول طائرة متجهة الى بولونيا .

هكذا كانت طفولة محمود تختلط فيها احلام الصغار بهموم الكبار ، وتمتزج فيها ظلال حياته الخاصة بكآبة المأساة العامة ، لاجيء في لبنان، ولاجيء في وطنه فلسطين . سجين في البيت وسجين في الشارع ، وسجين في السجن ، وسجين في السفر . حصار من كل جانب ، فكان من قدره ان يحمل صورة ذلك الوطن في عينيه وفي قلبه وعلى لسانه ، صورة كما يراها ، وكما يفرض الواقع رؤيتها ، وكما يطمح مستقبلا ان تكون ،

التقيت به اول مرة في مهرجان شعري عقد في عكا سنة ١٩٥٨ ، ويومها كانت المهرجانات الشعرية هي المنابر التي يلتقي بها الشعر والشعب بالمأساة ، كان لا يزال في ثانوية كفرياسين ، وانشد تلك الليلة قصيدة طويلة ، ولما سألني رأيي ، وكان يجلس صدفة الى جانبي ، قلت : هذا الزخم الكافي في بعض ابيات القصيدة ، وهذه الحرارة المتألقة في روحها وتلك الشفافية في صورها ستجعل منك شاعر الارض المحتلة يوم تتخلص من تكرار الصورة ، والركاكة التي يفرضها عليك تركيب القصيدة الكلاسيكي .

ويقينا فلقد كان محمود يبشر بشاعرية خصبة موهوبة وكان يبحث عن الطريقة التي تزاوج بين الرومانسية وبين واقعية الموضوعات التي تشده اليها، اذ انه في تلك الفترة بدأت افكاره القومية والاجتماعية تتبلور بخط متواز مع شعره، فانتمى الى « حركة الارض » القومية في اواخر الخمسينات ، ولما لوحقت هذه الحركة واغلقت صحيفتها ، كتب في صحيفة الحزب الشيوعي الاسرائيلي « الاتحاد » فوجد فيها منبرا لشعره . ثم انضم نهائيا الى الحزب وبقي ينقي قصائده الوطنية ذات المحتوى الاجتماعي التقدمي الانساني ، ومحور ولائه يدور حول قضية فلسطين .

لقد صدر عام ١٩٦٠ ديوان محمود الاول « عصافير بلا اجنحة » ومع انه كان يحمل بذرة فنية طيبة ، الا انه كان تعبيرا عن محاولات شعرية غير متكاملة البناء الفني .

وفي عام ١٩٦٤ اصدر ديوانه الثاني « اوراق الزيتون » ، كان عبارة عن وثبة الى الامام في المضمون والاطار اذ انتقل بموضوعاته الشعرية الى مضامين اكثر جدية ووعيا ، فكيفما تنقلت في قصائد الديوان تعبق امامك رائحة الريف والجذر المتشبث بالارض . ولعل ابرز قصائد الديوان ، بطاقة هوية .

اما ديوان محمود الثالث « عاشق من فلسطين » فقد صدر عام ١٩٦٦ .

انه حدث في هذا الديوان تغير في النبرة ، فالصوت فيه همسة سحبة الكمان ، والاشارة الموحية تحل مكان شرح تفاصيل الصورة .

واصبح من الصعب فيه التفريق بين حدود العفوية والوعي في ابعاد آفاق نفسه . واما قصائده فتبدو وكأنها مهر حرون يروض في ميدان ضيق ، يستثيرك في وثباته الخطرة احيانا والرائعة دائما ، وان ما يأسرك فيه هو هذا النبض الحار المتدفق في كل شرايين القصيدة والذي يستحوذ على مشاعر القارىء ووجدانه ببساطته المتناهية واخلاصه العميق . اما موضوعاته ومفرداته فانه يسبغ عليها من فنه وروحه ما يهمها معاني واخيلة لم تكن تخطر لنا على بال .

وديوانه الرابع « آخر الليل » الذي صدر بعد عام ١٩٦٧ اشبه عندي ببيارة برتقال كثيرة الظلال والثمار ، تنام على اسيجتها ازرار الورد التي تكسو هيبتها مسحة من جمال لطيف . فالصور خصبة مضيئة ، والرموز مكثفة الا انها غير مستعصية ، يشعر القارىء بانها كانت في ضميره وعلى لسانه من زمان فاتى محمود ونطق بها . يسير الوجدان والخيال في رحاب القصيدة عروسان الى هيكل الفكر . وبين ما يرمز اليه « آخر الليل » ومدلوله علاقة متينة ، اذ تشعر باصابع الفجر الوردية تتسلل اليك من كوى الظلام الدامس فتبعث في النفس الامل وتعزز العلاقة بين النار الخالدة ورماد الاجيال.

اما مجموعته الاخيرة « العصافير تموت في الجليل » فهي تدور حول تعرية القاتل الذي يسير ذارفا الدموع في جنازة الضحية التي اجهز عليها ليلا بينما آثار دمائها باقية على حصباء الوادي تصرخ في آذان من لهم آذان للسماع . انها قصة وطن اختار الموت ليدلل به امام العالم على جدارته بالحياة .

ان ما يميز شعر محمود هو التحامه بقضية الدفاع عن الوطن وعدم انفصاله عن مهمات الحركة الثورية الطامحة بممارسة تأثيرها في الجماهير ، يرفده في ذلك خيال خصب ولقطات جارحة تنعكس في قصائده قلقا فنيا له مذاق السكر المر . ان الرمز عنده يمنح القصيدة مزيدا من الريش حتى تزحم الاجواء بمزيد من الصمود ، « وان الغموض عنده يشبه السحابة الرقيقة الناتجة عن علاقة الشمس بالارض وليس الغموض الناتج عن وداع الشمس للارض » .

ان شعره عملية تصعيد لرفض الواقع ومما يساعده في ذلك هو وضوح النبرة وقوتها المستمدة من كون هذا الشعر يكتب على ارض يعايش الشاعر عدوه عليها ويراه عاريا بـ مكياج . انه عدو محدد المعالم ، عدو خارجي يعبيء له الشاعر كل طاقاته النفسية والمعنو ويلوذ بالتاريخ والاسطورة يستلهمهما الصمو والمقاومة .

ولقد تمكن شعره ، بما يملك من عناصر الجما والمضامين التقدمية الانسانية ، ان يحلق ف آفاق عالمية رحيبة ، فترجمت اشعاره الى عـ لغات اجنبية حاملة على اجنحتها القضية والح الفلسطيني الى شفاه كثيرة وقلوب كثيرة .

وفي المؤتمر الرابع للكتاب الافروآسيويين ف نيودلهي الذي اجتمع بين ١٧ – ٢٠ نوفمبـ ١٩٧٠ اعربت الهند ، حيث انعقد المؤتمر عـ ارضها ، عن تقديرها للادب والادباء ، عندمـ جاءت رئيسة وزرائها السيدة انديرا غانـد لتسلم جائزة اللوتس للفائزين بها عن عـ ١٩٦٩ . وكان من بينهم محمود .

وقد القى كلمة في المؤتمر جاء فيهـا : « الصهيونية في الممارسة اعتمدت على شعاري لتحقيق اهدافها ، احتلال الارض واحتلال العمل وهكذا تزاوج منذ البداية جانبا الاضطهاد الل يتعرض لـه الانسان العربي في اسرائيـل الاضطهاد القومي والاضطهاد الطبقي » .

« لا ، ليست الجائزة التي منحتموني اياهـ امس باقة زهر على قبر ضائع ولكنها باقة ز لميلاد شعبي المتجدد » .

ويقول عن جائزة اللوتس : « لا اعرف اذا كنـ استحق جائزة اللوتس فعلا . ولكني ارحب بامتنان وفرح . اني ارى فيها عطفا ادبيا عـ قضيتي وتشجيعا على الاستمرار في طريقي وان ما يضيفني في الجائزة هو المسؤوليـ الجديدة التي تلقيها علي » .

ح. ق.

ندوة جامعة لوفان البلجيكية حول «نهضة العالم العربي»

نظمت جامعة لوفان الكاثوليكية في بلجيكا ، وهي من أقدم جامعات اوروبا ، شهرا كاملا عن العالم العربي بدءا من ١٥ تشرين اول (اكتوبر) وحتى ١٥ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ . وقد خصصت الجامعة الاسبوع الاخير من الشهر لندوة تناقش موضوع « نهضة العالم العربي » في ضوء نتائج المناقشات التي جرت على الابحاث التي قدمت فيما سبق من ذلك الشهر والابحاث التي قدمت في الاسبوع الاخير منه ضمن اطار الموضوع الذي خصص ذلك الاسبوع لمعالجته .

وقد دعت الجامعة مجموعة من رجال الفكر العربي والاجانب (خاصة من اوروبا) للمشاركة في اعمال ذلك « الشهر » وتركت لهم الخيار بين حضور الشهر كله أو الاقتصار على حضور ندوة الاسبوع الاخير منه . واذا كانت قلة من المدعوين قد تمكنت من المشاركة في اعمال الاسابيع الثلاثة الاولى فان غالبية المدعوين قد حضرت في الاسبوع الاخير للاشتراك في الندوة التي حدد لها موضوع « نهضة العالم العربي ». واقول « غالبية » لان بعض المدعوين لم يتمكنوا من الحضور لاسباب تعود في معظمها الى عدم وصول تذاكر السفر لهم في الوقت المناسب كما حصل بالنسبة لمندوب منظمة التحرير الفلسطينية .

وقد جرت معالجة موضوع الندوة من خلال مداخل ثلاثة : اجتماعي ثقافي ، واجتماعي سياسي ، واجتماعي اقتصادي .

ولعل السؤال الذي يلح بالجواب اكثر من غيره بالنسبة لقراء هذه المجلة يتعلق بالمكانة التي حظيت بها قضية فلسطين في مثل هذه الابحاث والمناقشات . وللاجابة على هذا السؤال اقول انه مما يؤسف له ان بحثا واحدا لم يقدم من اي مشترك بما من شأنه ان يربط قضية فلسطين بالنهضة العربية . ولقد كانت رغبة كاتب هذه السطور ان يفعل ذلك لولا الاحداث المفجعة التي وقعت في الاردن خلال الشهرين اللذين سبقا انعقاد الندوة والتي حالت دون اعداد مثل هذا البحث وكادت تحول دون سفره لولا برقية عاجلة وصلته بعد افتتاح الندوة تلح عليه بالسفر .

وقد قدمت في اليوم التالي لوصولي بعض الانطباعات عن اثر المشكلة الفلسطينية على نهضة العالم العربي مما يمكن ايجازه بما يلي : كان للمشكلة الفلسطينية آثار ايجابية واخرى سلبية .

اولا بالنسبة للآثار الايجابية .

تميز التحدي العربي للخطر الصهيوني قبل الثورة المصرية باتجاهين رئيسيين .

احدهما كان يستمد جذوره من التراث الاسلامي ويستهدي الخلاص والحل بالتالي من خلال العودة الى تعاليم الاسلام ومبادئه ونظام الحكم فيه وعلى اعتبار القتال ضد الصهيونية جهاد في سبيل الله . **وثانيهما** كان يستمد جذوره من الفكر القومي ويستهدي الخلاص والحل من خلال التأكيد على وحدة الارض والشعب في الوطن العربي وعلى معالم الحضارة العربية التي تميز العرب عن غيرهم من الامم والتي تستدعي بالتالي رفض الوجود السياسي بأي شكل من الاشكال على ارض هذا الوطن . وباختصار فان الاتجاه الاول كان يرى في العودة الى اصول الدين واحكامه طريقا الى تحرير فلسطين في حين كان الاتجاه الثاني يرى ان الوحدة العربية هي الطريق الى تحرير فلسطين .

وبعد قيام الثورة المصرية وبروز وجهها العربي اخذ الاتجاه القومي في الصعود متمثلا هذه المرة النزعة الى التحديث من جهة والعدالة الاجتماعية من جهة اخرى الى ان اصبح شعارا التحديث والاشتراكية لاصقين بالاتجاه القومي في مطلع الستينات .

واذا كانت « الثورة » كاسلوب للتغيير الجذري في الاوضاع القائمة موضع اهتمام بعض الفئات او التجمعات او الاحزاب السياسية في الوطن العربي في اواخر الخمسينات ومطلع الستينات، واذا كان الانفصال السوري عن الجمهورية العربية المتحدة ونجاح الثورة الجزائرية قد ساعدا كثيرا على نشر الافكار الثورية في الوطن العربي الا انها لم تصبح تيارا واتجاها رئيسيا على مستوى الوطن العربي الا بعد ظهور المقاومة الفلسطينية وفرض وجودها على الانظمة العربية القائمة بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ .

ولقد تميزت الروح الثورية في هذه الحركة

ليس فقط بانبعاثها من اوساط الشعب الفلسطيني مستخدمة سلاحها ضد الاحتلال الصهيوني بصفة متواصلة دون تقيد او اعتبار لهدنة او وقف قتال ولكن بكونها قد امتدت دون وعي منها الى الجماهير العربية مثيرة حماسها واعجابها والتفافها . وقد تميز الفكر الثوري العربي الذي رافق صعود المقاومة الفلسطينية ليس فقط برفض نتائج هزيمة حزيران ١٩٦٧ ولكن برفض كافة اساليب الحكم العربي . ولعل اكثر ما تميز به الفكر الثوري العربي المعاصر هو انه قدم اول رد عربي ايجابي على التساؤلات المتكررة التي كانت تقدم للعرب بشأن الحل العربي للقضية الفلسطينية ونعني بذلك « دولة فلسطين الديمقراطية » التي يمكن ان يتعايش فيها ابناء فلسطين من مسلمين ومسيحيين ويهود على قدم المساواة وفي ظل اطار حقيقي من العدالة الاجتماعية . ان اهمية رفع هذا الشعار من جانب المقاومة الفلسطينية ترجع لكونه عكس انسانية الثورة الفلسطينية واصالتها بقدر ما عكس احساسها بالمسئولية من خلال الممارسة النضالية وفتح افاقا جديدة لفئات كثيرة من يهود فلسطين الذين قد يتخلون عن التمسك « بدولة يهودية صرف » اذا كان ذلك هو الثمن الذي يجب ان يدفعوه لضمان مستقبل يسوده السلام والعدالة . اي ان الثورة قد ربطت لاول مرة في معالجة القضية الفلسطينية بين مفهوم الثورة وحقوق الانسان عربيا كان ام يهوديا .

وقد اقترن الفكر الثوري للمقاومة الفلسطينية بالممارسة النضالية من خلال التفرغ الكامل للعمل الثوري والمقرون بروح عالية من التضحية والتصدي والاستمرارية رغم القناعة الكاملة لدى كافة المقاتلين بأن يوم النصر والخلاص لا يزال بعيدا بعيدا .

ولعل هذه الخصائص التي رافقت الفكر الثوري الفلسطيني الذي اخذ في الامتداد رويدا رويدا بين الجماهير العربية في كل مكان هي السبب وراء العداء الظاهر حينا والدفين احيانا الذي قوبلت ولا تزال تقابل به حركة المقاومة لدى معظم اوساط الطبقة الحاكمة او المستغلة للطاقات المادية والبشرية في الوطن العربي او التي تعتمد في امتيازاتها ومراكزها على الاحتفاظ بالاوضاع القائمة بكل ما تعانيه هذه الاوضاع من امراض الفساد والمحسوبية والاقليمية والطائفية.

ثانيا بالنسبة للآثار السلبية .

كان من شأن قيام مشكلة فلسطين وشغلها المكان الاول بين هموم المواطن العربي العامة ، خاصة في المشرق العربي ، ان فسح المجال لقيام فئة من السياسيين بالمتاجرة بالقضية الفلسطينية والتسلق الى مراكز المسئولية باسمها وبحجة العمل من اجلها مستعملين في ذلك الوسائل المختلفة . ولعل من اهم هذه الوسائل بل واخطرها على مجرى الحياة السياسية، وبالذات على مستقبل الديمقراطية في البلاد العربية ، تلك التي تمثلت في التقرب الى الجيوش العربية واغرائها بالتالي بالتدخل في السياسة.

وحيث ان البلاد العربية كانت ولا تزال تمر بما تمر به معظم دول العالم النامي من مصاعب وتعاني ما تعانيه من امراض بسبب نقص الكفاءات العلمية من ناحية وضعف القدرة الادارية والاقتصادية من ناحية ثانية ، فقد كان من شأن تدخل الجيش في السياسة ان فتح الباب واسعا امام تسرب بعض هذه الامراض في صفوفه قادته بقدر ما اقفل الباب تقريبا امام تسرب الكفاءات العلمية المتاحة الى مراتب المسئولية في اجهزة الحكم . وكما ادت مشاركة الجيش في السياسة وسيطرته على الحكم في كثير من الدول العربية بشكل ظاهر او خفي الى قيام طبقة مميزة جديدة تمارس السياسة باسم فلسطين وتحت شعار العمل على تحريرها معتمدة في ذلك على مظاهر القوة المادية المتوافرة لديها ولعل من شأن ذلك كله ان يدعو الى التأمل العميق فيما توصل اليه بعض الباحثين من ان دخول الجيش الى عالم السياسة والحكم خاصة في البلاد النامية ، انما يقلص لديه تدريجيا الرغبة او الاستعداد للقتال .

ومن الآثار السلبية الاخرى للمشكلة الفلسطينية على النهضة العربية ان قيام اسرائيل اضطر الانظمة العربية القائمة ، حتى تلك التي لا تعتبر او ترغب في استعمال القوة ضدها ، الى تخصيص مبالغ طائلة من ميزانياتها السنوية لصالح قواتها العسكرية وعلى حساب حاجاتها الانمائية . وقد حدث في كثير من الاحيان ، ولا يزال يحدث ، ان استعملت قوة بعض الجيوش العربية لقمع التحركات الشعبية المتصاعدة

خاصة في اتجاه المطالبة بالقتال من اجل تحرير فلسطين . وطالما اصبح للجيش دور مـا في سياسة الحكم فان من الطبيعي ان لا يقبل بوجود قوة سياسية او عسكرية اخرى داخل حـدود الدولة التي يتبعها حتى ولو كانت مثل تلـك القوة تستهدف ما يدعي قادته بأنهم يهـدفـون الى تحقيقه .

تلك هي باختصار اهم الانطباعات التي قدمتها عن اثر المشكلة الفلسطينية على نهضة العالـم العربي في ظل الظروف التي احاطت باشتراكي في هذه الندوة .

واذا كان يستحيل على في مثل هذا المقام ان اقيّم الندوة والابحاث والمناقشات التي قدمـت او جرت خلال هذه الندوة فان بالامكان القـول باطمئنان ان من شأن مثل هذه اللقاءات التـي تجمع بين رجال الفكر من عرب واجانـب ، اذا تكررت ، ان تفتح ابوابا واسعة للادراك الواعي العميق لكافة قضايا الوطن العربي سواء كانت سياسية او اجتماعية او اقتصادية او غيرها . ذلك ان من اهم المداخل التي تفتح نوافذ العقل والقلب لـدى الاجانب لاستيعاب الحقـائـق الاساسية التي تحيط بالقضايا العربية المتعددة هو ان يجري طرقها بواسطة اولئك القادرين من العرب على مخاطبة هؤلاء بعلم العصر وفكر العصر وروح العصر .

الدكتور منذر عنبتاوي

صدر حديثا

نحو فلسطين ديمقراطية

للدكتور محمد رشيد

(بالعربية والانجليزية ١ ل.ل.)

نشر :

مركز الابحاث ـ منظمة التحرير الفلسطينية

المجلس التاسع لمنظمة الشعوب الافريقية الاسيوية

اجتمع في طرابلس بليبيا من ٩ ـ ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ممثلون عن ٧٠ بلدا اسيويـا وافريقيا في المجلس التاسع لمنظمة الشعـوب الافريقية الاسيوية . وكان جدول اعمال المجلس كما يلي :

اولا ـ ١ ـ استعراض الموقف السياسي العام في ضوء التطورات التي طرات على التضامن ضد الامبريالية والاستعمار الجديد . ب ـ المشاكل المحتدمة : ١ ـ عدوان الولايات المتحدة المستمر على شعوب الهند الصينية (فيتنـام ، لاوس وكمبوديا) . ٢ ـ العدوان الاسرائيلي الاميركي الامبريالي على الشعوب العربية . ٣ ـ نضـال التحرر في افريقيا ضد الاستعمار والعنصرية .

ثانيا ـ المهام السياسية الاقتصادية لمجـابهـة الاستعمار الجديد والمشاكل التي تواجهها البلاد الافريقية الاسيوية النامية في سياق هـذا الوضع السياسي العام .

ثالثا ـ الجوانب التنظيمية لدعم حركة التضامن الاسيوي الافريقي .

وفي يوم الثلاثاء ١٠/ ١١ بدات اللجان العمل منفردة في فندق البحر الابيض المتوسط الذي كانت تستضيف فيه الحكومة الليبية الوفود . وتوزعت اللجنة السياسية الى اربع لجـان فرعية هي : ١ ـ لجنة عدوان الولايات المتحدة الاميركية المستمر ضد شعوب الهند الصينية . ٢ ـ لجنة العدوان الاسرائيلي الامبريالي الاميركي ضد الشعوب العربية . ٣ ـ لجنة كفاح التحرر في افريقيا . ـ لجنـة القضايـا الاخـرى . وتألفت لجنـة العـدوان الاسرائيلي من البلدان التالية : فلسطين ، الجمهورية العربية المتحدة ، سورية ، العراق ، تونس ومالي . وترأسها مندوب فلسطين .

وفي يوم الاربعاء ١١/١١ اجتمعت لجان الصياغة للجان الثلاث (السياسية والاقتصادية والتنظيمية) وكذلك لجنة صياغة البيان العام . وفي الساعة الثالثة بعد الظهر اجتمعت اللجان واقـرت مشروعات القرارات . ثم اجتمع رؤساء الوفود واقروا مشروع البيان العام .

البيان العام : ركز البيان العام على نمو قـوى الحرية والاستقلال في العالم وشجب اعمـال

الامبريالية والاستعمار الجديد والرجعية . ومما جاء فيه :

ـ ان الموقف الراهن يتميز بنمو قوى الحرية والاستقلال الوطني والسلام والاشتراكية ، نموا مستمرا وبازدياد حدة نضالها ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد والاقطاع والقوى الرجعية الاخرى .

ـ ان الولايات المتحدة الاميركية هي معقل الامبريالية وهي التي تخطط لكل عدوان امبريالي وتعمل على تنفيذه بالدسائس والمؤامرات والتدخل المباشر وغير المباشر والدعم الاقتصادي والعسكري .

ـ لقد قامت الامبريالية ، وعلى راسها الولايات المتحدة الاميركية في السنوات الاخيرة باعمال عدوانية خطيرة ، من اخطرها شن حرب العدوان في الهند الصينية والشرق الاوسط ، وقمع حركات التحرر الوطني (المستعمرات البرتغالية وجنوب افريقيا) بقصد تحطيم حركة التحرر الوطني .

ـ وفي الشرق الاوسط كانت الاهداف السياسية للامبرياليين والمعتدين الاسرائيليين تثبيت الاحتلال الاستيطاني لفلسطين ، وتوسيع رقعة هذا الاحتلال ، والمزيد من تشريد الشعب الفلسطيني ، وتصفية الانجازات التقدمية البالغة الاهمية التي حققتها حركة التحرر الوطني للشعب العربي ، والاطاحة بنظم الحكم التقدمية في منطقة من اكثر المناطق في العالم اهمية .

ـ ان النضال المسلح الذي يخوضه الشعب العربي الفلسطيني ، الذي ينكر عليه التمتع بحقوقه المشروعة ، يجب ان ينال من جانبنا كل تأييد ، باعتباره نضالا وطنيا تحرريا عادلا لفصيلة من فصائل حركة التحرر الوطني في العالم . ويقع على حركاتنا التحررية واجب الدفاع عن نضاله هذا ضد المؤامرات الامبريالية ـ الصهيونية ـ الرجعية .

ـ ان تصفية آثار الاستعمار ما زالت قضية ملحة تواجه الانسانية التقدمية . وما زال ٣٥ مليون شخص يرزحون تحت ربقة الاستعمار المباشر . وما بوسع احد ان يقول ان مهام حركة التحرر الوطني قد تحققت حتى تنهار اخر معاقل الاستعمار والعنصرية .

ـ ان المهمة الرئيسية للاستعمار الجديد هي ابقاء شعوب افريقيا وآسيا في نطاق النظام الراسمالي الاستغلالي ، وذلك للابقاء على سيطرة الاحتكارات الامبريالية وتوسيع نطاقها في البلاد التي كانت مستعمرة من قبل . والى جانب هذا تقوم بلاد الاستعمار الجديد بقمع الاتجاهات التقدمية في الاقتصاد والسياسة في البلاد النامية .

القرارات : لقد عالجت قرارات المجلس التاسع لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية المواضيع نفسها التي عالجها البيان العام للمجلس . وفيما يلي ابرز النقاط في هذه القرارات :

الشرق الاوسط : ان الوضع الذي يزداد توترا في الشرق الاوسط نتيجة العدوان المستمر على الاقطار العربية الثلاثة والشعب الفلسطيني يهدد السلام العالمي وامنه وحركة التحرر العالمي . والمجلس يلفت نظر الشعوب الافريقية الاسيوية الى ان المخطط الاستعماري في هذه المنطقة انما يستهدف حركة المقاومة العربية ضد العدوان واضعاف حركة التحرر العربية والنيل من حركة التحرر العالمية .

ان احداث سبتمبر (ايلول) الماضي في الاردن والمجازر الرهيبة التي ارتكبت ضد الشعب الفلسطيني والاردني والتي كانت نتيجة مؤامرة استعمارية اميركية صهيونية رجعية انما تهدف الى تصفية المقاومة العربية الفلسطينية .

ويرى المجلس ان كفاح الشعوب العربية ضد العدوان الاسرائيلي الاستعماري من اجل تحرير الارض العربية هو كفاح عادل ومشروع .

ان المجلس وهو يؤيد حشد الطاقات العربية في المعركة ويدعو الدول المحبة للسلام التي تعمل من اجل ازالة اثار العدوان الاسرائيلي على اساس قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة ومجلس الامن الصادر في نوفمبر ١٩٦٧ فانه يؤيد كل الجهود الرامية الى حل سياسي ومشرف على اساس :

ا ـ الانسحاب الكامل من كل الاراضي العربية المحتلة .

ب ـ ضمان الحقوق القومية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني .

الدكتور موسى الخور

جمعية دراسات الشرق الاوسط

١ ـ **لمحة تاريخية** : تأسست « جمعية دراسات الشرق الاوسط في اميركا الشمالية » والمعروفة باسم « جمعية دراسات الشرق الاوسط » سنة ١٩٦٦ على يد مجموعة من دارسي الشرق الاوسط الاميركيين ، وذلك في ولاية نيويورك . وبين الاعضاء المؤسسين تشارلز ج. آدمز وجون س.بادو (رئيسا لسنة ١٩٧١) ومورو بيرغر (رئيسا لسنة ١٩٦٧) وليونارد بايندر ، ووليم م. برينر ،وروردك ديفرسن ، وروبرت أ. فيرينا ، وس.د.غويتين ،ومانفرد هالبرن ، و ج.س هيوروتس، وتشارلز ب. عيساوي، ووديع جوادية، وكمال كاريت ، ومجيد خدوري ، ومحسن مهدي ، وارنست مككارس ، ودون بيرتس ، ووليم ر.بولك ود.أ. رستو ، ونداف سفران ، وهشام شرابي ، وستانفورد شو (رئيس تحرير « المجلة الدولية لدراسات الشرق الاوسط» التي تصدرها الجمعية) و . بيلي وندر (رئيسا لسنة ١٩٦٩) ، و أ.وليم زارتمان (السكرتير الاداري وامين الصندوق ، وقد انتخب للمرة الخامسة) ، وفرحات زيادة . (« نشرة » الجمعية ، المجلد الاول ، عدد ١ ، ص ٣٣) .

٢ ـ **طبيعتها واهدافها** : ان الجمعية مؤسسة خاصة ، ومنظمة لا تقوم على الربح ومهمتها دراسة الشرق الاوسط وشمال افريقيا منذ ظهور الاسلام. واهداف الجمعية هي : « (أ) تعزيز المستويات العالية للعلم والتعليم ، (ب) تسهيل الاتصال بين الدارسين من خلال الاجتماعات والنشرات ، (ج) تعزيز التعاون بين الاشخاص والمنظمات المهتمة بالدراسة العلمية للشرق الاوسط » . (مجلة «القوانين الداخلية » ، المادة الاولى ، الجزء الثاني) .

لقد عقدت الجمعية اربعة اجتماعات سنوية : كانون الاول ١٩٦٧ في مدينة شيكاغو ، تشرين الثاني ١٩٦٨ في مدينة اوستن ، تشرين الثاني ١٩٦٩ في مدينة تورونتو ، تشرين الثاني ١٩٧٠ في مدينة كولومبوس . وللجمعية نشرات دورية تضم « النشرة » (ثلاث مرات في السنة ، والان في عامها الرابع) ، و « المجلة الدولية لدراسات الشرق الاوسط » (تصدر كل ثلاثة شهور والان في عامها الثاني) ، و « الدليل » حول البرامج والمواد فيما دون البكالوريوس وما فوقها حول الشرق الاوسط في الولايات المتحدة وكندا والخارج (تصدر كل سنتين وهي الآن في عامها الاول) .

٣ ـ **الادارة** : تتألف الجمعية بشكل رئيسي من زملاء (اشخاص ذات تحصيل علمي في دراسات الشرق الاوسط يبلغ عادة درجة الدكتوراه) ويحكمها مجلس ادارة يضم اربعة مديرين ينتخبون سنويا بالاقتراع السري . ولا يحق الانتخاب الا للزملاء فقط ، بحيث لا يحق لانواع العضوية الثلاثة الاخرى بالانتخاب وهي مشارك ، طالب، ومشترك في المكتبة .

ينتخب الزملاء الرئيس ونائب الرئيس وسكرتير الادارة سنويا . اما امين الصندوق فينتخبه مجلس الادارة . ومهما يكن من امر ، فقد عمل سكرتير الادارة ا. وليم زارتمان امينا للصندوق حتى الان ايضا . والمرشحون لاحد هذه المراكز في الجمعية تعينهم لجنة الترشيح التي ينتخبها سنويا مجلس الإدارة وتضم رئيس الجمعية واربعة زملاء آخرين (« القوانين الداخلية » ، المادة الخامسة ، الجزء الثاني) . وقد تولى رئاسة الجمعية الرؤساء الاتية اسماؤهم : ج.ي. فون غرونيباوم (رئيسا فخريا ١٩٦٧) ، مورو بيرغر (١٩٦٧) ، جورج حوراني (١٩٦٨) ، ر.بيلي ويندر (١٩٦٩) ووليم م. برينر (١٩٧٠) ،وقد انتخب مؤخرا جون س. بادو رئيسا للجمعية لعام ١٩٧١ .

بلغ مجموع الزملاء في الجمعية في نهاية عامها الاول مئة وخمسين وفي نهاية عام ١٩٧٠ الفا ومئتين . وقد ارتفع رسم العضوية العادية للزملاء من عشرة دولارات عام ١٩٦٧ الى خمسة عشر دولارا عام ١٩٧٠ .

٤ ـ **تعليقات** : ان الانتقاد الرئيسي للجمعية على المستوى التنظيمي على الاقل هو انه مثلها مثل غيرها من الجمعيات المهنية ، يديرها ما يمكن وصفه بالزمرة التي تعمل لديمومتها وتميل الى ان لا تكون ممثلة للاعضاء . ان تركيب لجنة الترشيح ساعد دستوريا على الاقل في خلق نوع من النخبوية في ادارة الجمعية . وقد طلب على الاقل خمسة وعشرون زميلا الى مجلس الادارة تعديل « القانون الداخلي » وبالتحديد المادة الخامسة (حول لجنة الترشيح) هادفين الى جعل تركيب الجمعية اكثر ديموقراطية . وجميع الزملاء

مدعوون لدعم مشروع التعديل هذا .
والانتقاد الثاني هو ان الجمعية في كل من اجتماعها السنوي ومجلتها لم تكن حساسة نحو المشاكل الخطيرة التي تقلق الشرق الاوسط في الوقت الراهن . والذين يطلقون انتقادا من هذا القبيل يؤكدون ان الجمعية في تشديدها على «المكسب العلمي» قد تجاهلت عن قصد او غير قصد مسائل واضحة الخطورة مثل نضال عرب فلسطين وغيرها من الحركات الثورية الحاضرة في المنطقة . واصحاب هذا الانتقاد يؤكدون ان الجمعية تجنبت عرب فلسطين . ونادرا ما تعالج « مجلة دراسات الشرق الاوسط » ولو باختصار المشاكل المعاصرة في الشرق العربي . وقد عرض انتقاد مماثل بشكل عرضي في اجتماع العمل خلال الاجتماع السنوي الاخير الذي عقد في مدينة كولومبوس. وقد ناقش اعضاء جمعية دراسات الشرق الاوسط والذين هم في الوقت نفسه اعضاء الجمعية الاميركية ـ العربية لخريجي الجامعات وضع الجمعية الاولى الراهن واتجاهها القادم في الاجتماعات السنوية الاخيرة بين الجمعيتين (في تشرين الاول والثاني عام ١٩٧٠) في مدينتي ايفانستون وكولومبوس . وقد اتفق المشتركون في النقاش على النقاط التالية بشكل عام :

١) يجب تعديل الجزء الثاني من المادة الخامسة للقانون الداخلي ،

٢) يجب ان تبدي الجمعية اهتماما اكثر نحو القضايا المعاصرة في الشرق الاوسط ،

٣) ويجب الا تكون العضوية في الجمعيتين منفصلة بل يجب تعزيز ذلك كما يجب زيادة البحث العلمي للجمعية الاميركية ـ العربية لخريجي الجامعات في جمعية دراسات الشرق الاوسط .

٤) وحتى تتطور الى او اذا تطورت الجمعية الاميركية العربية لخريجي الجامعات الى جمعية علمية قائمة بذاتها ولها مجلتها فانه يتوجب على هذه الجمعية وعلى دارسي الشرق الاوسط من عرب واصدقاء ان يبقوا في جمعية دراسات الشرق الاوسط وان يجهدوا لتشجيع البحث العلمي الحر والمخلص في كافة مظاهر الشرق الاوسط . وبالفعل فان عضوية الدارسين العرب في جمعية دراسات الشرق الاوسط تمنع هذه الجمعية من الخضوع لضغوط المصالح الخاصة .

٥ـ **ملحق** : لقد غطت الدراسات التي قدمت في الاجتماعات السنوية للجمعية المواضيع التالية :

* الاجتماع السنوي الاول (شيكاغو ، كانون الاول ١٩٦٧) .

اتجاهات التحديث . الاشكال المحلية للاسلام . التنظيم الاجتماعي والانماء في الاماكن القروية . علم السياسة المقارن . العلاقات الدولية . الانماء القومي . ولم تقدم اي دراسة عن فلسطين والشعب الفلسطيني او عن ايهما .

* الاجتماع السنوي الثاني (اوستن ، تشرين الثاني ١٩٦٨) .

مقارنات في المجتمع الاسلامي . الادب الشرق اوسطي الحديث كمرآة للمجتمع . التحديث والتغيير في اواخر الامبراطورية العثمانية . تنظيم الجماعة والتغيير الاجتماعي . التغير في المواقف والسلوك . التغير في تركيب الجماعات المحلية . النتائج الاجتماعية للتغير الاقتصادي . التفاعل بين العلاقات المحلية والدولية . العلاقات بين السلطة المحلية والسلطة القومية . المسائل التقليدية والمعاصرة في الفلسفة الشرق اوسطية . التعاون بين المكتبات والدارسين في جمع المصادر . دراسات في الانماء الاقتصادي التركي . الايديولوجية والتحديث . نمو وتحديد السكان . نماذج من التعاون والصراع في الاسلام التقليدي . ولم تقدم اي دراسة عن فلسطين والشعب الفلسطيني او عن ايهما .

* الاجتماع السنوي الثالث (تورنتو ، تشرين الثاني ١٩٦٩) .

الادب العربي والعربي ـ اليهودي . منهجية البحث. التحديث السياسي . التاريخ العثماني . السياسة القبلية . السياسة الثورية في الشرق الاوسط . الادب التركي ـ الفارسي . المجتمعات الفلاحية في الشرق الاوسط . الشرق الاوسط والعلاقات الدولية . التقليدية مقابل العصرية في الشرق الاوسط الحديث. المؤسسات الاسلامية في القرون الوسطى . الفلسفات الماركسية الاشتراكية في الشرق الاوسط . علم اللغة. الفلسفة الاسلامية. السياسة المحلية في الشرق الاوسط . التطور الاقتصادي . التحديث والتربية وتهيئة المجتمع سياسيا . نماذج الهجرة . ولم تقدم اي دراسة عن فلسطين والشعب الفلسطيني او عن ايهما .

* الاجتماع السنوي الرابع (كولومبوس ،

تشرين الثاني ١٩٧٠) .
تركية الحديثة . الاقتصاد . التطور السياسي : بناء الامة . عوامل التغيير السياسي . الفلسفة الاسلامية . القانون . المغرب والغرب في الفترة الاستعمارية . برامج ومشاكل تحديد السكان في الشرق الاوسط . النزاع وحله . اللغة . المجتمع العثماني . الحضارة الشعبية المصرية . آراء واخبار غربية حول الشرق الاوسط . المجموعات والشبكات الاجتماعية . العراق الحديث . الادب والشعر . التاريخ الاقتصادي العثماني . التربية . الجغرافية والتطور الاقتصادي . ست دراسات فقط من تسعين دراسة عالجت مباشرة فلسطين والشعب الفلسطيني او احدهما .
من الواضح ان اهتماما اكثر يجب ان يعطى لفلسطين ولنضال الشعب الفلسطيني من الدارسين العرب في الاجتماعات القادمة لجمعية دراسات الشرق الاوسط .

أ . ن .

مجموعة من الكتب الفنية

في الاعلام عن القضية الفلسطينية

باسلوب جديد

الجهاد مستمر (مصور ، مع نصوص بالانكليزية)

خرق اتفاقيات جنيف (مصور ، مع نصوص بالانكليزية والفرنسية والاسبانية)

داود وجوليات (كاريكاتور مع تعريف بالانكليزية)

ثمن كل كتاب عشر ليرات لبنانية

نشر مركز الابحاث ـ
منظمة التحرير الفلسطينية

ندوة الدراسات المسيحية حول القضية الفلسطينية

عقدت هذه الندوة الدراسية في مدينة الجزائر في ٥ و٦ كانون اول ١٩٧٠ ، وقد حضرها عدد كبير من المسيحيين المقيمين في الجزائر ، بدعوة من لجنة نصرة فلسطين في الجزائر التي تضم نخبة من رجال الفكر والسياسة والدين في الجزائر .

لم تكن هذه الندوة كغيرها من الندوات والمؤتمرات التي تعقد لدرس القضية الفلسطينية فاعضاء هذه الندوة لم يكونوا من المختصين في قضايا الشرق الاوسط عامة وقضية فلسطين خاصة ، بل على العكس فمعظمهم من رجالات الكنيستين الارثوذكسية والبروتستانتية المقيمين في الجزائر والمرتبطين بالقضية الفلسطينية ارتباطا عاطفيا ، اي ان كل ما يربطهم بفلسطين هو شعورهم بان ما يجري على ارض فلسطين اليوم يعنيهم بشكل او بآخر . وهكذا فلم تتصارع في هذه الندوة التيارات السياسية والفكرية ، لان القصد الاساسي منها هو شرح القضية الفلسطينية لاكبر عدد من المسيحيين المقيمين في الجزائر وحثهم على شرح ابعاد هذه القضية في مجتمعاتهم وكنائسهم . وقد عبر عن هذا السيد بول شوليه رئيس الندوة ، بقوله في الجلسة الافتتاحية ، « نعقد هذه الندوة في وقت لم تعد القضية الفلسطينية بخافية على احد ، وانما في وقت تحتاج لمزيد من الشرح والوضوح وفي وقت تحتاج به لمزيد من الدعم والصمود » .

ولكن لماذا اقتصرت هذه الندوة على المسيحيين ؟

اولا ـ ان لجنة نصرة فلسطين الداعية لهذه الندة ، انبثقت عن المؤتمر العالمي للمسيحيين من اجل فلسطين الذي عقد العام الماضي في بيروت حيث طرحت بعض الفئات والجماعات المسيحية المقيمة في الجزائر عددا من الاسئلة المتعلقة بالقضية الفلسطينية ، وجب شرحها لهم .

ثانيا ـ ان المسيحيين يحاولون دائما ربط وجود دولة اسرائيل في القرن العشرين بوجود الشعب الاسرائيلي في الكتاب المقدس . ولذلك قدمت في الندوة اكثر من دراسة حول معنى الشعب اليهودي في الكتاب المقدس وعلاقة دولة اسرائيل بشعب اسرائيل الذي ورد ذكره في العهد القديم .

ثالثا ـ ان المسيحيين في العالم ينظرون للقضية

الفلسطينية نظرة عاطفية بينما هي في الحقيقة قضية سياسية تحتاج الى التحليل العلميالدقيق ولهذا تميزت جميع الدراسات بالاسلوب العلمي ، محاولة شرح ابعاد القضية الفلسطينية بعيدا عن العاطفة والغوغائية .

كما ان المسيحيين المقيمين في الجزائر (ومعظمهم من الفرنسيين) مهتمون بالقضية الفلسطينية لسببين :

١ ـ وجودهم في الجزائر ، اي في بلد عربي كافح طويلا من اجل حق تقرير مصيره ونيل حريته واستقلاله ، اتاح لهم المجال للاطلاع على القضية الفلسطينية وفهمها كقضية شعب يحاول استعادة ارضه وتحقيق مصيره . كما ان وسائل الاعلام المتوفرة في الجزائر ليست موجودة لدى غيرهم من المسيحيين في سائر انحاء العالم .

٢ ـ ولكونهم مسيحيين يشعرون ان لهم الحق في محاربة الادعاءات الصهيونية القائمة على تفسير الكتاب المقدس بشكل مشوه لخدمة اسرائيل والصهيونية العالمية . كما انهم يشعرون ان لهم الحق في رفض اي نص ديني يبرر سياسة معاصرة قائمة على اللاعدل واللامساواة .

ولقد ظهر في هذا المؤتمر ان معظم رجال الكنيسة يهتمون بمناقشة القضايا السياسية ، وذلك ناتج عن شعورهم ان قضية شعب فلسطين قضية سياسية بحد ذاتها ، ومن اكثر القضايا السياسية تعقيدا التي تشغل بال عالمنا اليوم . كما انهم يشعرون ان التحليل السياسي لهذه القضية يقود حتما لاعتبار مشكلة الشعب الفلسطيني بمثابة مشكلة اي شعب من شعوب العالم يضطهد ويشرد من دياره . كما ظهر جليا اثناء الندوة ان الدراسات التي قدمت لم تكن حيادية ، لان الحياد ، بنظر اصحاب هذه الدراسات ، في قضية حق كقضية فلسطين ، يعني الوقوف الى جانب اسرائيل .

ولقد شملت الدراسات التي قدمت ٣ نواح هي :

١ ـ الوجود الصهيوني على أرض فلسطين .

٢ ـ حركة المقاومة الفلسطينية ، تاريخها ، وابعادها .

٣ ـ الكنيسة والقضية الفلسطينية .

ومن افضل الدراسات التي قدمت كانت تلك التي قدمها القس تيسين وموضوعها « بعض النقاط التاريخية في القضية الفلسطينية والتي عالج بها تاريخ شعب فلسطين ، مستعرضا المؤامرات التي حيكت ضد هذا الشعب ، كما انه شرح كيف حاولت الصهيونية تزوير التاريخ لصالحها ، واكد في نهاية حديثه ان التاريخ يؤكد على حق شعب فلسطين في أرضه . كما قدم السيد الاخضر الابراهيمي ، سفير الجزائر السابق لدى الجمهورية العربية المتحدة ، دراسة حول حركة المقاومة الفلسطينية ، عارضا تاريخ تطورها وابعادها ومشاكلها مع الدول العربية ، واشار الى ان الثورة الفلسطينية تواجه اليوم محاولات عدة لتصفيتها الا ان شعب فلسطين بتصميمه على استمرار الكفاح المسلح تعاونه بذلك جميع شعوب العالم سيقضي على جميع هذه المحاولات . وفي نهاية الحديث عن الثورة الفلسطينية ، قدم ممثل حركة التحرير الوطني الفلسطيني ـ فتح ـ دراسة دقيقة عن الدولة الديمقراطية في فلسطين التي تنادي بها الثورة الفلسطينية ، كحل عادل ودائم لقضية شعب فلسطين . كما شرح الاسباب التي دعت حركات المقاومة لرفض انشاء اي دولة فلسطينية اخرى لا تقوم على اعادة حق شعبهم فلسطين الكامل لارضه .

وحول الناحية الدينية من القضية الفلسطينية ، قدم المونسنيور سكوتو دراسة حول العنف واللاعنف ، ومعنى العنف في الكتاب المقدس ، كما قدم السيد كلافيري دراسة عن معنى الوجود اليهودي في الكتاب المقدس وعلاقة يهود العهد القديم باليهود المقيمين في اسرائيل اليوم .

فؤاد بوارشي

انطباعات حول اليسار الامريكي

اتيحت لي مؤخرا فرصة زيارة الولايات المتحدة الامريكية مدة شهرين حيث قمت بالقاء عدد من المحاضرات وبالمشاركة في كثير من المناقشات المتصلة بمشكلات الوطن العربي السياسية وخاصة الكفاح الفلسطيني المسلح وكل ما يتعلق به من قضايا ومسائل . وبطبيعة الحال تركزت اتصالاتي على اوساط اليسار الامريكي الجديد بأحزابه وفئاته وتشكيلاته المتعددة ، واوساط الطلبة العرب والجاليات العربية هناك . ولا شك ان هذه الجولة كانت مناسبة جيدة استفدت منها في التعرف على اوضاع التيارات اليسارية هناك وفي تحسس الاجواء الامريكية السياسية بما يتعلق بالنزاع العربي الاسرائيلي عامة ومشاريع تصفية القضية الفلسطينية على وجه التحديد .

كما هو معروف يعاني اليسار الامريكي من امراض التشتت والتبعثر والتشرذم وما يتبع ذلك من سلبيات مثل ضيق الافق والتزمت العقائدي والتعويض عن الافتقار الى تجربة نضالية واقعية بنوع من الطهرانية الايديولوجية والحرفية المتطرفة في فهم قضايا الكفاح الاشتراكي . بمقابل ذلك هناك الاتجاه المضاد نحو الانفلاش الايديولوجي والسياسي التام الى درجة الوقوع في شراك الليبرالية كما يحدث احيانا بالنسبة للاحزاب والفئات التروتسكية في امريكا . في الواقع ان الوضع السياسي الامريكي عامة وعلاقته بالتيار اليساري بالتخصيص تذكرني بما قرأته عن روسيا القيصرية في ثمانينيات القرن الماضي : شعور عام بالعجز امام الطبقة الحاكمة ومؤسساتها الجبارة ، تفشي الاجواء الفوضوية والمواقف العدمية في صفوف الفئات المعادية للنظام ، اللجوء الى الاعمال الارهابية المعزولة والاغتيالات الفردية والمخططات السرية التآمرية ، الاعتماد على اسلوب في العمل اساسه شجاعة اليأس والبطولات الفردية المعزولة . يضاف الى كل ذلك تلاشي الحركة المعادية للحرب في الفيتنام وتبعثرها ، وانحلال منظمة ال اس. د. اس (S D S) الى مجموعات حزبية وتكتلات سياسية صغيرة نسبيا لا رابط بينها بعد ان كانت ال اس. د. اس نوعا من التيار الواسع في صفوف الطلبة ضم عناصر مما هب ودب .

لذلك تبين لي ان الساحة بقيت للاحزاب اليسارية المنظمة ولعدد كبير من التنظيمات اليسارية الصغيرة الموزعة في كافة انحاء القارة الامريكية مثل :

ا) الحزب الشيوعي الامريكي وهو غير مؤيد لحركة المقاومة بسبب تبعيته للسياسة السوفياتية الداعية للحل السلمي في الشرق الاوسط .

ب) حزب العمال الاشتراكي وهو الحزب التروتسكي الرسمي (الاممية الرابعة) . يؤيد حركة المقاومة بدون تحفظ (ولكن لدى المقاومة تحفظات) كما انه اكثر الاحزاب اليسارية جماهيرية .

ج) حزب « عالم العمال » . قوته الرئيسية في نيويورك . يتبنى خط اشتراكي عريض أهم ما فيه معاداة الامبريالية ومن هنا تأييده الكامل للكفاح الفلسطيني المسلح .

د) حزب العمال التقدمي (Progressive Labor Party) تتركز قوة هذا الحزب في كاليفورنيا ولكن له فروع وتنظيمات في كافة انحاء الولايات المتحدة . يعتبر من الاحزاب الثورية القليلة التي تمكنت من كسب قاعدة لنفسها في صفوف الطبقة العاملة البيضاء . اي ان العنصر العمالي وليس العنصر الطلابي هو الذي يطغى على هذا الحزب. يؤيد الحزب حركة المقاومة عامة ولكن من موقع نقدي نابع من موقفه القائل بأن مجرد الكفاح ضد الامبريالية ليس كافيا ، وينبغي تعزيزه بطرح خط اشتراكي ثوري يضع نصب عينيه غاية رئيسية هي تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا . كما يقول بان قيادات « البورجوازية الوطنية » في العالم الثالث ، بما في ذلك الدول العربية ، قد خانت او هي في طريقها الى خيانة مسيرة الشعوب التحررية والثورية ، ولذلك يصبح تحالف القوى الماركسية اللينينية مع هذه القيادات خطأ كبيرا سيؤدي الى كارثة . يأخذ هذا الحزب موقفا عدائيا شديدا من الاتحاد السوفياتي ويعتبر السياسة السوفياتية على انها ممارسة « للامبريالية الاشتراكية » .

هـ) تجمعات ماوية صغيرة تتصف بالعزلة والجمود والحرفية . تنطلق في تحليلاتها من نصوص الكتاب الاحمر بدلا من الواقع الامريكي

الموضوعي والمعيشي . تؤيد هذه الفئات حركة المقاومة .

خلال المناقشات التي اجريتها مع هذه الاطراف اليسارية وفروعها المتعددة في امريكا وجدت ان الاسئلة والاستفسارات كانت تتركز دوما على بضع قضايا رئيسية يريد اليساريون معلومات وافية عنها وشرحا دقيقا لمحتواها ولاهميتها السياسية . هذه القضايا هي :

ا) قضية الوحدة الوطنية داخل صفوف حركة المقاومة . ب) قضية اختطاف الطائرات وموقف بقية فصائل المقاومة من هذه العمليات وامثالها. ج) انشقاق الجناح الماركسي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وتشكيل الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين . د) الدولة الفلسطينية الديمقراطية المستقبلة والحلول المقترحة للمسألة الاسرائيلية . هـ) علاقة حركة المقاومة بالانظمة العربية والقوى الثورية العربية عامة .

اما الطرف الرئيسي الاخر الذي لا بد من ان اذكره عند تسجيل انطباعاتي عن اليسار في امريكا هو بلا شك حركة « القوة السوداء » (Black Power) ومنظماتها . عبارة « القوة السوداء » هي تسمية واسعة تضم كل تيار تحرري او حركة تقدمية او تنظيم وطني في صفوف جماهير الاقلية السوداء (اي الزنوج حسب الاصطلاح القديم) .

وقد لاحظت بكل وضوح ان حركات تحرر راديكالية تنشط حاليا ضمن صفوف كل الاقليات القومية مثل : البورتوريكيون ، التشيكانوز (من اصل مكسيكي) واللاتينوز (من امريكا اللاتينية عامة) والصينيون .

يبدو لي ان من أهم المنجزات التي تم تحقيقها في العشر سنين الماضية على صعيد الاقليات القومية في امريكا هو وقف الاقتتال الدامي فيما بينها . اي الاقتتال الذي كان يأخذ شكل صراع عنيف وقاتل بين « عصابات الشوارع » (Street Gangs) المكونة على اسس «قومية» او عنصرية مثل اقتتال عصابة من البورتوريكيين ضد عصابة اخرى من السود للسيطرة على حي معين او شارع معين او على جزء من « الجيتو » . ويعتبر فيلم قصة الحي الغربي (West Side Story) تسجيلا امينا وجيدا لهذا النوع من حروب الشوارع في مدينة نيويورك . ولكن، كما اتضح لي بسرعة ، مع نمو الوعي الوطني لدى هذه الاقليات واحساسها بالاضطهاد المشترك الذي تتعرض له على يد الطبقات الحاكمة ، ومع تزايد وعيها لمصالحها المشتركة عبر تعاطفها مع نضال شعوب « العالم الثالث » ضد الامبريالية. توقفت ظاهرة عصابات الشوارع تماما على ما يبدو ، وحلت محلها علاقات تضامن وتعاضد بين الاقليات وخاصة على مستوى الشرائح الاجتماعية الاكثر تقدما في وعيها السياسي والاجتماعي

ومما لفت انتباهي بهذا الصدد هو ان التنظيمات الطليعية في صفوف الاقليات القومية قد بدأت تتخطى مرحلة التفكير القومي المحض ، مع ما يستتبع ذلك من عنصرية سوداء مضادة للعنصرية البيضاء ، باتجاه آفاق الفكر الاشتراكي الثوري اي اخذ يتضح لهذه التنظيمات ان حل مشكلة الاقليات القومية في امريكا لا يمكن ان يأتي عبر تدمير النظام الرأسمالي نفسه بواسطة الكفاح من اجل الثورة الاشتراكية .

ووجدت ايضا ان كافة تنظيمات القوة السوداء وشبيهاتها لدى الاقليات الاخرى تؤيد حركة المقاومة تأييدا مطلقا . غير انها تعاني جميعها من نقص عام في المعلومات عنها وعن فصائلها . بطبيعة الحال لا يمكنني مس موضوع القوة السوداء بدون تسجيل بعض الانطباعات عن حزب الفهود السود المشهور .

انه تنظيم سياسي وطني « متطرف » بدأ ينهل على الفكر الماركسي اللينيني مجددا وبدأ يتبلور ولكن بطريقة مشوهة الى حد ما بسبب نشأته وتكوينه الذاتي والاجتماعي والفكري . ضمن حدود معرفتي ليس للحزب اية قواعد عمالية تذكر ، كما ان مصدر قوته الاساسية هو البروليتاريا الرثة السوداء الموجودة دوما بكثرة داخل « الجيتو » الاسود وعلى اطرافه . والحزب يعترف بذلك صراحة ويجعل منه فضيلة ثورية كبيرة . يميل التنظيم في ممارساته استخدام العنف الفردي والمواجهة البطولية الانتحارية مع ادوات القمع (البوليس بالتخصيص) . كما يستفيد الى اقصى حد من الضجيج الاعلامي الكبير الذي تولده هذه الافعال على صعيد امريكا كلها . كذلك يستمد من الشحنة العاطفية التي تتولد عند الجماهير

السوداء نتيجة لهذه البطولات . لذلك نجد الفهود السود يصرفون جزءا كبيرا من وقتهم واموالهم في المحاكم وفي هموم القضايا العالقة امام القضاء ، ولا شك انهم كافراد يقفون مواقف بطولية شجاعة ومفعمة بالتحدي ضد قمع السلطة ومحاكمها ، ولكن بغياب اية استراتيجية بعيدة المدى وطويلة النفس يعتمدها الحزب الثوري لا يمكن لهذه الممارسات البطولية ان تعطي ثمارها الحقيقية .

من الامور التي اتضحت لي بسرعة هناك كون اسرائيل اصبحت في عزلة شبه تامة في اوساط اليسار الثوري الامريكي وفي اوساط « القوة السوداء » والتنظيمات التقدمية للاقليات القومية كلها . بعد ثلاث سنوات من حرب حزيران ١٩٦٧ لم يعد بالامكان تمويه الطبيعة الاستعمارية التوسعية لدولة اسرائيل وارتباطها بالامبريالية الامريكية التي يناضل اليسار الامريكي الثوري ضدها وضد كل امتداداتها . يضاف الى ذلك ان عزلة اسرائيل قد ترجمت نفسها على صعيد المواقف الايجابية الى تأييد ودعم للمقاومة المسلحة كحركة تحرير تقاتل ضد قوى الاستغلال والقهر في منطقتنا .

كان لهذا التبدل اثره النوعي على الاجواء السياسية السائدة بين الطلبة والشباب وفي الاوساط الراديكالية عامة ، حتى ان الدوائر الطلابية الليبرالية اصبحت تجد نفسها في موقف المحرج عندما تدافع عن دولة اسرائيل وسياستها ، اذ انها لم تعد قادرة على الدفاع عن اسرائيل على الطريقة القديمة مما أخذ يدفعها اكثر فاكثر باتجاه تبني المنطق التبريري التوفيقي التلفيقي الفج والمفضوح . من جهة اخرى احست اسرائيل بهذه العزلة وحاولت اعادة الاعتبار لنفسها داخل اوساط كانت تعتبرها مؤيدة لها في السابق . لذلك قامت بارسال سلسلة من الشخصيات المعروفة التي لا تعتبر محسوبة كليا على المؤسسة الحاكمة كي تقوم بجولات على الجامعات في امريكا لمخاطبة الاوساط الطلابية والليبرالية والراديكالية بهدف شرح الموقف الاسرائيلي من جديد واعادة الاعتبار للصورة التقليدية المعروفة عن اسرائيل كدولة متقدمة وتقدمية لا تبغي شيئا سوى السلام في المنطقة . وارتبطت هذه الحملة في الفترة الاخيرة بفكرة « الدولة الفلسطينية » او « الكيان الفلسطيني المستقل » التي يجري الترويج لها بصورة مكثفة في الولايات المتحدة في كافة الاوساط بما فيها الاوساط الطلابية واوساط الجاليات العربية .

أثناء وجودي في امريكا بدأ تيار يتبلور في اوساط القيادات الثورية الاكثر وعيا يقول بان المنطقة المرشحة للتدخل الامريكي العسكري المباشر في المستقبل القريب هي الشرق الاوسط وقد تعزز هذا الاتجاه بعد اعلان نيكسون عزمه على التدخل العسكري اثناء المجزرة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني في ايلول الماضي . لذلك بدأت بعض الجهود تبذل في اوساط اليسار الامريكي للانطلاق في تنظيم حملة واسعة هدفها تحضير اجواء شعبية وجماهيرية منذ الان ضد اي تدخل خارجي امريكي عامة وضد اي تدخل امريكي في الشرق الاوسط على وجه التحديد . ويمكن ان توظف كافة الخبرات المكتسبة سابقا في تعبئة المقاومة الشعبية ضد التدخل في الفيتنام وكامبوديا لصالح النضال ضد التدخل الامريكي المتوقع في منطقتنا . ويبدو لي واضحا ان تقديم كل جهد من الجانب العربي للدفع بهذا الخط وانجاحه هو واجب حيوي .

ص. ج. ع.

أوسع قائمة ببليوغرافية
عن فلسطين
٦٠٠٠ كتاب وكتيب ونشرة
باللغات الاجنبية

اعداد مكتبة مركز الابحاث
في منظمة التحرير الفلسطينية

طباعة ستانسل

عدد محدود جدا من النسخ ٢٠٠ ل.ل.

المؤتمر التاسع لكونفدرالية الطلاب الفلسطينيين في المانيا والنمسا

استهل المؤتمر ، الذي عقد بين الرابع والسادس من يناير ١٩٧٠ ، اعماله في اليوم الاول بانتخاب رئاسة المؤتمر ، ثم تلت سكرتيرية التنسيق تقريرها الادبي الذي استعرضت فيه اعمالها خلال السنة المنصرمة ، بالاضافة الى نشاطات الفروع المختلفة ، وقد تميز التقرير بممارسة نقد ذاتي جريء حيث كشفت السكرتيرية عن النواقص التي اعتبرت نشاطاتها ، وكان على راس ذلك النقد ان العمل لم يكن يتم بصورة مترجمة وبموجب دراسة مسبقة وخطة . وقد توجهت ايضا بالتقييم لمختلف الفروع الاخرى مظهرة الجوانب الايجابية والسلبية . وبعد مناقشة التقرير الادبي لسكرتيرية التنسيق عقدت جلسة سرية نوقش فيها التقرير المالي . وفي اليوم الثاني بدات الفروع بتقديم تقاريرها وقد مارست اكثر الفروع النقد الذاتي . وقد نوقشت تلك التقارير ، ثم شكلت لجان للتحضير لقرارات المؤتمر . وهذه اللجان هي : اللجنة السياسية ، ولجنة المالية والعلاقات الداخلية ، ولجنة الاعلام والعلاقات الخارجية . وفي اليوم الثالث عند الساعة الحادية عشرة كانت اللجان قد انتهت من كتابة توصياتها ، وابتدأ المؤتمر بمناقشة تلك التوصيات ، واتخذ القرارات المختلفة .

صدرت القرارات السياسية بخمس صفحات من القطع الكبير وقد تناولت المواضيع التالية :

أ ـ تقييم المرحلة التي مرت بها الثورة الفلسطينية مع تحليل للظروف الراهنة وقد ابرزت القرارات الجوانب الايجابية كما عددت مجموعة من السلبيات ارفقتها بمطالبة اللجنة المركزية لحركة المقاومة بتلافيها ، بعضها يمس الوحدة الوطنية وضرورة ترسيخها ، وبعضها يمس عمل الثورة وضرورة الابتعاد عن المكاتب والشكليات والعودة الى صفوف الجماهير . وبعضها يمس علاقة الثورة بالدول العربية ، وخاصة ، بعد احداث ايلول في الاردن .

ب ـ قرارات تخص علاقة الثورة الفلسطينية بالثورة العربية وضرورة تنميتها وتطويرها وزيادة الالتحام بين الثورة الفلسطينية وبين الثورة العربية والجماهير العربية .

ج ـ حيث القرارات الصين الشعبية وموقفها المؤيد للثورة الفلسطينية كما طالبت من الاتحاد السوفياتي ان يعيد النظر في موقفه من قضية فلسطين واتخاذ موقف ثوري من هذه القضية العادلة .

د ـ اعلن المؤتمر تأييده لفياتنام وحركات التحرر الوطني في انغولا وموزمبيق وروديسيا وجنوب افريقيا وثورة اريتريا . وتأييد كفاح الثورة في الخليج العربي .

هـ ـ ايدت القرارات كفاح الشعوب العربية في المغرب وتونس كما ايدت كفاح شعوب ايران واليونان وتركيا واندونيسيا واسبانيا وامريكا اللاتينية وحركة الفهود السود في الولايات المتحدة ضد الانظمة الفاشية .

و ـ استنكر المؤتمر موقف حكومتي المانيا الغربية والنمسا المؤيد والدائم «لاسرائيل».

م٠ ش٠

« افضل دراسة في المسالة الفلسطينية في لبنان ١٩٦٨ »

اسرائيل الكبرى

دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني

للدكتور اسعد رزوق

صدر بالعربية وبالانكليزية

نشر :

مركز الابحاث ـ منظمة التحرير الفلسطينية

السعر

عشر ليرات لبنانية

حول الدورة الخامسة والعشرين للجمعية العامة للامم المتحدة

احتفلت الامم المتحدة عام ١٩٧٠ بعيدها الفضي وذلك بمرور خمسة وعشرين عاما على انشائها . واذ يتيح الاحتفال عامة وفي مختلف المجالات فرصة لتقييم احداث سابقة ، واخراجا لحدث هام ، ورد اعتبار لاخطاء ماضية ، فقد اتاح الاحتفال بالدورة الخامسة والعشرين للجمعية العامة فرصة للامم المتحدة لولوج هذا السبيل كما انعكس في البيانات التحليلية والتقييمية التي القاها رؤساء الدول والحكومات ووزراء الخارجية ، وفي القرارات التاريخية الخاصة بحق تقرير المصير وانهاء الاستعمار ، وباحترام القانون الدولي العام ، وبالامن الدولي، باستثمار قاع البحار . وتحققت هذه الفرصة في جوانبها الثلاثة وبالذات في جانبيها الاخرين بالنسبة للقضية الفلسطينية في تلك الدورة . فقد تناولت البيانات الملقاة القضية الفلسطينية في جوهرها وتطوراتها الاخيرة ، وصدرت قرارات هامة بشأنها ، واعادت الاعتبار الى نفسها وذلك في تأكيدها لحق الشعب الفلسطيني وتقرير مصيره بعد ان اخطأت عام ١٩٤٧ في انكارها له الحق عندما وافقت على قرار التقسيم .

ولن تتناول هذه الدراسة الجانب الاول وهو البيانات الملقاة من الوفود بسبب ضيق الصفحات المخصصة للدراسة وبسبب عمومية تلك البيانات ، وانما ستقصر على الجانبين الاخيرين وهما الاخراج ورد الاعتبار . واذ تبلور الجانبان في قرارات متخذة فستتناول الدراسة هذه القرارات الثلاثة الاولى المتبينة ادناه في اسباب وظروف تقديمها ، وكيفية التصويت عليها ، ومعانيها، وآثارها المترتبة . ولن تتناول القرارات الاخرى املا في بيانها بدراسة مفصلة اخرى .

وفيما يلي تعداد لهذه القرارات : اولا : القرار المتخذ ضمن بند الوضع في الشرق الاوسط . ثانيا : قرار حقوق الشعب الفلسطيني . ثالثا : القرار المتضمن التنديد بمن يمنع ممارسة حق تقرير المصير في فلسطين . رابعا : القرار العام . خامسا : قرار عودة اللاجئين الجدد . سادسا : قرار تمويل اللاجئين الجدد . سابعا : قرار تشكيل لجنة للنظر في تمويل الوكالة . ثامنا : القرار الخاص باللجنة الثلاثية للتحقيق في انتهاكات اسرائيل لحقوق الانسان في الاراضي العربية المحتلة .

اولا : القرار المتخذ ضمن بند الوضع في الشرق الاوسط

كما يذكر فقد ادرج بند « الوضع في الشرق الاوسط » في جدول اعمال الجمعية العامة للامم المتحدة في صيف ١٩٦٧ بناء على طلب حكومة الاتحاد السوفيتي اثر فشل مجلس الامن في اتخاذ قرار ايجابي بشأن العدوان الاسرائيلي على الدول العربية الثلاث . وانعقدت الجمعية العامة حينذاك في دورة طارئة لبحث البند . وباستثناء القرارات المتخذة بشأن القدس وعودة اللاجئين الجدد ، فقد فشلت الجمعية العامة هي الاخرى في اتخاذ قرار جوهري بشأن العدوان وانسحاب القوات الاسرائيلية . ويعود هذا الفشل ، كما هو الحال في مجلس الامن ، الى موقف الولايات المتحدة والدول الاخرى ذات التبعية لها التي ساندت اسرائيل وعارضت وجهة النظر العربية . ونتيجة للفشل في تلك الدورة الطارئة اتجه الرأي العربي الى عدم اغلاق باب مناقشة البند وترقب فرصة مؤاتية لبحثه مرة اخرى املا في نجاح مقبل خلافا لفشل حال . وترتب على ذلك احالة البند الى الدورة الاعتيادية الثانية والعشرين للجمعية العامة التي كانت ستعقد خلال شهر سبتمبر ١٩٦٧ . وتضمنت الاحالة التوصية بان تعطى الاسبقية للبند في البحث . ومنذ بداية تلك الدورة تركز الجهد العربي على مجلس الامن املا في اتخاذ قرار فيه ، واستبقى في نفس الوقت بند « ازمة الشرق الاوسط » معلقا في الجمعية العامة ، رغم اعطائه الاسبقية ، مع التلويح والتلميح صراحة وضمنا على تحريكه ومناقشته اذا فشل مجلس الامن في الوصول الى قرار . وفي ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ اتخذ مجلس الامن قراره الشهير (القرار رقم ٢٤٢) الذي نتج عنه تعيين السفير يارنغ ممثلا للسكرتير العام لمساعدة الاطراف المعنية في الوصول الى حل نهائي للمشكلة القائمة بينهم . ومنذ اتخاذ ذلك القرار بقي البند على جدول اعمال الجمعية العامة يحال من دورة الى اخرى ، وبتوصية اعطائه الاسبقية . ولم يبحث البند في اي من تلك الدورات رغم الاحالة الاسبقية لاجل اعطاء

فرصة للسفير يارنغ للقيام بمهمته .
وقبل وعند انعقاد الدورة الخامسة والعشرين في سبتمبر ١٩٧٠ وردت معطيات واعتبارات حفزت حكومة الجمهورية العربية المتحدة على اعادة تقييم موقفها من تعليق البند . وكانت نتيجة التقييم العزم على تحريك ومناقشة البند في الجمعية العامة ثم الخروج بقرار يؤيد موقفها في عدد من الجوانب . واستهدفت المتحدة من ذلك ايجاد ضوابط او ايجابيات مقابل السلبيات التي حكمت الظروف السابقة للتحريك والمناقشة .
كان اول السلبيات مرور ما يزيد على ثلاثة اعوام على الاحتلال الاسرائيلي وما رافق ذلك من اعمال واقوال تؤكد عزم اسرائيل على ضم بعض المناطق المحتلة او جميعها . واستهدفت المناقشة ايجابية في تبيان وايضاح مواقف صريحة وعلنية من مختلف الدول في التأكيد على مبدأ عدم جواز ضم منطقة تابعة لدولة ما من قبل دولة اخرى عن طريق القوة ، ومعنى هذا انكار ومعارضة دولية وعامة لموقف اسرائيل من ضم الاراضي العربية المحتلة . ونجحت المتحدة في تحقيق هذه الايجابية كما تجلى من بيانات الوفود التي شاركت في المناقشة ومن القرار الذي تمت الموافقة عليه ، ورغم اعتراض البعض على تسمية ذلك بالنجاح او المحاولة في تقليل قيمة النجاح نظرا لان ما جاء في البيانات والقرارات لم يكن بالامر الجديد اذ سبق ورود مثيل ذلك من مختلف الدول في مناقشات الجمعية العامة في دورتها الخامسة الطارئة عام ١٩٦٧ وفي القرار ٢٤٢ ، فان تسمية النجاح صحيحة وحقيقية اذ اقتضت المرحلة الزمنية تجديدا عالميا في تأكيد عدم جواز الضم من الدول فرادى وجماعيا في اطار المنظمة الدولية.
وكان ثاني السلبيات انسحاب اسرائيل من المحادثات مع يارنغ . واستهدفت المتحدة ايجابية في ايجاد ضغط على اسرائيل في العودة الى المباحثات . ونجحت المتحدة في تحقيق هذه الايجابية اذ تضمنت بيانات الدعوة والقرار دعوة جميع الاطراف ، والمقصود هنا اسرائيل ، الى مناورة الاتصال مع يارنغ . وبطبيعة الحال فان وصف النجاح هنا يقتصر على المتحدة والاردن وعلى الغير من الحكومات العربية التي وافقت صراحة او ضمنا على القرار ٢٤٢ وعلى مبادرة روجرز ، ولا ينطبق أمره على الحكومات العربية والمقاومة الفلسطينية التي رفضت كليهما وما انبثق عنهما من اجراءات المباحثات .
وكان ثالث السلبيات الضجة الاعلامية الكبرى التي اثارتها اسرائيل والولايات المتحدة في اتهام حكومة المتحدة بخرقها اتفاقية وقف اطلاق النار وبعدم احترام تعهداتها باقامة قواعد صاروخية جديدة على امتداد الضفة الغربية من قناة السويس. وفي ضجة التشهير ارادت كل من الدولتين ، الى جانب التشكيك في المتحدة تبرير انسحاب اسرائيل من المحادثات مع يارنغ واستهدفت المتحدة ايجابية في دحض تلك المزاعم ، وفي التأكيد على حقها ، في تفديد اجهزة دفاعها ، وفي كشف قيام اسرائيل بتفل وتدعيم اجهزتها العسكرية على امتداد الضف الشرقية من القنال وفي تستر الولايات المتح على هذا الخرق ، وفي قيام الحكومة الاميريكي نفسها بخرق تعهداتها في اطار مبادرة روج وفي اطار تعهداتها للمتحدة نفسها وذل بتزويدها لاسرائيل باسلحة ومعدات هجومي جديدة . ونجحت المتحدة في تحقيق ه الايجابية اذ تضمنت بياناتها المدعمة ببيان المندوبين العرب الاخرين توضيحا كافيا له الحقائق ، وتبيانا لهذه الامور . وانعكس ا ذلك في بيانات العديدين من الوفود وسواء ف تأييدها للمتحدة في موقفها او في كشفه لجانب من تلك الامور والحقائق .
وكان رابع السلبيات مشارفة فترة الثلاثة ش لوقف اطلاق النار على الانتهاء . وكما يذكر اشترطت مبادرة روجرز على وقف اطلاق الن لمدة ثلاثة شهور . وكان امام المتحدة تجاه ه الحالة ثلاثة خيارات : اولها معاودة اطلاق الن وثانيها تمديد اختياري لوقف اطلاق النا ثالثها تمديد لوقف اطلاق النار استجابة لطل دولي بهذا . ولاعتبارات واضحة ، عسكري وسياسية، لم ترغب المتحدة في اللجوء الى اح الخيارين الاول والثاني . واستهدفت المتح ايجابية في حفز الجمعية العامة على تبن الخيار الثالث . ونجحت في هذا اذ تضمن ق الجمعية العامة دعوة الاطراف المعنية الى تم

وقف اطلاق النار لمدة ثلاثة شهور اخرى ،
وكان خامس السلبيات موقف اسرائيل من القرار ٢٤٢ الذي اتسم بقبول متحفظ منها له او باعتباره اطارا لمبادىء معينة هي قاعدة لمفاوضات تحدد شروط ومعطيات التسوية السلمية للقضية . واستهدفت المتحدة ايجابية في تأكيد الزامية القرار ٢٤٢ وبانه اطار التسوية المنشودة ، وبان المنظمة الدولية تؤكد مجددا ضرورة تطبيقه . ونجحت المتحدة في تحقيق هذا الهدف اذ تضمنت بيانات العديد من الوفود وكذلك القرار هذه النقاط الثلاث . والنجاح هنا مقتصر على المتحدة والاردن بصورة رئيسية ، وعلى الدول العربية الخمس ، التي صوتت الى جانب القرار ، بصورة رئيسية وبنسب متفاوته تحددها الحوافز التي دفعت بها الى التصويت ، ولا ينطبق وصف النجاح على الدول العربية السبع التي لم تشارك في عملية التصويت . كما لا ينطبق وصف النجاح من باب اولي على المقاومة الفلسطينية التي ترفض القرار ٢٤٢ وكل ما ينبثق عنه . ويرد هنا في توزيع وصف النجاح او عدمه على الدول العربية تساؤل اساسي وهو هل يساوي النجاح الذي تحقق لجانب من الدول العربية اضطرار جانب اخر من الدول العربية الى اتخاذ موقف عدم التأييد للجانب الاخر ؟ او بالاحرى هل يساوي النجاح التصدع الذي حدث للمجموعة العربية والذي اتضح امره للجميع في الامم المتحدة ؟ واذ تختلف الاجابات على هذا التساؤل انعكاسا لاختلاف اسس التقييم وبواعث الذين يقومون بعملية التقييم ، يفضل التجاوز هنا على مناقشة التساؤل . وتفسير الدول العربية السبع التي لم تشارك في التصويت يلقي اضواء تكشف عن الاجابة .
ففيما يتعلق بتقديم القرار كان مخطط المتحدة ان يتم وضعه وتقديمه من دول المجموعتين الافرواسيوية . وفعلا فقد عرض الموضوع بادىء ذي بدء على المجموعة الافريقية التي انتخبت لجنة فرعية لوضع صيغة مشروع القرار . وبعد اجتماعات متوالية تم الاتفاق على صيغة معينة للقرار . واثر ذلك عرضت صيغة مشروع القرار على المجموعة الاسيوية . وتبنى المشروع عدد من دول تلك المجموعتين . واثر تقديم مشروع القرار الى الجمعية العامة وقبيل التصويت عليه اقترح انرفد الافرنسي بضع تعديلات عليه غرضها جعله اكثر قربا من القرار ٢٤٢ وبهذا استبعاد او تقليل الصعوبة التي واجهتها بعض الدول وبالذات الغربية منه . وقبلت المتحدة التعديلات .
وكما ذكر اعلاه فقد جابه مشروع القرار، وبالذات ما تضمنه من اشارة الى القرار ٢٤٢ ، بعض الدول العربية بصعوبات كبيرة . فقد تبين لدى وفود تلك الدول الموقف الحرج الذي وجدوا انفسهم به اذ لو رفضوا مشروع القرار لانطوى رفضهم على معارضة موقف دولة عربية شقيقة ، ولو قبلوه لتناقض ذلك مع سياسة حكوماتهم وتعليماتها تجاه القرار ٢٤٢ . وحدثت لقاءات واجتماعات بين وفود تلك الدول المتحفظة لتنسيق موقفها مستهدفين بذلك غايات ثلاث هي : ١) استبعاد خذلان مشروع القرار وعدم السعي ضده او لاسقاطه احتراما وتجاوبا مع رغبة المتحدة في انجاحه . ٢) الحفاظ على وحدة المجموعة العربية وعدم ظهورها بمظهر المختلف في صعيد الامم المتحدة . ٣) الالتزام بمواقف حكوماتها الرافضة لقرار مجلس الامن . وما زاد في صعوبة موقف تلك الدول وبالذات فيما يتعلق بالغاية الاولى هو ادراكها ويقينها ، كما دلت على ذلك مختلف الشواهد ، بان الولايات المتحدة واسرائيل تجهدان لاحباط كل ما تسعى المتحدة لتحقيقه من غايات . بل لقد ذهبت الولايات المتحدة الى حد الضغط على مختلف الدول لكي لا تشترك في المناقشة العامة . كما قامت الولايات المتحدة وتساندها في ذلك اسرائيل بالضغط على المجموعة اللاتينية لتقديم مشروع قرار مضاد اسوة بما فعلته في الدورة الطارئة عام ١٩٦٧ . وفعلا قامت المجموعة اللاتينية بتقديم مشروع قرار يتجاوب في محتواه مع وجهة النظر الامريكية والاسرائيلية . ورات تلك الوفود السبعة (وهي الجزائر وسوريا والعراق والكويت والمملكة العربية السعودية واليمن واليمن الجنوبية) ان تحقيق تلك الغايات يستوجب منها عدم المشاركة في التصويت على القرار وتكليف مندوب دولة عنها لكي يتقدم بالنيابة عنها ببيان مفسر لعدم المشاركة في التصويت وكلفت بهذا مندوب دولة

الكويت (الدكتور فايز صايغ) بالقاء البيان . وبتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٧٠ وهو يوم التصويت القى السيد مندوب دولة الكويت البيان التالي والذي انقله حرفيا لاهميته : « بالنيابة عن وفد الكويت ، وبناء على طلب وفود الجزائر والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن الجنوبية وسوريا واليمن اود ان اتلو البيان الاتي نصه : لقد عز علينا نحن وفود الجزائر والعراق والكويت والمملكة العربية السعودية واليمن الجنوبية وسوريا واليمن ـ ان نقر عدم الاشتراك في التصويت على مشروع القرار . ففي حين تجعل بعض صفات مشروع القرار هذا تصويتنا ضده امرا لا يمكن التفكير فيه ، فان احكاما اخرى فيه تجعل تصويتنا بتأييده امرا غير ممكن . لقد شعرنا دائما ، وما زلنا نشعر ، باننا نرتبط بالوفود التي اشتركت في تقديم مشروع القرار هذا بروابط الصداقة وتقاليد التعاون المتبادل ، وهي روابط متعددة الجوانب عادت علينا جميعا بالخير العميم . وفيما يتعلق بجوهر مشروع القرار نفسه ، فاننا ما فتئنا نؤيد هنا في الامم المتحدة بكل قلوبنا ودون اي تحفظ كما تناصر كل من حكوماتنا بجميع الوسائل التي تملكها ـ ما يوده مشروع القرار من المطالبة بانسحاب اسرائيل انسحابا كاملا من جميع الاراضي العربية المحتلة منذ يونيو ١٩٦٧ . اذ ان الروابط الاخوية بين البلدان العربية ، فضلا عن ولائها المشترك لمبادىء الميثاق ، تجعل من هذا الهدف حجر الزاوية في سياسات حكوماتنا ، ومحور مساعينا في الامم المتحدة . بيد ان هناك عوامل اخرى تجعل من المستحيل علينا ان نفكر بمنح تأييدنا لمشروع القرار في مجموعه ، وتلك العوامل هي الاتي بيانها : اولا : ان المشكلة الفلسطينية هي الاساس لما يسمى « الحالة في الشرق الاوسط » وجوهرها . ومع ذلك، فان مشروع القرار لا يشير الى تلك المشكلة الا اشارة عابرة . ثانيا : ان الفقرة الوحيدة التي يشير فيها مشروع القرار الى المشكلة الفلسطينية (في صيغتها المعدلة كما وردت في النص المنقح لمشروع القرار) تنطوي على تراجع حيث انها تقتصر على النص على « اعادة تأكيد الحقوق الثابتة لشعب فلسطين » ، وهو ما اعلنته الجمعية العامة بصورة رسمية في قرارها رقم ٢٥٣٥ ب (الدورة ٢٤) الصادر بتاريخ ١٠ ديسمبر ١٩٦٩ . ثالثا : نأسف كل الاسف لان الشعب الفلسطيني الذي يرجع عهد اعتراف المجتمع الدولي باستقلاله الى نصف قرن مضى كان غائبا اثناء المناقشة الحالية حول « الحالة في الشرق الاوسط » ، وبذلك فقد حرم من فرصة الاشتراك في مداولات الجمعية العامة في هذه المسألة . ورغم ان الكثير من الوفود يستطيع تأييد قضية الشعب الفلسطيني ، بل ويؤيدها بالفعل ، فليس ثمة من يملك سلطة التحدث باسم هذا الشعب غير ممثليه . رابعا : ان كلا من حكوماتنا لا يمكنها ان تقبل ، وهي لا تقبل ، اي حل لمشكلة فلسطين يرفضه الشعب الفلسطيني نفسه . ولقد تلقينا رسميا ما يشعرنا بان قيادة الشعب الفلسطيني ترفض مشروع القرار موضوع البحث . خامسا : ان اسرائيل تتألف الاغلبية الساحقة لسكانها من مستوطنين دخلاء اجانب ، جردوا سكان فلسطين الاصليين من ارضهم وممتلكاتهم ، او اخضعوها لسلطاتهم بعد ان احتلوا وطنهم واغتصبوه . وعلى ذلك فان القول ، على غرار ما يعلقه مشروع القرار ، بأن الاعتراف بما تدعيه اسرائيل لنفسها من خصائص الدولة ومقوماتها وحقوقها هو شرط لازم لتحقيق سلام عادل ، ان هذا القول انما هو بمثابة القول بان اضفاء الشرعية على ظلم هو شرط لازم لتحقيق العدالة والسلام . ونحن نرفض هذه النظرية كما نرفض المبدأ الذي تقوم عليه . سادسا : ان كل حكومة من حكوماتنا قد رفضت رفضا قاطعا ولا تزال ترفض قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، وهو القرار الذي بني على اساسه مشروع القرار » .

وعند اجراء التصويت نجح القرار باغلبية ٥٧ صوتا ضد ١٦ صوتا وامتناع ٣٩ عن التصويت وتغيبت ٧ دول عن الاجتماع كما اعلنت ٧ دول (وهي الدول العربية السبع) عن عدم مشاركتها في التصويت . ثم طرح مشروع القرار اللاتيني ففشل باغلبية ٤٩ صوتا ضد ٤٥ صوتا ، وامتنعت ٢٧ دولة عن التصويت .

ثانيا : قرار حقوق الشعب الفلسطيني

سبق للجمعية العامة في دورتها الرابعة والعشرين المنعقدة عام ١٩٦٩ ان اتخذت قرارا

تضمن فقرة تنفيذية تنص على « اعادة تأكيد الحقوق الثابتة لشعب فلسطين » . واعتبر القرار حينذاك نصرا تاريخيا للقضية الفلسطينية اذ تقوم الجمعية العامة لاول مرة بالاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني . وانطلاقا من ذلك القرار كان على الحكومات العربية مسؤولية محاولة تصعيد القرار في هذه الدورة الخامسة والعشرين او تأكيده مرة اخرى . ولاجل هذا جرت مناقشات ومداولات خلال الصيف الماضي على مستوى المجموعة العربية في الامم المتحدة وعلى مستوى بعض العواصم العربية بخصوص هذا الامر . وكان امامها اقتراح معين وهو ادراج قضية فلسطين كبند مستقل في جدول اعمال الجمعية العامة كوسيلة لذلك التصعيد وكانسجام طبيعي مع القرار المتخذ حول حقوق شعب فلسطين . ولاسباب معلوم بعضها ومجهول بعضها الاخر ، ولا حاجة لمناقشتها هنا ، لم يتم ادراج البند . ورغم عدم الادراج فقد بقي امر التصعيد او التأكيد قائما ، اذ يمكن تحقيق اي منهما ضمن بند تقرير المفوض العام لوكالة اغاثة اللاجئين الفلسطينيين كما تحقق الاصل ضمن نفس البند ايضا .

وما اكد ضرورة التصعيد او التأكيد ما ورد في الفقرة التنفيذية الثالثة للقرار المتخذ ضمن بند « الوضع في الشرق الاوسط » من اشارة لحقوق الفلسطينيين تنطوي على تراجع ، حيث انها تقصر عن النص على اعادة تأكيد الحقوق الثابتة لشعب فلسطين « وهو ما اعلنته الجمعية العامة بصورة رسمية في قرارها رقم ٢٥٣٥ ب (الدورة ٢٤) الصادر بتاريخ ١٠ ديسمبر ١٩٦٩ » ، وهو ما قررته الدول السبع في بيانها الذي فسر عدم مشاركتها في التصويت . وبناء على هذا جرت مداولات ومشاورات بين اعضاء المجموعة العربية في مرحلة اولى ، وبين لجنة منتخبة من المجموعة العربية وبعض وفود الدول الصديقة من جهة اخرى ، لوضع صيغة مشروع قرار تتضمن التصعيد وبشرط تأمين موافقة الجمعية العامة عليها . وكانت نتيجة المداولات والمشاورات الاتفاق على صيغة نهائية تضمنت فقرتين تنفيذيتين هما : ١. « تعترف بان لشعب فلسطين الحق في الحقوق المتساوية وتقرير المصير» طبقا لميثاق الامم المتحدة ٢. « تصرح بأن الاحترام الكامل للحقوق الثابتة لشعب فلسطين هو عنصر لا يستغنى عنه في اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط » .

ويتضح من قراءة الفقرتين ان التصعيد قد تحقق في كليهما اذ تضمنت الفقرة الاولى عاملا جديدا وهو النص على حق تقرير المصير بينما قرار العام الماضي تضمن نصا عاما وهو الحقوق الثابتة . كما ان في الفقرة الثانية تصعيدا اذ اعتبر احترام حقوق شعب فلسطين العنصر الرئيسي في اية تسوية مقبلة للقضية . كما ان تصحيح ما سمي اعلاه « بالتراجع » قد تم في الفقرة الثانية اذ انسجمت وتوافقت كليا مع قرار العام الماضي .

وتبنى مشروع القرار ثماني دول هي افغانستان وغينيا واندونيسيا وماليزيا وموريتانيا وباكستان والصومال ومالي . وعند التصويت عليه في اللجنة السياسية الخاصة نجح باغلبية ٤٦ صوتا ضد ١٩ صوتا وامتنعت ٣٧ دولة عن التصويت ، وتغيبت ٢٥ دولة عن جلسة التصويت .

ورغم النجاح الذي تم في اللجنة السياسية الخاصة فقد ادركت المجموعة ان خطرا يحيق بمشروع القرار عند التصويت عليه في الجمعية العامة اذ تطلب النجاح اكثرية الثلثين بدلا من الاكثرية النسبية . كما ادركت ان اسرائيل والولايات المتحدة تسعيان معا وبصورة حثيثة مع مختلف الوفود لاجل تغيير اصوات بصورة تؤدي الى فشل مشروع القرار جوهرا واجراء . بل ذهبت الولايات المتحدة الى حد دفع وفد الدومنيكان الى تقديم مشروع قرار اجرائي يدعو الى ان نجاح المشروع يتم باكثرية الثلثين . ورغم جميع تلك المناورات فقد نجحت المجموعة العربية في الصعيدين الاجرائي والجوهري في هزيمة المناورات الامريكية الاسرائيلية وفي انجاح مشروع القرار باغلبية ٤٧ صوتا ضد ٢٢ صوتا وامتناع ٥٠ دولة عن التصويت .

ثالثا : القرار المتضمن التنديد بمن يمنع ممارسة حق تقرير المصير في فلسطين

اقرت اللجنة الثالثة (اللجنة الاجتماعية والانسانية) ثم الجمعية العامة قرارا يتعلق بتطبيق حق تقرير المصير ونيل الاستقلال لجميع الشعوب وباعتبار تحقيق ذلك ضمانا

لاحترام حقوق الانسان . ونصت الفقرة التنفيذية الخامسة في القرار بما يلي : « تندد بالحكومات التي تمنع الشعوب من حق تقرير المصير ، والمعترف لها بذلك الحق ، وخاصة الشعوب في افريقيا الجنوبية وفي فلسطين » . وكالعادة حاولت اسرائيل وتؤيدها في ذلك الولايات المتحدة الامريكية اسقاط تلك الفقرة سواء في اللجنة الثالثة او في الجمعية العامة . وفشلت كلاهما في ذلك المسعى اذ نجحت الفقرة عند التصويت المنفرد عليها . كما نجح القرار في مجمله بالجمعية العامة باغلبية ٧١ صوتا ضد ١٢ صوتا وامتنعت ٢٨ دولة عن التصويت .

وتعود اهمية هذه الفقرة للجانب العربي الى امرين : اولهما ، انها مرتبطة من ناحية الجوهر والمحتوى والتفسير ببقية اجزاء القرار التي تؤكد حق تقرير المصير لجميع الشعوب ، والتي تعترف لكل الشعوب في مقاومتها للاستعمار والحكم الاجنبي في طلب ونيل جميع انواع المساعدات سواء اكانت معنوية او مادية . ثانيهما : امكانية ربط تلك الفقرة في معناها الاوسع ضمن قرارها مع قرار حقوق شعب فلسطين وحقه في تقرير المصير المتخذ في اللجنة السياسية الخاصة . ويمكن هذا الربط في الحال وفي المستقبل . ففي الربط الحالي يمكن توسيع تفسير القرار المتخذ في اللجنة السياسية الخاصة بحيث يشمل المعاني والابعاد القائمة في قرار اللجنة السياسية . وفي الربط المقبل يمكن في الدورة القادمة تصعيد قرار الشعب الفلسطيني اعتمادا على ما ورد من معان وابعاد في قرار اللجنة الثالثة بحيث يعكس حرفا ونصا في قرار السنة المقبلة ما اريد ان يفسر مجازا في هذه السنة .

وكما ذكر في المقدمة حققت الدورة الخامسة والعشرين للامم المتحدة فرصة لاخراج قرارات جديدة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ومجالا لرد الاعتبار الى نفسها بالنسبة لما سبق وان ارتكبته من خطأ وظلم تجاه الشعب الفلسطيني . ففي نطاق عربي ضيق تجاوبت الامم المتحدة مع الجمهورية العربية المتحدة وحققت لها ما ابتغته من ايجابيات تجاه السلبيات التي اتسمت بها مرحلة صراعها الدبلوماسي حينذاك مع اسرائيل وفي ذلك نجاح للمتحدة اقتضت ظروفها الحصول عليه . وفي نطاق عربي اوسع خرجت الامم المتحدة بقرارين اساسيين حول حق شعب فلسطين في حقوقه الثابتة وفي تقرير مصيره ، ردت فيهما الاعتبار الى نفسها فيما اقدمت عليه من خطأ في انكار تلك الحقوق عام ١٩٤٧ عندما اصدرت قرار التقسيم . وفي ذلك النطاق نجح العرب نجاحا طيبا في تحقيق ما رغبوه على المستوى الدولي . وما يؤمل هنا ان لا يؤدي هذا النجاح المرحلي الى تقاعس مقبل في الدورة القادمة اذ يتوجب من الان بدء الحوار عن كيفية تصعيد هذين القرارين في الدورة القادمة بما يتوافق مع المصلحة العربية ومع حقائق الامم المتحدة .

مراسلنا في الامم المتحدة

توفيق صايغ

ليست هذه كلمة رثاء ، وانما تصميم على متابعة الكفاح المرير وسط احداث الموت والالم والجراح التي يعيشها شعبنا .

لقد جاءت وفاة توفيق صايغ وكأنها صرخه من اجل شعبنا وشبابنا الذي يقتل في الاردن ، وكأنها تمزق من اجل تلك الثورة التي تباد كل يوم وكل دقيقة .

لقد اصبح للموت معنى في حياتنا وحياة شعبنا، وكأن وفاة توفيق صايغ اشارة لنا ان نستمر في الكفاح ، وكأن الموت نفسه بداية لنضال جديد.

لقد صمت القلم ولكن الروح تنادي .

لقد غاب الوجه ولكن الصورة مرسومة على كل وجه في المخيمات والمعسكرات والسجون .

عندما تكتب اجيال التحرير في فلسطين تاريخ شعبنا المكبل المشرد سيكون توفيق صايغ احد الشموع المضيئة .

سيشارك توفيق صايغ في بناء تلك الحياة الحرة الكريمة على ارض فلسطين ،

سيشارك كل شهدائنا ، بروحهم ، باقلامهم ، بذكراهم ، في خلق ذلك الفجر الجديد على ارض فلسطين الحرة ،

سيكون توفيق صايغ روحا تهب على تلال فلسطين ، مع رياح الربيع في القدس ورام الله ، مغنية مع شعبنا أغاني الحرية والسعادة .

الدكتور حاتم الحسيني

عيسى ابو الطبول

كان عيسى ابو الطبول واحدا من اسرة « شؤون فلسطينية » . وكان يشترك في اعداد مواد العدد الاول ، ويحضر لاكثر من بحث عهد له بانجازه للاعداد التالية ، حينما اغتيل في الاردن يوم الثاني عشر من ديسمبر ١٩٧٠ ، اذ « بينما كان متوجها الى بيروت ، بجواز سفر اردني رسمي ، في طريق عمان ـ جرش ، اوقف من قبل الدوريات المسلحة وقوات الجيش فانزل من السيارة ثم اقتيد الى مخفر الشرطة وهناك اطلق الرصاص عليه امام حشد غفير من المواطنين » ، كما جاء في بيان للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة) نعاه بتاريخ ١٣/ ١٢/ ١٩٧٠ .

ولد عيسى ابو الطبول في مدينة القدس عام ١٩٤٠ حيث اكمل دراسته الابتدائية . وفي الضفة الشرقية من الاردن انهى دراسته الثانوية بتفوق . كان شغفه بالعلم قد دفعه لان يسافر الى المانيا الغربية للتخصص في فرع الكيمياء . وبعد حصوله على شهادة البكالوريوس صمم على ان يستكمل تعليمه وتحصيله الدراسي فتخصص في اخطر فرع من فروع الكيمياء هو الكيمياء العضوية وخاصة مادة الكينن . فقد كان يؤمن ان هذه المادة التي هي جوهر الكثير من المواد الكيمياوية واساس الكثير من العلاجات البنسيلنية متوفرة بكثرة في الوطن العربي وان بالامكان الاستفادة منها فيما لو تم تصنيعها . وخلال وجوده في الغربة استطاع عيسى ان ينهض بما يمكن تسميته تجمعا فلسطينيا او عربيا على وجه العموم . كان اول من اقام معرضا للازياء العربية ، وذلك في اواخر الستينيات ، وعلى نفقته الخاصة كان يقيم الندوات التي يرتدي فيها الحاضرون اللباس العربي وذلك لايمانه بانه « اذا احب الاوروبي هذه الكوفية والعقال فان لغة التفاهم بيننا وبينهم ستكون اسهل . »

كما كان من اول من عرفوا وعمموا كتاب مركز الابحاث في الاوساط الاوروبية . وكان يتولى مراسلة المركز من المانيا ، ويقوم بخدمته وخدمة القضية على صعيد الكتاب الفلسطيني العلمي في اوربه الغربية باسرها .

وفي المانيا باللات يشهد الكل ان عيسى كان من اول الداعين الى وحدة مندوبي فصائل الثورة في البلدان الاوروبية ، وخلال نشاطه وحركته اتجهت نحوه عيون الاعداء وبدأوا يراقبون حركاته حتى جاءت حادثة نسف الطائرة السويسرية في مطار ميونخ (٢١/ ٢٠/ ١٩٧٠) حيث اعتقل عيسى بتهمة نسفها ولما لم تثبت الشرطة الالمانية تهمتها اخرج من المعتقل الى المطار حيث تم تسفيره فورا . وفي اواخر ١٩٧٠ التحق عيسى بمجلة « الى الامام » كأحد محرريها حيث كان من اكثر الشباب العاملين في الصحيفة نشاطا .

لقد كانت حياة عيسى ابو الطبول ، كما قال احد رفاقه في تأبينه ، « مثل حياة اي واحد من ابناء شعبنا ولد وتشرد ، بيد ان هناك جانبا اخر يزيغ عن خط الولادة والموت عند عيسى ابو الطبول ، ذلك انه رغم العسف الذي عاشه كان مثابرا طموحا يرغب في ان يعيش عالمه عبر تأكيد شخصية الانسان الفلسطيني وقدرته على خلق عالم افضل بل انه يستطيع ان يكون الفعل عبر سكون الاخرين لذلك نجد عيسى ابو الطبول متقدما دائما على اقرانه وطموحا في ان يكون شيئا ذا اهمية . »

ومن بين الكثيرين الذين خسروا الشهيد وتألموا لفقدانه ، تشعر « شؤون فلسطينية » ومركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية بخسارة خاصة وبألم شديد لغياب زميل حبيب ، باحث نشيط وفدائي صامت وعامل مخلص ، وقلب طيب كبير وسع فلسطين كلها . وعزاء فلسطين انه عاش لها حتى اللحظة الاخيرة .

أ. ص.

صدر حديثا

الصهيونية والتلمود

للدكتور اسعد رزوق

(بالعربية ٨ ل.ل.)

نشر :

مركز الابحاث ـ منظمة التحرير الفلسطينية

ثلاث وثائق
عن معاملة العرب في الارض المحتلة

(١) مذكرة الى لجنة الامم المتحدة للتحقيق في اعمال اسرائيل في الاراضي المحتلة والى العصبة الدولية لحقوق الانسان
من الرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية ـ تل ابيب

مقدمة اننا نود أن نبدي ملاحظة شخصية . لقد اصبحنا نحن القراء المنتظمين للصحافة الاسرائيلية معتادين على قراءة عناوين كالتالية : ثلاثة بيوت تنسف في الخليل» ، «منع التجول المفروض على غزة مدة اثنتي عشرة ساعة ، سيستمر لعدة ايام اخرى » ، « رجل يقتل في نابلس خلال منع التجول » . الخ .

لقد اصبحنا معتادين على هذه الانباء لدرجة اننا لا نكاد نلحظها ، وبما ان عقلنا محدود فاننا لا نسجل، ولا نستطيع أن نسجل باستمرار مجموعها العام. لقد باتت سمة يومية من سمات حياتنا في اسرائيل ومن سمات الوضع في الاراضي المحتلة، لدرجة انها لا يكاد يؤبه لها . وقد اعترانا الفزع عندما جلسنا الى ملفاتنا وعرضنا المتقطفات الصحفية فيها ، فحتى نحن ، الواعين بحدة للسياسة الاسرائيلية الشاملة واليومية والخرق اليومي لحقوق الانسان في اسرائيل والاراضي المحتلة ، اصبنا بالصدمة أمام الارقام المفزعة . من كان يظن ان ٧٥٥٤ بيتا قد نسفت او دمرت في الاراضي المحتلة حتى ١٥/ ١٩٦٩/١١ ؟ اننا اذ نقدم هذه المذكرة لنشرها على النطاق العالمي ، انما يحدونا ايمان عميق بأننا بذلك نخدم شعبنا ونخدم قضية السلام بأفضل طريقة ممكنة . ونحن نأمل ان تكون هذه مساهمة فعالة في الجهود الدولية والمحلية المبذولة لحل النزاع في الشرق الاوسط على اساس ضمان كل حقوق الانسان القومية والفردية لكل الاطراف المعنية .

القمع السياسي ان الصفة البارزة لنظام الاحتلال الاسرائيلي (مثله في ذلك مثل أي احتلال آخر) هي انكار كل حقوق التعبير والتنظيم السياسيين. فكل المنظمات ممنوعة ، بما فيها منظمات التعاون المتبادل ومجالس التلاميذ الخ. والمحاكم الشرعية الاسلامية فقدت مشروعيتها القانونية وحقها في العمل ، ورجال اتحادات العمال يلقى القبض عليهم أو يبعدون بانتظام . بكلمات اخرى ، ان الحرية الكاملة للتعبير والتنظيم التي ضمنتها شرعة حقوق الانسان (حرية التنظيم السياسي والتظاهر والاجتماع وكل ما عدا ذلك من اشكال النشاط السياسي غير العنيف) محرمة تماما على الفلسطينيين في ظل الاحتلال الاسرائيلي .

١ ـ زوت ها ـ ديريخ ١٩٦٩/١/١٥ حكم بالسجن مددا مختلفة على الذين يبيعون في الضفة الغربية جريدة الاتحاد الاسرائيلية نصف الشهرية (المشروعة في اسرائيل) .

٢ ـ المصدر ذاته ١٩٦٩/٥/٢١ خمسة مدرسين ثانويين يحكمون بالسجن اربعة ـ خمسة اشهر لانتمائهم الى « منظمة غير مشروعة » . وقد قرأت محاميتهم ف. لانغر امام المحكمة دستور الرابطة الذي يحدد اهدافها على انها « المساعدة المتبادلة لطلبة المدارس الثانوية والتعاون مع المنظمات الطلابية الدولية والمساهمة في خدمة قضية السلام».

٣ ـ المصدر ذاته ١٩٧٠/١/٤ طلاب المدرسة الثانوية في اريحا يسجنون اداريا لتشكيلهم منظمة تعاون متبادل طلابية .

٤ ـ ها ـ آرتس ١٩٧٠/٦/٧ اعلن الحاكم العسكري لمنطقة رام الله امام وجهاء رام الله والبيرة ، بعد اضراب سلمي فيهما ، انه قد الغى

كل الاجازات الممنوحة لتجار المدينتين لاستيراد الماشية من الضفة الشرقية ، كما اعلن انه لن يسمح لـ « رابطة مهاجري رام الله في الولايات المتحدة » بتسليم بلدية رام الله تبرعا قيمته مئة الف دولار جمعت في الخارج .

استغلال العمال يعمل آلاف كثيرة من العمال الفلسطينيين من الاراضي المحتلة في اسرائيل ، ولا يتقاضى العامل الفلسطيني الاجر ذاته الذي يتلقاه العامل الاسرائيلي الذي يعمل بعمل مماثل ، وفي الحقيقة لا يتقاضى العمال الفلسطينيون اجورهم من أرباب العمل ، بتاتا ، بل يقوم رب العمل بالدفع للحكومة الاسرائيلية التي تحسم حوالي ٤٠٪ وتدفع ما تبقى للعامل الفلسطيني.وتجمع المبالغ المقتطعة في رصيد خاص باسم دولة اسرائيل ، وقد بلغ هذا الرصيد في ايار ١٩٧٠ ٥٠ مليون ليرة اسرائيلية .

وجدير بالملاحظة ان التبرير الرسمي للاقتطاع هو ان الحسومات تذهب لصالح الرعاية الاجتماعية والتنظيم وضرائب السفر ، في الوقت الذي يحرم فيه القانون على العمال الفلسطينيين من الاراضي المحتلة التمتع بأي من حقوق الرعاية الاجتماعية مثل التأمين الصحي والتقاعد الخ .

ولقد اصبح نقل العمال الفلسطينيين من قطاع غزة الى اسرائيل يصعب باضطراد خلال نصف السنة الاخير ، ولذا انشأت بعض المصانع في اسرائيل معسكرات مغلقة يعيش فيها العمال الفلسطينيون من الاراضي المحتلة رجالا ونساء في خيام واكواخ .

١ ــ ها ــ آرتس ١٩٦٩/٨/١ مهندسو الطاقة البشرية يستخفون باحتقار بما قاله الوزير سابير من اننا نقوم بتحويل العرب الى ناشري خشب الدولة ومنتشلي مائها . وهم يقولون ان من الواضح أن أحدا ما يجب أن يقوم بهذه الاعمال حتى في اكثر البلدان تقدما تقنيا .

٢ ــ المصدر ذاته ١٩٦٩/٨/٤ كان العمال اليهود يتقاضون ٨٥ ليرة اسرائيلية لقاء حصاد طن واحد من قصب السكر . اما العمال الفلسطينيون من الاراضي المحتلة فيتقاضون الان ٢٢ ــ ٢٤ ليرة اسرائيلية لقاء حصاد ٣ 1/2 طن من قصب السكر.

٣ ــ ها ــ آرتس ١٩٦٩/٨/٨ طبقا للبيانات الرسمية ، عمل ١٦٥٠٠ عامل من الاراضي المحتلة في اسرائيل ما بين تشرين الثاني ١٩٦٨ وآذار ١٩٦٩ . وقد تقاضى هؤلاء في هذه الفترة ٢،٧٦٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية اقتطع منها ١،١٨٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية ــ اي حوالي ٤٠٪.

٤ ــ معاريف ١٩٦٩/١٢/١٧ تقتطع « خدمات التوظيف الحكومية » ٦ ــ ٨ ليرات اسرائيلية من الـ ١٨ ليرة اسرائيلية التي هي الاجر اليومي للعامل الزراعي الاسرائيلي،وتعطي للعامل الزراعي من الاراضي المحتلة الذي يعمل في اسرائيل ١٠ــ١٢ ليرة اسرائيلية . ويمنع رب العمل من الدفع للعامل مباشرة ، بل يجب ان تجري عمليات الدفع كما ينص القانون من خلال الحكومة او الوكالات العسكرية.

٥ ــ يديعوت احرونوت ١٩٧٠/١/٢٠ قرابة نصف العمال الزراعيين في منطقة عسقلان والعمال في مصانع الغذاء في المنطقة ذاتها هم من قطاع غزة، وترتفع نسبة عمال قطاع غزة في بعض بساتين الحمضيات الى ٧٠٪ .

٦ ــ صوت اسرائيل ١٩٧٠/٤/٦ الساعة ١٣:٠٠ وها ــ آرتس ١٩٧٠/٤/٣٠ قامت مصانع عدة في منطقة عسقلان ببناء معسكرات مغلقة من الخيام والاكواخ يعيش فيها العمال الفلسطينيون من الاراضي المحتلة وخاصة من قطاع غزة مددا طويلة.

٧ ــ ها ــ آرتس ١٩٧٠/٥/١٣ طالب الاتحاد العام لعمال اسرائيل الخزينة الاسرائيلية بـ ١٪ من الحسومات التي تقتطع من اجور عمال الاراضي المحتلة ، ويبلغ المبلغ الذي يطالب به الاتحاد ٥٠٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية (اي ان الخزينة الاسرائيلية تحتفظ بما يقارب ٥٠،٠٠٠،٠٠٠ ليرة اسرائيلية اقتطعت من اجور العمال من الاراضي المحتلة) .

مبدأ العقوبات الجماعية ما زال مبدأ العقوبة الجماعية يطبق على نطاق واسع منذ بداية الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ . وتورد فصول هذه المذكرة أمثلة متنوعة على ذلك : نسف البيوت ، أخذ الرهائن ، ابعاد القادة والوجهاء الفلسطينيين ، فرض منع التجول الخ. ان الرجل المسؤول شخصيا عن السياسة الاسرائيلية في الاراضي المحتلة هو وزير الدفاع موشيه دايان ، وقد يكون ذا دلالة أن نورد هنا رده على استفسار عضو الكنيست أوري افنيري حول نسف المنزل الذي كانت تعيش فيه السيدة عايده عيسى سعد (في غزة) ، على الرغم من ان المنزل ليس ملكها وليس ملك أبويها، بل هم يعيشون فيه بالاجرة . لقد نسف هذا البيت في ٦٩/٣/٢٠ (زوت ها ــ ديربخ ١٩٦٩/٥/١٤)، واكد دايان ان السلطات العسكرية قد قامت بالفعل

بنسف البيت . وعندما ساله افنيري مرة ثانية : « هل تعمل وزارة الدفاع في حالات كهذه طبقا لمبدا المسؤولية الجماعيةللعائلة كلها تجاه احد افرادها؟» اجاب دايان « نعم » .

نسف البيوت نورد هنا تقريرا اعده رجل علم شهير جدا وذو مكانة عالمية ، وهو فلسطيني عربي يعيش تحت الاحتلال الاسرائيلي منذ عام ١٩٦٧ . ونحن نحتفظ باسم هذا الرجل ، ولكن ممثلنا سيقدم اسمه الى « لجنة الامم المتحدة للتحقيق في أعمال اسرائيل في الاراضي المحتلة » عندما يدلي بشهادته أمامها في العاشر من حزيران . ويغطي هذا التقرير الفترة التي تنتهي بالخامس عشر من تشرين الثاني ١٩٦٩ . ان نسف البيوت ممارسة دائمة مستمرة في الاراضي المحتلة ، والحالات التي وقعت بعد التاريخ المذكور اعلاه واردة في مذكرتنا الاولى الى لجنة الامم المتحدة بتاريخ ٢٠ نيسان ١٩٧٠ .

نسف البيوت من جانب السلطات العسكرية الاسرائيلية في الاراضي المحتلة ١٩٦٩ ــ بعد وقف اطلاق النار

الموقع (المنطقة)	تاريخ الاستقصاء الاول من ١١حزيران ٦٧ الى ٥ نيسان ٦٨	تاريخ الاستقصاء الثاني من ٥ نيسان ٦٨ الى ١٠ ايلول ٦٩	تاريخ الاستقصاء الثالث من ١٠ ايلول ٦٩ الى ١٥ ت٢ ٦٩	ملاحظات
القدس (المدينة القديمة)	١٤٥	٢٩٠	٣٤٢	جد اسم المالك في الجدول المرفق . الرقم الاول هـ تقديري .
اللطرون عمواس وبيت نوبا وبالو	١٨٣٠	٢٥٠٠	٢٥٠٠	الارقام المصححة مأخوذة قوائم الضرائب التي ق مخـــاتير وزعماء القرى دمرت تماما .
السامرة نابلس ــ جنين ــ طولكرم ــ طوباس ــ قلقيلية ــ الجفتلك	٢٦٣٥	٣٧٠٣	٣٧١٩	الرقم الاول مأخوذ من ق جاهزة زودت بها . فيم لفت انتباهي الى قرى في المنطقة . . وهي مبي التاريخين الثاني والثـا انظر المرفق .
الخليل جبل الخليل ــ الخليل ــ بيت عوا وبيت مرسم وحلحول	٣٩٩	٤٢٧	٥١٩	لفت انتباهي الى تدمير ٧ في حلحول في الاسبوع من تشرين الثاني ١٩٦٩ المرفق .
غزة غزة ــ خان يونس ــ دير البلح ــ رفح	٢٨٠	٣٢٢	٣٥٢	الرقم الاول مأخوذ من ال اللندنية ٢٣ آذار ١٩٦٨ فيما بعد زودت بقائمة كا مصدر موثوق وتعطي ا العدد واسماء المالكين الجدول المرفق.
رام الله ــ البيرة والقرى المحيطة	٣٣	٣٦	٤٤	انظر الجدول المرفق .
بيت لحم والقرى ومخيمات اللاجئين المحيطة	٤٥	٧٧	٧٨	انظر الجدول المرفق .
المجموع	٥٣٦٧	٧٣٥٥	٧٥٥٤	

الرقم الاخير للمجموع (٧٥٥٤) لا يتضمن اية بيوت في مرتفعات الجولان المحتلة، وذلك لنقص الاثباتات. غير أن صحيفة « جروسالم بوست » نشرت المقال الثاني في عددها الصادر في ٥ تشرين الاول ١٩٦٩: الامم المتحدة (رويتر) « قالت سورية الاسبوع الماضي أن اسرائيل نسفت على الاقل ١٧ قرية في مرتفعات الجولان المحتلة في فترة عشرة أشهر تنتهي في تموز . وقالت أن الشرطة الاسرائيلية استهدفت اجلاء ١١٥٠٠٠ مواطن سوري من المنطقة . وقال السفير السوري جورج طعمه في رسالة الى اوثانت الامين العام للامم المتحدة ان الاعمال الاسرائيلية بينت ان تصميم اسرائيل على محو كل آثار الحياة العربية والملكية العربية في الاراضي المحتلة بأكثر طرق بربرية » . (جروسالم بوست، ١٣/٤/١٩٦٩) . وهناك ٤ قرى معروفة هي : ابي زيتون ، تل الساقي ، الرزانية ، خان الجوخدار .

الاعتقال الاداري والابعاد والتعذيب هناك الان في السجون الاسرائيلية الف معتقل اعتقالا اداريا من الاراضي المحتلة ، وذلك طبقا للمصادر الرسمية . ولا يتضمن هذا الرقم العديد من السجناء الذين وجهت لهم تهم ولم يقدموا للمحاكمة . وكثير من هؤلاء يمضي في السجن مدة طويلة ، ولكن بعد ذلك يطلق سراحه بكل بساطة بدل أن يقدم للمحاكمة . والكثير منهم يوافق على أن يهاجر ، او « يوافق على أن يبعد » كما تقول المصادر الرسمية .

ان معظم الادانات التي تصدرها المحاكم العسكرية الاسرائيلية في الاراضي المحتلة يقوم على اعترافات يدلي بها المتهم ذاته . وفي كثير من الحالات ينكر السجناء في المحكمة اعترافاتهم ويشتكون من أنهم أرغموا على الاعتراف تحت التعذيب . ويصفون بالضبط اساليب التعذيب التي تعرضوا لها ، وفي بعض الاحيان يذهبون الى حد عرض اثار تعذيبهم في قاعة المحكمة ويطلبون أن يعرضوا للفحص الطبي لدعم شكاواهم من تعذيبهم لدى التحقيق والبرهنة عليها . ولم يكن هناك في كل الحالات أي تحقيق قضائي في هذه الشكاوى . وترفض محكمة الاستئناف التحقيق حتى في الحالات التي يقدم فيها للمحاكمة رجل حل به عجز نتيجة التعذيب الذي ظهر عليه .

ولقد ازدادت الحالة سوءا خلال الشهر الاخير ، اذ أن المحاكم العسكرية الان ترفض النظر في الدعاوى الاولية والشكاوى من التعذيب ، الا اذا قدم المتهم للمحكمة الاسماء الكاملة لمعذبيه (وهذا امر غاية في الصعوبة ، لان من يقومون بالتعذيب لا يعرفون بأنفسهم في العادة !) . كما تقرر أن لا تحقق المحاكم في سلوك وتصرفات المحققين خلال التحقيق (زوت ها — ديريخ ٢٢/٤/١٩٧٠) « أخذا بعين الاعتبار أهمية وحيوية مسؤولياتهم الامنية في المنطقة ، فان من واجب المحكمة ان تتجنب ازعاجهم في اداء مهمتهم » (من محاضر محكمة رام الله — المصدر ذاته) . ونحن نحيل كل الاشخاص المهتمين والمنظمات المهتمة بالحصول على معلومات اخرى الى المحامين : السيدة ف.لانغر ، شارع كوريش ، رقم ١٤ ، القدس. السيد علي الرافعي، العنوان ذاته . السيد حنا نقاره، شارع الخوري، رقم ٢٣ ، حيفا . السيد صبري جريس ، شارع الياهو ها — نافي ، رقم واحد . ان الحالة في رأينا خطيرة جدا وهي تسوء باستمرار . ونحن نود في هذا المجال أن نوصي بتشكيل لجنة تحقيق دولية من قضاة ينتمون الى بلدان ليست معادية لاسرائيل لتحقق في دعاوى التعذيب هذه ، التي نرى انها معززة بالبراهين بصورة حسنة . ونود أن نلفت انتباهكم أن توصيات «لجنة العفو الدولية» باجراء تحقيق يقوم به قضاة اسرائيليون قد رفضتها الحكومة الاسرائيلية .

حوادث الابعاد (هذه مختارات تعود فقط للفترة الواقعة ما بين ايلول ١٩٦٨ واذار ١٩٧٠ . تشير الصحافة الاسرائيلية في كثير من الاحيان الى الابعاد على انه « سماح بالعبور الى الضفة الشرقية للاردن » .)

١ — معاريف ٦/٩/١٩٦٨ اوردت ان اربعة فلسطينيين قد ابعدوا الى الاردن .

٢ — يديعوت احرونوت ٢٥/١٠/١٩٦٨ اوردت أن اربعة وجهاء فلسطينيين قد ابعدوا الى الاردن، بينهم طبيب وطبيب اطفال ونائب رئيس بلدية نابلس.

٣ — معاريف ٣٠/١٠/١٩٦٨ أوردت ان من بين عشرة وجهاء فلسطينيين ابعدوا الى الاردن رئيس اتحاد معلمي الضفة الغربية ورئيس الهلال الاحمر وثلاثة معلمين رفتش تربية .

٤ — يديعوت احرونوت ٢٥/١١/١٩٦٨ اوردت ان ثمانية فلسطينيين قد ابعدوا الى الاردن ، معظمهم من المعلمين وبينهم امرأتان . وقد جرى ابعادهم بعد ربع ساعة فقط من ابلاغهم .

٥ ــ هــا ــ آرتس ١٩٦٨/١٢/١٥ أوردت أن جاويشا سابقا في الشرطة قد أبعد مع عائلتــه جميعها .

٦ ــ معاريف ١٩٦٩/٢/١٠ أوردت ان سبعة شبان صغار السن قد أبعدوا الى الاردن .

٧ ــ ها ــ آرتس ١٩٦٩/٤/٢٨ أوردت أن امراتين هما : امينة سر الجمعية النسائية في نابلس وابنتها قد أبعدتا .

٨ ــ ها ــ آرتس ١٩٦٩/٥/٧ أوردت ان الدكتور فيصل كنعان ، وهو طبيب أسنان من نابلس ، قد أبعد .

٩ ــ ها ــ آرتس ١٩٦٩/٥/٢١ أوردت ان عشيرة بدوية كاملة قد ابعدت من غور الاردن .

١٠ ــ معاريف ١٩٦٩/٦/٨ أوردت ان تسعة وجهاء بينهم معلمون وقائد عمالي ومهندس مدينة نابلس قد ابعدوا ، وانه لم يسمح لهم برؤية عائلاتهم قبل ابعادهم .

١١ ــ معاريف ١٩٦٩/٧/٣ أوردت أن ثلاثة وجهاء هم محاميان وطبيب قد أبعدوا مدة ثلاثة اشهر .

١٢ ــ ها ــ آرتس ١٩٦٩/٣/٩ أوردت أن سبعة فلسطينيين من قطاع غزة قد أبعدوا الى الاردن .

١٣ ــ ها ــ آرتس ١٩٦٩/٣/٣١ أوردت ان القس الياس خوري قد وافق على توقيع طلب بابعاده الى الاردن .

١٤ ــ ها ــ آرتس ١٩٦٩/٩/١٧ أوردت أن مفتش تربية وصيدلي قد أبعدا الى الاردن .

١٥ ــ ها ــ آرتس ١٩٦٩/٤/١٧ أوردت ان الدكتور معمر من بيت حنينا (قرب القدس) قد أبعد الى الاردن .

١٦ ــ معاريف ١٩٦٩/٩/١٦ أوردت أن وجيهين فلسطينيين من الخليل قد أبعدا الى الاردن .

١٧ ــ معاريف ١٩٦٩/٤/٢٤ أوردت ان أربعــة من كبار المربين قد أبعدوا من الضفة الغربية الى الاردن .

١٨ ــ ها ــ آرتس ١٩٦٩/١٠/٧ أوردت أن نديم الزرو ، رئيس بلدية رام الله ، وتسعة وجهاء آخرين قد ابعدوا الى الاردن .

١٩ ــ ها ــ آرتس ١٩٦٩/١٠/٢٤ أوردت ان طالبا قد ابعد الى الاردن .

٢٠ ــ معاريف ١٩٦٩/١١/٤ أوردت ان ثلاثــة مخاتير من عشيرة التعامرة قد ابعدوا الى الاردن.

٢١ ــ ها ــ آرتس ١٩٦٩/١٢/١٧ أوردت ان ستة وجهاء فلسطينيين من غزة قد نفوا الى صحراء سيناء لمدة غير محدودة .

٢٢ ــ معاريف ١٩٧٠/٣/١٩ أوردت ان خمســة فلسطينيين قد أبعدوا الى الاردن .

نود ان نلفت نظركم الى عريضة قدمها الى سلطات الاحتلال اربعة وعشرون وجيها فلسطينيا احتجاجا على ابعاد العديد من القادة الفلسطينيين مثــل : المحامي انطون عطاالله من القدس ، وابراهيم بكر وكمال ناصر من رام الله ، والشيخ عبد الحميد السائح مفتي القدس (نقلا عن زوت ها ــ ديريخ ١٩٦٨/١/١٠) .

تقول العريضة : « ان هذه الطريقة تناقض القوانين الدولية وحق المواطن الاساسي في أن يعيش في بلده وفي بيته ... ومن المخزي ان تعلن سلطات الاحتلال صراحة ان الابعادات عقوبة على عدم التعاون . ان من المعروف جيدا ان لكل فرد تحت الاحتلال حقا اساسيا في عدم التعاون مع المحتل ما دام لا يعمل ما يهدد امن الحكام او المحكومين » .

حوادث القتل خلال حظر التجول (مختارات تغطــي فقط الفترة بين ديسمبر ٦٨ وابريل ٧٠) :

١ ــ زوت ها ــ ديريخ ١٩٦٨/١٢/٤ ، مقتل ثلاثة وجرح ستة نتيجة اطلاق الجيش النار على الجمهور.

٢ ــ ها ــ آرتس ١٩٦٩/١/١ ، مقتل صبي وامراة في الخليل . التفسير الرسمي : رفضا التوقف عندما أمرا بذلك .

٣ ــ المصدر ذاته ١٩٦٩/١/٢١ ، الجيش يطلق النار على جمهور من النساء ، فيقتل امراة ويجرح تسعا .

٤ ــ يديعوت احرونوت ١٩٦٩/٥/٢٢ ، مقتل عربي رفض الامتثال لامر دورية جيش له بالتوقف في غزة.

٥ ــ ها ــ آرتس ١٩٦٩/١١/١٤ ، مقتل اثنين من سكان رفح عندما كانا في الطريق خلال حظــر التجول .

٦ ــ المصدر ذاته ١٩٦٩/٥/١ ، مقتل صبي في نابلس لاسباب شبيهة .

٧ ــ المصدر ذاته ١٩٧٠/٤/٣ ، مقتل احد سكان بيت حانون (قطاع غزة) خلال ساعات حظــر التجول .

٨ ــ المصدر ذاته ١٩٧٠/٤/١٣ ، مقتل احد سكان غزة خلال حظر التجول .

٩ ــ المصدر ذاته ١٩٧٠/٣/١٦ ، أحــد عــرب اسرائيل يقتل عندمــا اطلق الجيش النار علــى

الجمهور .

١٠ — المصدر ذاته ١٩٧٠/٣/٢٤ ، أحد سكان نابلس يقتل خلال حظر التجول .

١١ — معاريف ١٩٧٠/٤/٢٤ ، اثنان من سكان رفح يقتلان خلال حظر التجول .

حوادث التعذيب (مختارات تغطي الفترة ما بين ١٩٦٨ و١٩٧٠)

١ — زوت هاديريخ ١٩٦٨/١/١٧ ، نعيم الاشهب، من القدس الشرقية ، ألقي القبض عليه في تشرين الثاني ١٩٧٠ . يشكو من الضرب المبرح في سجن القدس.

٢ — المصدر ذاته ، التاريخ ذاته ، حظر تجول وتحقيقات في مخيم لاجئين في غزة (٣١٠٠٠ نسمة). السكان الذكور من عمر ١٧ الى ٦٠ سنة يحشرون في نكنة مغلقة مدة ست وثلاثين ساعة تحت المطر المنهمر والبرد القارس . عدد كبير يغمى عليه .

٣ — المصدر ذاته ١٩٦٨/٢/٢١ ، موجة من الاعتقالات الكيفية للنساء وصغار السن في الضفة الغربية وغزة . وقع اكثر من ثلاثمائة امرأة يمثلن كل المنظمات النسوية في الضفة الغربية عريضة الى وزير الدفاع موشيه دايان يشتكين فيها من أن « السلطات تقوم بالقاء القبض على الكثير من النساء دونما سبب ، ودون ان توجه لهن تهمة ... ان الاعمال القاسية والارهابية لسلطات الاحتلال في قطاع غزة تتضمن تدمير الاكواخ والبيوت وبساتين الحمضيات ومضخات آبار المياه وحظر التجول لايام عديدة دون اكتراث بحاجات الاطفال والشيوخ ، ومنع العناية الطبية الاولية الضرورية لمعالجة المرضى » .

٤ — المصدر ذاته ١٩٦٨/٥/٨ منع الخروج من مدينتي رام الله والبيرة او الدخول اليهما ، على اثر اضراب سلمي فيهما . وقد وصف هذا العمل بانه « اجراء تربوي » .

٥ — المصدر ذاته ١٩٦٨/٥/٢٩ شكا هنري حبش ونبيل دياب ووليد الدومي وزياد حنا عميره ومحمد ابو كبير وزياد محمد ابو ميزر،من القدس الشرقية، انهم عذبوا في مركز شرطة القدس . وأشاروا في المحكمة الى الشرطي الذي قام بتعذيبهم . وهؤلاء جميعا متهمون بتوزيع منشورات تدعو الى اضراب سلمي .

٦ — المصدر ذاته ١٩٦٨/٧/٢٤ قدم المحامي جميل شلهوب شكوى الى وزير الدفاع ووزير الشرطة ورئيسة الوزراء بخصوص التلميذ مؤيد عثمان الباشا من مدرسة الصلاحية الثانوية في نابلس . ألقي القبض على الباشا في ١٩٦٧/١٢/٩ . ومنعت عنه الزيارة تماما مدة ستة اشهر . وعندما سمح في النهاية بزيارته وجد وقد شلت يده اليمنى تماما. وقد اعطى الوصف التالي لتعذيبه في سجن صرفند العسكري : « علقت الى السقف من يدي ، وشدت رجلاي الى اسفل ، ثم جلدت بالسياط وضربت على عضوي التناسلي حتى فقدت الوعي. ثم قيدت بالسلاسل يداي وقدماي واجبرت على الركض بالضرب بالسياط . ولم أترك الا واجزاء جسدي كلها تدمى . سكب البول علي . وربط قطبان كهربائيان برأسي وجسدي وسرى التيار الكهربائي في . أخمدت السجائر في جسدي ولا تزال الندوب فيه حتى يومنا هذا » . لم يجر اي تحقيق .

٧ — المصدر ذاته ١٩٦٨/٩/٤ اجهشت السجينة عبله شفيق طه بالبكاء حينما قابلت محاميتها ف. لانغر في سجن القدس ، وذلك بحضور علي الرافعي والمفتش غولان . حاول غولان ان يسكتها ولكن عبثا حاول . قالت عبله انها بعد القاء القبض عليها وضعت في الحال في زنزانة مع مومسات يهوديات قمن بتعريتها وضربها بقسوة وحشية أمام رجال الشرطة . ثم وضعت وهي لا تزال عارية في زنزانة عقاب وحرمت من التسهيلات الصحية الاولية واجبرت على قضاء حاجتها في الزنزانة ذاتها مدة ثلاثة ايام . ثم تركت عارية مدة ثمانية ايام اخرى ، وركلها احد رجال الشرطة ويدعى دويك بوحشية. وقد كانت حاملا فبدأت تنزف ، وحرمت من العلاج الطبي عندما طلبت ذلك .

٨ — المصدر ذاته ، التاريخ ذاته ، قابل لطفي الحواري محاميته ف. لانغر في ١٩٦٨/٨/١٢ وروى قصة شبيهة .

٩ — المصدر ذاته ١٩٦٨/١٠/١٧ فرقت تظاهرة قامت بها طالبات المدارس في نابلس باطلاق النار على المتظاهرات ، جرحت سبع فتيات .

١٠ — المصدر ذاته ١٩٦٨/١٢/٤ القي القبض على يحيى اسعد عبدالرحمن الجاسم ، وهو تلميذ من غزة ، في تشرين الاول ١٩٦٧ . شكا الجاسم التعذيب . وقد اتهم بنشاطات تخريبية في ١/ ١٩٦٨/١ . وظل ينتظر المحاكمة عشرة اشهر ، ثم الغيت التهمة ولكن المتهم لم يطلق سراحه بل ظل

سجينا بأمر اداري صدر في ١٩٦٨/١٠/٣٠ .

١١ ــ المصدر ذاته ١٩٦٨/١٢/١٨ القي القبض على حسن عيسى البطاط وعمره خمسة عشر عاما من الظاهرية قرب الخليل بينما كان يستقل الباص في عودته من المدرسة ، وذلك بتهمة أنه لا يحمل بطاقة هوية . شرح انه لا يحق له استخراج بطاقة هوية لان عمره خمسة عشر عاما ، ولكن رغم ذلك اقتيد الى سجن الخليل وضرب على راسه ، فتوفي بعد ان اطلق سراحه بساعات قلائل . وقد شخص الطبيب المحلي سبب الوفاة أنه تلف الدماغ .

١٢ ــ المصدر ذاته ١٩٦٨/١٢/٢٦ القي القبض على عثمان الاعرج من القدس الشرقية خلال تظاهرة لطالبات المدارس قرب باب نابلس . ثم اقتيد الى مركز شرطة القدس حيث أودع زنزانة ونزعت عنه ملابسه . ثم قام ثلاثة من رجال الشرطة يرتدون ملابس عادية بضربه بعصا على جسده وخاصة على عضوه التناسلي ثم قاموا بادخال العصا في شرجه ودفعها باتجاه فمه . بعدئذ ترك السجين عاريا ثم ضرب ثانية ولكنه رفض أن يعترف . اطلق سراحه في ١٩٦٨/١٠/٢٨ وحذر من ان يخبر أحدا بما جرى له عند استجوابه . غير أنه استشار في الحال طبيبا اعطاه تقريرا يؤكد اصابته اصابات بليغة، وقام بتقديم شكوى الى السلطات . في اليوم التالي ١٠/٢٩ القي القبض عليه واحتجز في زنزانة منفردا، دون أن يستجوب ثانية ، الى أن اختفت آثار التعذيب ، ثم اطلق سراحه .

١٣ ــ المصدر ذاته ، التاريخ ذاته ، القي القبض على رجب عبدالمعطي ابو راس من البيرة في تشرين الاول ١٩٦٧ واودع السجن ستة اشهر اتهم وبرىء دون ان يمثل امام المحكمة . ثم اعيد اعتقاله فورا بأمر اداري ووضع في السجن الانفرادي . ابلغ زملاؤه السجناء عائلته انه علق من يديه وانه فقد عددا من أظفار اصابعه واجبر مرات عديدة على شرب الماء من اناء البراز . اطلق سراحه في ١٩٦٨/١١/١٢ ، وشاهد محاميه أظفاره المنتزعة وقدم شكوى الى وزير العدل . في اليوم التالي اعيد اعتقاله بأمر اداري مدة ستة أشهر .

١٤ ــ المصدر ذاته ١٩٦٩/١/٢٨ أعلن وزير الدفاع موشيه دايان أن اطلاق النار على جماهير المتظاهرين امر مشروع ، وذلك في اجابته على استفسار أثير في البرلمان الاسرائيلي (الكنيست) حول مقتل ثلاثة فلسطينيين وجرح سبعة بينهم طفل في السادسة من عمره .

١٥ ــ المصدر ذاته ١٩٦٩/٣/٢٦ القي القبض على قاسم ابو عكار وتوفي في السجن . لم يجر التحقيق في وفاته ، ولكن الشرطة أخذت جثته الى المقبرة راسا واجبرت عائلته على دفنه حالا .

١٦ ــ المصدر ذاته ١٩٦٩/٥/٧ القي القبض على داود عريقات من أريحا في ١٩٦٩/٣/٢٣ . ولم يسمح له بمقابلة محاميه مدة تربو على الشهر ، وعندما سمح له بذلك اشتكى اليه أن رجال شرطة بثياب مدنية قد ساموه العذاب في سجن القدس . وارسلت شكوى الى وزير الشرطة ووزير الدفاع.

١٧ ــ المصدر ذاته ١٩٦٩/٦/١٨ نورد فيما يلي تفصيلات الوضع في سجن الخليل : يسمح للسجناء بقضاء حاجتهم مرتين في اليوم فقط في السابعة مساء وفي السادسة صباحا ولمدة دقيقة ونصف فقط في كل مرة . الاستحمام مسموح به مرتين في الاسبوع، وممنوع في الايام الاخرى ، والوضوء كذلك ممنوع. ليس هناك تمارين يومية على المشي وكثافة السجناء في الزنزانات رهيبة .

١٨ ــ المصدر ذاته ١٩٦٩/٧/٢٣ يشكو نعيم الاشهب في رسالة له من السجن فيقول : « لقد اصبحت خلال سجني اعرف ما هي الديمقراطية الاسرائيلية ... فحتى في العلاج الطبي في السجن هناك تفرقة عنصرية ما بين اليهود والعرب ... ولقد اصبحت اعرف اسرائيليين يشجعون على القيام باعتداءات شاذة جنسيا على السجناء السياسيين العرب ويقومون بها بمعرفة ادارة السجن الكاملة وموافقتها . » (السجون المعنية هي سجنا رام الله والقدس) .

١٩ ــ المصدر ذاته ١٩٦٩/٨/٢٠ كشف النقاب في محكمة رام الله العسكرية عن سلسلة طويلة من اعمال التعذيب في سجن القدس . فقد أدلى المحامي بشير الخيري وعبدالهادي عوده وابو حديده ، الذين يمثلهم المحامي انطون جاسر والمحامية ف. لانغر ، بشهادات تفيد أنهم حرموا من مقابلة محاميهم قرابة شهر . وعندما سمح في النهاية لبشير الخيري بمقابلة محاميه بحضور الشرطة ، ابتدأ يشكو التعذيب فأخذته الشرطة حالا بحجة أنه يتكلم خارج الموضوع. استدعى الادعاء طبيب الشرطة للرد فتبين من خلال استجواب الدفاع له انه لم يفحص المتهم اطلاقا.

٢٠ ــ المصدر ذاته ١٩٦٩/٩/٤ شكا سامي ابو دياب وعبد اللطيف عيد من القدس الشرقية في

محاكمتهما حوادث تعذيب.فأدلى ابو دياب بالشهادة التالية : « لقد ضربت بالعصا وبسلك حديدي وعلقت من رجلي مقلوبا رأسا لقدمين وادخلت طلقة في شرجي حتى فقدت الوعي » . وقال عيد « ضربت بمسطرة فيها مسامير وضربت على عيني وعلقت من رجلي المقيدتين وادخلت طلقة في شرجي وفقدت الوعي » . وعندما قال الادعاء انهما يكذبان، اجاب ابو دياب « اننا شرفاء ونتكلم الصدق . ان المحققين هم الذين يكذبون فهم يعذبوننا ثم يقسمون في المحكمة انهم لم يمسونا » .

٢١ — المصدر ذاته ، التاريخ ذاته، اوضاع سجن عسقلان هي : يمنع السجناء من مخاطبة حراسهم الا اذا طأطأوا رؤوسهم . وهم ينامون بالتناوب على الارض (دون فراش) . ويحرم السجناء ، الذين هم في معظمهم تحت الاعتقال الاداري ومثقفون، من الكتب وغيرها من مواد القراءة . ويسمح للسجناء بقضاء حاجاتهم مرتين فقط في اليوم (السابعة مساء والسادسة صباحا) ولمدة دقيقة ونصف فقط .

٢٢ — المصدر ذاته ١٩٦٩/٩/٢٤ يوسف عبدالله عدوان سجين في طولكرم بموجب أمر اداري صادر في ١٩٦٩/٣/٢٩ . وقد رفض السماح له برؤية محاميته ف. لانفر . في ١٩٦٩/٩/٨ مثل امام محكمة الاستئناف حيث رأته محاميته هناك . وقد قال انه ضرب بقسوة بالعصا على كل اجزاء جسده حتى لم يعد يستطيع الحركة مدة طويلة . وقد عذب بالالات الكهربائية وأعواد الثقاب المشتعلة . وكانت احدى وسائل تعذيبه المفضلة حرق شفتيه بأعواد الثقاب المشتعلة والطلب منه ان يطفئها . لم يسمح لممثل الصليب الاحمر الدولي برؤيته . وقد رفض رئيس محكمة الاستئناف ان يسمع اي شيء يتعلق بهذه المسألة زاعما انها لا تخص المحكمة ولا تهمها.

٢٣ — المصدر ذاته ، التاريخ ذاته، ألقي القبض على اسحق علي المراغي في آذار ١٩٦٩ ، وهو يشكو تعليقه من قدميه وجلده بالسياط في السجن، وضربه على رأسه بعصا ، وسكب الماء البارد ثم الحار عليه بالتناوب . كما انه عذب أيضا بالكهرباء واصيب بالعجز حتى اليوم والندوب مرئية بوضوح على جسده .

٢٤ — المصدر ذاته ١٩٦٩/١١/١٩ ابلغ بشير الخيري محكمة رام الله العسكرية مرة ثانية في جلسات اخرى عقدتها لمحاكمته عن التعذيب الذي تعرض له في سجن القدس . وعندما استجوبه الادعاء حول دعاوى تعذيبه قال للمحكمة « ان الادعاء يقول انه ليس هناك من ضرب وتعذيب في ظل نظام حكمكم . وهو يحاول أن يبين أن شهادتي كذب . انني أسأل هذه المحكمة أن تزور الان سجن رام الله الذي لا يبعد من هنا سوى امتار قلائل وسأريها عشرات ممن تعرضوا للتعذيب ينزفون دما وايديهم مكسورة . اذا كنتم تريدون حقا احقاق العدالة ، استجيبوا لطلبي » . وقد أيدت محاميته ف. لانفر التماسه ولكن جواب المحكمة كان « عليك ان تدافع عن نفسك لا عن الاخرين . ونحن لسنا مهتمين بزيارة السجون » .

٢٥ — المصدر ذاته ١٩٧٠/٥/٦ تلخص المحامية ف. لانفر في رسالتها المفتوحة الى وزير الشرطة وعنوانها «اريد الحقيقة ايها السيد وزير الشرطة» حوادث التعذيب التي ابلغت لها خلال الاشهر الستة الماضية :

ا — نقل ان عبد المطلب ابو رميله من القدس قد اصيب بالجنون بعد ثلاثة اشهر من سجنه .

ب — ضرب نعيم الاشهب مرة ثانية ، وقام بضربه هذه المرة السجناء اليهود في سجن شطة ونقل انهم حرضوا على ذلك .

ج — ادلى عبد الهادي عودة وابو حديدة (انظر ايضا الرقم ١٩) بشهادة في محكمة رام الله العسكرية ورويا ما تعرضا له من تعذيب خلال استجواب البوليس لهما في القدس . وبين ابو حديدة للمحكمة الجروح التي في رأسه . كما روى عن التعذيب الذي تعرض له في سجن صرفند. وتقول ف. لانفر في رسالتها المفتوحة هذه الى وزير الشرطة : يعلم معاليكم بقضية اسحق المراغي . لقد ادلى السيد المراغي باسماء المحققين الذين ضربوه في مركز شرطة القدس ووصف التعذيب الذي تعرض له . (انظر رقم ٢٣) . وقد الغيت التهم الموجهة اليه وهو الان قيد الاعتقال الاداري . ولا يزال عاجزا ولم تلتئم جروح رأسه بعد . وكان قد دعي للادلاء بشهادة في شكاواه حول التعذيب . ولكنه لم يسمح له باستدعاء محاميه ليكون حاضرا عند الادلاء بالشهادة . فكانت هذه نهاية تحقيق الشرطة .

الدكتور اسرائيل شاهاك واوريل دانفس

١٩٧٠/٦/٨ (الرئيس) (نائب الرئيس)

(٢) مذكرة الى لجنة الامم المتحدة للتحقيق في اعمال اسرائيل في الاراضي المحتلة من الرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية ـ تل ابيب

نرسل لكم هذه المذكرة استجابة لاعلانكم في الصحافة الاسرائيلية . وهي كما سترون مبنية على معلومات مستقاة مما نشر في الصحافة الاسرائيلية منذ حزيران ١٩٦٧ ، باستثناء وحيد يتعلق بسجلات حوادث التعذيب في السجون ومعسكرات الشرطة المدنية والعسكرية الاسرائيلية ، فالمعلومات في هذا الموضوع لا يمكن الحصول عليها الا من المعتقلين ومحاميهم .

ان المعلومات المعددة ادناه مختارات من معلومات مسجلة في ملفاتنا ، ونحن على استعداد لتقديم اثباتات كاملة حين يطلب الينا ذلك .

العقوبات الجماعية : نسف البيوت ، الاعتقالات الادارية ، نزع الملكية .

١) ها ـ آرتس نقلت في ١٩٦٩/٩/٢٤ أن حظر التجول الذي استمر ستة وعشرين يوما لمدة اثنتين وعشرين ساعة في اليوم في منطقة بيت ساحور سيستمر . وان السكان سيتلقون مخصصات الطعام من الوكالة الاجتماعية لسلطات الاحتلال العسكرية .

٢) ها ـ آرتس نقلت في ١٩٦٩/١٠/٢١ ان سلطات الاحتلال الاسرائيلي نسفت تسعين بيتا في الضفة الغربية في نصف السنة المنصرم .

٣) ها ـ عولام هازيه نقلت في عددها رقم ١٦٨٠ عام ١٩٦٩ ان ثمانية عشر بيتا في قرية حلحول قرب الخليل قد نسفت ، وان قرى بيت نوبا وبالو وعمواس قرب اللطرون قد محيت تماما ، وان شارعا كاملا (فيه ثمانية بيوت) في غزة قد نسف. وفي هذا المجال قال عضو الكنيست مئير فلنر في الكنيست ذاته ان رئيس بلدية غزة اعلن أن وزير الدفاع موشيه دايان هدده بانه اذا استمرت المقاومة فان نسف البيوت سيصبح اشد قسوة. « سننسف بيوت شارع واحد اذا وجدنا ذلك ضروريا ، فاذا ساءت الاحوال نسفنا بيوت شارعين ، فاذا استمر الوضع نسفنا بيوت ثلاثة شوارع وحتى حيا بكامله . ولست ارى ضيرا في أن تصبح مدينة غزة صحراء » (محاضر البرلمان الاسرائيلي ١٩٦٩/١٢/١) .

٤) نقلت هاعولام هازيه في عددها رقم ١٩٦٩ (عام ١٩٧٠ ـ) أن القرويين في قرى بيت شاحط وبلوطة وبيت ساكريه والسمكة تلقوا في تشرين الاول١٩٦٩ امرا من حاكم بيت لحم العسكري باخلاء قراهم . وليس هناك معلومات اخرى في الصحافة الاسرائيلية عما اذا كان الاخلاء قد تم .

٥) نقلت ها ـ آرتس في ١٩٧٠/٢/١٢ نبأ نسف خمسة وثلاثين بيتا في اليوم السابق ، ثلاثون منها في قرية العوجه شمال اريحا .

٦) نقلت ها ـ آرتس في ١٩٦٩/٨/٤ أن مقاما مقدسا قد استثني من الاراضي المصادرة المخصصة لمستعمرة بيت زوريم اليهودية في الضفة الغربية. ولا تورد الصحيفة عدد الدونمات التي نزعت ملكيتها . غير ان من الواضح ان المصادرة واسعة بما يكفي اقامة مستعمرة زراعية .

٧) نقلت زوت هاديريخ نبأ اعتقال ثلاثة عشر مشبوها من اريحا اعتقالا اداريا قبل ثلاثة اشهر. ولا يزال هؤلاء في السجن ، رغم أنهم لم يقدموا للمحاكمة ولم توجه لهم أي تهم .

اوضاع السجن والتعذيب

١ ـ اوردت النشرة رقم واحد التي اصدرتها الرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية في نيسان ١٩٧٠ أن خليل رشيد ابو نصره وهو شيخ في التسعين قد القي القبض عليه رهينة لقاء ابنه ، واودع سجن رام الله ثم سجن نابلس حيث توفي في آذار ١٩٧٠ (ان لدينا من الاسباب ما يحملنا على الاعتقاد ان أخذ الرهائن منتشر في الاراضي المحتلة) .

٢ ـ نقلت زوت هاديريخ في ١٩٧٠/٤/٨ أن عبدالله الخطيب قد أدلى بافادة عن التعذيب الذي تعرض له في سجن صرفند (معسكر فيه مركز استجواب)، وذلك خلال محاكمته في محكمة الخليل العسكرية . وقال انه قد حرق بالسجائر وابان آثار الحروقات. كما انه عذب بالماء البارد والغاز المسيل للدموع .

٣ ـ المصدر ذاته ، افاد نعيم أحمد الجياوي في جلسة المحكمة ذاتها أنه قد ضرب مرات عديدة في سجن الخليل ودل على معذبيه الذين كانوا حاضرين في غرفة المحكمة . وتعرف على معذبه الرئيسي الرقيب اول مزراحي من سجن الخليل .

٤ ـ اوردت النشرة رقم واحد التي اصدرتها الرابطة ان حسن عثمان عيسى الذي القي القبض

عليه في ١٩٦٩/٨/١٩ شكا الى محاميته (السيدة ف. لانغر ، شارع خوريش ، القدس) التعذيب الذي تعرض له في سجن رام الله ، وقال أنه توجب عليه نتيجة التعذيب ان يجري عملية جراحية وفي ١٩٧٠/٣/٤ مثل امام محكمة الاستئناف مع محاميته التي أشارت الى أن قدمه اليسرى والجزء السفلي الايسر من جسده منتفخان جدا وأنه يتحرك بصعوبة بالغة وآلام مبرحة ، وأن قدمه تحت خطر البتر . ولكن محكمة الاستئناف برئاسة الرائد ولفسون رفضت ان تنظر في دعوى تعذيبه قائلة ان ذلك ليس من اختصاصها .

٥ ــ نقلت زوت هاديريخ في ١٩٧٠/١/٧ ان اوضاع السجون في الخليل ونابلس ورام الله سيئة جدا. فليس هناك عدد كاف من الاسرة وينام السجناء بالتناوب . كذلك يحرم الذين سجنوا في الصيف من الملابس الشتوية ويعانون من البرد .

٦ ــ نقلت يديعوت أحرونوت في ١٩٧٠/٤/٥ أن السجناء المجرمين اليهود في سجن بئر السبع يستخدمون كحرس على السجناء العرب .

استغلال وتجويع السكان المدنيين

١ ــ نقلت يديعوت أحرونوت في ١٩٦٩/٤/٣٠ أن وزير الدفاع موشيه دايان صرح بما يلي : « لقد رأيت جوعا في غزة ، وهذا لن يعزز صورتنا الجيدة في الخارج » .

٢ ــ نقلت بيس نيوز (تصدر في انجلترة) عن شاهد عيان يهودي في غزة ، بعد أن أقسم اليمين ، أن « هناك جوعا رهيبا بين الاطفال . ولقد شاهدت اطفالا على استعداد للعمل ساعات طويلة تحت الشمس الحارقة لقاء ثمن فتات من الخبز » . وهكذا اكتشف الاطباء المسؤولون عن المستشفيات، لعدة شهور خلت أن أمهات الاطفال الذين يدخلون المستشفى جائعات لدرجة انهن لا يستطعن أحيانا كثيرة أن يضبطن أنفسهن عند زيارة اطفالهن فيأكلن بعضا من طعام الاطفال » .

٣ ــ نشرت الـ « صانداي تايمس » في ١٩٦٩/١١/٢٣ تقريرا من مراسلها دافيد ليتش الذي زار غزة بنفسه يقول أن « عمالا صحيين محايدين في المنطقة قالوا أنهم كثيرا ما رأوا ذلك (انظر الفقرة رقم ٢) يحدث . واضافوا أنهم « ما لبثوا أن اصبحوا يرون فيه أثرا عاديا » .

٤ ــ قالت هاموالم هازيه في العدد رقم ١٧٠٣ (١٩٧٠) أن رئيسة ممرضات اسرائيلية في العريش ابلغت مراسلها أن مما يبعث على القنوط أن الاطفال العرب يخرجون من المستشفى أصحاء ليعودوا بعد فترة وجيزة مصابين بسوء تغذية حاد .

٥ ــ قالت « معاريف » في ١٩٧٠/١/١٤ ان قطاع غزة خزان للعمل الرخيص ، وأن ملاك بساتين الحمضيات المحليين يعانون من نقص العمال ــ لان جميع هؤلاء يستخدمون في اسرائيل في سوق العمل الاسود الرخيص ــ وهم لذلك يستخدمون أطفالا في العاشرة لقاء اجر لا يذكر . وتقول الصحيفة انه لا يمكن لرب عائلة ان يقيت نفسه وعائلته الا اذا عمل معه اولاده وزوجته .

وتقول « بيس نيوز » في التاريخ ذاته أن أجر العامل العربي من الاراضي المحتلة ، الذي يستخدم في اسرائيل ، يخفض تخفيضا مريعا بواسطة اجراءات ادارية . فأجر العامل العربي والعامل اليهودي هو ذاته اسميا . غير أن العرب لا يتلقون أجورهم مباشرة بل من خلال الحاكم العسكري للمنطقة التي يعيشون فيها ، فيقوم هذا بحسم ما يربو على نصف الاجر . « ... الاجر الاسمي للعامل الزراعي في اسرائيل هو ١٥،٧٥ ليرة اسرائيلية يحسم منها ٤،٥ ليرة اسرائيلية للضمان الاجتماعي والتأمين الصحي و٢،٢ للنقل (ينقل العمال في العادة يوميا في سيارات شاحنة من الاراضي المحتلة الى أماكن في اسرائيل يستغرق السفر اليها ثلاث الى اربع ساعات ذهابا ومثلها ايابا) ثم يحسم ٢،٢ ليرة اسرائيلية للتنظيم . بذلك يصبح الاجر الفعلي للعامل العربي ٧،٢٥ ليرة اسرائيلية فقط في اليوم الواحد ، وهو لا يتمتع بأي شكل بالتأمين الصحي والضمانات الاجتماعية (انظر ايضا يديعوت احرونوت ١٩٦٩/٧/١١ ، بواز ايفرون « كيف تهضم حجرا ») .

هذه مختارات من المعلومات الرسمية الواسعة التي تنشر في اسرائيل . ونحن لا نشك أن الوضع أسوأ بكثير مما يسمح بنشره . ان الاحتلال الاسرائيلي، مثل أي احتلال ماض أو راهن ، قاس يسحق الشعب الفلسطيني تحت وطأته عامدا ، ويخرق أكثر حقوق الانسان أساسية ، وهو الذي يلتزم بها اسميا .

الدكتور اسرائيل شاهاك واوريل دافس

١٩٧٠/٤/٢٤ (الرئيس) (نائب الرئيس)

(٣) نشرة رقم ١ للرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية ـ تل ابيب

مقدمة طبقا للقرار الذي اتخذه الاجتماع العام الذي عقدته الرابطة الاسرائيلية للحقوق الانسانية والمدنية ، ستبدأ الرابطة في نشر كل الاعمال التي تنتهك هذه الحقوق في اسرائيل والاراضي المحتلة. وسننشر في هذه البلاغات شكاوى المقاسين وسنطالب بتحقيق مستقل وبارضاء المكابدين . اننا نهيب بك يا مواطن اسرائيل ، وبكل انسان ذي ضمير في الخارج ، ان تساعدنا في مطالبنا هذه . سنسرد في هذا البلاغ أربع حالات تتعلق بالاراضي المحتلة واربع حالات اخرى تتعلق بمواطنين اسرائيليين .

١ ـ اسحق المراغي ، من القدس الشرقية ، سجن في آذار ١٩٦٩ . يشكو أنه عذب في سجن القدس بالطريقة التالية : علق من قدميه ورأسه مدلى ، ثم جلد وهو كذلك بالسياط وضرب على رأسه بعصا . وفي مرات أخرى عذب بالكهرباء ، وبسكب الماء البارد والحار عليه بالتبادل . ويجب ان نضيف ان اسحق المراغي لا يزال عاجزا حتى يومنا هذا ، وتمكن رؤية جراح رأسه بوضوح.

٢ ـ حسن عثمان عيسى ، من بيت لحم ، القي القبض عليه في ١٩٦٩/٨/١٩ . لم تعلم عنه عائلته ولا محاميته (السيدة فـ. لانغر) شيئا لمدة تقارب الشهر . وفي مقابلته الاولى مع محاميته في ١٠/١٤/ ١٩٦٩ ، شكا تعذيبه في سجن رام الله . حتى ان عملية جراحية اجريت له بسبب التعذيب . ولم يسمح لحسن عثمان عيسى بعد هذا الاجتماع برؤية محاميته حتى ١٩٧٠/٣/٤ . وفي هذه المقابلة لاحظت السيدة لانغر ان حسن عثمان عيسى في حالة جسدية سيئة جدا . فقدمه اليسرى والجزء السفلي الايسر من ظهره منتفخان ، لدرجة انه لا يكاد يقوى على الحركة ، وقد تكون رجله تحت خطر البتر . وقد رفضت محكمة الاستئناف برئاسة الرائد ولغسون أن تنظر في شكاوى محامية حسن عثمان عيسى ، قائلة أن هذا ليس من شأنها . اننا نسألك ، يا مواطن اسرائيل ونسأل كل رجل ذي ضمير في الخارج : « أهذا من شأنك ؟ » .

٣ ـ نعيم الاشهب ، من القدس الشرقية ، احتجز اكثر من سنة دون تهمة . اقترح عليه ان يطلق سراحه **شرط ان يوافق على الهجرة ولا يعود ابدا .** وقبل شهرين جرحه أحد السجناء اليهود جرحا بالغا في سجن شطة السيىء السمعة . ويجب أن نلاحظ ان نائب مدير السجن قد حذر مرات عديدة مقدما من ان نعيم الاشهب سيجرح ، ولكنه لم يتخذ اي احتياطات .

٤ ـ خليل رشيد ابو نصره ، من بيت لحم ، شيخ في التسعين(!) ، قبض عليه كرهينة لقاء ابنه (هذا امر يحدث عادة في الاراضي المحتلة) . أودع سجن رام الله ثم سجن نابلس حيث توفي هناك في بداية اذار ١٩٧٠ .

وفيما يلي نورد حالات أربع من مواطني اسرائيل

١ ـ فوزي الاسمر ، من اللد ، شاعر معروف وصحافي . أودع السجن دون تهمة مدة تنوف عن ثمانية اشهر . وقد مدد الحكم الاداري الصادر بحقه عدة مرات . تشير عليه السلطات أن يغادر البلد نهائيا .

٢ ـ صبري جريس ، من حيفا . كاتب معروف ومؤلف كتاب « العرب في اسرائيل » . أودع السجن دون تهمة .

سنقوم في بلاغاتنا القادمة بنشر حالات أخرى من سجن وتقييد واضطهاد الانتلجنسيا العربية في اسرائيل . ونحن نفترض أن هذه السياسة متعمدة. ان الحالتين الاخيرتين تقودان الى قضية قديمة هي قضية « الغائب ـ الحاضر » . وسنشرح هذا المصطلح الكافكي (نسبة الى كافكا) لمن لا يفهمونه. (الغائب ـ الحاضر)، هم مواطنو اسرائيل (عرب فقط) الذين اعتبروا قانونيا غائبين ، بينما هم حاضرون جسديا (وذلك دون اجراءات قانونية). والغرض من ذلك سلبهم ممتلكاتهم . اننا نعتبر هذا السطو انتهاكا للحقوق الانسانية الاساسية ، وتكريس هذا السطو بقانون رسمي يجعله في نظرنا مقيتا اكثر . سنقوم في بلاغاتنا القادمة بوصف كثير جدا من قضايا هؤلاء الغائبين ـ الحاضرين ، الذين اغتصبت ممتلكاتهم ، بادئين بالقضايا التالية:

٣ ـ رؤوف عون الله، (غائب حاضر)، من الناصرة واب لاحد عشر طفلا . كان يملك ٣٠٠ دونم من الارض في اكسال (قرية قرب الناصرة) ، صودرت جميعا .

٤ ـ المحامي حنا نقاره، (غائب حاضر) من حيفا. صودرت مكتبته التي تحوي كثيرا من الكتب النفيسة طبقا لقانون (الغائب ـ الحاضر) .

البنك العربي (المحدود)

يدخل عامه الحادي والاربعين مسجلا ارقاما جديدة في الارباح والاحتياطي
مستمرا في اداء رسالته مع تحفظه الشديد وتقيده بالاسس المصرفية الصحيحة

البنك العربي المحدود

الميزانية العامة كما هي في ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩

الموجودات	١٩٦٩ دينار	١٩٦٨ دينار
النقد في الصندوق والبنوك	١٣٠٤٣٩٠٨٠٨	٦٨٠٦٨٧٠٦٩٣
سندات حكومية	٥٠٩٠٤٠٧٣٨	٢٠٩٠٢٠٤٦٤
شركات واستثمارات		
مؤسسات تابعة	١٠٤٤١٠٦٢٢	١٠٤٣٠٠٢٩٥
مختصة	٦٠٠٧٧٠٦٨٣	٦٠٦٠١٠٨١٩
مؤسسات مصرفية	٣٧٠٧٢٤٠٧٧١	٣٦٠٣١٢٠٤٠١
مؤسسات (به الاتحاد)	١٠٣٠٥٠٨١٥	١٠٥٠٤٠٧٣٥
مؤسسات (به الاتحاد)	٤٧٦٠٧٠٧	٥١٧٠٨٠٢
تعهدات العملاء مقابل كفالات		
واعتمادات وكمبيالات مقبولة (له مقابل)	٢٤٠٤١١٠٣١٢	٣٢٠٣١٨٠٢٦٣
مؤسسات اخرى	٥٠٠٥٤٠٩٣٣	٤٠٨٩٨٠٠٢٤
مجموع الموجودات	١٥٥٠٨٣٧٠٣٩٢	١٥٥٠١٧٣٠٤٩٦

المطلوبات	١٩٦٩ دينار	١٩٦٨ دينار
ودائع وحسابات اخرى	١٠٦٠٥٥٧٠٧٧٠	١٠٨٠٨١٨٠٣١٣
رأس المال المدفوع كاملا :		
(القيمة الاسمية للسهم الواحد ١٠ شلنات) سهم	٥٥٠٠٠٠٠٠	٥٥٠٠٠٠٠٠
الاحتياطي الاجباري	٢٠٤٥٠٠٠٠٠	٢٠٢٧٥٠٠٠٠
الاحتياطي الاختياري	٤٨٦٠٣٥٠	١٢٩٠٦٧٠
الاحتياطي الخاص والديون المشكوك فيها ..	٥٠٦٠٠٠٠٠	٥٠٣٠٠٠٠٠
كفالات واعتمادات وكمبيالات مقبولة (له مقابل)	٢٤٠٤١١٠٣١٢	٣٢٠٣١٨٠٢٦٣
صافي الارباح للتوزيع	٨٣٩٠٩٩٠	٨٣٢٠٢٥٠
مجموع المطلوبات	١٤٥٠٨٣٧٠٣٩٢	١٥٥٠١٧٣٠٤٩٦

الدينار الاردني يساوي ٨٧٠ قرشا لبنانيا تقريبا

البنك العربي (في الخارج) المحدود

الميزانية كما هي في ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩

الموجودات	١٩٦٩ فرنك سويسري	١٩٦٨ فرنك سويسري
النقد في الصندوق والبنوك	٤١٥٠٤٤٢٠٢٤٥	٩٨١٠٥٣٤
كمبيالات مخصومة	٦٠٦١٥٠٥٠٠	٩٢٠٨٩٨
حسابات مدينة للعملاء	٢٨٠٢٩٠٠٢٠٩	٦٣١٠٩٨٧
سلفيات مقابل رهن	٩٠٠٤٠٠٠	٧٤٠٠٠٠
سندات حكومية	٥٠٥٣٧٠٣٤٣	٢٩٤٠٤٥٠
موجودات اخرى	٨٨٧٠٤٠٢	٧٦٠٠٩٤٣
مجموع الموجودات	٤٥٧٠٧٧٢٠٦٩٤	٠٣٧١٠٨١٧
تعهدات العملاء مقابل كفالات واعتمادات (له مقابل)	١١٠٧٧٨٠٩٤٦	٠٢١٩٠١٥٠
المطلوبات		
الودائع	٤٢١٠٧٦٠٠٧٤٥	٠٦١٥٠٣١٦
مطلوبات اخرى	١٠٤٩٠٠٩٥٦	٩٠٢٠٣٦٩
رأس المال والاحتياطيات		
رأس المال (مدفوع كاملا)	٢٦٠٤٠٠٠٠٠	٠٤٥٠٠٠٠
الاحتياطي الاجباري	٢٠٧٥٠٠٠٠	٠٢٥٠٠٠٠
الاحتياطي الخاص	٣٠٠٠٠٠٠٠	٠٤٥٠٠٠٠
الربح الصافي	٢٠٣٧٠٠٩٩٣	٠٤٧٥٤٠١٣٥
مجموع المطلوبات	٤٥٧٠٧٧٢٠٦٩٤	٠٣٧١٠٨١٧
كفالات واعتمادات (له مقابل)	١١٠٧٧٨٠٩٤٦	٠٢١٩٠١٥٠

الفرنك السويسري يساوي ٧٠ قرشا لبنانيا تقريبا

أضواء وحقائق

* بالرغم من توتر الحالة في البلاد العربية ارتفعت ايرادات العربي عام ١٩٦٩ فبلغت ٨٠٤١٣٠٠٩٤ دينار محققة قدرها ٩٠٤٠٥٥٢ دينار عن العام السابق . فأصبح رأس المال المدفوع بالكامل والاحتياطيات للمؤسستين والسويسرية ما يعادل ١٥٠٠٠٠٠٤٠٠٠ ليرة لبنانية اضافة حوالي ٩٠٠٠٠٤٠٠٠ ليرة لبنانية الى الاحتياطيات.

كذلك لم تنقص او تتأثر كثيرا البنود المهمة في ميزانية البنك على الرغم من اشتداد المنافسة وتعاقب الازمات . وقد الودائع ١٠٦٠٥٥٧٠٧٧٠ دينار (حوالي ٠٠٠٠٠٠٠٠ ليرة لبنانية) بدلا من ١٠٨٠٨١٨٠٣١٣ دينار للسنة والنقص الطفيف الذي حدث في بعض البنود في نهاية ناتج عن عدم ادراج ارقام ميزانية فرعنا في عدن لتأسيسه فرعينا في الجمهورية العربية الليبية الى المؤسسة الليبية تحت اسم «مصرف العروبة» التي يملك البنك العربي ٤٩ ٪ والباقي للحكومة الليبية .

* سجلت الودائع رقما قياسيا لدى المؤسسة السويسرية «البنك العربي في الخارج» حيث زادت الودائع من مليون فرنك سويسري في العام الماضي الى ٤٢٢ مليون في نهاية هذا العام اي بزيادة قدرها ٢٨ ٪ .

* درج البنك العربي على سياسة المحافظة على نسبة عالية . بلغت (نسبة النقد للودائع) في نهاية ١٩٦٩ حوالي بالمئة . ولو اخذنا بالاعتبار السندات الحكومية والاسهم تعتبر اموالا سائلة لارتفعت نسبة السيولة الى نحو ٦٦ .

* في لبنان استمرت فروع البنك العربي في اداء دورها رغم المنافسة الاجنبية وانتقال رؤوس الاموال العربية الى الخارج بسبب ارتفاع الفوائد . وقد بلغت الودائع في لبنان ٣٨٤٠٨٥٦٠٩٢١ ليرة لبنانية .

تطور الميزانية العامة للبنك العربي المحدود

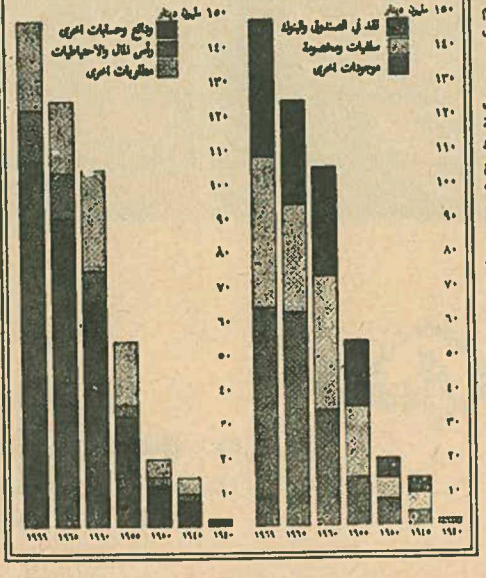

الفروع والمؤسسات التابعة والشقيقة

سسة البنك العربي منذ تأسيسها لم تعمل لصالح فرد او بلد واحد بل اسست لخدمة الاقطار العربية جمعاء . ت فروعها في الوطن العربي الكبير من المحيط الى ي وأتسحت المجال للمواطنين العرب من مختلف اقطارهم ما في المؤسسة التي اصبح يملكها ما يقرب من مساهم .

سبة للفروع الجديدة تحت التأسيس فلقد حصل البنك ذن من حاكم امارة ابو ظبي لافتتاح فرع في مدينة ي . كذلك افتتح فرع جديد في مدينة دبي وهناك تح فرع في امارة عجمان في الخليج العربي . وسيفتح فرعا جديدا في جبل الويبدة بمدينة عمان ليخفف عن الفرع الرئيسي .

بالذكر انه اصبح للبنك العربي بالاضافة الى فروعه ت تابعة وهي البنك العربي (نيجيريا) المحدود في وكانو . والبنك العربي ش.م. في فرانكفورت المانيا . ؤسسات الشقيقة فهي مصرف العروبة في طرابلس ي في الجمهورية العربية الليبية التي يملك البنك ٤٩ ٪ من اسهمه . وكذلك البنك العربي (في) المحدود في زوريخ وجنيف .

رت خلال عام ١٩٦٩ دراسات واتصالات لتأسيس بنوك عربية وافرنسية برأسمال قدره مابة مليون فرنك جديد ساهم البنك العربي بنسعة ملايين فرنك من أسمال هذا البنك العربي الافرنسي الذي تم التوقيع بوكول تأسيسه في باريس في اوائل عام ١٩٧٠ .

جد في البناء الحديث الذي يشغل فرع البنك العربي المحدود في بيروت جزءا منه محلات ومكاتب وطوابق معدة للايجار تتفرد بمدخل خاص ومصاعد مستقلة وموقف (كراج) كبير يتسع لسيارات ستأجرين والعملاء . ولقد اصبح هذا البناء مركزا للبنوك ولشركات الطيران العالمية . ولا يزال فيه مجال لتأجير مكاتب لمختلف الاعمال . اما الجزء الخاص بالبنك العربي فقد زود بأحدث اكينات وأجمل الاثاث . وبغرف محصنة معدة للايجار تقع في الطابق الرابع تحت سطح الارض . وبصناديق فولاذية موجودة ايضا في غرف محصنة وهي معدة للايجار لمن يرغب من الافراد والشركات

ارقام الهاتف : ١٠/٢٥٠٢٤٠ خطوط ٩/٢٥١١٥١ خطوط

اكمور

ACMOR

A. BERNOTY & CIE.

TEL. 227 843 - 239 272 - 264 622

B.P. 296 - BEYROUTH

مع أطيب التمنيات

شركة بوارشي للتجارة
قرطاسية ومطبوعات
٧٣٤ شارع الحمراء — ص. ب ٣٩٠٠ — تلفون ٣٤٤٨٦٠ — بيروت — لبنان

لسفرياتكم وشحن بضائعكم

اعتمدوا

شركة ستراند للسياحة ش.م.م.

بناية ستراند ـ شارع الحمراء ـ تلفون ٣٤٣٢٣٢/٣

بيروت ـ لبنان

طبع في مؤسسة منطورة للطباعة

تلفون : ٢٤١٤٧٠

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): LL. 30 in Lebanon and the Arab World, LL. 50 ($ 16) in Asia, Africa and Europe; LL. 80 ($ 26) in the Americas and Australia; *Annual Subscription* (Surface mail): LL. 40 ($ 13) in countries outside the Arab World. *Address:* P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.